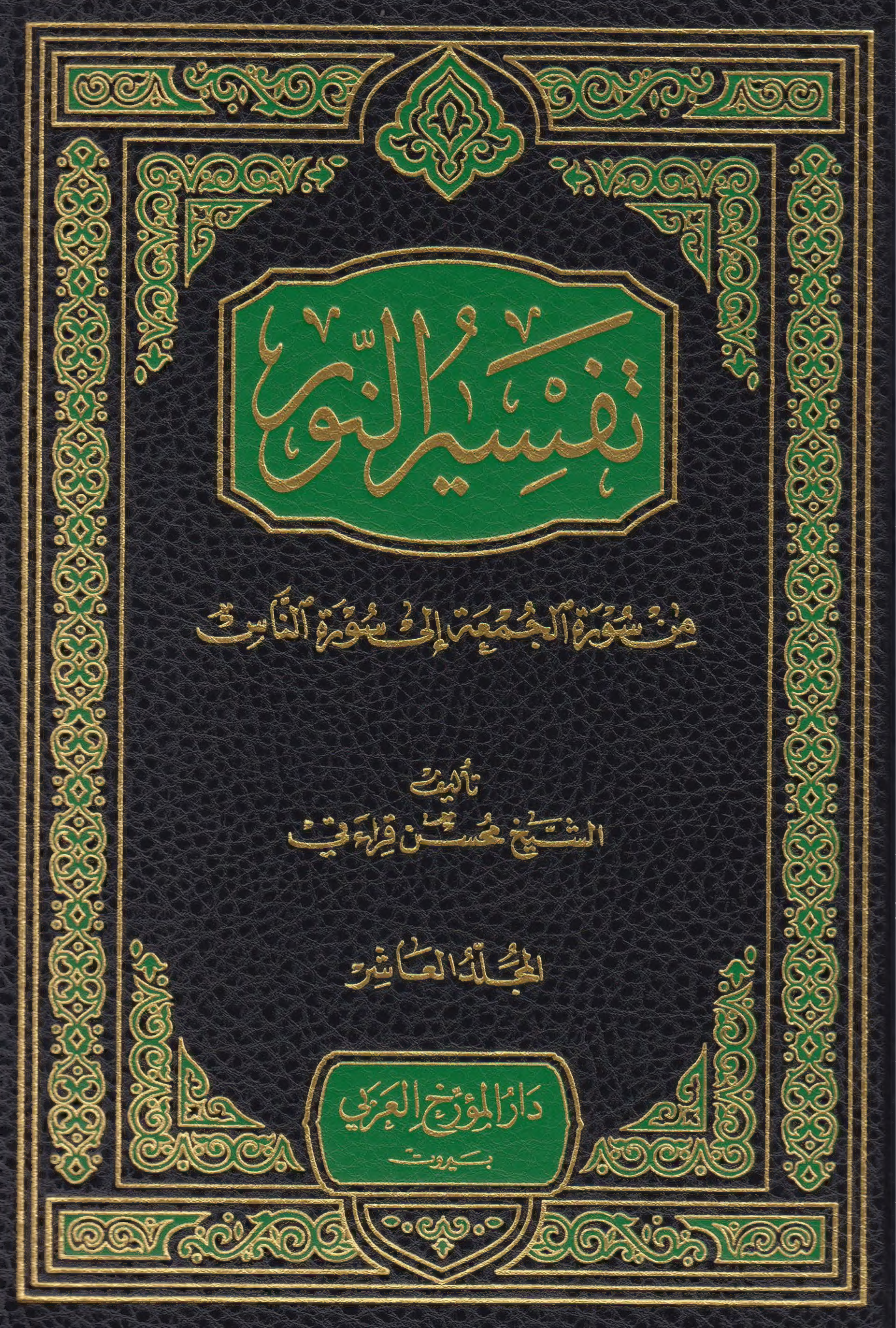
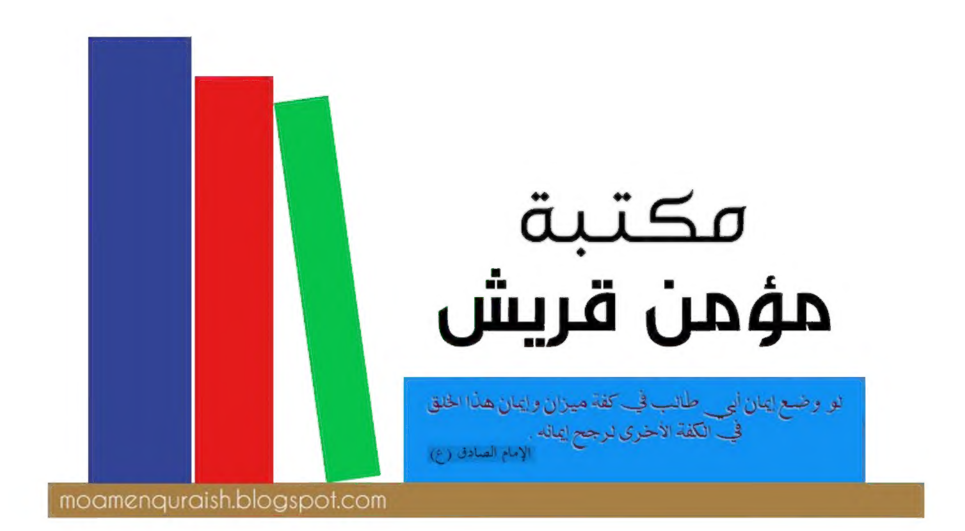

تفسير النور
من سورة الجمعة إلى سورة الناس
تأليف
الشيخ محسن قراءتي
المجلد العاشر
دار المؤرخ العربي
بيروت


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

تفسير النور



من سورة الجمعة إلى سورة الناس

تأليف

الشيخ محسن قراءتي

ترجمة

فاطمة أبو زيد

مراجعة الترجمة

محمد حسن زراقط

المجلد العاشر

دار المؤرخ العربي

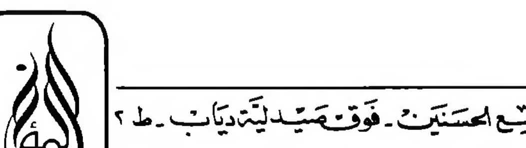
بيروت - لبنان

الطَّبعَة الأُولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

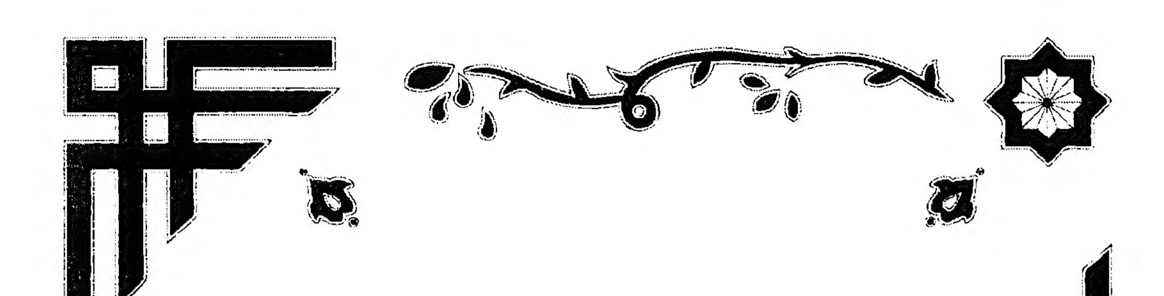


طبع هذا الكتاب بالتعاون مع
المركز الثقافي للدروس القرآنية



دار المؤرّخ العربي

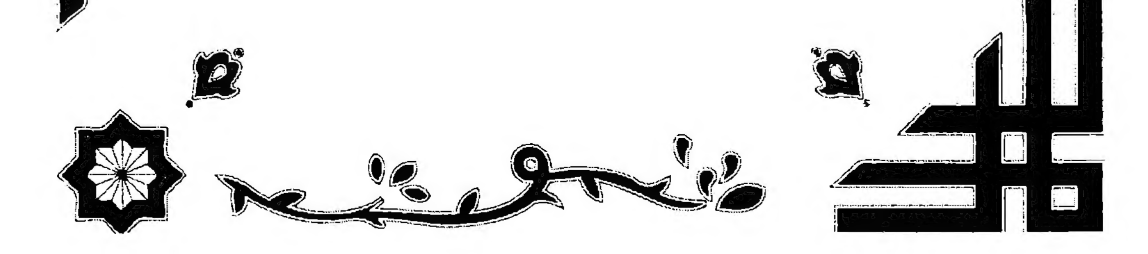
بيروت - حارة حريك - قرب جامع الحسنين - فوق صيدلية دياب - ط ٢
تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ١ - ٠ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ١ - ٠ - ص ب: ١٢٤/ ٢٤
البريد الإلكتروني al_mouarekh@hotmail.com
www.al-mouarekh.com



سُورَةُ الجُمُعَةِ

السورة: ٦٢ الجزء: ٢٨

عدد آياتها: ١١



ملامح سورة الجمعة

سورة الجمعة مدنية، عدد آياتها إحدى عشرة آية. من الأهداف الأساس لهذه السورة ترغيب المسلمين وحثّهم على المشاركة في صلاة الجمعة والحضور فيها.

ابتدأت هذه السورة بتسبيح الله تعالى وتبيين بعثة نبي الإسلام، ثم شرعت تطلب من المسلمين ألّا يكونوا كاليهود الذين حُمّلوا التوراة؛ ولكنهم لم يحملوها كما ينبغي حملها ولم يعملوا بها. وتطلب هذه السورة من المسلمين ترك أعمالهم التجارية عند سماعهم نداء الصلاة من يوم الجمعة، وأن يسارعوا إلى ذكر الله، وإذا لم يفعلوا فهم مستحقّون للعقاب والتقريع.

وقد ورد الحثّ على قراءة سورة الجمعة، ليلة الجمعة وفي الركعة الأولى من صلاة الجمعة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾

إشارات:

- تبتدئ السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ﴾، وتبتدئ هذه السورة بالفعل نفسه ولكن بصيغة المضارع: ﴿يُسَبِّحُ﴾. ولربّما دلّ هذا على أنّ تسبيح الله تعالى، وُجد في ما مضى، وهو الآن موجود، وسيبقى.
- يُحتمل أن تكون الصفات الأربع في هذه الآية (الملك، القدوس، العزيز، الحكيم) مقدمة للآية التالية؛ إذ يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ...﴾ ليبين أنّ إرساله الرسلَ ليس ناشئاً عن حاجته للعبادة، بل لأنه الحاكم المنزّه والمقتدر، وقد بعث الأنبياء على أساس حكمته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور عن طريق تزكيتهم وتربيتهم وتعليمهم الدين والحكمة.
- تسبيح الله تعالى هو أساس كلّ العقائد والأفكار الإسلامية الصحيحة:

- **التوحيد**: مبني على أساس تسبيح الله وتنزيهه عن الشريك: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

- **العدل**: مبني على أساس تنزيه الله عن الظلم: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾(٢).

- **النبوة والإمامة**: مبنيان على أساس تسبيح الله، يعني أنّ الله منزّه عن أن يترك البشر لحال أنفسهم دون هداية، والأشخاص الذين يقولون إن الله لم يوح إلى أحد من عباده ولم يهدهم؛ لا يعرفون الله حقّ معرفته: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾(٣).

- **المعاد**: مبني على أساس تسبيح الله وتنزيهه عن العبث والباطل وعن

---

(١) سورة الطور: الآية ٤٣.

(٢) سورة القلم: الآية ٢٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩١.

الأعمال التي لا فائدة منها (اللغو): ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾[١]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٢].

نعم، إذا ما نزّه الإنسان الله تعالى عن كل عيب ونقص، فسوف يصبح معشوقه ومعبوده، وسيتقيه ويتوكل عليه، وسوف ينظّم كل علاقاته الاجتماعية وحركاته وأفعاله وفقاً لما يرضاه سبحانه وتعالى.

اهمية التسبيح ومكانته:

- جاء في القرآن الكريم الأمر بالتوكل ٨ مرّات، والأمر بالاستغفار ٨ مرّات، والأمر بالعبادة ٥ مرّات، والأمر بذكر الله ٥ مرّات، والأمر بالتكبير مرّتين والأمر بالسجود مرّات عدة، أمّا الأمر بالتسبيح فذكر ١٦ مرّة.
- روى الإمام الصادق عليه السلام عن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إذا ما قال العبد (سبحان الله) سبح معه كل ما تحت العرش ويعطى جزاؤه عشرة أضعاف، وإذا ما قال (الحمد لله) أعطاه الله من نعم الدنيا حتى يلاقي ربه وعندها يعطيه الله من نعم الآخرة**»[٣].
- تسبيح الله هو من أنواع شكره تعالى، جاء في القرآن قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ... فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[٤].
- تسبيح الله كفارة للكلام الذي يقال أو يُسمع في المجالس. عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا قمت من مجلسك تقول : «**سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت اغفر لي وتب عليّ**»؛ وقال: إنه كفارة المجلس[٥].
- التسبيح وسيلة للنجاة، يقول اللّه في نبيه يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[٦].

نقرأ في حديث آخر أنّ: «**من قال سبحان الله صلى عليه كل ملك**»[٧].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.
(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٣٠.
(٤) سورة النّصر: الآيات ١ ـ ٣.
(٥) عوالي اللآلي، ج٢، ص٢٦.
(٦) سورة الصافات: الآيتان ١٤٣، ١٤٤.
(٧) بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٢١.

- من الأعمال التي وُصِّيَ بها في أسحار شهر رمضان المبارك، قراءة دعاء تبدأ كل جملة منه بـ(سبحان الله)، **«سبحان من يعلم جوارح القلوب،... سبحان الربّ الودود...»**[١].

- وقد ورد في الحديث أنه دخل شخص إلى منزل الإمام الصادق عليه السلام وكان الإمام يصلي، فرآه يكرر ذكر سبحان الله ستين مرّة. ونقرأ أيضاً أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يكرر ذكر سبحان الله في السجود خمسين مرّة[٢].

تسبيح الموجودات:

في الرؤية الكونية الإلهيّة، عبادة الله ليست من خصائص الإنسان، بل كل الموجودات في حالة تعبّد.

- طلب شخص معجزة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقبض صلى الله عليه وآله قبضة من الأرض ووضعها في يده وبأمر من الرسول الأكرم وبإذن من الله تعالى سمع الرجل تسبيح الحصى في يده[٣].

- يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: **«...فربّ مركوبة خير من راكبها؛ هي أكثر ذكراً لله تعالى منه»**[٤].

- ينبغي أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات حول تسبيح الموجودات في الكون:

أ) يعتبر القرآن الكريم أنّ تسبيح الموجودات، نابع عن دراية وعلم وشعور: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[٥].

ب) ليس بمقدور أي شخص أن يدرك تسبيح سائر الموجودات: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٦].

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٣، ص٨٥.
(٢) الوافي، ج ٢، ص ١٥٧.
(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٣، ص ٩٦.
(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٢٢.
(٥) سورة النور: الآية ٤١.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

ج) تسبيح الموجودات متفاوت ومختلف. ينقل الإمام السجاد ﷺ عن أمير المؤمنين ﷺ قوله: **«إن الطير إذا أصبحت سبّحت ربّها وسألته قوت يومها»**[1].

يقول الشاعر الإيراني نظامي، في هذا المجال ما ترجمته:

هل تعرف لماذا كواكب الأفلاك تدور حول مركز العالم
ماذا تريد، برحيلها عن المنزل عمّا تبحث في سفرها هذا
في هذا المحراب، من معبودها ماذا تقصد بقدومها هذا
جميعها في حالة دوران وحيرة تطلب موجدها

وكذلك يقول حافظ الشيرازي:

ليس فوق نور وجهك نور وليس فوق منّك على الإنسان منٌّ
الناظر إلى وجهك كالناظر إلى كل شيء ليس هناك جمال يفوق جمالك

ويقول (الملّا هادي السبزواري) في كتابه الفلسفي، المعروف بمنظومة السبزواري:

ليس هناك موسى ليسمع نداء: (أنا الحق)
وإلا فإن صوت الشجر ليس حفيف ورقها فحسب

ويقول (مولوي):

كل ذرّات العالم في الخفاء تحدثك صباحاً ومساء
نملك السمع والبصر والذكاء ولكن لا نستطيع درك أسرار الخفاء

التعاليم:

١ ـ الوجود كلّه في حالة تسبيح دائمة، بحسب الرؤية الكونية الإلهيّة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

٢ ـ لا يوجد اختلاف في التسبيح التكويني بين موجودات السماء والأرض، وبين

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٢١.

الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والإنسان: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ وجود دليل، وبرهان، وميزان للمدح والثناء أمر إلزامي. الذي يمتلك الحكم، والقداسة، والعزة، والحكمة معاً هو فقط الذي يحق تسبيحه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ... ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٤ ـ حكم الله وملكه مقرون بالقداسة، والحكمة، والقدرة: ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾.

٥ ـ حكومة الله مقرونة بالحكمة: ﴿ٱلْمَلِكِ... ٱلْحَكِيمِ﴾.

٦ ـ إنّ الله عزيز: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وكذلك نبيّه والمؤمنون والقرآن: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾[٢].

٧ ـ إنما يكون للقدرة قيمة حينما تكون مقرونة بالحكمة: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، إنّ الله قادر كما هو حكيم، أمّا اقتدار الآخرين فيكون غالباً مقروناً بالاستكبار والاستعمار.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾

إشارات:

- (أميّ) منسوب إلى كلمة (أم)، وقد أطلقت هذه الكلمة على أهل مكّة إمّا من باب أنّ مكة هي أم القرى، أو من باب أن هذه الكلمة في اللغة العربية تطلق على من لا يعرف القراءة والكتابة؛ لأنه على الحالة التي كان عليها حين ولدته أمه.

- نقرأ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية قوله: «**كانوا يكتبون**

(١) سورة المنافقون: الآية ٨.
(٢) سورة فصلت: الآية ٤١.

ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بعث إليهم رسولاً فنسبهم إلى الأميّين»[١].

❑ (يزكّيهم) من المصدر (تزكية) وجذرها (زكاة) بمعنى الرشد والنمو المصاحب للخير والبركة. يعني أنّ الرسول الأكرم مأمور بأن يزيل الأخلاق السيئة من بين الناس وينشر بينهم الأخلاق الحسنة حتى يصلوا إلى الرشد والكمال.

❑ المقصود هنا من (الحكمة) تلك المعارف والحقائق التي نستخلصها من القرآن وتساعد على تغيير نظرة الإنسان إلى العالم وترشده إلى التفكّر السليم، وبهذا تهيّيء له الأرضية للوصول إلى السعادة. وفي حين كان منكرو الله يقولون: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾[٢]، فقد بيّن الله تعالى أن الحقيقة شيء آخر وقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[٣].

❑ (الحكمة) ليست مجزّأة عن (الكتاب)، بل هي إحدى صفاته، كما ذكر في موضع آخر: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٤]، وكذلك، فلقد أنزل الله تعالى الكتاب والحكمة جنباً إلى جنب على نبيّه الكريم: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٥]، ولذلك المراد من تعليم الكتاب والحكمة وهو وظيفة النبي الأكرم: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، تعليم القرآن الكريم المليء بالحكمة والذي يعلم الناس النظرة الصحيحة إلى الحياة[٦].

❑ يطلب النبي إبراهيم عليه السلام من الله تعالى في الآية ١٢٩ من سورة البقرة، أن يبعث للناس رسولاً يمتلك الصفات التي ذكرت في الآية، نرى في هذه الآية استجابة هذا الدعاء. وقد ورد في الحديث أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**»[٧].

❑ تحدثت الآية السابقة عن الله الحكيم وهذه الآية تتحدث عن بعثة النبي وهي إحدى دلائل حكمة الله، وذكرت أن تعليم الحكمة للناس هو أحد أهداف بعثة الأنبياء.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٢٢.
(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٤.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.
(٤) سورة يس: الآية ٢.
(٥) سورة النساء: الآية ١١٣.
(٦) الميزان في تفسير القرآن.
(٧) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٦٩.

❑ تحدّث القرآن الكريم عن الضلالة والضياع في ٤٦ موضعاً، وفي أكثر المواضع قرنت كلمة (ضلال) بكلمة (مبين) وفي بعض الموارد عُبر عنه بـ﴿ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾[1] و﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾[2]، نستخلص، بنظرة سريعة، أنّ النبي الأكرم قام بهداية الناس:

مِن قتل الأبناء إلى حبّهم.

مِن الجهل إلى العلم.

مِن الإغارة على أموال الآخرين إلى الإيثار وإنفاق الأموال الشخصية.

مِن أكل الربا إلى كسب الرزق الحلال.

مِن الشرك إلى التوحيد.

مِن التفرقة إلى الوحدة.

مِن الخرافات إلى الحقيقة.

مِن الذل إلى العزة.

وبجملة واحدة، قد نقلهم من الضلالة إلى الهدى.

وقال جعفر بن أبي طالب في وصف نبي الإسلام عند النجاشي ملك الحبشة: **كنّا قومًا أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيفَ، وكنّا على ذلك حتّى بعث الله تعالى إلينا رسولًا منّا. . .، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء. . .:** ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

سؤال: هل بُعث النبي الأكرم إلى أهل الحجاز والعرب الأميين فقط؟

الجواب: ظهر النبي الأكرم بين أهل مكة وبدأ دعوته من هناك، ولكن الكتب التي أرسلها إلى ملوك الروم وفارس وإلى رؤساء القبائل المختلفة، تبين حقيقة أن دعوة الرسول لم تكن محدودة بجزيرة العرب أو بالعرب أنفسهم.

---

(١) سورة الملك: الآية ٩.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣.

التعاليم:

١ ـ بعثة الأنبياء عمل إلهي: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ﴾.

٢ ـ كانت بعثة الأنبياء سبباً للنمو، والتغيير، والإحياء في كل أمور المجتمع وعلى كل المستويات: ﴿بَعَثَ﴾.

٣ ـ ظهور نبي من بين الأميّين وحمله لراية الحكمة والعلم هو معجزة إلهية: ﴿بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا﴾.

٤ ـ يجب أن يكون قائد المجتمع الإسلامي من الناس: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، وفي الناس: ﴿فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾.

٥ ـ تلاوة القرآن وسيلة ومقدمة للتزكية، والتزكية مقدَّمَة على العلم والتعليم: ﴿يَتْلُوا... يُزَكِّيهِمْ... وَيُعَلِّمُهُمُ﴾، ونقرأ في موضع آخر: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

٦ ـ يجب أن تحصل التربية وتزكية النفس في ظل الأنبياء والآيات الإلهية. (الرياضة الروحية والرهبانية التي لا تنضوي تحت مظلة تعاليم الأنبياء، نوع من أنواع الانحراف): ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾.

٧ ـ تقع التربية والتعليم في رأس برنامج الأنبياء: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾.

٨ ـ التربية الروحية والتعليم الفكري في مدرسة الأنبياء تقرنان بالبصيرة: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

٩ ـ يمكن القيام بأعمال تربوية حتى في المجتمع الفاسد: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

١٠ ـ ينبغي الرجوع إلى الوراء والاطّلاع على البيئة الثقافية والفكريّة التي كان يعمل فيها الأنبياء عليهم السلام؛ لمعرفة الجهود والإنجازات التي أدّاها هؤلاء العظماء: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾

إشارات:

□ ورد في التفاسير الشيعية والسُّنية: أنه عندما نزلت هذه الآية، سُئل الرسول ﷺ عن المقصود بـ(الآخرين) في الآية الثالثة؟ فوضع يده المباركة على كتف سلمان وقال: «**لو كان الإيمان منوطًا بالثريّا لناله رجال من فارس**»[1].

التعاليم:

١ ـ لم تكن رسالة نبي الإسلام ﷺ خاصة بالناس المعاصرين له ولكنها شاملة لكل الناس من بعده، من أي قوم كانوا ومن أي إقليم: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟...﴾.

٢ ـ لا أحد يستطيع أن يقف أمام انتشار الإسلام في المستقبل: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟... وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٣ ـ الله القادر والحكيم هو الظهير للأنبياء: ﴿بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ... وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٤ ـ الهدف الذي أرسل لأجله نبي الإسلام هو الهدف نفسه الذي أُرسل لأجله الأنبياء السابقون: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ... بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ... وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ... وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٥ ـ للنبوة فضل ومقام عظيمان والله يعطيها لمن يشاء، ولأنه حكيم، فهو يعطي هذا المقام لأهله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾

إشارات:

□ تحدثت الآيات السابقة عن البعثة، وهذه الآية تتحدث عن اليهود الذين كانوا

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٢، ص٥٢.

يعرفون نبي الإسلام من كتابهم السماوي التوراة؛ ولكنهم وبسبب عنادهم لم يقبلوا برسالته.

- (أسفار) جمع (سفر) وتعني الكتاب الذي يكشف الستار عن الحقائق[١]. تتكون التوراة من أجزاء مختلفة ويقال لكل جزء (سفر) مثل سفر التكوين. والسِّفر مقابل للسورة في القرآن.
- ينتقد القرآن الكريم في هذه السورة اليهود بالظاهر ولكن هذا الانتقاد في الحقيقة هو كناية يراد بها القول للمسلمين: حذار أن تستمعوا للقرآن دون أن تعملوا به.
- شبّه القرآن في مواضع عدة الناس الضالين بالأنعام، والعالمون بلا عمل هم أحد مصاديق هؤلاء الناس كما أشارت هذه الآية إليهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾[٢].
- عن الإمام علي عليه السلام: **«العلماء رجلان: رجل آخذ بعلمه فهذا ناجٍ وعالم تارك لعلمه فهذا هالك. وإنّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التاركِ لعلمه. وإنّ أشد الناس ندامةً وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الجنّة وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتّباعه الهوى وطول الأمل»**[٣].
- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا»**[٤].
- وورد عن الإمام السجاد عليه السلام: **«إنّ العلم إذا لم يُعْمَل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً ولم يزدد من الله إلا بعداً»**[٥].

---

(١) مفردات الراغب.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٤.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٥.

☐ جاءت هذه الآية بتشبيه حاد وفيه تحذير لعلماء الدين الذين لا يعملون بعلمهم. وقد ذكر السابقون العديد من التشبيهات في هذا المجال، نذكر بعضها:

- العالم بلا عمل، كالشمعة يهتدي الآخرون بنورها أمّا هي فإنها تذوب[١].
- العالم بلا عمل، كالكنز الذي لا ينفق منه[٢].
- العالم السيىء كالصخرة التي تقف في طريق الماء، لا هي تشرب منه ولا تسمح بوصوله إلى الآخرين[٣].
- العالم بلا عمل، كبئر ماء راكد، داخله متعفن[٤].
- العالم بلا عمل، كالقبر ظاهره سليم وداخله عظام نخرة[٥].

جانب من الصورة القبيحة لليهود في القرآن:

١ ـ قساة القلوب: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟... أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[٦].

٢ ـ يحبون الرفاهية: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾[٧].

٣ ـ يفسدون في الأرض: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾[٨].

٤ ـ يلقون بالتهم حتى على الله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[٩].

٥ ـ يحرفون الكتاب: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[١٠].

٦ ـ يستكبرون على الوحي إذا كان مخالفاً لأهوائهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[١١].

---

(١) ميزان الحكمة، ج ٩، ص ٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥.
(٤) المحجة البيضاء، ج١، ص ١٣٠.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) سورة المائدة: الآية ٤١.
(٧) سورة البقرة: الآية ٦١.
(٨) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(٩) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(١٠) سورة النساء: الآية ٤٦.
(١١) سورة البقرة: الآية ٨٧.

٧ ـ يكرهون أهل الإيمان: ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾[1].

٨ ـ يقتلون الأنبياء: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا... فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[2].

٩ ـ قد غضب الله عليهم: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3].

١٠ ـ لعن النبي داود والنبي عيسى فريقاً منهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى﴾[4].

التعاليم:

١ ـ يتبع القرآن أسلوب التمثيل لبيان الحقائق (شبّه القرآن العالمين بلا عمل بالحمار وظاهر هذا التشبيه أنه قاسٍ ولكن في الواقع هو قليل عليهم): ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ... كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.

٢ ـ فضح العلماء السيئين وانتقادهم هو أمر قرآني: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.

٣ ـ إذا كان عدم العمل بالتوراة قد أدّى إلى تنزّل الإنسان إلى مستوى حيوان كالحمار، فكيف بعدم العمل بكتاب أفضل ألا وهو القرآن؟: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾.

٤ ـ إن اختيار الكتاب السماوي وحمله ليس مهماً، بل المهم هو العمل به: ﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا... يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.

٥ ـ عدم العمل بالعلم، هو نوع من التكذيب العملي لهذا العلم: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾.

٦ ـ عدم العمل بالعلم، نوع من أنواع الظلم: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٧ ـ أعمالنا هي سبب حرماننا: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٨.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾

إشارات:

▫ ذكر في القرآن الكريم أن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم أفضل من الآخرين وحتى قالوا إنهم أبناء الله: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾[(١)]، وقد كانوا محبين للثروة حريصين على الدنيا: ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[(٢)]. وهذه الآية في معرض مباهلة اليهود إذ تقول لهم إن كنتم صادقين بادعائكم أنكم أولياء الله فتمنوا الموت، فأنتم حسب ادعائكم أهل الجنة الوحيدون: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[(٣)]، إذاً لِمَ لا تتمنون الموت؟: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[(٤)].

▫ **لماذا نخاف من الموت؟**

إذا شبّهنا السفر إلى الآخرة بالسفر الدنيوي، فسنلاحظ أن السائق في السفر يقلق حيال أشياء عدة:

أ) قد يقلق من نقص الوقود، ولكن الشخص الذي أعَدّ زاده للآخرة فإنه لا يقلق: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[(٥)].

ب) قد يقلق حيال وسيلة النقل إذا كانت مسروقة، ولكن الشخص الذي يعتاش من الكسب الحلال لا يقلق أبداً.

ج) قد يكون قلقاً بسبب الممنوعات التي يحملها معه، أمّا الشخص الذي لا يحمل ذنوباً، فإنه لا يقلق.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٩٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ١١١.
(٤) سورة البقرة: الآية ٩٤.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

د) قد يقلق لأنه يسير بسرعة غير قانونية، لكن الشخص الذي ليس من أهل الإفراط والتفريط: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1] وحياته مبنية على الاعتدال: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[2] لا يقلق.

هـ) قد يقلق أحياناً من مرافقيه في السفر إن كان لا يعرفهم أو إن كانوا رفاق سوء، ولكن الشخص الذي كان جليساً للأبرار في الدنيا، لا يقلق.

و) قد يخاف إن كان وحيداً على الطريق، ولكن الشخص الذي يسير مع قافلة الأبرار والمؤمنين لا يكون وحيداً.

ز) قد يعتريه الخوف من عدم الوصول إلى المقصد، ولكن الشخص المؤمن بأن ذرة من عمله لن تذهب سدى، لا يخاف: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾[3].

- سألوا أبا ذر: لماذا نخاف من الموت؟ قال: «**لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب**»[4].

- عن الإمام علي عليه السلام: «**تالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه**»[5]، وعندما ضرب في محراب مسجد الكوفة قال: «**فزت ورب الكعبة**».

- وروي عن الإمام الحسين عليه السلام في خطبة مطولة له: «**خُط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة**»[6].

- على الرغم من أن هذه الآية تخاطب اليهود، فإنّ الاستعداد للموت هو وسيلة لقياس الإيمان والولاء الحقيقي لكل المدّعين: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾.

التعاليم:

١ ـ يُعلّم الله تعالى النبي والأمة طريقة البحث والاستدلال مع الأديان الأخرى وكيفية الاحتجاج مع المخالفين: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٨.
(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.
(٣) سورة الزلزلة: الآية ٧.
(٤) المحجة البيضاء، ج ٨، ص ٢٥٨.
(٥) نهج البلاغة، الخطبة ٥.
(٦) مقتل الخوارزمي، ج٢، ص ٢٤١.

٢ ـ ردُّوا على الاستنباطات الفارغة والشبهات بمنطق الوجدان: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾.

٣ ـ لا يجوز حصر الأمور المعنوية والدينية: ﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾.

٤ ـ يجب مواجهة الادعاءات والتخيلات الخاطئة: ﴿إِن زَعَمْتُمْ... فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ﴾.

٥ ـ الاستعداد للموت هو المعيار في صدق ادعاء الإيمان: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، كل حبيب يحب رؤية حبيبه، فإن كنتم أحبَّاء الله، فلِمَ لا تحبون لقاءه؟: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ... فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ﴾.

٦ ـ يجب أن يكون استدلالكم بصورة لا يبقى معها للعدو ما يقوله: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ... وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾.

٧ ـ أعمال الإنسان هي السبب في فراره من الموت: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

٨ ـ كثير من الناس يدّعون أنهم أولياء لله؛ ولكن الله خبير بباطنهم الخبيث: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

إشارات:

- يخطط الناس آلاف الخطط لكي يفروا من الموت، ولكن ما الفائدة؟ يهربون من جبهة القتال ولكن الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾[1]، يصنعون البيوت المتينة المحكمة ولكن الموت يحيق بهم: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[2]. نعم، فنحن لا نستطيع في هذه الدنيا أن نفرّ من

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٦. (٢) سورة النساء: الآية ٧٨.

الموت، كما أننا في الآخرة لا نستطيع أن نفرّ من العذاب الإلهي: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾[١].

- الاعتقاد والإيمان بأننا سنبعث من جديد وسنأتي يوم القيامة وأنّه هناك ستكشف أعمالنا، هو أفضل عامل لرعاية التقوى في الدنيا: ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾.

التعاليم:

١ ـ إرادة الله تعالى غالبة على إرادة الإنسان: ﴿تَفِرُّونَ... مُلَٰقِيكُمْ﴾.

٢ ـ توجد فاصلة طويلة بين الموت والقيامة: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾. (ثم تستعمل للتأخير).

٣ ـ علم الله شامل للحاضر والغائب والظاهر والباطن بالمستوى نفسه: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

٤ ـ ابتداءً يجب أن يُنبأ المجرم بجرمه، ثم ينزل به العقاب: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

إشارات:

- شاهد رسول الإسلام ﷺ في المعراج الملائكة يستغفرون للذين يقيمون صلاة الجمعة ويغتسلون يوم الجمعة، وهم يقولون: «**اللهم اغفر للذين يحضرون صلاة الجمعة، اللهم اغفر للذين يغتسلون يوم الجمعة**»[٢].

مكانة يوم الجمعة:

ليوم الجمعة في الإسلام مكانة خاصة بين الأيام وتوجد العديد من الروايات في هذا المجال سنذكر بعضاً منها:

(١) سورة القيامة: الآية ١٠.
(٢) مستدرك الوسائل، ج ٦، ص ٩١.

• روي عن الرسول الأكرم ﷺ: «**الجمعة سيّد الأيّام، وأعظمها عند الله ﷻ، وهو أعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى...**»[(١)].

• يوم الجمعة، يوم مساعدة الفقراء والمحتاجين. فقد ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إذا أردت أن تتصدّق بشيءٍ قبل الجمعة فأخّره إلى يوم الجمعة**»[(٢)].

• وهو يوم عيدٍ للمسلمين[(٣)].

• يوم الجمعة، هو يوم ظهور الإمام صاحب الزمان وانتهاء غيبته: «**يخرج قائمنا، أهل البيت، يوم الجمعة**»[(٤)].

• تفتح أبواب السماء في يوم الجمعة لاستقبال أعمال العباد[(٥)].

• عن الرسول ﷺ: «**يضاعف الله فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات، ويرفع فيه الدرجات، ويستجيب فيه الدعوات، وتكشف فيه الكربات، وتقضى فيه الحوائج العظام**»[(٦)].

- أيّما شخص زار في يوم الجمعة قبر والديه أو قبر أحدهما، غفرت ذنوبه وكتب اسمه مع المحسنين[(٧)].

- «**لا تدع الغسل يوم الجمعة فإنّه سنّة، وشمّ الطيب والبس صالح ثيابك...**»[(٨)].

- وعن نبي الإسلام ﷺ قوله: «**ألا أخبركم بأهل الجنّة؟ من لا يشغله عن الجمعة حرّ شديد، ولا برد شديد، ولا ردغ**»[(٩)].

- وقد ورد الأمر بفعل الخير في يوم الجمعة: «**وليفعل الخير ما استطاع**»[(١٠)].

- وعن النبيّ ﷺ: «**من قلّم أظافيره يوم الجمعة، وأخذ من شاربه، واستاك،**

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٥، ص٦٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٦.
(٤) كمال الدين، ص ١٦٤.
(٥) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٣٢٥.
(٦) المصدر نفسه، ص ٦٣.
(٧) صلاة الجمعة، ص ٢٤٥.
(٨) الكافي، ج ٣، ص ٤١٧.
(٩) كنز العمال، الحديث ٢١٠٨٥.
(١٠) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٧٨.

وأفرغ على رأسه من الماء، حين يروح إلى الجمعة، شيّعه سبعون ألف ملك كلّهم يستغفرون له ويشفعون له»[١].

مكانة صلاة الجمعة:

- أول ما قام به النبي الأكرم بعد هجرته إلى المدينة، إقامة صلاة الجمعة.
- الصلاة التي ابتدأت الدعوة إليها بجملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.
- الصلاة التي رُغّب الناس في إقامتها بجملة: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.
- الصلاة التي أُمر فيها الناس بترك البيع والتجارة.
- الصلاة التي عُدّت في الروايات معادلة للحج: **«فإنها حج المساكين»**[٢].
- الصلاة التي يستجاب فيها الدعاء بعد خطبتها[٣].
- الصلاة التي تقام مع اتكاء إمامها على السلاح.
- الصلاة التي يُعد الاستخفاف بها دليلاً على النفاق.
- الصلاة التي دُعي فيها أئمة الصلاة إلى حث الناس على التقوى.
- الصلاة التي يتعرف فيها الناس على أحداث العالم ومجرياته.
- الصلاة التي يجب أن تُصلى جماعة، ولا يمكن أداؤها فرادى.
- الصلاة التي أُوصي بتسهيل الحضور فيها على المسجونين بقضايا مالية[٤].
- الصلاة التي تستأهل تأجيل السفر لأجل الحضور فيها. أرسل الإمام علي كتاباً إلى الحارث الهمداني جاء فيه: **«ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة إلا فاصلاً في سبيل الله أو في أمر تُعذر به»**[٥].
- الصلاة التي أوصي بالاستعداد لها من اليوم السابق للجمعة. فقد ورد النهي عن تناول دواء يوم الخميس لأنه قد يسبب الضعف يوم الجمعة ويمنع من حضور

---

(١) المستدرك، ج ٦، ص ٤٦.
(٢) التهذيب، ج٣، ص ٢٣٧.
(٣) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٦.
(٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٦.
(٥) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٦٩.

صلاتها. وعن الإمام الباقر عليه السلام في وصف أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله: **«والله لقد بلغني أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يتجهّزون للجمعة يوم الخميس...»**[١].

- الصلاة التي ثواب المشاركة فيها للمسافر يفوق ثواب المقيمين في تلك المدينة[٢].

- الصلاة التي أوصي بتلاوة آياتها قبل ليلة من أدائها، فقد حثّت الروايات على تلاوة سورة الجمعة في صلاة المغرب ليلة الجمعة، وهذا نوع من التذكير والاستعداد لصلاة الجمعة.

❑ وعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«...ما من مؤمن مشى بقدميه إلى الجمعة، إلا خفّف الله عليه أهوال يوم القيامة...»**[٣].

❑ صلاة الجمعة كفارة للذنوب التي اكتسبها الإنسان طوال الأسبوع، بشر التوبة وترك الذنوب الكبيرة[٤].

❑ وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: **«من استأجر أجيراً فلا يحبسه عن الجمعة فيأثم، وإن لم يحبسه اشتركا في الأجر»**[٥].

❑ **«من ترك الجمعة ثلاثة متابعة لغير علّة كتب منافقاً»**[٦].

وورد في رواية أخرى: أيّما شخص ترك الجمعة ثلاثة من دون مرض أو عذر ختم الله على قلبه[٧].

❑ وقد وردت الدعوة إلى الصدقة، لمن لم يستطع حضور الجمعة وفاتته المشاركة في الصلاة[٨].

❑ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«إنّ الله سبحانه فرض عليكم الجمعة... فمن تركها في حياتي وبعد مماتي إلى يوم القيامة جحوداً واستخفافاً بحقّها، فلا جمع الله**

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٥، ص٤٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦.
(٣) مستدرك الوسائل، ج٦، ص ٤٢.
(٤) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٥٦.
(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص ٧.
(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص ٤٠٧.
(٧) كنز العمال، الحديث ٢١١٤٧.
(٨) المصدر نفسه، الحديث ٢١١٣٩.

شمله ولا بارك له في أمره، ألا لا صلاة له، ألا لا حجّ له، ألا لا صدقة له، إلا أن يتوب، فإن تاب تاب الله عليه»[١].

□ وقد ورد أنّه إذا قال الرجل لصاحبه والإمام يخطب يوم الجمعة: «انصت»، فقد لغا حتّى يقضي الخطبة[٢].

واجبات إمام الجمعة:

١ ـ ألّا يطيل الخطبة. فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: **«سيأتي بعدكم أقوام يطيلون الخطب ويقصرون الصلاة»**، ويوصيهم بقوله: **«أطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة»**[٣].

٢ ـ شرّع الله تعالى خطبتين لصلاة الجمعة، تختص الأولى منهما بحمد الله والثناء عليه وتقديسه، والثانية بحوائج الناس وتحذيرهم وتعليمهم والمناجاة والدعاء[٤].

٣ ـ يجب أن يؤدي الإمام الخطبة وهو قائم. **«ما رأيت رسول الله خطب إلّا وهو قائم»**[٥].

٤ ـ على الخطيب أن يمسك السلاح بيده ولكنه لا يستخدمه وما عليه سوى الوعظ والإرشاد، إشارة إلى أننا في عين رحمتنا ورأفتنا نحن أيضاً نملك القدرة، مثلما كان الرسول يتوكأ على قوس أو عصا[٦] ويلقي الخطبة.

٥ ـ من السُّنة إذا صعد المنبر أن يُسلم إذا استقبل الناس[٧].

٦ ـ قراءة سورة المنافقون وسورة الجمعة في صلاة الجمعة. كان رسول الله ﷺ يقرأ سورتي الجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة، سورة الجمعة لتبشير

---

(١) مستدرك الوسائل، ج٦، ص ١٠.
(٢) كنز العمال، ج ٧، ص ٧٤٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٧٤٨.
(٤) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٠.
(٥) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٣١.
(٦) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٣٨.
(٧) المصدر نفسه، ص ٤٣.

المؤمنين وتحذيرهم من الدنيا، وسورة المنافقون لإقناط المنافقين وتوبيخهم[١].

٧ ـ تعريف الناس بالأوضاع المعاصرة؛ فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ الصلاة من يوم الجمعة يوم اجتماعٍ لعموم المسلمين ولذلك على الإمام أن ينتهز الفرصة: «**ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق ومن الأهوال التي لهم فيها المضرة والمنفعة**»[٢].

٨ ـ من حق الناس على إمام الجمعة «**أن يعلمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد**»[٣].

التعاليم:

١ ـ يجب تهيئة الأرضية المناسبة لدعوة الناس إلى العبادة. (في بداية السورة ذكر الله تسبيح الموجودات قبل أن يأمر بالمشاركة في صلاة الجمعة): ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ... فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ يجب علينا أن ننادي الناس باحترام وبألفاظ محببة حينما ندعوهم إلى العبادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

٣ ـ الحضور في صلاة الجمعة دليل على الإيمان: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾.

٤ ـ الصلاة سبب لذكر الله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ... فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ عليكم أن تسارعوا للمشاركة في صلاة الجمعة: ﴿لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ﴾.

٦ ـ يجب إزالة الموانع التي تحول دون المشاركة في صلاة الجمعة: ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾.

---

(١) كنز العمال، ج ٨، ص ٣٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٠١.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٠.

(ترك البيع والتجارة هو من باب المثال، وإلا فإن كل الأعمال يجب أن تترك في وقت الصلاة ويجب أن نسعى للحضور في الصلاة).

٧ ـ أمر الله تعالى بترك التجارة، وأعطى وعداً حقاً بالتعويض: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٨ ـ اختيار الأفضل لكل زمان، هو دليل على العلم الواقعي: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٩ ـ التحفيز مهم في التربية الدينية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، والأمر مهم أيضاً: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وكذلك النهي: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، والاستدلال: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

إشارات:

- المال الدنيوي في الثقافة القرآنية هو فضل إلهي، لذا تقول هذه الآية: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾، بعد الفراغ من صلاة الجمعة، اسعوا إلى فضل الله أي إلى الكسب والتجارة. وفي موضع آخر يشير إليه بكلمة (خير): ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾[(١)]. المقصود بالخير هنا مال الدنيا.

- روي عن الرسول الأكرم ﷺ قوله: «**من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه، كتب له ألف حسنة، ويغفر الله له يوم القيامة مغفرةً لم تخطر على قلب بشر**»[(٢)].

- يجب أن يكون نشاط الإنسان في حال العبادة أكثر من نشاطه في كسب معاشه. قال الله عن العبادة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وقال في آية أخرى عن التجارة: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾. كلتا كلمتي ﴿فَاسْعَوْا﴾ و﴿ابْتَغُوا﴾ تعطيان معنى السعي

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(٢) تفسير مجمع البيان.

والحركة، ولكن في الآية الأولى ذكرت كلمة (سعى) مع حرف (الفاء) وهذه الصيغة تخفي في طياتها الشغف والنشاط والسرعة.

- الفضل الإلهي إمّا أن يكون مادياً أو معنوياً قال الله تعالى في الآية الرابعة من هذه السورة عن بعثة النبي: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، وقال في هذه الآية عن الكسب والعمل والتجارة: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

التعاليم:

١ ـ يجب ألا تكون المدة الزمنية التي يتعطل فيها العمل والكسب والتجارة لأجل الصلاة، مدة زمنية طويلة. (في الآية السابقة صدر الأمر بترك البيع والتجارة، وفي هذه الآية رفع المنع مباشرة من بعد الصلاة): ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٢ ـ إن الله تعالى لا يحب أن تتعطل أسواق المسلمين وأعمالهم ليوم كامل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟﴾.

٣ ـ يتطلب كسب المعاش ونيل الفضل الإلهي، الهجرة والحركة والسفر في الأرض: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٤ ـ سارعوا في العبادة: ﴿فَٱسْعَوْا۟﴾، واذهبوا إلى العمل المادي ولكن لا داعي للعجلة؛ لأن الله هو مقدّر الأرزاق: ﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾.

٥ ـ إن فضل الله ولطفه عارمان، ولكن على الإنسان أن يسعى ليحصل عليهما: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

٦ ـ القعود عن العمل، والكسل ممنوعان في الإسلام: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ الدنيا جزء من الفضل الإلهي: ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ يتحقق الفلاح في ظل إطاعة الأوامر الإلهية: ﴿فَٱسْعَوْا۟... ذَرُوا۟... وَٱبْتَغُوا۟... وَٱذْكُرُوا۟... لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٩ ـ أمر الله تعالى بالسعي في الأمور المعنوية والمادية. قال في الآية السابقة: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وقال في هذه الآية: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

١٠ ـ لا يعدو البيع والتجارة كونه معاملة مادية إذا كان ناشئاً عن إرادة الإنسان:

﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾؛ ولكن إذا جاء بعد العبادة فإنه يتبدّل إلى فضل إلهي: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

١١ ـ لا يجب أن يكون السعي إلى الدنيا دافعاً إلى الغفلة عن ذكر الله: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

١٢ ـ يهتم الإسلام بكيفية العبادة: ﴿فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[1]، وبكميّتها: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

١٣ ـ في الأماكن التي تكون الأرضية فيها مهيأة أكثر للزلل والغفلة عن ذكر الله كالأسواق، يكون لذكر الله أهمية أكبر: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

١٤ ـ ذكر الله واجب في كل الأحوال، سواء في حالة العبادة: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، أم في حالة التجارة: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

١٥ ـ يستطيع الإنسان أن يهيّىء لنفسه أسباب الفلاح بعمله وحُسْن اختياره: ﴿فَٱسْعَوْا۟... وَٱبْتَغُوا۟... وَٱذْكُرُوا۟... لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

١٦ ـ يكون ذكر الله عاملاً للفلاح إذا ما كان بصورة مستمرة: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

❑ نقرأ في التفاسير أنّ نبي الإسلام كان مشغولاً بقراءة خطبة صلاة الجمعة حين دخلت قافلة تجارية إلى المدينة وكان يخرج منها أصوات الطبل والدّف والضوضاء، فسارع أكثر المصلّين إلى القافلة وتركوا النبي الأكرم يقرأ الخطبة وحيداً؛ فنزلت هذه الآية توبخهم[2].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٢.

(٢) انظر: مجمع البيان، ج١٠، ص٤٣٣.

□ لم تنتقد الآية ترك الناس الصلاة والخطبة، وإنما انتقدت تركهم النبيَّ ﷺ وحيداً؛ لأن التعدّي على حرمة المبعوث السماوي أشد من ترك الصلاة والخطبة.

□ تحدثت هذه السورة في بدايتها عن بعثة نبي الإسلام وانتقدت في ختامها، ترك الرسول وحيداً، وهذا بحد ذاته تحذير للمؤمنين.

التعاليم:

١ ـ ينتقد القرآن الكريم الحرص وعدم التقوى في الكسب والتجارة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا... انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾

٢ ـ عوامل الانحراف عن ذكر الله تكون نفسية أو مادّية: ﴿تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾.

٣ ـ يجب على خطيب الجمعة أن يلقي الخطبة وهو قائم: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

٤ ـ كل عمل يؤدي إلى تقليل المجتمعين حول الخطيب، هو عمل مستقبح: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

٥ ـ لا تكون توجهات الناس صحيحة دائماً: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

٦ ـ الخطبتان هما جزء من صلاة الجمعة والاستماع إليهما واجب: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

٧ ـ لا يجب إلغاء الأمور المادية عند التبليغ ولكن يجب تبيين أفضلية الأمور المعنوية: ﴿مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾.

٨ ـ تصبح الأعمال ذات قيمة في حال أدّت إلى حسن العاقبة لا إلى المنافع العابرة: ﴿مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾.

٩ ـ لا تتركوا العبادة وتذهبوا إلى التجارة لكسب الرزق، بل اعبدوا الله أولاً ثم انصرفوا للتجارة؛ لأن الرزق بيد الله: ﴿مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ... وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

١٠ ـ التجارة ليست الطريقة الوحيدة لكسب الرزق، لو شاء الله فإنّه يرزقكم من دون تجارة: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

١١ ـ لقد ضمن الله لمقيمي صلاة الجمعة رزقهم: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ المنافِقُونَ

السورة: ٦٣ الجزء: ٢٨

عدد الآيات: ١١



ملامح سورة المنافقون

سورة «المنافقون» مدنيّة وهي مساوية في عدد آياتها لسورة الجمعة (إحدى عشرة آية). والحديث عن خصائص المنافقين ليس خاصّاً بهذه السورة، وإنما قد ورد في العديد من السور، وبالأخص السور المدنية منها، وقد أشارت إلى خصائصهم النفسية والسلوكية. سورة التوبة هي السورة الجامعة للمنافقين، إذ ورد الحديث فيها عن صفات المنافقين في حدود مئة آية.

ورد التأكيد على تلاوتها في صلاة الجمعة، ربما جاء هذا التأكيد؛ لأن الأمّة الإسلامية يجب دائماً أن تكون منتبهة من دسائس المنافقين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ①﴾

إشارات:

❑ النفاق من النفق وهو القناة تحت الأرض تستخدم للهروب أو للاختباء. بعض الحيوانات من مثل فأر الصحراء أو الضب، تصنع لنفسها جحوراً لها فتحتان. وكذلك المنافق، فإنه يجعل لنفسه طريقاً مخفياً حتى يهرب منه حين الخطر.

❑ يقسم الناس إلى أربع فرق:

أ) فريق عنده إيمان قلبي ويقوم بعمل تكاليفه، هؤلاء هم المؤمنون الحقيقيون.

ب) فريق عنده إيمان قلبي؛ ولكنه ليس من أهل العمل، هؤلاء هم الفاسقون.

ج) فريق ليس عنده إيمان قلبي؛ ولكنه في الظاهر يعمل عمل المؤمنين، هؤلاء هم المنافقون.

د) فريق ليس عنده إيمان قلبي ولا يقوم بعمل تكاليفه وهؤلاء هم الكافرون[١].

❑ عن الإمام علي: **«نفاق المرء ذل يجده في نفسه»**[٢].

خصائص المنافق في القرآن:

١ ـ الكذب: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٣].

٢ ـ محتار وليس له هدف: ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾[٤].

---

(١) التفسير الاثنا عشري.

(٢) غرر الحكم.

(٣) سورة المنافقون: الآية ١.

(٤) سورة النساء: الآية ١٤٣.

٣ ـ لا يملك الفهم العميق: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[(١)].

٤ ـ جامد وأجوف: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[(٢)].

٥ ـ يؤدي صلاته بكسل: ﴿قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾[(٣)].

٦ ـ سليط اللسان، حاد الطبع: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[(٤)].

٧ ـ يحلف كذباً: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾[(٥)].

٨ ـ ينتقد القائد المعصوم: ﴿يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[(٦)].

٩ ـ إضعاف روحية المجاهدين: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾[(٧)].

١٠ ـ إنشاء مراكز للتآمر تحت عنوان المسجد: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾[(٨)]، في مقابل مسجد النبي، بنى المنافقون مسجداً حتى يلحقوا الضرر بالمسلمين بمكائدهم المشؤومة.

١١ ـ نقض العهد: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟﴾[(٩)].

١٢ ـ إهانة المسلمين: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[(١٠)].

١٣ ـ محاصرة المسلمين اقتصادياً: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾.

١٤ ـ الخداع والاحتيال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[(١١)].

١٥ ـ البخل في الإنفاق: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[(١٢)].

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٧.
(٢) سورة المنافقون: الآية ٤.
(٣) سورة النساء: الآية ١٤٢.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ١٩.
(٥) سورة المجادلة: الآية ١٦.
(٦) سورة التوبة: الآية ٥٨.
(٧) سورة التوبة: الآية ٨١.
(٨) سورة التوبة: الآية ١٠٧.
(٩) سورة التوبة: الآيتان ٧٥ ـ ٧٦.
(١٠) سورة البقرة: الآية ١٣.
(١١) سورة البقرة: الآية ٩.
(١٢) سورة التوبة: الآية ٥٤.

١٦ ـ الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾[١].

١٧ ـ الفرار من الجهاد: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ﴾[٢]، نزلت في المتخلفين عن غزوة تبوك.

١٨ ـ نشر الشائعات: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾[٣]، يذيعون الخبر قبل أن يتأكدوا من صحته.

- وردت صفات المنافقين في سور عدة من القرآن الكريم؛ وذلك لأن خطرهم كبير وقلّما نزلت سورة في المدينة ولم يُشَرْ فيها إلى المنافقين إمّا بالكناية وإما بصراحة[٤].

- النفاق كذب عملي، كتمان للكفر وإظهار للإيمان، بالطبع ليست كل أنواع الكتمان سيئة، ككتمان الفقر أو كتمان العبادة.

- ثمة فريقان من المنافقين: فريق أظهر إيمانه بعد أن ارتفع شأن الإسلام وعلت قدرته، ولكن إيمانهم لم يكن نابعاً من داخلهم. وفريق في البداية آمن أفراده ولكن مع مرور الوقت تعلقوا بالدنيا وفقدوا إيمانهم ولكن ظلوا يتظاهرون بالإيمان. ولقد تلقّت الأمة الإسلامية ضربات موجعة من كلا الفريقين.

- كثُرَ الحديث عن المنافقين في زمن الرسول ﷺ ولكن بعد وفاته سُكِتَ عن هذه المسألة. وهنا يجب طرح عدد من الأسئلة:

١ ـ هل حياة الرسول كانت سبباً في نفاق بعضٍ، وبعد وفاته ﷺ أصبح الجميع مؤمنين حقيقيين؟!

٢ ـ هل كان المنافقون من ضمن تلك الأقلية التي التفّت حول الإمام علي عليه السلام؟! من أمثال سلمان، وأبي ذر، والمقداد...؟ بالطبع لا؛ لأن هؤلاء ليسوا منافقين. أو أن المنافقين قد رأوا مصالحهم تتفق مع الأكثرية

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٧.
(٢) سورة التوبة: الآية ٨١.
(٣) سورة النساء: الآية ٨٣.
(٤) تفسير في ظلال القرآن.

ولذا التزموا الصمت؟

□ المنافقون كاذبون في الدنيا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، وكذلك في الآخرة فإنهم يحلفون كذباً، وقد وصفهم الله بالكاذبين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[1].

□ عن الرسول ﷺ: «**لا أخاف على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً... ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان...**»[2] ويقول أيضاً: «**إني لا أخاف على أمتي الفقر، ولكن أخاف عليهم سوء التدبير في المعيشة**»[3]. أجل، حين يجتمع المنافقون المحتالون مع الجهلاء قليلي التدبير تقع مثل حرب صفين وواقعة كربلاء.

التعاليم:

١ ـ استطاع أفراد منافقون في صدر الإسلام أن ينفذوا إلى مراكز اتخاذ القرار في المجتمع. حتى الرسول الأكرم كان في معرض مؤامراتهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾.

٢ ـ يستفيد المنافق من كلمة الحق في سبيل تحقيق الباطل: ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ يمكنكم أن تأخذوا الشعارات والكلمات الحقّة ممن هم ليسوا أهلاً لذلك وتستخدموها: ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾.

٤ ـ التملّق هو أسلوب المنافقين: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ يستعمل المنافقون صيغة التأكيد والقسم حينما يتكلمون، حتى يصدق المستمع كلامهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

٦ ـ فليكن جوابكم على التأكيد، تأكيداً أيضاً: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ... وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١٨.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٢٧.

(٣) عوالي اللآلي، ج٤، ص٣٩.

٧ ـ لا تفرحوا بأي شخص يظهر لكم الطاعة والولاء: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ... لَكَٰذِبُونَ﴾.

٨ ـ يجب فضح المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

٩ ـ الكلام المخالف للعقيدة كذب، حتى إن كان ذلك الكلام في حد ذاته صدقاً. (اعتبر الله قول المنافقين للرسول: إنك لرسول الله، كذباً. مع أن النبي في الحقيقة هو رسول الله إلا أن كلامهم كان مخالفاً لعقيدتهم): ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ... وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

١٠ ـ الإيمان الحقيقي هو الاعتقاد القلبي وليس الإقرار باللسان: ﴿قَالُوا۟... إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾

إشارات:

- (جُنَّة) بمعنى الدرع الذي يحمي الجسم من سهام العدو. (مجنون) تقال للشخص الذي على عقله حجاب. (جِن) تقال للموجود المحجوب عن عيون الناس و(الجنين) هو الطفل المحجوب داخل رحم أمه، و(الجنَّة) هي الحديقة التي ألقت أشجارها الكثيفة بظلالها على الأرض فحجبتها.

- ذكر القرآن الكريم مرّات عدة أن المنافقين يحلفون للمسلمين كذباً حتى يرضوهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾[1]، فمثلاً حلفوا أنهم لم يقصدوا سوى الخير حين بنوا مسجد ضرار: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2]، وأنهم لم يكن بمقدورهم المشاركة في غزوة تبوك وإلا فإنهم كانوا سيشاركون فيها: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٢.

□ استخدم القرآن الكريم ألفاظاً قاسية في كل مرّة تحدث فيها عن المنافقين، على سبيل المثال: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[١]، ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾[٢]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]، ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾[٤]، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٥]، ﴿الْمُفْسِدُونَ﴾[٦]، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٧]، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٨]، ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[٩].

□ يكون قسم المنافقين أحياناً السبب في الصد عن سبيل الله: ﴿أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا...﴾، وأحياناً يكون بسبب إنفاق الكفار أموالاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[١٠].

□ يبذل المنافقون كل ما بوسعهم للصد عن سبيل الله، مثل: زعزعة وحدة المسلمين ببناء مسجد ضرار، الإضرار العسكري بالمسلمين بعدم مشاركتهم في الحرب بحجة الجو الحار وغيرها من الحجج الواهية، الإضرار الاقتصادي بنهيهم الناس عن الإنفاق على أصحاب الرسول، الإضرار بالأرواح كما حينما تآمروا على قتل الإمامين الحسن والجواد عليهما السلام عن طريق زوجتيهما.

□ يجب على قائد الأمة الإسلامية أن يكون مراقباً لمكائد المنافقين أكثر من غيره، المخاطب في هذه السورة هو شخص النبي صلى الله عليه وآله، في حين أن كل المسلمين مسؤولون: ﴿إِذَا جَاءَكَ، نَشْهَدُ إِنَّكَ، رَأَيْتَهُمْ، تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ، تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ، فَاحْذَرْهُمْ، أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾.

التعاليم:

١ ـ يعتمد المنافقون على سوء الاستفادة من المقدّسات وعلى استغلال القيم: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾.

---

(١) سورة محمد: الآية ١٦.
(٢) سورة المنافقون: الآية ٣.
(٣) سورة التوبة: الآية ٩٣.
(٤) سورة المنافقون: الآية ١.
(٥) سورة البقرة: الآية ٩.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٢.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٥.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٦.
(٩) سورة المنافقون: الآية ٦.
(١٠) سورة الأنفال: الآية ٣٦.

٢ ـ يتبع المنافقون في نشر ثقافتهم أسلوب مواجهة الدين بالدين: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً... فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

٣ ـ يسعى المنافقون بكل جهدهم ليحرموا الناس من الهداية الإلهية: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (هدف المنافقين هو صد الناس عن سبيل الله ولا يهمهم بعد ذلك أي سبيل سيتبع الناس).

٤ ـ كل أعمال المنافقين سيئة وقبيحة: ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٥ ـ الكفر هو عاقبة النفاق: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾.

٦ ـ يطبع الإنسان بنفاقه على قلبه ويحرمه من درك الحقائق: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾

إشارات:

- يخاطب الله تعالى النبي الأكرم في سورة التوبة ويقول له: لا تعجب بأموال المنافقين وأولادهم. ويقول في هذه السورة: لا تعجب بالشكل الظاهري للمنافقين وبحديثهم.
- صحيح أن المخاطب في هذه الآية هو الرسول الأكرم ولكن المسلمين هم الذين يمكن أن يقعوا تحت تأثير كلام المنافقين.
- نُقِل عن الرسول الأكرم ﷺ: «**للمؤمن أربعة أعداء: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وشيطان يضلّه، وكافر يقاتله**»[1].
- يكون الخشب مفيداً إذا ما استعمل للسقف والحائط والباب والنافذة، ولكن إذا وضع جانباً وأسندوه إلى شيء آخر، عندها يصبح عديم الفائدة: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾.

---

(١) نهج الفصاحة، ص ٤٨١.

□ تشبيه المنافقين بجذوع الشجر المقطعة: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ له وجوه عدة:

١ ـ خفيف الوزن، أجوف، ينكسر بالضغط عليه أو بضربه.

٢ ـ جاف وجامد، لا يمكن ثنيه أو التأثير فيه.

٣ ـ غير مستقل، فلا يستطيع أن يقف دون مساعدة.

٤ ـ لا يملك القدرة على السمع أو التفكير.

□ يخشى المنافقون من المؤمنين، وهم دائماً في حالة ترقب وقلق من أن تنزل آية تتحدث عنهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ كما جاء في سورة التوبة الآية ٦٤: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

□ ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ تعني أن هؤلاء الأفراد هم العدو الحقيقي، أولاً: لأنهم يعيشون داخل المجتمع ومطلعون على أسرار المسلمين، ثانياً: لأنهم تخفّوا تحت قناع الصديق فيصعب معرفتهم، ثالثاً: محاربتهم صعبة لأنهم غير معروفين، رابعاً: عندهم روابط عائلية واجتماعية مع المسلمين فتكون مواجهتهم معقدة، وخامساً: يقومون بضربتهم بصورة مفاجئة.

التعاليم:

١ ـ المنافقون هم أفراد يعيشون معنا وبيننا وليسوا بعيدين عن أعيننا: ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن نثق بالظاهر، فليس كل من ظاهره زاهد يكون كذلك. أحياناً، يكون الظاهر الجميل سبباً لانخداع الناس: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾.

٣ ـ لولا وجود التحذيرات الإلهية وتيقّظ الرسول، لاستطاع المنافقون بكلامهم المنمق والمغرر أن يجعلوا حتى النبي يستمع إليهم: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾.

٤ ـ المنافقون في الظاهر هادئون ولكن باطنهم دائماً في حالة ترقب وقلق وخوف ووحشة: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ... يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾.

٥ ـ يجب أن نخاف من العدو الداخلي أكثر: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾.

٦ ـ يجب أن نعرف العدو وألا ننخدع بظاهره وبحديثه: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ... تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ... هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾.

٧ ـ المنافقون يقاتلون الله وقد لعنهم الله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾. (قاتل) من باب مفاعلة وتستعمل في حال اشترك الطرفان في القتال ولذا لم يقل (قتلهم الله).

٨ ـ انحراف المنافقين عن الإسلام ومناصبتهم العداء له، مدعاة للتعجب: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾

إشارات:

- (تعالوا) من (علو) بمعنى الدعوة إلى الرفعة والسمو والرشد.
- (لووا) من الجذر (لي) بمعنى لف الحبل، وتستعمل في الابتعاد عن الحق.
- أتعس ما يكون الإنسان حين يحرم نفسه من الحق: ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ ويحرم الآخرين كذلك: ﴿يَصُدُّونَ﴾، وخاصة إذا قام بذلك عن دراية: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.
- نقرأ في الآية ٨٠ من سورة التوبة ما يشبه مضمون الآية السادسة: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾.

التعاليم:

١ ـ يجب أن ندعو الأفراد المنحرفين إلى التوبة ونحثهم على الاستغفار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ...﴾.

٢ ـ إجابة دعوة أولياء الله سبب في العلو والرشد: ﴿تَعَالَوْا۟﴾.

٣ ـ دعاء أولياء الله في حق المذنبين، مستجاب: ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

٤ ـ يجوز التوسل بنبي الله ﷺ: ﴿تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ الإعراض عن النصيحة المفيدة، دليل على التكبّر: ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ... وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

٦ ـ من لا يستجيب لدعوة الحق؛ حتى دعاء النبي لا ينفعه: ﴿تَعَالَوْا... لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ... سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾.

٧ ـ يُخرج التكبّر والاستكبار الإنسان من الرحمة الإلهية الواسعة: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ... لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

٨ ـ إنّ الهداية والضلالة بيد الله تعالى؛ ولكنه سبحانه لا يحرم من الهداية إلا من اتخذ الفسق والذنب سبيلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾

إشارات:

- (خزائن) جمع (خزينة) أي ما يودع فيه المال ويجمع.
- محاصرة المؤمنين اقتصادياً والتضييق عليهم، هي من الأساليب التي يتبعها الأعداء. كما كان المنافقون يقولون بعضهم لبعضهم الآخر لا تنفقوا على من عند الرسول حتى يتفرقوا عنه، كذلك كان معاوية حين أعطى أمره بحرمان أصحاب الإمام علي عليه السلام من بيت المال: «انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه»[1]. وكذلك فعلوا بكربلاء حين منعوا الماء عن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، واليوم نرى القوى العظمى تضغط على الدول بالحصار الاقتصادي حتى تجبرها على الخضوع والاستسلام.

التعاليم:

١ ـ أحد أساليب المنافقين في تقويض دعائم النهج وتضعيف القائد هو تفريق الأتباع: ﴿لَا تُنفِقُوا... حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾.

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص ٤٤.

٢ ـ يحلل الأفراد الماديون الأمور بطريقة مادية، فهم يعتقدون أن الناس قد تجمعوا حول الرسول لأجل الدنيا؛ لذا تراهم يقولون: لا تساعدوهم حتى يتفرقوا: ﴿لَا تُنفِقُوا... حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾.

٣ ـ ينبغي أن يتوقع المؤمنون العون من المنافقين والمخالفين، بل يجب أن يتوكلوا على الله فهو مالك خزائن السموات والأرض: ﴿لَا تُنفِقُوا... وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٤ ـ أعطوا الأمل لأنفسكم وردّوا على كلام العدو الفارغ: ﴿لَا تُنفِقُوا... وَلِلَّهِ خَزَائِنُ...﴾.

٥ ـ فهم المنافقين لا عمق له وهو تابع للحسابات الظاهرية: ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

إشارات:

- جاء في التفاسير في سبب نزول الآيات من ٥ ـ ٨ من سورة المنافقين، ما ننقله بشكل مختصر: بعد معركة بني المصطلق التي كانت في السنة السادسة للهجرة، وفي طريق عودتهم إلى المدينة وقع نزاع على استقاء الماء من البئر بين اثنين من المسلمين أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين، واستصرخ كل منهما قومه لمساعدته. سارع عبد الله بن أُبيّ ـ رئيس المنافقين ـ إلى نصرة الأنصاري وقال: لقد أعطينا للمهاجرين المسكن والمال، والآن يقفون ضدنا، عندما نرجع إلى المدينة سيخرج الأعزاء منها الأذلاء[1].

- نقل زيد بن الأرقم وكان لا يزال شاباً يافعاً ما حدث إلى الرسول. فاستدعى الرسول عبد الله بن أُبيّ ولكن عبد الله أنكر ذلك. وقال الأنصار: توبّخ كبيرنا عبد الله بوشاية صبي؟

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٤٤٢.

أصدر الرسول الأمر بالحركة ولم يعط الإذن بالاستراحة حتى لا تكون للناس فرصة ليكملوا فيها الحديث. عندما وصلوا إلى المدينة قام ابن عبد الله بن أبي ـ وكان مؤمناً حقيقياً ـ بسد الطريق مقابل والده وقال: هل أنت من أعزاء المدينة وتريد أن تخرج الرسول منها؟ لن أدعك تمر أبداً حتى يأذن لي رسول الله.

وصل الخبر إلى رسول الله وسمح له بالدخول إلى المدينة. عبد الله الذي ادّعى أنه الأعز أصبح ذليلاً وبقي في داره حتى مات، وكلما كان يقال له اذهب إلى رسول الله واعتذر منه كان يلوي رأسه.

- ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**لقد فوّض الله للمسلم كل أموره ولم يفوّض له أن يكون ذليلاً**[1]»، ثم تلا قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
- جاء في الحديث: سُئل الإمام الصادق عليه السلام: كيف يُذل المؤمن نفسه؟ فأجاب: «**يتعرّض لما لا يطيق ويدخل في ما يعتذر منه**»[2].
- تقدمت كلمة (الله) على (العزة) في جملة (ولله العزة) وهذا التقديم يفيد الحصر، أي أن العزة الحقيقية خاصة بالله تعالى.
- عزة الله أمر ذاتي، وعزة الرسول سببها عناية الله الخاصة له، وعزة المؤمنين بسبب وعد الله لهم بالنصر الحاسم والنهائي[3].

التعاليم:

١ ـ يهدف المنافقون إلى تقويض الحكومة الإسلامية: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾.

٢ ـ يرى المنافقون أنهم هم الأعزاء وأن الرسول والمؤمنين أذلاء: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾.

---

(١) الكافي، ج ٥، ص ٦٣، نقلاً عن تفسير راهنما.
(٢) تفسير نور الثقلين.
(٣) تفسير أطيب البيان.

٣ ـ ضمن الله تعالى العزة والنصر للمؤمنين بشرط أن يبقوا مؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ و...﴾.

٤ ـ العزة محصورة بالله وبالرسول وبالمؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥ ـ أجيبوا على ادعاءات العدو الخاوية وقولوا للذين يظنون أنهم الأعز وأن الرسول هو الأذل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٦ ـ يعجز المنافقون عن درك الحقائق، فهم لا يستطيعون إدراك أن الله هو من يرزق المؤمنين وإن حاصروهم اقتصادياً: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾، ولا يستطيعون إدراك أن العزة الحقيقية هي لأهل الإيمان: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ⁽٩⁾﴾

إشارات:

- إلى هنا تنتهي الآيات المتعلقة بالمنافقين، ولكن بما أن الحب الشديد للدنيا أحد عوامل النفاق، تحذر هذه الآية المؤمنين من أن يكون أولادهم وأموالهم سبباً في غفلتهم عن ذكر الله[١].

الغفلة عن ذكر الله:

- ثمة العديد من العوامل الصادّة عن ذكر الله؛ أهمها، الأموال والأولاد والتي تشير إليها هذه الآية: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾.

الخمر والقمار كذلك، يصدّان عن ذكر الله: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢].

يمكن للبيع والتجارة أن يكونا مانعين عن ذكر الله أيضاً، لذلك يمدح القرآن الأشخاص الذين لا تلهيهم التجارة والبيع عن ذكر الله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣].

---

(١) تفسير نمونه.
(٢) سورة المائدة: الآية ٩١.
(٣) سورة النور: الآية ٣٧.

التكاثر من العوامل الصادّة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[1].

كذلك طول الأمل يمنع ذكر الله: ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾[2].

ومن العوامل الأخرى، الرفاهية: ﴿مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾[3].

عندما لا ينظر الإنسان إلى الدنيا على أنها مقدمة للآخرة وتكون غاية أعماله الدنيا فحسب، عندها يكون حب الدنيا عاملاً خطراً: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[4].

من الجلي أنّ الغفلة عن ذكر الله تجعل الشيطان جليساً للإنسان: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[5]، وتعرّض الإنسان لعذاب شديد: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[6].

- الخطير هو الغفلة عن ذكر الله، وقد ذكرت الأموال والأولاد باعتبارهما أقوى العوامل المؤدية إلى الغفلة.

- (ذكر الله) شامل لكل أنواع الذكر والعبادة، ولكن أبرز أنواع الذكر الذي يجب المواظبة عليه هو الصلاة، ولا يجب أن يتلهى الشخص بأمواله وأولاده عن الصلاة.

- يحتمل أن يكون السبب في منع الأموال والأولاد للإنسان عن الذكر، جمالها الظاهري الذي ينسي الإنسان ذكر الله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[7].

- اعتبر القرآن أن المال والولد سببان للفتنة والامتحان: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[8]، ويقول: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾[9].

---

(١) سورة التكاثر: الآية ١.
(٢) سورة الحجر: الآية ٣.
(٣) سورة الفرقان: الآية ١٨.
(٤) سورة النجم: الآية ٢٩.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٣٦.
(٦) سورة الجن: الآية ١٧.
(٧) سورة الكهف: الآية ٤٦.
(٨) سورة الأنفال: الآية ٢٨.
(٩) سورة سبأ: الآية ٣٧.

التعاليم:

١ ـ يجب عليكم أن تخاطبوا المؤمنين باحترام عند وعظهم لكي يقبلوا منكم الوعظ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

٢ ـ تقديم ذكر الله على المال والولد هو من ضروريات الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾.

٣ ـ المال والولد، قلّ أو كثر، يمكن أن يكون مانعاً من ذكر الله: ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ... أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾.

٤ ـ الغفلة عن ذكر الله هي الخسارة الحقيقية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾؛ (فقدان المال والولد خسارة جزئية ولكن الغفلة عن الخالق هي الخسارة الكليّة).

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- يقول المنافقون في الآية السابعة: لا تساعدوا أصحاب النبي حتى ينفضّوا من حول النبي؛ وتحاول هذه الآية أن تبطل مخطط المنافقين وتقول للمؤمنين: يا أيها الذين آمنتم ساعدوا المؤمنين حتى لا ينفضّوا من حول الرسول.
- إذا آمن الإنسان بالموت وبالقيامة، فسيكون الإنفاق بالنسبة إليه يسيراً جداً. طرح القرآن الكريم مسألة المعاد والقيامة مرّات عدة لكي يوجد الدافع للإنفاق، ومثال ذلك الآية ٢٥٤ من سورة البقرة: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾.
- عن ابن عبّاس: «**ما من أحد يموت ولم يؤدّ زكاة ماله ولم يحجّ إلا سأل الكرّة**»[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين.

- طلب المهلة والرجعة إلى الدنيا غير مقبول، لا في لحظة الموت، كما ذكرت الآية ١٠٠ من سورة المؤمنون وهذه الآية، ولا في يوم القيامة إذ يقول أصحاب النار: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾[1].
- يقول الإمام الباقر عليه السلام مستنداً إلى الآية: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا﴾، قال: **«إنّ عند الله كتباً موقوفة يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر، فإذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كلّ شيء يكون إلى مثلها...، إذا أنزله وكتبه كتاب السموات وهو الذي لا يؤخّره»**[2].

التعاليم:

١ ـ يجب أن تهيّئوا الأرضية لدعوة الناس إلى عمل الخير: ﴿أَنفِقُواْ... مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ (ذكّروا بقرب الموت، وبعدم وجود فرصة للعودة، وعدم إمكانية طلب تأخير الموت).

٢ ـ كل ما نملك هو من عند الله وليس من عند أنفسنا: ﴿رَزَقۡنَٰكُم﴾.

٣ ـ يجب أن نعالج الواقعة قبل أن تقع: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ﴾، (عندما يحل الموت يغلق باب العمل).

٤ ـ يأتي الموت على حين غرّة ولا يمكن تأخيره: ﴿يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ... لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾.

٥ ـ يتحسر الأغنياء الذين لم يكونوا أهلاً للإنفاق في الدنيا ويندمون كثيراً لحظة الموت: ﴿رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ... فَأَصَّدَّقَ﴾.

٦ ـ الإنفاق على المحرومين دليل على الصلاح: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠٧.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٣٢.



سُورَةُ التَّغَابُنِ

السورة: ٦٤ الجزء: ٢٨

عدد الآيات: ١٨



ملامح سورة التغابن

نزلت هذه السورة في المدينة وهي تحتوي على ثماني عشرة آية.

عبّرت الآية التاسعة عن يوم القيامة بيوم التغابن ولهذا سميّت هذه السورة بالتغابن.

التغابن بمعنى غبن الغير. في يوم القيامة، يسعى كل شخص إلى إنقاذ نفسه وإلقاء اللوم على غيره.

تشبه آيات هذه السورة في نظمها وسياقها سورة الحديد وكأنها تلخيص لها.

تبدأ السورة بالحديث عن توحيد الله، ثم تنبّه الناس إلى ضرورة مراقبة أعمالهم، وتتحدث عن يوم القيامة، وفي الختام تحث الناس على الإنفاق في سبيل الله وتوصيهم بترك حب الدنيا.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾

إشارات:

- يرتكب الحكّام الدنيويون أخطاءً في سبيل كسب السلطة والحفاظ عليها، ولكن الله هو الحاكم الذي يقدّسه وينزهه كل الكون ولا يصدر عنه أي ظلم.
- الموجود المنزه عن كل نقص وعيب هو المستحق للحمد والثناء؛ لذا جاء في الآية تسبيح الله أولاً ثم حمده. في الصلاة كذلك يذكر التسبيح إلى جانب الحمد.

التعاليم:

١ ـ تملك كل الموجودات في الكون نوعاً من الشعور، وكلٌّ يسبح الله وفقاً لهذا الشعور. (للأسف بعض البشر قد شوّهوا تناغم هذا الكون بتركهم للتسبيح): ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

٢ ـ سلطة الله مطلقة وليس لها أي حدود: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾؛ (سلطة الله حقيقية وليست مجازية أو اعتبارية أو مؤقتة).

٣ ـ الكثير من الأفراد ذوي القدرة الحاكمين في الدنيا يتعرضون للانتقاد ولكن الله عنده السلطة والملك وهو أهل للحمد: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾.

٤ ـ هو منشأ كل الكمالات لذا كان كل الحمد له: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾.

٥ ـ يعجز الكثير من الحكّام في الدنيا عن إنجاز الإصلاحات وحل المشكلات، ولكن الله هو الحاكم القادر على كل شيء: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ... وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

٦ ـ قدرة الله على كل شيء في الوجود بالمستوى نفسه. (بالنسبة إليه تعالى خلق حجر مثل خلق سلسلة من الجبال، كما هو الحال بالنسبة إلى عيننا، فإن رؤية المسمار عندها كرؤية الجبل): ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾

إشارات:

- لو رأى الإنسان مقداراً من التراب على الطريق فيتساءل: من رمى بهذا التراب هنا؟ ولو وضعت خطة للاستفادة من هذا التراب، يقول: من وضع هذه الخطة؟ لو أدّت هذه الخطة إلى صنع أحجار بناء محكمة من هذا التراب سيتساءل عن خصائص ذلك المصمم المبدع.
- خلق الله الإنسان: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، ولكنه خلق يثير الإعجاب إذ قال عن نفسه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾؛ لأن هذا الخلق شامل لكل أنواع الدقة في التصميم والدقة والإبداع، كما ذكر في آية أخرى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1].
- أجل، الخلق يدل على الخالق. وكلما صار ذلك الخلق عالماً وحكيماً دلّ ذلك على علم الخالق وحكمته.
- أشارت الآية السابقة إلى تسبيح كل الموجودات، وتشير هذه الآية إلى كفر بعض البشر، كي لا يظن الكفار بأن الله محتاج لعبادتهم أو أن كفرهم سيضر به.
- أشارت الآية السابقة إلى تسبيح كل الموجودات؛ وهذا يدل على أنها تملك نوعاً من الشعور. وتشير هذه الآية إلى أن ما يميّز الإنسان عن سائر الموجودات، توفره على الإرادة والاختيار. يستطيع الإنسان من خلال هذه الموهبة الإلهية المميزة أن يطوي الطريق نفسه الذي تسير فيه سائر الموجودات أو أن يسير بالطريق المغاير. وقد تكون هذه الآية في صدد توجيه انتقاد للإنسان مفاده أنّك أيها الإنسان على الرغم من اهتمام الله الخاص بك وكونك سيد الموجودات، إلا أنك سبحت عكس التيار وكفرت وجحدت بالنعم الإلهية.

---

(١) سورة التين: الآية ٤.

التعاليم:

١ ـ خلق الإنسان، من مظاهر تجلّي قدرة الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾.

٢ ـ الإنسان مخلوق مختار لا مجبور: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾.

٣ ـ عمل الإنسان يدل على عقيدته. لم يقل تعالى: إن الله عليم بإيمانكم وكفركم، بل قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾

إشارات:

- المقصود بحسن الصورة: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، أن الله تعالى زوّد الإنسان بأشياء تساعده في طريقه للوصول إلى الهدف.
- وضعت كل أعضاء جسم الإنسان في مكانها المناسب، وهذا التركيب المتناسب هو الذي أدى إلى جمال شكل الإنسان وبالأخص وجهه. وظيفة الهدب والجفن والحاجب، المحافظة على العين وكذلك فهي تعطي جمالاً خاصاً للوجه. الشفاه هي بوابة الفم، وتحافظ على اللسان والأسنان، تفتح وتغلق بمقدار الحاجة عند الأكل والشرب أو التكلم، شفتا الرضيع الذي تتعلق حياته بحليب أمه، لهما وظيفة محدّدة.
- خلق الله تعالى أفضل موجوداته أي الإنسان من ﴿مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[1]، في مكان مظلم ﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾[2]، وجعل له أحسن صورة: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.
- الفرق بين خلق الله وصنع الإنسان:

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٢٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٦.

١ ـ قدرة الإنسان على الصنع محدودة في بعض المجالات؛ ولكن الله يخلق كل شيء: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(١)].

٢ ـ قد يصنع الإنسان أشياء بلا هدف محدد؛ ولكن الله يخلق كل شيء لغاية: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾[(٢)].

٣ ـ يصنع الإنسان أشياء بكميات زائدة أو ناقصة؛ ولكن الله يخلق كل شيء بقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[(٣)].

٤ ـ عادة، لا يداوم الصانع على مراقبة منتجاته بعد صنعها؛ ولكن الله لا يغفل عن خلقه أبداً: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾[(٤)].

٥ ـ يتعب الإنسان أحياناً من التصنيع والإنتاج؛ ولكن الله تعالى لا يتعب أبداً: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[(٥)].

٦ ـ ضمن الله تعالى للموجودات بقاءها بخلق أزواج لها: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[(٦)].

٧ ـ يهدي الله تعالى جميع مخلوقاته هداية تكوينية: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[(٧)].

٨ ـ ترجع كل المخلوقات في النهاية إليه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾[(٨)].

□ أعمال الله تعالى هي الأحسن:

ـ خلقه أحسن الخلق: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[(٩)].

ـ القرآن أحسن كتاب: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾[(١٠)].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠١.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٢؛ سورة العنكبوت: الآية ٤٤؛ سورة الروم: الآية ٨.

(٣) سورة القمر: الآية ٤٩.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٧.

(٥) سورة ق: الآية ٣٨.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٤٩.

(٧) سورة طه: الآية ٥٠.

(٨) سورة التغابن: الآية ٣.

(٩) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(١٠) سورة الزمر: الآية ٢٣.

- يقص أحسن القصص: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[١].
- أسماؤه هي الأحسن: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٢].
- يعطي أحسن الجزاء: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٣].
- وعوده أحسن الوعود: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٤].
- حكمه أحسن حكم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾[٥].
- وقد أراد الله منّا أن نختار الأحسن في كل أعمالنا، على سبيل المثال:
- في حديثنا، نقول الأحسن: ﴿يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٦].
- في أعمالنا، نقوم بالأحسن: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٧].
- في تعاملنا، نتصرف بالطريقة الأحسن: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٨].
- في النقاش والمجادلة، نتبع الأسلوب الأحسن: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٩].
- أن نحيي ونشكر بالأحسن: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ﴾[١٠].
- نستمع لأحسن ما يقال ونعمل به: ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[١١].
- نتصرف بمال اليتيم بأحسن الطرق: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[١٢].
- فلتكن نيتنا أفضل النوايا ألا وهي الإخلاص وقصد القربة إلى الله، وبهذا نعطي لعملنا صبغة إلهية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[١٣].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.
(٣) سورة الكهف: الآية ٨٨.
(٤) سورة الحديد: الآية ١٠.
(٥) سورة المائدة: الآية ٥٠.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٥٣.
(٧) سورة الكهف: الآية ٧.
(٨) سورة فصلت: الآية ٣٤.
(٩) سورة النحل: الآية ١٢٥.
(١٠) سورة النساء: الآية ٨٦.
(١١) سورة الزمر: الآية ١٨.
(١٢) سورة الإسراء: الآية ٣٤.
(١٣) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

التعاليم:

١ ـ خلق السموات والأرض كان وفقاً لبرنامج وهدف: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾.

٢ ـ نسب الله تصوير الإنسان إلى نفسه: ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾.

٣ ـ الإنسان أجمل وأكمل مقارنة بسائر المخلوقات: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.

٤ ـ كل الوجود في حال حركة ووجهته المقصد الإلهي: ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

٥ ـ الله تعالى هو مبدأ الوجود ومعاده: ﴿خَلَقَ... إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

٦ ـ معاد ورجعة البشر إلى خالقهم لينالوا الثواب والعقاب هو من حتميات الوجود الذي خلق لهدف وغاية: ﴿خَلَقَ... بِٱلْحَقِّ... وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

إشارات:

- ورد الحديث عن علم الله تعالى في هذه الآية ثلاث مرّات: العلم بكل موجودات الكون: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، العلم بسرّ الإنسان وعلانيته: ﴿مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، العلم بالنيّات والأفكار: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، وهو علم دائمي إذ ورد الفعل في زمن المضارع: ﴿يَعْلَمُ﴾ وهو علم عميق حيث استفيد من صيغة: ﴿عَلِيمٌۢ﴾ لوصفه.
- الإيمان بأن الله تعالى ناظر إلى كل أعمالنا وعالم بكل شيء هو أفضل وسيلة للابتعاد عن الذنب والتقوى.
- بالنظر إلى أنه تعالى قال في الآية السابقة: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، جاءت هذه الآية كجواب على سؤال مقدّر ألا وهو: يتحلل الناس ويتلاشون بعد الموت، فكيف سيرجعون إلى الله؟ تجيب هذه الآية بالقول: إن الله عليم بكل تلك الذرات والأجزاء التي تحللت وإن اختلاط أعضاء الأموات لا يؤدي إلى ضياعها أو تلاشيها.

التعاليم:

١ ـ علم الله ليس محدوداً بزمان ومكان أو بأمور وأشياء خاصة. عنده العلم بالسموات والأرض والعلم بما هو علني وما هو سر: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

٢ ـ الإنسان ليس متروكاً لنفسه وإنما هو تحت نظر الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

٣ ـ السر والعلن بالنسبة إلى الله سيان: ﴿تُسِرُّونَ... تُعْلِنُونَ﴾.

٤ ـ يعلم الله تعالى بما يعمل الإنسان في الخفاء ويعلم بأفكاره ورغباته وأسراره المكنونة في صدره: ﴿تُسِرُّونَ... بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾

إشارات:

- (وبال) بمعنى الثقل. يقال للطعام الذي يثقل المعدة: (وبيل)، ويقال للمطر الغزير: (وابل)، ويقال لكل أمر يثقل الكاهل ويؤدي إلى الضرر والأذية: (وبال). ورد ذكر هذه الكلمة أربع مرّات[1] في القرآن الكريم وكان المقصود منها صعوبات الدنيا ومشاكلها.

- العذاب الإلهي ليس مختصاً بيوم القيامة، بل أنزل الله تعالى العذاب على بعض الأقوام، في بعض الموارد، في الدنيا وعذّبهم في الآخرة أيضاً؛ مثل قوم نوح الذين عذبوا بالغرق، وقوم هود بالريح، وقوم صالح بالصيحة، وقوم لوط أمطروا بالحجارة، وكذلك أصحاب الفيل أمطروا بأحجار من سجيل، فهؤلاء قد نالوا جزاء أعمالهم في الدنيا.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٥؛ سورة الحشر: الآية ١٥؛ سورة الطلاق: الآية ٩؛ سورة التغابن: الآية ٥.

التعاليم:

١ ـ كان الناس في زمن النبي يعلمون بأخبار الأقوام السابقة التي هلكت: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ﴾.

٢ ـ أوصى الإسلام بمطالعة تاريخ الأقوام السابقة ومن لا يعتبر من التاريخ يجب توبيخه وتعزيره: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

٣ ـ الأخبار التي يجب معرفتها هي الأخبار المهمة المليئة بالعبر، لا أي معلومات عديمة الفائدة: ﴿نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. (نبأ) تستخدم للأخبار المهمة.

٤ ـ إنّ الله حليم، ولكن بعض الأفعال تكون منحرفة إلى حدٍّ أنها تستحق العقاب الفوري. (حرف الفاء يدل على أنه لم يمر الكثير من الوقت): ﴿فَذَاقُواْ...﴾.

٥ ـ تصرفات الإنسان نفسه تكون أحياناً السبب في تعاسته: ﴿وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾.

٦ ـ العذاب الإلهي في الدنيا قطرة من بحر العذاب الكامل الخاص بيوم القيامة: ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ... وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

- للتبليغ أنواع مختلفة وأفضل أنواعه التبليغ العملي. جعل الله تعالى الأنبياء من جنس البشر لكي يذوقوا كما البشر حلاوة هذه الدنيا ومرارتها وليكونوا في عملهم مرشدين للناس، ولكن بعضاً بسبب فكره المحدود اعتبر بشرية الأنبياء نقصاً وكان يقول: ﴿أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾.

- (استغنى) من مادة «غني» بمعنى عدم الحاجة. وهذا الأمر صادق وحقيقي بالنسبة إلى الله تعالى: ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾، وأمّا الإنسان فمحتاج للكثير من الأشياء، ومن أسوأ الصفات التي قد يمتلكها الإنسان ظنه بأنه ليس محتاجاً، مثلما أشار القرآن في ثلاثة موارد:

□ ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾[١]، ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[٢]، و﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾[٣].

□ إثارة الشبهات والشك والتردد بين المسلمين هو أسلوب الكافرين المتكبرين. يقولون في هذه الآية: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾؟ وفي مكان آخر يقولون: من قال لكم إنّ صالحاً مرسلٌ من الله؟: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٤]، وفي موضع آخر قالوا: كيف يمكن لفقير أن يصبح حاكماً وقائداً؟: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾[٥].

□ لا يملك الكفار دليلاً، فهم يستبعدون ما جاء به الأنبياء لا غير. يقولون عن النبوّة: كيف يمكن لبشر أن يهدي المجتمع؟: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾، ويقولون عن المعاد: كيف يمكن أن نحيا مرة أخرى بعد أن نذوب ونتحلل في الأرض؟: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾[٦].

□ إن الله تعالى ليس بحاجة لإيمان الناس وانتباههم: ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ﴾، ويقول في موضع آخر: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[٧]. أجل، لو بنى كل الناس بيوتهم في مقابل الشمس أو بنوها مخالفة للشمس، فلن يضر ذلك في الشمس شيئاً. يقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٨].

التعاليم:

١ ـ ابحثوا وادرسوا في تاريخ السابقين: ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت﴾.

٢ ـ يرسل الله عقابه بعد إتمام الحجة: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم﴾.

---

(١) سورة عبس: الآيتان ٥ ـ ٦.
(٢) سورة الليل: الآيات ٨ ـ ١٠.
(٣) سورة العلق: الآيتان ٦ ـ ٧.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٧٥.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.
(٦) سورة السجدة: الآية ١٠.
(٧) سورة إبراهيم: الآية ٨.
(٨) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

٣ ـ بعث الله تعالى على امتداد التاريخ رسلاً متعددين ومتابعين لهداية البشر: ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ﴾، (كانت) تدل على الاستمرار في الماضي.

٤ ـ لكل الأنبياء دلائل واضحة ومعجزات: ﴿تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

٥ ـ كان الكفار يشككون ويردون براهين الأنبياء من دون التأمل فيها: ﴿فَقَالُوٓا۟...﴾؛ (حرف الفاء يدل على سرعة الرد في هذه الآية).

٦ ـ من وجهة نظر الكفار فإن بشرية الأنبياء هي نقطة ضعف: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾.

٧ ـ إنّ الله تعالى ليس محتاجاً في ذاته، وهو أهل للمدح والثناء في أعماله: ﴿غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾

إشارات:

- (زعم) تقال للظن والتخمين الذي لا أساس له ولا دليل، وجاءت في القرآن مصاحبة للانتقاد في كل الموارد. في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: **«أما علمت أن كل زعم في القرآن كذب»**[١]؟!
- أنكر فريقٌ اللهَ تعالى في الآية الثالثة من هذه السورة: ﴿خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾.
- وفي الآية السادسة أنكروا النبوة: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟﴾.
- وفي هذه الآية أنكروا المعاد: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾.
- أقسم القرآن الكريم مرات عدة على وقوع المعاد في مقابل إنكار الكفار له، مثلما يقول في هذه الآية: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾، ويقول في مكان آخر: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[٢]، ويقول في جوابه على سؤالهم التشكيكي: ﴿إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[٣]. واللطيف أن القرآن الكريم في جوابه يستخدم الألفاظ نفسها التي

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة سبأ: الآية ٣.

(٣) سورة يونس: الآية ٥٣.

استخدموها. سألوا في موضع: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾؟ فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾، وفي موضع آخر قالوا: ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ فيقول: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، وقد قالوا: ﴿لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ فقال: ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾.

□ الصفات التي ذكرت لله تعالى من أول هذه السورة حتى الآن: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ، خَلَقَكُمْ، خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ، يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ، يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ دليل على أن إحياء الموتى وإنباء الناس عمّا قاموا به هيّن على الله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

كما ذكر ذلك مرّات عدة في القرآن الكريم من مثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1]، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[2].

التعاليم:

١ ـ مع أن الكفار لا يملكون الدليل ويتكلمون بناءً على خيالهم وظنهم، إلا أنهم يطلقون الشعارات بكل ثقة: ﴿زَعَمَ... لَّن يُبْعَثُوا۟﴾.

٢ ـ في التربية والتعليم يجب طرح شعارات الآخرين أولاً ثم الردّ عليها: ﴿زَعَمَ... قُلْ﴾.

٣ ـ يجوز القسم بالله لأجل رفع شك الآخرين وترددهم في المسائل العقدية: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾.

٤ ـ أجيبوا عن الشبهة والتشكيك بالتأكيد: ﴿لَّن يُبْعَثُوا۟... لَتُبْعَثُنَّ﴾.

٥ ـ الثواب والعقاب هما دليل على القيامة: ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾.

٦ ـ السبب في إنكار الكفار واستبعادهم هو قولهم باستحالة إحياء الإنسان مرة أخرى، لذا يقول القرآن: ما تعتقدون أنه مستحيل، هو على الله يسير: ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

(١) سورة الروم: الآية ٢٧.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾

إشارات:

- المراد بالنور في الآية الكريمة هو القرآن الكريم. كما نقرأ في سورة إبراهيم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.
- تحدثت الآيات السابقة كيف أن الكفر وعدم الإيمان بالله ورسله وبالمعاد أدّى إلى إنزال العذاب على الأمم السابقة؛ لذا تدعونا هذه الآية: إلى الإيمان وعدم الاقتداء بالسابقين.
- نقرأ في الروايات أن النور هم الأئمة المعصومون لأنهم القرآن الناطق. يقول الإمام الباقر عليه السلام: **«هم الذين ينورون قلوب المؤمنين»**[1].

التعاليم:

١ ـ يكون للإيمان قيمة إذا ما كان جامعاً للإيمان بالله ورسله وكتبه السماوية: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾.

٢ ـ إن الله نور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[2]، وما ينزل من عنده فهو نور: ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾.

٣ ـ يجب أن يكون الإيمان مصاحباً للعمل: ﴿فَـَٔامِنُواْ... تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠﴾

إشارات:

- (التغابن) بمعنى إظهار الغبن، أي أنه يوم القيامة يتحسّر الكافرون لعدم

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة النور: الآية ٣٥.

إيمانهم، والفاسقون لعدم قيامهم بالأعمال الصالحة، والمؤمنون يتحسرون لأنه كان بمقدورهم أن يعملوا أكثر مما عملوا، كلٌّ يشعر بنوع من الخسارة والحسرة والغبن، وقد تكون بمعنى أنه يوم القيامة يفكر كل شخص كيف بإمكانه أن يلقي بثقل حمله على كاهل الآخرين، وقد وصف القرآن هذا المشهد بأمثلة عدة؛ ففي أحد الموارد يقول الشيطان: لا تلوموني، أنتم المقصرون. ويتمنى المجرم أن يفتدي نفسه بأولاده وأقربائه بل وكل الناس لكي ينجو من جهنم.

- قد يكون التغابن بمعنى أن القادة الفاسدين يغبنون أتباعهم وأن الأتباع قد أعطوا بطاعتهم العمياء مجالاً أكبر للحكام ليمعنوا في الفساد وبهذا يكونون قد غبنوهم إذ لو لم يطيعوهم لما استطاعوا التمادي في الفساد[١].

- «يوم الجمع» اسم من أسماء يوم القيامة، كما ذكر في آية أخرى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[٢].

من المغبون؟

نشير هنا إلى مصاديق للمغبون قد ذكرت في الروايات:

- **«من استوى يوماه فهو مغبون»**[٣].
- **«المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون»**[٤].
- **«فإن المغبون من حرم قيام الليل»**[٥].
- يوم القيامة تفتح ٢٤ خزينة لكل يوم من أيام العمر، ويرى الإنسان خزينة الساعات التي لم يعمل فيها خيراً خالية: **«فيناله من الغبن والأسف على فواتها حيث كان متمكناً من أن يملأها حسنات ما لا يوصف»**[٦].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.
(٢) سورة الكهف: الآية ٩٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٧١، ص١٧٣.
(٤) المصدر نفسه، ج٧٢، ص١٧٣.
(٥) المصدر نفسه، ج٨٣، ص١٢٧.
(٦) المصدر نفسه، ج٧، ص٢٦٢.

- «من ترك الجهاد في الله كان كالمغبون»[١].

□ ثمة فريقان متقابلان يوم القيامة: فريق مغبون: ﴿يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾، فريق فائز: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

□ يجب أن يكون التحذير والتبشير في التربية متلازمين. الآية التاسعة بشرت بجنة الخلد، والآية العاشرة توعدت الكفار بالخلد في جهنم.

التعاليم:

١ ـ يوم القيامة، يوم يجب تذكره. (إذ، إذا، يوم، في بداية الجملة تستعمل عادة بمعنى: تذكر الوقت): ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾.

٢ ـ الإيمان والعمل الصالح هو طريق النجاة من الغبن: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾.

٣ ـ الإيمان ليس مفصولاً عن العمل الصالح: ﴿يُؤْمِنۢ... وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾.

٤ ـ العمل الصالح كفارة للأعمال السيئة: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾.

٥ ـ لن ندخل الجنة حتى نتطهر بالكامل. ابتداءً، يجب أن تُمحى عنا السيئات ثم ندخل الجنة: ﴿يُكَفِّرْ... يُدْخِلْهُ﴾.

٦ ـ أنهار الجنة وجناتها متعددة ودائمة وأبدية: ﴿جَنَّٰتٍ... ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

٧ ـ الفوز العظيم هو أن يدخل الإنسان إلى الجنة بإيمانه وعمله الصالح: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ يؤمن الإنسان المؤمن بأن الله عليم حكيم رحيم، لذا فإنه لن يصيب أحداً

---

(١) بحار الأنوار، ج٣٣، ص٥٧٣.

بمصيبة من دون حكمة وعدالة، وكل مصيبة هي نتيجة عمل الإنسان نفسه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[1]، أو أنها وسيلة للامتحان ليصل إلى الرشد والكمال: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾[2].

- الإذن في القرآن هو الإذن التكويني الإلهي مثل إخراج النبات من الأرض بإذن من الله: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾[3]، وكذلك هو الإذن التشريعي كما في الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾[4] يعني أعطى للمظلومين الإذن بالدفاع. المقصود بالإذن هنا هو الإذن التكويني الإلهي، يعني كل الأحداث تدور في مدار علمه وإرادته وأن الله ليس غافلاً عن شيء، هيّأ الله تعالى الأسباب والوسائل التي تساعد على الوصول إلى الخير أو الشر وسيحصل كل موجود على نتيجته بناءً على الوسائل التي استفاد منها.
- جاء في سورة البقرة مثال على الهداية القلبية التي تعطي المؤمن السكينة حين المصيبة: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[5].
- الإيمان أمر داخلي، إذا سكن في الإنسان بعث في قلبه الهداية، وإذا ما اهتدى قلب الإنسان اهتدى قوله وعمله: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ...﴾.

التعاليم:

١ ـ تقع كل المصائب داخل مدار الإذن الإلهي، وليست تصادفية والله لا يمنع تأثير الحوادث: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾.

٢ ـ الإيمان سبب في جلب الرحمة والهداية الإلهية الخاصة في مقابل المصائب: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ... وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾.

٣ ـ يُلهم الله تعالى المؤمنين المصابين طريق العلاج والتحمل والتكليف والصبر: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٣٠.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٤٢.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٨.
(٤) سورة الحج: الآية ٣٩.
(٥) سورة البقرة: الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

٤ ـ من يؤمن بعلم الله وإرادته، يصبر ويتوكل عند الحوادث ولا يفقد الأمل أبداً: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾.

٥ ـ الخطوة الأولى من الإنسان وبعدها تأتي الألطاف الإلهية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾.

٦ ـ إن الله يعلم إذا ما كان إيماننا حقيقياً أو نفاقاً: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ... وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٧ ـ تقع المصائب بعلم الله وإذنه وفيها أسرار لا يعلمها إلا هو: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ... وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٨ ـ التفات الإنسان إلى أن علم الله محيط بكل شيء، سبب في تحمل المصائب والثبات أمام المشكلات: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ... وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

- لم يقل الله تعالى في هذه الآية: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ بل قال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي تكررت كلمة الإطاعة؛ لأنه ثمة اختلاف بين هاتين الطاعتين. إطاعة الله تكون في الأمور الثابتة وإطاعة الرسول تكون في الأمور التي يصدرها بوصفه حاكماً إسلامياً.
- النبي معصوم؛ لأن الأمر بالطاعة التامّة لغير المعصوم، هو أمر بالذنب.
- قد تكون عبارة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ بمعنى أن لا معبود إلا الله أو بمعنى لا يوجد أي معبود يستحق العبادة إلا الله.

التعاليم:

١ ـ يجب أن تكون عبادة الله مقرونة بطاعة المبعوث السماوي: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾.

٢ ـ خلق الإنسان حرّاً، يستطيع المخالفة ويستطيع الإطاعة: ﴿أَطِيعُواْ... فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾.

٣ ـ لا يجب على المبلّغ أن يتوقع هداية الناس جميعاً: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾.

٤ ـ إن النبي مرتبط بالله والله حاميه، حتى إن عصى بعض الناس وتولّى: ﴿رَسُولِنَا﴾.

٥ ـ لا يملك الأنبياء الإلهيون الحق في إجبار الناس وإنما مسؤوليتهم التبليغ فقط: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

٦ ـ إذا عمل الإنسان بتكليفه، فلا يجب أن يقلقه أو يثبط من عزيمته إعراض الناس: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

٧ ـ يجب أن يكون تبليغ الدين واضحاً وشفافاً: ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

٨ ـ المعبود الحقيقي هو فقط من يستحق العبادة: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ... ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٩ ـ التوكل على الله الواحد من لوازم التوحيد: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ...﴾.

١٠ ـ التوكل على الله دليل على الإيمان الحقيقي: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

١١ ـ يجب أن نتوكل على الله في كل الأمور: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (جاء الأمر بصورة مطلقة).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

- (العفو) بمعنى السماح، و(الصفح) بمعنى ترك التوبيخ، و(المغفرة) بمعنى المحو من الذاكرة والنسيان، وهذه الأمور الثلاثة (العفو، الصفح، الغفران) هي الخطوات الثلاث في التعامل مع أخطاء الآخرين من مثل الزوج والأبناء.
- عن الإمام الباقر عليه السلام، في تفسير هذه الآية: «**وذلك أنّ الرجل كان إذا أراد**

الهجرة إلى رسول الله ﷺ تعلّق به ابنه وامرأته، وقالوا: ننشدك الله أن تذهب عنّا وتدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع أهله فيقيم، فحذّرهم الله أبناءهم ونساءهم، ونهاهم عن طاعتهم»[١]؛ لذا نزلت هذه الآية وحذّرت الرجال من قبول طلب نسائهم وأطفالهم المخالف لأمر رسول الله.

- ❑ الزوج والأبناء الذين يمنعون الإنسان من القيام بتكليفه، يسلبونه آخرته، ولذا يعتبر هؤلاء أعداء.

- ❑ لم تذكر كلمات العفو والصفح والمغفرة متالية في أي موضع من القرآن الكريم غير موضع الحديث عن الحياة العائلية مع الزوج والأولاد. يعني حتى إن كانوا مخالفين في الفكر ويجب الحذر منهم، يجب أيضاً مراعاة العفو والصفح والمغفرة معهم.

- ❑ مع أخذ سبب نزول الآية بالاعتبار يستنتج أنّ المعيار لتشخيص العدو من الصديق هو الحث على عمل الخير أو الحؤول دون القيام بعمل الخير. فالشخص الذي يمنع الآخر من القيام بوظيفته لأجل منافعه الشخصية هو العدو.

- ❑ كان بعض المهاجرين يقولون لأزواجهم: نحن سنهاجر، وإن أنتم ندمتم في ما بعد وهاجرتم، لن نستقبلكم في المدينة، لذا يقول تعالى في تتمة الآية: وإن كانوا قد منعوكم من الهجرة من مكة، ولكنهم الآن قد التحقوا بكم فاعفوا عنهم واصفحوا[٢].

- ❑ نقرأ مثل هذه الآية في الآية ٢٢ من سورة النور: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. نعم، إن نحن عفونا عن الناس فسيعفو الله عنّا.

- ❑ إنّ المسامحة: ﴿تَعْفُوا۟﴾ وعدم التوبيخ: ﴿وَتَصْفَحُوا۟﴾ مهمّان، ولكن الأهم هو التغاضي الكلي عن الخطأ: ﴿وَتَغْفِرُوا۟﴾؛ لذا جاءت كلمة: ﴿وَتَغْفِرُوا۟﴾ بعد الكلمتين السابقتين لتدل على أنها مرتبة أعلى من العفو والصفح، وكذلك فقد [illegible] الله تعالى نفسه في نهاية الآية بأنه: ﴿غَفُورٌ﴾. مع أن الله قد وصف نفسه

---

(١) تفسير نور الثقلين. (٢) تفسير نمونه.

بالصفتين الأخيرتين: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[١]، وورد في الدعاء: **«يا كريم الصفح»**[٢].

- أعطى القرآن الكريم النبي ثلاث قواعد في هداية الأمة: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[٣] يعني مضافاً إلى العفو عنهم وغض النظر تماماً عن زلّاتهم، عليك احترامهم ومشاورتهم.
- رُوي عن النبي الأكرم ﷺ أنّه يأتي على الناس زمان يهلك فيه الرجل على يد زوجته وأولاده: **«يسخرانه بالفقر، فيركب مراكب السوء فيهلك»**[٤].

التعاليم:

١ ـ مقاومة الرغبات العاطفية وغير المحقة للزوج والأبناء هي من لوازم الإيمان، حتى وإن أدّى ذلك إلى معاداتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾.

٢ ـ بعض الأزواج فقط، يحول دون عمل الخير وليس جميعهم: ﴿مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾.

٣ ـ يجب الحذر من الانخداع بتغرير الزوج والأبناء غير الصالحين: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾.

٤ ـ صحيح أنه لا يجب الاستسلام لرغبات الأزواج والأبناء غير المحقة، ولكن يحسن العفو والصفح والغفران: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾.

٥ ـ اسلكوا مسلك الستر على الخطأ إلى آخر مراحله: سامحوا ولا توبّخوا وانسوا تماماً: ﴿تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾.

٦ ـ من الضروري المساواة بين الواجب والغريزة في الحياة الأسرية، فلا يجوز ترك التكليف والجهاد والهجرة لأجل العواطف والغرائز، ولا ينبغي إهمال العواطف الأسرية لأجل الواجب: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾.

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٩.

(٢) الكليني، الكافي، المكتبة الإسلامية، ج٢، ص٥٧٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) تفسير المراغي.

٧ ـ عفوكم ومغفرتكم سيتبعهما العفو والمغفرة الإلهية: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٨ ـ المغفرة الإلهية مصاحبة للرحمة والألطاف الإلهية الخاصّة. إن غفرتم للآخرين فإن الله سيغفر لكم ويشملكم بلطفه الخاص: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

- تشبه الآية ٢٨ من سورة الأنفال هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.
- الفتنة هي العذاب والمشاكل والمصاعب والأمور التي يبتلى بها الإنسان وتكون سبباً للامتحان، وكذلك تأتي بمعنى إفساد الأعداء ومؤامراتهم؛ إذ يقول القرآن للحؤول دون هذا: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[1]. واللطيف أن المال والبنين هم سببٌ للامتحان وهم زينة الحياة الدنيا كذلك: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].
- ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**لا يقولنّ أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة... فليستعذ من مضلات الفتن**» ثم قرأ هذه الآية[3].
- إذا آمنّا بأن الثروة والأملاك، وسيلة للامتحان والفتنة، فلن نحزن لقلة المال؛ لأنّ ذلك سيجعل الامتحان أكثر سهولة.
- المال وسيلة للامتحان لأن كسبه يجب أن يكون عن طريق الحلال ومصرفه في الحلال ويجب إيتاء الحقوق منه وشكر الله عليه.
- الولد سبب للامتحان؛ لأن الوالدين يجب أن يدققا في اختيار الشريك، في إعطاء المهر الحلال، في تغذية الطفل السليمة، في محبة الولد والرقابة على

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٣.
(٢) سورة الكهف: الآية ٤٦.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة رقم ٩٣.

كل أموره من مثل التربية والتعليم، الزواج، والعمل، وتوجهاته المختلفة؛ لأنّ العبور من كل هذه المراحل امتحان صعب جداً. وإذا أنجز الوالدان واجبهم على أتم وجه واجتازوا الامتحان بنجاح، فسيكونان شركاء ولدهم في كل أعماله الحسنة.

- في حين أن بعض الأزواج والأولاد عدو، كما ذكرت الآية السابقة، إلا أنّ جميعهم وسيلة للامتحان والفتنة.

التعاليم:

١ ـ التعلق بالمال والولد سبب للانحراف والزلل؛ لذا يحذرنا الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

٢ ـ ترك التعلق بالمال والولد في سبيل الوظائف الإلهية عمل عظيم، لذلك جعل الله لها أجراً عظيماً: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

٣ ـ كلما كان الممتحن عظيماً كانت جائزته عظيمة، إن الله العظيم يعطي أجراً عظيماً: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

٤ ـ التفكير في الأجر الإلهي العظيم، سبب للنجاة من التعلق بالأموال والأولاد: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

- «يوق» من الوقاية وهي الحفظ والحماية، «والشح» هو البخل والميل النفسي.
- نقرأ في الحديث أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان دائماً يقول في الدعاء: «**اللهم قني شحَّ نفسي**»، وعندما كان يُسأل عن سبب دعائه بهذا الدعاء؟ كان يقرأ عليه السلام هذه الآية: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

(١) تفسير نور الثقلين.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من أدّى الزكاة فقد وقي شح نفسه»**[١].

□ ورد في الآية ١٠٢ من سورة آل عمران: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ويقول تعالى في هذه الآية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، ما المقصود من هاتين الآيتين؟
الجواب: قد يكون المقصود من: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أنه في كل المجالات الفردية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والعائلية يجب مراعاة التقوى من ناحية الكم، والمقصود من: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ هو التقوى من ناحية الكيف، يعني يجب الوصول إلى أعلى درجات التقوى وهي الورع[٢].

□ ذكرت الآيات السابقة الأموال على أنها وسيلة للامتحان الإلهي، في هذه الآية ذكر أنّ النجاح في هذا الامتحان يكون بالإنفاق والابتعاد عن البخل.

□ مثلما يجب إعداد العدّة لمحاربة النفس والأهواء النفسانية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، يجب كذلك الاستعداد بالأسلحة والتجهيزات لمحاربة العدو الخارجي: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ تجب الاستعانة بالتقوى للنجاح في الامتحانات الإلهية: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ... فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

٢ ـ لا يوجد في الإسلام تكليف فوق طاقة الإنسان: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

٣ ـ التقوى الإلهية تعني الاستماع لكلام الحق، العمل به، والإنفاق على الفقراء: ﴿فَاتَّقُوا، وَاسْمَعُوا، وَأَطِيعُوا، وَأَنفِقُوا﴾.

٤ ـ لو كنتم طالبين للخير، فأبعدوا الموانع من طريقكم، وامتثلوا لأوامر الله، وأنفقوا من مالكم على الفقراء: ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.
(٢) الميزان في تفسير القرآن.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

٥ ـ لا يكفي المحافظة على الجسم من الأخطار بل يجب المحافظة على الروح من الأعمال والصفات السيئة أيضاً: ﴿يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾.

٦ ـ الإنفاق في سبيل الله هو طريق الفلاح: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

٧ ـ حب المال والبخل معجونان بطينة الإنسان: ﴿شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾.

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

- ورد مفهوم القرض الحسن في آيات عدّة من القرآن الكريم[(١)]، وطُرِحت حوله مباحث عدّة، ولن نبحثها في ذيل الآية لتجنب التكرار.
- الله الذي خلق كل الوجود وأفاض على الإنسان وجوده وماله، أراد من الإنسان أن يساعد الآخرين، وقال: إقراض المحتاجين هو إقراض الله وهو يعطي أضعافاً مضاعفة من الوعود والجوائز. وهذا لأجل رشد الإنسان، ونزع حب الدنيا من قلبه، ومساعدة الفقراء، وخدمة الناس، وحل مشاكلهم، وهدم التعلق بالماديات، والسير إلى الله، وتجلّي روح السخاء والعاطفة. وبالتأكيد يكون للإقراض قيمة حينما يكون حسناً، فورياً، بدون منة، وباحترام، ويصرف بالحق، ويكون المبلغ كافياً لحل مشكلة، ويكون في سبيل الله بعيداً عن أعين الناس ولا يؤدي بصاحبه إلى الغرور.
- ذكر القرآن الكريم أشياء عدة بعنوان كفارة الذنوب منها: التوبة، الصلاة، الجهاد، والقرض الحسن.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٥؛ سورة المائدة: الآية ١٢؛ سورة الحديد: الآيتان ١١ و١٨؛ سورة التغابن: الآية ١٧؛ سورة المزمّل: الآية ٢٠.

التعاليم:

١ ـ إمّا أن تنفقوا وتسامحوا، أو على الأقل أن تقرضوا قرضاً حسناً: ﴿أَنفِقُوا... تُقْرِضُوا﴾.

٢ ـ إقراض عباد الله هو إقراض لله: ﴿تُقْرِضُوا اللَّهَ﴾.

٣ ـ القرض الحسن هو أحد طرق حفظ النفس من البخل: ﴿يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ... تُقْرِضُوا اللَّهَ﴾.

٤ ـ لا تحقروا المقترض؛ لأن حسابكم مع الله، وفي الحقيقة أنتم قد أقرضتم الله: ﴿تُقْرِضُوا اللَّهَ﴾.

٥ ـ نتيجة القرض الحسن، هي الثواب الحسن: ﴿قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾.

٦ ـ إقراض الناس وحل مشاكلهم سبب لغفران الله للذنوب: ﴿تُقْرِضُوا اللَّهَ... وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

٧ ـ يجب أن تبينوا بركات عمل الخير وجزاءه، لكي ترغبوا في القيام بأعمال الخير: ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

٨ ـ إن الله شاكر للأفراد الذين يقرضون قرضاً حسناً، إذاً فليشكر المقترضون المقرضين أيضاً: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾.

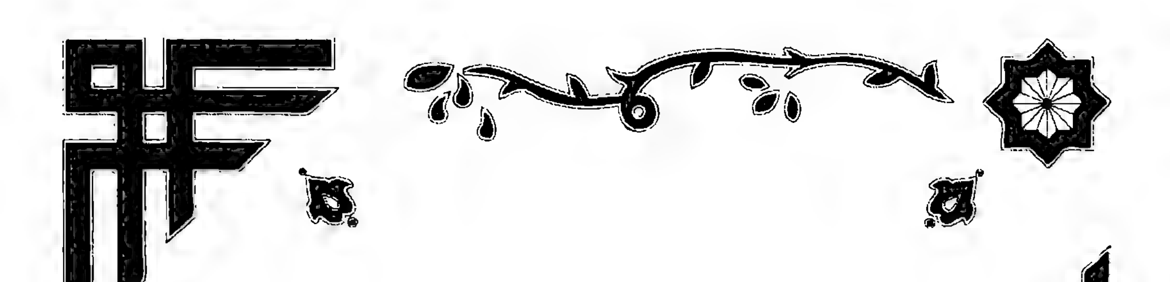
٩ ـ إن الله حليم، إذاً، إن لم يعطونا قرض الحسنة، يجب أن نكون حليمين كذلك: ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾.

١٠ ـ علم الله واحد بالنسبة إلى العلن والخفاء: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.

١١ ـ إن الله ليس محتاجاً لقرضنا: ﴿الْعَزِيزُ﴾.

١٢ ـ أوامر الله وتحفيزاته وجوائزه نابعة عن حكمة: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الطَّلَاقِ

السورة: ٦٥ الجزء: ٢٨

عدد الآيات: ١٢



ملامح سورة الطلاق

سورة الطلاق مدنيّة عدد آياتها اثنتا عشرة آية. وتتحدث الآيات السبع الأولى من هذه السورة عن الطلاق وأحكامه والمسائل المرتبطة فيه ولهذا سميت سورة «الطلاق». يتحدث الجزء الثاني من هذه السورة عن عاقبة فريقين من الناس، الفريق الأول هم الأشخاص الذين عصوا الله تعالى واستحقوا العذاب. والفريق الثاني هم الذين اتبعوا النبي وعملوا الصالحات وشملتهم العناية الإلهية واستحقوا نعيم الجنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ①﴾

إشارات:

- «الإحصاء» هو التعداد وأصله من «حِصى» وهي الأحجار الصغيرة؛ لأن القدماء كانوا يستخدمون الحصى والحجارة للعدّ والحساب[1].
- المقصود من: ﴿بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾، الزنا أو أذية أهل المنزل وهذه الأسباب من مجوزات إخراج الزوجة المطلقة من المنزل[2].
- يجب على المرأة أن تصبر حتى تحيض ثلاث حيضات وتطهر منها من بعد أن يطلقها زوجها، حينها تستطيع أن تختار زوجاً آخر. تسمى هذه المدّة الزمنية العدّة ويجب على المرأة أن تحسبها بنفسها. في فترة العدّة، على الرجل أن يعطي النفقة لطليقته ولا يستطيع أن يخرجها من البيت في الطلاق الرجعي. وبالتأكيد ففي مثل هذه الحالة لا تستطيع المرأة أن تخرج من المنزل من دون إذن الرجل.
- يملك الرجل الحق بأن يرجع لزوجته في فترة العدّة ويبدأ معها الحياة من جديد من دون أن يكون ثمة حاجة لعقد مجدد. يمكن أن تكون إحدى فلسفات فترة العدّة ومدّة الثلاثة أشهر للمرأة في بيت الزوج، هي الرجوع حتى لا يتحقق الانفصال بهذه السهولة والسرعة: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.
- وضع الإسلام حدوداً لمنع الطلاق الذي ليس له مبرّر، من بينها تحريم الرجوع إلى الزوج بعد ثلاث تطليقات، ولا يستطيع الرجوع إليها إلا بعد زواجها من

---

(١) تفسير روح المعاني.　　(٢) تفسير نور الثقلين.

غيره وطلاقها أي من محلل. ورد في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام: «**لئلا يوقع الناس الاستخفاف بالطلاق**»[١].

- جاء في القرآن: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، يعني إمّا أن تبقوا على زوجاتكم وتحسنوا لهن وإما أن تنفصلوا عنهن بالحسنى ولا يحق لأحد أن يبقي على المرأة ويسيء معاملتها، ففي هذه الحالة على الحاكم الإسلامي أن يدافع عن المرأة.

نبذة عن الطلاق:

إن الطلاق هو أبغض الحلال في الإسلام[٢]. قال نبي الإسلام صلى الله عليه وآله: «**تزوّجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز منه العرش**»[٣]، نعم الطلاق حَلٌّ وقد يكون ضرورياً أحياناً.

توجد نظريات عدّة لكيفية الطلاق:

أ) يجب أن يكون الطلاق ميسّراً وسهل الإجراء بدون أي قيد أو شرط، وقد أساء الاستفادة من هذا الأمر الأفراد والمترفون المتبعون لهواهم واستغلوا المرأة فقط لإشباع أهوائهم العابرة.

ب) يجب أن يكون الطلاق ممنوعاً كلياً وهذا الرأي تؤيده الكنيسة. إلا أنّ منع الطلاق يجبر الأزواج والزوجات غير المتوافقين على أن يتعايشوا مع مشاكلهم إلى آخر العمر أو يقوموا باختيار شريك آخر في الخفاء.

ج) يجب أن يكون الطلاق بيد المرأة. في هذه الحالة ترتفع نسبة الطلاق؛ لأن النساء عاطفيات أكثر ويتأذين بسرعة وحين يواجهن مشاكل الحياة يقدمن على الطلاق ويهدمن علاقات كثيرة لأتفه الأسباب.

د) يجب أن يكون الطلاق بيد الرجل ولكن ضمن القانون وتحت نظر الحاكم

---

(١) عيون الأخبار، ج ٢ ،ص ٨٥.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص ٢٦٦.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٥، ص ٢٦٨.

الإسلامي المسؤول عن منع الظلم وإرساء العدالة. نعم، في الحالة التي تطلب فيها الزوجة الطلاق يجب على الحاكم الإسلامي أن ينظر في طلبها وعند الضرورة عليه أن يحكم بالطلاق والانفصال.

- إنّ الطلاق في الإسلام تابع لشروط وقواعد خاصّة ومراعٍ للثوابت الأخلاقية، مثلما أن الحرب مع الأعداء لها شروط، فلا نملك الحقّ بتسميم ماء الشرب، وقطع الأشجار، أو ظلم النساء والأطفال والكبار في السن والأسرى.

أسباب الاختلاف والانفصال:

١ ـ سوء الخلق:

من أهم أسباب الطلاق سوء خلق الزوج والزوجة أحدهما مع الآخر، نقرأ في الروايات قول الإمام علي عليه السلام: **«من ساء خلقه ملّه أهله»**[(١)].

٢ ـ اتباع الهوى:

أوصى الإسلام الرجال والنساء بغضّ البصر، وبعدم النظر بقصد التلذذ إلى غير زوجته، وكذلك أوصى النساء بأن يتستّرن أمام غير المحارم، وبألا يبرزن محاسنهن أمام الجميع ويتعمدن إغراء الناس.

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«كم من نظرة أورثت حسرة طويلة»**[(٢)].

ويقول في حديث آخر: **«عفّوا عن نساء الناس يُعَفّ عن نسائكم»**[(٣)].

جاء في الروايات أنه في زمان النبي داود، كان ثمة رجل على علاقة محرّمة بامرأة، فألهم الله تلك المرأة أن تقول للرجل: إذا ما تعرضت لامرأة فإن ثمة من سيتعرض لامرأتك. عندما رجع ذلك الرجل إلى بيته وجد رجلاً غريباً عند زوجته، فقبض عليه وأحضره إلى النبي داود عليه السلام واشتكى عليه. فأوحى الله إلى النبي داود أن يقول للرجل: اليد التي تعطي فيها، هي اليد التي تأخذ منها[(٤)].

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٥١٠٣.
(٢) الكافي، ج٥، ص ٥٥٩.
(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ٢٣٨.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٢٢.

٣ ـ إغفال أحد الزوجين حاجات شريكه:

رُوِي عن الرسول الأكرم ﷺ: **«جلوس المرء عند عياله أحبُّ إلى الله تعالى من الاعتكاف في مسجدي هذا»**[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«لا ينبغي للمرأة أن تعطّل نفسها»**[٢]؛ أي لا يجوز للمرأة أن لا تهتم بترتيب نفسها وتجميلها الذي هو سبب في إضفاء الحلاوة على الحياة الأسرية.

قال حسن بن الجهم: رأيت الإمام الكاظم عليه السلام وقد خضّب شعره. فقال الإمام عليه السلام بعد أن رأى تعجبي: **«إنّ التهيئة ممّا يزيد في عفّة النساء ولقد ترك النساء العفة لترك أزواجهن التهيئة»**، ثم قال: **«أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة»**[٣].

طرق حلّ الاختلافات قبل الطلاق:

١ ـ المحكمة الأسرية:

في حالة الاختلاف بين الزوجين، أوصى الإسلام باختيار أفراد حكماء من كلا الطرفين ليكونوا حكماً وينظروا في سبب الاختلاف ويزيلوه.

بهذه الطريقة، تحل المشاكل في مراحلها الأولية ولا تنجر علاقة الزوجين إلى المحكمة وإلى الطلاق: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ...﴾[٤].

٢ ـ حضور شاهدين عادلين:

على أساس أحكام الإسلام، حضور شاهدين عادلين هو واجب لإتمام الطلاق، وهذا الأمر عائق أمام الطلاق لأنّه:

أولاً: الطلاق أمر مستقبح في المجتمع لذلك يمتنع الناس من أن يكونوا شهوداً على الطلاق وتشتيت الأسرة.

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٧٨٨٤.
(٢) مجموعة ورّام، ج٢، ص ١٢١.
(٣) الكافي، ج٥، ص ٥٦٧.
(٤) سورة النساء: الآية ٣٥.

ثانياً: الفردان اللذان يدعوان ليكونا شاهدين على دعوة الطلاق، سيسعيان إلى الإصلاح بين الزوجين.

٣ ـ تشريع فترة العدّة:

العدّة في الواقع هي تأجيل حسم أمر الانفصال عن وقت اتّخاذ القرار به. فقد أمر الإسلام الرجال بإبقاء زوجاتهم المطلقات في بيوتهم وأن ينفقوا عليهن إلى حين انتهاء فترة العدّة. ومن الطبيعي أن يكون بقاء الزوجين معاً في هذه الفترة سبباً لإخماد غضبهم ويعطيهم فرصة ليدققوا أكثر في نتائج الطلاق، ولربما تكون هذه فرصة لكي يرجع الزوجين إلى حياتهم المشتركة مرّة أخرى.

ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**المطلقة تكتحل وتختضب وتتطيب وتلبس ما شاءت من الثياب؛ لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً لعلّها تقع في نفسه فيراجعها**»[١].

فلسفة فترة العدّة بعد الطلاق:

لا شك في أنّ لكل الأحكام الإلهية حكمة ومصلحة نستطيع أن نصل إليها بأدائنا لتلك الأعمال أو مضار نستطيع تجنبها بتركنا لأعمال ممنوعة، وإن كنا لا نعرف حكمة جميع الأوامر والنواهي. ومن هذه الأحكام، حكم إبقاء الزوجة في فترة العدة، وبقليل من التأمل نستطيع أن نستنتج شيئاً من حكمة هذا الأمر:

١ ـ **حفظ حرمة الحياة الزوجية**: يعتبر الإسلام أن الزواج أمر مقدّس وأنّ له حرمة، وفترة العدّة تساعد على حفظ هذه الحرمة.

٢ ـ **نسب الأولاد**: فترة العدّة تمنع من اختلاط نطف الأزواج المختلفين، وتحفظ نسب الولد إلى والده إذ توجد حقوق كثيرة تترتب على هذا النسب.

٣ ـ **فرصة للعودة** مرة أخرى إلى الحياة المشتركة.

ومضافاً إلى ذلك فإن رجوع الرجل إلى طليقته له مميزات مقارنة بالزواج المجدد ومنها:

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص ٣٥٢.

أ) يستلزم العيش مع شريك جديد وخوض تجربة جديدة، أمّا العيش مع الشريك السابق فقد تخطى مرحلة التجربة.

ب) إذا ما ارتبط الرجل بزوجة جديدة فإن ذلك سيكلفه نفقات جديدة.

ج) يكون الرجوع إلى الحياة الزوجية من جديد، أحياناً سبباً في حفظ المكانة الاجتماعية للرجل والمرأة وإزالة الكدورات التي حدثت بسبب الطلاق.

د) يؤدي إلى عودة الأفراد الذين تلاشت عائلتهم بالطلاق إلى حضن العائلة الدافىء، ويجبر الصدمة النفسية التي تعرضوا لها على أثر الطلاق.

هـ) الرجوع إلى الحياة المشتركة يغذي روح الصبر والإيثار والتضحية في الحياة.

التعاليم:

١ ـ جعل النبي هو المخاطب في الأوامر الكلية الموجهّة لكل الناس يشير إلى احترام النبي وإلى ضرورة أن يكون هو المشرف على حسن تنفيذ الأوامر الإلهية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾.

٢ ـ وُجّه الخطاب إلى الشخص الأول وذلك لبيان أهمية هذه الأوامر وإيجاد الدافع عند الآخرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾.

٣ ـ ليس ثمة وقت خاص لإجراء عقد الزواج؛ ولكن الطلاق يجب أن يكون في وقت يمكن معه بدء فترة العدّة، يعني ألا تكون المرأة في فترة العادة الشهرية ولا يكون الرجل قد جامع زوجته بعد العادة الشهرية: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

٤ ـ الطلاق بيد الرجل: ﴿طَلَّقۡتُمُ، فَطَلِّقُوهُنَّ﴾.

٥ ـ وُضع لقانون الطلاق شروطٌ تحدّ من سرعته لأجل حفظ نظام العائلة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

٦ ـ راعوا الزمان المحدد للأحكام الإلهية بدقّة: ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾.

٧ ـ لا ينبغي أن يكون الطلاق والانفصال مصاحباً للذنب: ﴿طَلَّقۡتُمُ... ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

٨ ـ يجب رعاية التقوى في الطلاق وخاصة في العدّة من قبل الرجل والمرأة: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

٩ ـ الربوبية الإلهية تقتضي التقوى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ﴾.

١٠ ـ لا يُسلب حق السكن من المرأة المطلقة في فترة العدّة بل تبقى في البيت وكأنه بيتها: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾.

١١ ـ لا يجوز أن يكون الطلاق مصاحباً لإهانة المرأة وتحقيرها: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾.

١٢ ـ سدّوا الطريق أمام الامتنان والتمنين. ولكي لا يمنّ الرجل على زوجته ولا تكون الزوجة ممتنّة لزوجها يقول الله تعالى: إن البيت بيتها: ﴿مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾.

١٣ ـ لا يجب أن تنظر النساء إلى الطلاق على أنه نهاية المطاف، بل فليبقين في المنزل لعل الرجل يعدل عن رأيه ويرجع إلى زوجته: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾.

١٤ ـ تخريب الروابط وهدمها وسدّ الطريق أمام الصلح هو ظلم للنفس: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ... وَلَا يَخْرُجْنَ... فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾.

١٥ ـ المذنب عديم الحياء الذي يدنّس الحرمات، ليس له حرمة ويستحق التحقير: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ... إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ﴾.

١٦ ـ سوء الاستفادة من القانون غير جائز. (لا تستطيع المرأة أن تستغل حقها في المسكن للانتقام من زوجها، فتقوم بتبديل المنزل إلى مكان للفحشاء والمنكر): ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ﴾.

١٧ ـ لا تخرج المرأة من المنزل إلا إذا ثبت ارتكاب الفحشاء عليها ولا يكفي في هذا سوء الظن: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ﴾.

١٨ ـ لا يجوز للرجال أن يمنّوا على نسائهم المطلقات لتأمينهم النفقة والسكن لهن؛ لأن هذا حكم الله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ﴾.

١٩ ـ ولا ينبغي للنساء أن يخشين البقاء والمكث في بيت الزوجيّة؛ لأنّ الله هو الذي شرّع هذا الحكم وأقرّه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ﴾.

٢٠ ـ تجاهل أوامر الله وتجاوز الحدود الإلهية، ظلم للنفس وليس لله: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾.

٢١ ـ نحن لا علم لنا بالمستقبل ونتخذ قراراتنا بناء على المعطيات والمعلومات التي نملكها. لذا فبالتوكل على الله يتحقق لدينا الأمل بالمستقبل: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ...﴾.

٢٢ ـ اليأس ممنوع في الإسلام ويجب على الإنسان المسلم أن يكون متفائلاً بالمستقبل: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ (عند الطلاق يكون الطرفان قلقين، لذا يجب تسليتهم ومواساتهم).

٢٣ ـ يجب أن تستبشروا عند الحوادث الصعبة: ﴿طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ... لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

٢٤ ـ راعوا التقوى والحدود الإلهية وفوضوا أمر المستقبل إلى الله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ... تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ... لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

٢٥ ـ لا تحصروا اللطف الإلهي بالوضع الذي ترونه أمامكم، لربما كان الانفصال هو العامل في الوصول إلى وضع أفضل: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾

إشارات:

- المقصود من بلوغ الأجل: ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، الوصول إلى أواخر أيام العدة لا انتهاء العدة تماماً؛ لأنه إذا ما انتهت فترة العدة لا يجوز احتجاز المرأة[1].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

□ وردت في القرآن كلمة معروف ثمانياً وثلاثين مرّة وقد ارتبط خمسة عشر مورداً من مواردها بالأسرة وبالحياة الزوجية، أي أن طريقة تعامل الرجل والمرأة بعضهم مع بعضهم الآخر يجب أن تكون بالمعروف.

□ ثمة فوائد من طلب شاهدين على الطلاق. إحدى تلك الفوائد، أنه من الطبيعي أن يسعى هذان الشاهدان العادلان للموعظة لا للطلاق وأن يرغّبوا الطرفين بالصلح.

□ نُقل عن الرسول الأكرم ﷺ: «**إنّي لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم**»، ثم قرأ آية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[١].

□ ورد في الروايات: عندما نزلت الآية الثالثة، ترك جمع من أصحاب الرسول العمل والتجارة وقالوا: قد ضمن الله لنا رزقنا إذاً ليس ثمة داع للسعي والعمل، فأنّبهم رسول الله ﷺ وقال: «**إنه من فعل ذلك لا يستجاب له**»[٢].

□ ورد في القرآن وصف الرحمة الإلهية بجملة: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٣] وكذلك العقاب الإلهي: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾[٤]؛ إذاً يمكن للرحمة والعقاب الإلهيين أن يأتيا الإنسان من طريق لا يتوقعه وبشكل غير منتظر.

□ أثر التقوى لا يقتصر على الآخرة فقط. فقد سُئِل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾؛ فقال: في دنياه[٥].

التعاليم:

١ ـ يجب مراعاة الوقت المحدد للأحكام الإلهية بدقّة؛ (ذكر زمان بدء فترة العدّة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، وكذلك ذكر زمان انتهاء العدّة: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾).

٢ ـ كل الأعمال يجب أن يكون لها زمان وبرنامج محدّدان منذ بدايتها: ﴿أَجَلَهُنَّ﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.
(٢) تفسير نور الثقلين.
(٣) سورة الطلاق: الآية ٣.
(٤) سورة الحشر: الآية ٢.
(٥) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٣٥٥، ح ٣٦.

٣ ـ يجب أن تستمر الحياة بالمعروف كما يجب أن يتم الطلاق والانفصال بالمعروف: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

٤ ـ من حق الزوجة أن تتلقى المعاملة الحسنة في حالة الصلح كما هو في حالة الطلاق: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

٥ ـ الإبقاء على الزوجة مقدّم على الانفصال عنها، ففي البداية قال: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ ثم قال: ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾.

٦ ـ يجب أن تكون أصول الطلاق والزواج مقبولة في الشرع ومستساغة من العقل: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾.

٧ ـ لقد ضُيعت حقوق المرأة ولا زالت تضيع بسبب ضعفها الجسمي وبسبب القصور في العادات والتقاليد الاجتماعية والتاريخية. لذا يتوجه القرآن في أكثر خطاباته إلى الرجال ويأمرهم بمراعاة الحقوق: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ، فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

٨ ـ يجب أن يتم الطلاق بكل احترام بعيداً عن أي إهانة أو تحقير: ﴿فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

٩ ـ من شروط صحة الطلاق وجود شاهدين عادلين: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

١٠ ـ إحضار شاهدي عدل هو لحفظ حقوق الطرفين وفي هذا دليل على الدقة وإحكام الأمر: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

١١ ـ يجب أن يجري الطلاق في محضر أناس عادلين: ﴿ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، أي يكون رأسمالهم هو العدل.

١٢ ـ حتى الأفراد العادلون بحاجة إلى تذكير: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾.

١٣ ـ لا ينبغي أن يؤثر الحب والكره على حكمنا: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾. (جاء في الآية ١٣٥ من سورة النساء ما يشابه هذه الآية إذ قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾).

١٤ ـ شهادة شاهدي العدل يجب أن تكون مصاحبة للإخلاص وحفظ حقوق الناس: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (تحمل كلمة (أقيموا) معنى الحث على حفظ حقوق الناس، وكلمة (لله) معنى الإخلاص في العمل).

١٥ ـ إقامة حقوق الناس مساوية لإقامة الصلاة والدين. (وردت كلمة (أقيموا) في القرآن الكريم في الحديث عن الصلاة، الشهادة، الدين، والوزن): ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ﴾[١]، ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[٢]، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ﴾[٣]، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾[٤].

١٦ ـ الموعظة لا تعني إسداء النصائح الأخلاقية فحسب، بل إن الأوامر الفقهية نوع من الموعظة كذلك: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ... فَارِقُوهُنَّ... أَشْهِدُوا... ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ﴾.

١٧ ـ قبول النصيحة هو دليل على الإيمان الحقيقي: ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ﴾.

١٨ ـ بدل اتباع طرق مختلفة في السير والسلوك يجب العمل بالأحكام الإلهية فهو أفضل طريق للموعظة وصنع الإنسان: ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ﴾.

١٩ ـ حل الأمور عن طريق ارتكاب الذنوب هو انحراف عن الطريق الصحيح. التقوى وخشية الله توجب خروج الإنسان من المشكلات ومصاعب الحياة: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾.

٢٠ ـ التقوى هي السبيل للخلاص من كل الطرق المسدودة (التي من جملتها: المشاكل بين الزوج والزوجة): ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾.

٢١ ـ في إدارة الأزمات والفتن، ثمة طريقان للنجاة:

أ) التقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾.

ب) التمسك بالقرآن: **«إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن»**[٥].

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.
(٣) سورة الرحمن: الآية ٩.
(٤) سورة الطلاق: الآية ٢.
(٥) الكافي، ج٢، ص ٥٩٨.

٢٢ ـ الزوجان اللذان وصل بهما المطاف إلى الطلاق، إذا التزموا بالتقوى، يشملهم الله تعالى بلطفه: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٢٣ ـ الأفراد الذين يؤمّنون قوت يومهم من الحرام، يغلقون على أنفسهم باب الرزق الذي يرسله الله من غير حساب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ... وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٢٤ ـ إرادة الله تعالى لا تخضع لحسابات الإنسان: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٢٥ ـ رعاية الأمور المعنوية، تؤثر في الحياة المادّية. (تلعب الإمدادات الغيبية دوراً مؤثراً في حياة الإنسان): ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٢٦ ـ يضع الإنسان المتقي رغبته تحت تصرف الإرادة الإلهية، ولأن الإرادة الإلهية لا يقف أمامها عائق؛ لذلك فإن الإنسان المتقي لن يعيق شيء طريقه كذلك: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.

٢٧ ـ الرزق الوفير ليس مرتبطاً دائماً بكثرة العمل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ... وَيَرْزُقْهُ﴾ (إن كمية هذا الرزق وكيفيته ليسا مهمين)، روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: أي يبارك له في ما أعطاه[1].

٢٨ ـ التقوى والتوكل عاملان للخروج من الطريق المسدود: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ... وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٢٩ ـ التقوى ضرورية لتأمين حياة اليوم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ... وَيَرْزُقْهُ﴾ والتوكل ضروري للمستقبل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

٣٠ ـ التقوى مقدّمة على التوكل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ... وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٣١ ـ من دون لطف الله تعالى، لا ينفع ولا يكفي أي عامل آخر: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٣٢ ـ ثمة احتمال للفشل والقصور والوصول إلى طريق مسدود لرغبات كل الحكّام والأفراد وإراداتهم، إرادة الله هي الأمر الوحيد الذي لا فشل فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾.

٣٣ ـ نستند في تبرير توكّلنا على الله إلى قدرته سبحانه التي لا نهاية لها: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ... إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾.

٣٤ ـ قدرة الله وتوكلنا عليه لا تعني أن الإنسان سيصل إلى كل ما يريد؛ لأن كل أمور الكون تابعة لقانون وحساب وكتاب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾

إشارات:

- بعد أن بينت الآية السابقة أحكام الطلاق، تقول هذه الآية: النساء اللاتي لا يحضن لأسباب أعم من كهولة السن أو المرض يجب أن يصبرن ثلاثة أشهر كفترة للعدّة والنساء الحوامل يصبرن حتى يضعن حملهن، ومن بعدها يستطعن أن يتزوجن برجل آخر.

- ذكر القرآن الكريم تعابير عدّة عن الأشخاص المتقين: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا﴾[1]، ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[2]، ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[3]، ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[4]، وقد تحمل هذه التعابير الإشارة إلى المسير الطبيعي، إذ إن الإنسان المتقي يظهر نوره أولاً وفي ظل ذلك النور يستطيع أن يميّز بين الحق والباطل ويجد الفرقان، وعندما يعرف الحق من الباطل يجد الطريق للخروج من المشاكل، وفي ظل ذلك النور أيضاً، يخرج من الكثير من المشكلات بسهولة.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٨.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٩.
(٣) سورة الطلاق: الآية ٢.
(٤) سورة الطلاق: الآية ٤.

التعاليم:

١ ـ تختلف أحكام الله تعالى باختلاف ظروف الإنسان المختلفة. (يوجد حكم خاص للنساء الحوامل واليائسات): ﴿يَئِسْنَ... لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾.

٢ ـ الدين فطري عنده ثوابت فطرية وطبيعية وشاملة لكل شيء. توقيت الأحكام الإلهية وقياسها قائم على محور المسائل الطبيعية. من مثل: طلوع الشمس وغروبها، رؤية القمر، مقدار الشبر والذراع: ﴿ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾.

٣ ـ للأولاد حرمة وحقوق، والمرأة الحامل لا تستطيع أن تتزوج رجلاً آخر قبل أن تلد: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

٤ ـ التقوى الزائدة ضرورية للأمور الأسرية ولمراعاة حقوق الشريك وبالأخص في حالات الطلاق والانفصال. (من بداية هذه السورة حتى الآن ذكرت التقوى مرات عدة): ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾.

٥ ـ بعض المشاكل التي تظهر في الحياة سببها عدم التقوى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، (بالطبع فإن بعض مشاكل الأشخاص المتقين تكون لأجل الابتلاء والامتحان).

٦ ـ تحمّل المصاعب يسيرٌ على الأفراد المتقين؛ لأن التقوى تزيد من استعداد الإنسان: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ تعني من جهة أعماله).

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝٥﴾

التعاليم:

١ ـ لا ينبغي أن نتساهل أو نستخفّ بالأوامر الإلهية في المسائل الأسرية: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾.

٢ ـ التقوى سبب للنجاة من العقاب الإلهي: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾.

٣ ـ يستطيع المذنبون أن يكفّروا عن ماضيهم بالتقوى: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾.

٤ ـ لا تعتقدوا بحتمية سوء العاقبة للمذنبين، فقد يغفر الله لهم: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾.

٥ ـ التكفير عن الذنوب هو مقدمة لنيل الأجر: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

٦ ـ التقوى، تكفّر عن الماضي: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِۦ﴾، وتؤمّن المستقبل: ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

- «الائتمار» من «ائتمر» بمعنى قبول الأمر أو الاستشارة والتي في الواقع تعني التوافق والتفاهم على القيام بأمر ما.

- يمكن أن تكون حكمة الأمر في سكن الزوج والزوجة في بيت واحد في فترة العدّة، تسهيل الرجوع وتهيئة الأرضية للصلح. مضافاً إلى ذلك فإن إخراج المرأة من البيت أو تأمين سكن منفصل لها فيه ضرب من تحقير المرأة وإهانتها. وكذلك فإن الانفصال التدريجي يفتح المجال للعقل والعاطفة والتفكير أكثر من الانفصال دفعة واحدة ويمكّن من التفاهم.

- تشير هذه الآية إلى مسألة حقوق المرأة وحرمتها: كإرضاع الطفل، وأجرة الرضاعة، وتأمين المرضعة في حالة الطلاق.

- جاء في هذه الآية خمسة أوامر وكلها أوامر عاطفية وعقلية وتمثل أرضية للرجوع إلى الحياة المشتركة: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ، وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ، فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ، فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ، وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾.

التعاليم:

١ ـ تأمين مسكن المرأة حتى بعد طلاقها لفترة هو في عهدة الرجل: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾.

٢ ـ يجب أن تسكن المرأة المطلقة في المكان نفسه الذي يسكن فيه الرجل. (لا ينبغي أن يكون الطلاق سبباً في الانفصال في المسكن): ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾.

٣ ـ لا يحق للرجل أن يختار مكاناً غير مناسبٍ للسكن ويجبر المرأة على السكن فيه بهدف التوفير، أو التحقير، أو الانتقام: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾.

٤ ـ يجب الانتباه إلى سكينة المرأة وراحتها في اختيار المسكن وألا يكون المسكن مجرد مكان يُلتجأ إليه: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾. (التعبير عن المكان بالمسكن الذي هو من السكينة بدلاً من التعبير بالبيت هو من هذا المنطلق).

٥ ـ استطاعة الرجل هي الملاك في اختيار المسكن من حيث الكمّية والكيفية وليس الملاك هو طلب المرأة وتوقعاتها: ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾.

٦ ـ لا يحق للرجل أن يؤذي المرأة التي طلقها، بأي شكل من الأشكال: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾.

٧ ـ لا يحق للرجل أن يضيق على المرأة التي طلقها، بأي شكل من الأشكال: ﴿لِتُضَيِّقُوا﴾.

٨ ـ تأمين نفقة النساء الحوامل حتى بعد الطلاق واجب: ﴿فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

٩ ـ تستطيع المرأة المطلقة أن تطلب من الزوج أجراً مادياً في مقابل إرضاعها الطفل: ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

١٠ ـ لبن الأم أفضل من لبن المرضعة حتى لو أخذت أجراً مادياً مقابل الإرضاع: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. وكذلك فإنّ النساء المطلقات مخيّرات بين أن يرضعن أو يمتنعن: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾.

١١ ـ المشاورة بين المرأة والرجل قيّمة جداً، لدرجة أنّ الإسلام أوصى بها حتى في حالة الانفصال: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم﴾.

١٢ ـ الملاك في القبول أو الرفض في كل المسائل الأسرية هو العرف والعقل: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ، فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ... وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾.

١٣ ـ المشاورة ضرورية وإن كانت لا تعطي النتيجة المطلوبة دائماً وفي كل مكان: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾.

١٤ ـ إذا لم يتفق المرأة والرجل لا يجوز منع الطفل من حقوقه: ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾.

١٥ ـ لبن الأم للطفل له الأولوية، ويغضّ النظر عنه فقط في حال عدم مقدرة الرجل المادّية: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾.

١٦ ـ لا يحق للمرأة أن ترفع من أجر الرضاعة إلى درجة تعرّض فيها الرجل للعسر، عندها يحق للرجل أن يستأجر مرضعة: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾.

١٧ ـ يجب حفظ حقوق الرضيع والطفل عند اتخاذ القرارات العائلية:

أ) ما دام الطفل في الرحم فعلى الوالد نفقته.

ب) بعد الولادة على الأم أن ترضعه.

ج) يدفع الوالد أجر الإرضاع للوالدة.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

إشارات:

- تأمر هذه الآية كل شخص بأن ينفق على زوجته بقدر استطاعته، والنفقة شاملة لأيام العدّة، وأيام الرضاعة، وللنفقة في زمان آخر كذلك.

التعاليم:

١ ـ قدرة الرجل المادّية هي المعيار في تحديد ميزان النفقة، لا تضييق الرجل ولا طموحات المرأة ورغباتها: ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾.

٢ ـ لا تضيّقوا على أنفسكم اليوم خوفاً من المستقبل: (من يستطع فلينفق)، ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾.

٣ ـ لا تتخلوا عن مروءتكم حتى في حالة الطلاق: ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾.

٤ ـ النفقة على الزوجة ليست نابعة من الحب لها، بل هي واجبة للمرأة المطلقة أيضاً وذلك لفترة محددة: ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾.

٥ ـ يجب على المنفق أن يعلم بأن ماله وأملاكه من الله تعالى: ﴿مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾.

٦ ـ فلينفق كل شخص بالقدر الذي يستطيع عليه. إذا لم تستطع أن تصفّي ماء البحر من الملح، فيجب عليك أن تتحمل العطش: ﴿وَمَن قُدِرَ... فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾.

٧ ـ على الفقراء ألا ينسوا نعم الله عليهم حين يقارنون أنفسهم بالأغنياء: ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ... ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾.

٨ ـ التكليف على قدر الاستطاعة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾، الإسلام دين يتصف بالواقعية ولا يكلّف الإنسان فوق طاقته.

٩ ـ لا تستعجلوا لحصول الانفراج: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ﴾.

١٠ ـ لا تفقدوا الأمل بالمستقبل في الظروف الصعبة من مثل الطلاق والانفصال أو الفقر والحاجة: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾

إشارات:

- القرية هي محل اجتماع الناس للسكن، مدينة كانت أو قرية. (عتت) من (عتو) بمعنى العصيان، (وبال) بمعنى الشدّة والثقل، والمقصود العذاب العسير.
- وردت في الآيات السابقة أوامر حول حقوق الزوجة والطفل حتى في أيام الانفصال. تقول هذه الآية: لا تستخفوا بالأوامر واعملوا بها؛ لأن التخلّف عن أمر الله والرسول يترتب عليه عقاب شديد ويوجد كثير من الأمثلة التي يمكن مشاهدتها على مر التاريخ.

التعاليم:

١ ـ التاريخ والسابقون هم عبرة للاحقين: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ...﴾.

٢ ـ تقتضي سنّة الله إنزال العذاب الشديد على الأشخاص الذين عصوا أمر الله ورسوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ...﴾.

٣ ـ التخلّف عن أمر الأنبياء هو تخلف عن أمر الله: ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾.

٤ ـ مهما كان عذاب الدنيا شديداً فما هو إلا نفحة من العذاب. إن العذاب المهم هو في يوم القيامة: ﴿وَعَذَّبْنَاهَا... فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾.

٥ ـ إنّ عاقبة عصيان أمر الله ورسله هي الخسارة: ﴿عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.

٦ ـ لا يجب أن نفكر بالنجاحات العابرة، بل يجب أن نأخذ خواتم الأعمال بعين الاعتبار: ﴿عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾

التعاليم:

١ ـ حساب الله الشديد يترتب عليه عذاب شديد: ﴿حِسَابًا شَدِيدًا... عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

٢ ـ التقوى هي التي تحفظ الإنسان من الحساب والعذاب الشديدين: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

٣ ـ العقل والإيمان هما سبب للتقوى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

٤ ـ العقل والإيمان ليسا منفصلين عن بعضهما: ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

٥ ـ لتحفيز الناس على القيام بالتكاليف الإلهية، اذكروا كمالاتهم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

٦ ـ العقلاء المؤمنون هم الوحيدون الذين رحّبوا بالمبعوث الإلهي واستفادوا من تحذيراته: ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾.

٧ ـ الهدف من بعثة الأنبياء والكتب السماوية هو تنبيه الناس وتوعيتهم: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾.

٨ ـ العقل من الداخل والوحي من الخارج وسيلتان لنجاة البشر: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ... أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾.

﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ ترتبط الهداية بعناصر عدة:

أ) الهادي: ﴿رَّسُولًا﴾.

ب) المهتدي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

ج) وسيلة الهداية: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾.

د) الهدف من الهداية: ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

هـ) ثواب الاستجابة للهداية: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ...﴾.

□ استُعملت كلمة (ذكر) للقرآن الكريم: ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾[1] وكذلك للنبي: ﴿ذِكْرًا رَّسُولًا يَتْلُواْ﴾.

□ قالت عائشة زوج رسول الله ﷺ في وصفها للنبي ﷺ: **«كان خلقه القرآن»**[2].

التعاليم:

١ ـ يستطيع الإنسان أن يصل إلى مرحلة يكون فيها كل وجوده ممتلئاً بذكر الله تعالى: ﴿ذِكْرًا رَّسُولًا﴾.

٢ ـ الدين وحده لا يكفي، فلا بد من وجود قائد: ﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ﴾.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٣٤٠.

٣ ـ أفضل طريقة لنجاة الناس وخروجهم من الظلمات إلى النور هي الإخبار عن الآيات الإلهية وتبيينها: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ... لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.

٤ ـ يجب أن تكون الدعوة واضحة وشفّافة: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾. (وردت كلمة مبين أكثر من مئة مرّة في القرآن الكريم من مثل: ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾[2]، ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[3].

٥ ـ طرق الباطل والشرك والكفر مختلفة ومتعددة، ولكن طريق الحق واحد لا أكثر: ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ... ٱلنُّورِ﴾. (كلمة (ظلمات) جمع ولكن (نور) مفرد).

٦ ـ هدف الأنبياء هو نجاة البشرية: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا...لِّيُخْرِجَ...﴾.

٧ ـ إخراج الناس من الظلمات هو في الحقيقة عمل الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[4]، ولكن هذا العمل يتحقق عن طريق الأنبياء: ﴿رَّسُولًا... لِّيُخْرِجَ﴾.

٨ ـ مع أن هدف الأنبياء هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[5]؛ ولكن هذا الهدف يتحقق فقط مع المؤمنين: ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا... مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

٩ ـ قد يبقى الإنسان حتّى بعد أن يؤمن مُحاطاً بظلماتٍ ينبغي عليه أن يزيلها من حوله: ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا... مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

١٠ ـ الإيمان والعمل مترافقان دائماً: ﴿يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾.

١١ ـ يجب أن يكون التشويق والتهديد متعادلين: ﴿عَذَابًا نُّكْرًا... أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٢.
(٢) سورة الحجر: الآية ١.
(٣) سورة النساء: الآية ٩١.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.
(٥) سورة إبراهيم: الآية ١.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

- ثمة احتمالات عدّة للمقصود من الأراضي السبع[١]:
  - أ) سبعة كواكب سماوية تكون شبيهة بالأرض من حيث التركيب.
  - ب) الطبقات السبع للأرض المصفوفة فوق بعضها كطبقات البصل.
  - ج) الأقاليم السبعة للأرض، إذ قسّم علماء الجغرافيا القدماء الأرض إلى سبعة أقاليم.
- بيّنت هذه الآية أن خلق السموات والأرض وتدبير الأمور كان لأجل أن يعلم الإنسان بالعلم والقدرة الإلهية والمعرفة والرشد التوحيدي: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾.
- بيّنت الآية السابعة من سورة هود كذلك أن الهدف من خلق السموات والأرض هو ابتلاء الإنسان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.
- وذكرت الآية ١١٩ من السورة نفسها أنّ الرحمة الإلهية هي الأساس في خلق الإنسان: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.
- واعتبرت الآية ٥٦ من سورة الذاريات أن عبادة الله هي الهدف من خلق الإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.
- النتيجة التي يمكن استخلاصها من مجموع هذه الآيات هي أن الهدف من خلق الوجود والإنسان، العلم والعمل والعبادة والرحمة الإلهية.

التعاليم:

١ ـ كونوا مطمئنين إلى أنّ الله سيفي بوعوده؛ لأنه يملك قدرة استطاع بها أن يخلق السموات والأرض: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ، أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا، ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

٢ ـ ثمة نوع من التوازن في الوجود: ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾.

٣ ـ خلق الوجود بيد الله وكذلك تدبير أموره: ﴿خَلَقَ... يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ﴾.

٤ ـ يكون الأمر الإلهي تشريعياً أحياناً: ﴿عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا﴾[1]، وأحياناً تكوينياً: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾.

٥ ـ إن الوجود مكان للتعلم: ﴿خَلَقَ... لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾.

٦ ـ الكمال والرشد البشري هو محور كل الموجودات: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾.

٧ ـ علم الإنسان بطريقة تدبير نظام الخلق، أمر مهم في الإسلام: ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ... يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ... لِتَعۡلَمُوٓاْ...﴾.

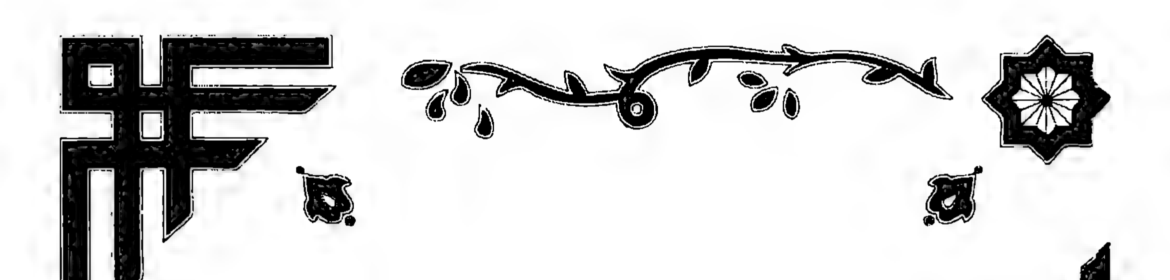
٨ ـ الذي خلق وأوجد، يملك القدرة على الإحاطة الكاملة بكل شيء: ﴿خَلَقَ... أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾.

٩ ـ علم الله بكل الأمور، علم كامل ودقيق ولا يشوبه أي نقص: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٨.



سُورَةُ التَّحْرِيمِ

السورة: ٦٦ الجزء: ٢٨

عدد الآيات: ١٢



ملامح سورة التحريم

نزلت هذه السورة في المدينة، وتحتوي على اثنتي عشرة آية. أُخذ اسم هذه السورة من الآية الأولى التي ذمّت تحريم ما أحله الله للإنسان، حتى وإن كان هذا التحريم، وهو حرمان النفس من الملذات الحلال، له أسباب مختلفة فردية واجتماعية.

تحدثت الآيات الأولى عن التصرف غير اللائق الذي قامت به بعض زوجات الرسول معه، والآيات التالية لها تخاطب المؤمنين وتأمرهم بحفظ أهلهم وتربيتهم حتى يقوهم نار جهنم، وبعد ذلك تتعرض الآيات لأمثلة سيئة وأخرى إيجابية من النساء وتقدّم امرأتين كمثال على كل فئة. زوجتا نوح ولوط عليهما السلام مثال للفئة السيئة وامرأة فرعون والسيدة مريم مثال للفئة الإيجابية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢)﴾

إشارات:

- ذكرت أسباب عدة في سبب نزول هذه الآية، والقدر المسلّم هو أنّ الرسول كانت له زوجات عدّة وكانت تصرفاتهم النابعة عن الحسد والغيرة تضيّق عليه أحياناً فيضطر إلى التنازل عن بعض حقوقه المشروعة لإرضائهم. مع أن هذه التحريمات كانت أمراً شخصياً إلا أن الرسول باعتباره أسوة للمجتمع فقد كان من المحتمل أن يعتبر بعضهم هذا الأمر حكماً شرعياً فيتبعونه، لهذا حذر الله رسوله لكي يفهم الناس أن تصرفات النبي هذه شخصية ولا يجب أن يتخذها الآخرون ملاكاً لأعمالهم.

- لحن التأنيب لرسول الله الذي تتسم به بعض آيات القرآن هو أحد الدلائل على أن القرآن نزل من قبل الله تعالى، فلا أحد يؤنّب نفسه في كتاب رسمي يكتبه بيده وهذه المعاتبات دليل على أنّ الوحي الإلهي لم يحرّف. مثال آخر على ذلك الآية ٤٣ من سورة التوبة التي تحدثت عن الإذن الذي أعطاه النبي لبعض طالبي الراحة بترك القتال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

- لا يجب أن ننسى الأهم والمهم، إن القَسَم مهم ولكن حفظ أحكام الدين أهم، لذا من يقسم بتحريم حلال على نفسه، عليه أن يحلّ قسمه بدفع الكفّارة، وقد حددت الآية ٨٩ من سورة المائدة مقدار هذه الكفارة: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.

- تحريم النبي كان تحريماً شخصياً عن طريق القسم، وهذه الآية بيّنت طريقة تحلّة هذا اليمين.

التعاليم:

١ ـ الأنبياء خاضعون للتربية الإلهية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾.

٢ ـ حتى النبي لا يملك الحق في أن يحرّم على نفسه ما أحله الله من دون دليل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾.

٣ ـ رضا الله مقدّم على رضا الآخرين: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ... تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾.

٤ ـ إذا كانت رغبة المرأة تتعدّى الأحكام الإلهية والحقوق الزوجية، فلا يجب تنفيذها: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ... تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾: (لا يجب إرضاء الزوجة بأي قيمة كانت).

٥ ـ من الأمور التي يُبتلى بها الإنسان حبّه لكسب رضا الآخرين بأي قيمة كانت: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾.

٦ ـ يجب أن يكون تأنيب الأشخاص العظام مصاحباً للمغفرة والرحمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ... وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٧ ـ يغفر الله تعالى ما مضى: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ويفتح الطريق للمستقبل: ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾.

٨ ـ يجب أن يصاحب العتاب والانتقاد، طريقة للحل: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ... تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾.

٩ ـ لا يوجد في الإسلام طريق مسدود. (لا شيء يسد الطريق أمام الإنسان حتى القسم): ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾.

١٠ ـ نحن عباد، ويجب أن نطيع مولانا، ونعد الحلال حلالاً، حتى لو أدّى ذلك إلى الإخلال بالقسم: ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾.

١١ ـ يحل الله المشكلات والعقد وإنّ أوامره تعالى عليمة وحكيمة: ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ... وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾

التعاليم:

١ ـ يجب على المرأة أن تكون حافظة للسر حتى يستطيع زوجها أن يخبرها بأسراره: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾.

٢ ـ ليس من الضروري توضيح بعض الأمور لجميع أفراد العائلة: ﴿إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾.

٣ ـ احفظوا ماء وجه المخطئين ولا تذكروا أسماءهم: ﴿بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ... نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾.

٤ ـ لم تكن زوجات الرسول معصومات؛ لأن بعضهن لم يحافظن على سر الرسول: ﴿أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ... نَبَّأَتْ﴾.

٥ ـ حتى نبي الإسلام كان يواجه مشاكل عائلية: ﴿أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ... نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾.

٦ ـ يشمل الله تعالى نبيّه بعناية خاصة ويكشف عن الأشخاص غير المخلصين له: ﴿نَبَّأَتْ بِهِۦ... وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾.

٧ ـ على قائد المجتمع ألا يغفل عن مشاكله العائلية والداخلية: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

٨ ـ يُعلم الله تعالى نبيه عن طريق الغيب: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

٩ ـ عرّفوا الشخص المخطىء نفسه بخطئه ولا تعرفوا الآخرين: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾.

١٠ ـ يلزم التجاهل وسعة الصدر في الإدارة أحياناً: ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾.

١١ ـ لا تواجهوا المخطئين بكل أخطائهم: ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾.

١٢ ـ من يفشي أسرار الآخرين، فليحتمل بأن أسراره ستفشى كذلك: ﴿نَبَّأَتْ بِهِۦ...﴾.

١٣ ـ منبع علم الأنبياء هو العلم الإلهي: ﴿نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

١٤ ـ مصدر الخبر والمخبر يجب أن يكون عالماً وخبيراً: ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾؛ (الخبر الذي يمكن تصديقه والاستناد إليه هو الخبر المبني على العلم والمعرفة).

١٥ ـ إفشاء الله تعالى دليل على حضوره ورقابته، والإيمان بحضور الله العليم الخبير سببٌ في ردع الإنسان عن ارتكاب الذنوب والتآمر: ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤﴾

إشارات:

- ﴿صَغَتۡ﴾ من الصغو بمعنى الميل إلى الانحراف، ويقال «إصغاء» للاستماع الذي يميل فيه المستمع إلى جهة المتكلم.
- اتفق مفسرو السُّنة والشيعة على أن الامرأتين المشار إليهما في الآية: ﴿تَتُوبَآ... فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ هما حفصة وعائشة، إذ أفشت الأولى سرّ النبي واستمعت إليه الثانية.
- نقل ٥٢ حديثاً عن الشيعة والسُّنة ذكر فيها أن المقصود من: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، على أساس هذه الروايات فإن مقام الإمام علي عليه السلام هو إلى جانب جبرائيل بل إنه معه وبين سائر الملائكة وقد بشّره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بهذا المقام[1].

التعاليم:

١ ـ لا تلقوا بالتهمة على الجميع إثر خطأ واحد: ﴿تَتُوبَآ﴾ (وجبت التوبة على شخصين فقط لا على الجميع).

٢ ـ افتحوا باب العودة والتوبة أمام الأفراد النادمين: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ بالطبع فإن كل ذنب يستلزم توبة.

---

(١) تفسير كنز الدقائق.

٣ ـ لا يجوز الاستماع إلى السر أيضاً، يوجّه الله الخطاب إلى المتكلم والمستمع ويقول لهما توبا: ﴿تَتُوبَآ﴾.

٤ ـ إن الله تعالى هو مولى الجميع ومولى النبي كذلك. يقول في الآية الثانية: ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ ويقول في هذه الآية عن النبي: ﴿هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾.

٥ ـ أبرزوا اسم العظماء. مع أنّ جبرائيل من الملائكة إلا أنّ اسمه ذكر على حدة: ﴿وَجِبۡرِيلُ... وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

٦ ـ قد تكون بعض الأحداث البسيطة أحياناً مقدمة لحوادث أعظم. إن إفشاء السر كان حادثاً جزئياً ولكن الله تعالى اعتبره مؤامرة: ﴿تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾.

٧ ـ الزواج والعيش المشترك لا يشير بالضرورة إلى وحدة التفكير والشعور: ﴿أَزۡوَٰجِهِۦ... تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾.

٨ ـ لا تتحقق التوبة الحقيقية بإظهار الندم بالقول فقط، بل برجوع القلب عن الذنب: ﴿تَتُوبَآ... صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾.

٩ ـ انحراف الروح والقلب، أخطر من الانحراف في العمل. ينحرف فكر الإنسان وقلبه أولاً وبعد ذلك يرتكب الذنب: ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾.

١٠ ـ من يفشي سراً من دون سبب، إن لم يتب، فهو مفسد متآمر: ﴿إِن تَتُوبَآ... تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾.

١١ ـ على كل القوى أن تستعد في مواجهة المؤامرات على النبي والدين: ﴿تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ... وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ... ظَهِيرٌ﴾.

١٢ ـ لا يبقى الحق وحيداً أبداً: ﴿هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ و...﴾.

١٣ ـ صلاح الإنسان، يجعله في مصاف الملائكة المقربين من الله: ﴿وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾.

١٤ ـ يساند الملائكة النبي في مقابل المؤامرات: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

١٥ ـ الإمدادات الإلهية شاملة لكل الجوانب الظاهرة والغيبية: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾

إشارات:

- القنوت هو الطاعة المصاحبة للخضوع. «سائحات» من السياحة بمعنى المهاجرات الصائمات.
- كان للنبي زوجات متعددات ومع أن بعضهن قد تسبب في أذيته إلا أنه ﷺ لم يطلق أيّاً منهن. لذا طرحت هذه الآية موضوع الطلاق حتى تبيّن بأن الرسول ليس محكوماً بالعلاقة بأي أحد ولا بأي شيء وحتى لا يظن أقرباء النبي أن النبي محتاج إليهم أو أنهم أشخاص لا يُستغنى عنهم، بل يوجد كثير ممن هم أفضل منهم ويتمنون أن يكنّ زوجات للرسول.
- تبيّن هذه الآية نوعاً ما إعجاز القرآن وفصاحته وبلاغته، وذلك لأنّ صفات من مثل الإيمان، التواضع، التوبة، العبادة، والصيام يمكن لها أن تجتمع في شخص واحد لذا وردت هذه الصفات في الآية متتالية من دون استخدام حرف عطف، ولكن الثيب والباكرة لا تجتمعان في شخص واحد، لذا جاء حرف الواو بين الصفتين[١].
- يفترض في زوجة الرسول أن تكون مناسبة للرسول وشبيهة به. لم يشر القرآن في حديثه عن الخصائص إلى الشكل، والقبيلة، والثروة، والشهرة ولكنه أشار إلى الإيمان والعبادة؛ لأن الكمالات المعنوية هي ما يناسب القائد الإلهي.
- ذكر الزواج من الثيب إلى جانب الزواج من البكر وذلك حتى لا تنسب إلى الرسول ﷺ صفة الشبق الجنسي.

---

(١) تفسير الكشاف.

التعاليم:

١ ـ يحتاج الإنسان إلى زوج، لذا إن طلّق يستطيع أن يختار زوجاً آخر: ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ... يُبْدِلَهُۥٓ﴾.

٢ ـ مواجهة الزوج وعدم إظهار الندم وعدم الاعتذار منه، قد يقود المرأة إلى الطلاق: ﴿تَظَٰهَرَا... طَلَّقَكُنَّ﴾.

٣ ـ من أقوى الأدوات في مواجهة مؤامرات النساء هو التهديد بالطلاق: ﴿تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ... طَلَّقَكُنَّ﴾.

٤ ـ لم تكن كل نساء النبي أفضل نساء زمانها: ﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾.

٥ ـ عليكم بكسر الغرور الكاذب للأشخاص ومواجهة الظنون الباطلة: ﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾.

٦ ـ قيمة المرأة الواقعية في كمالاتها: ﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ...﴾.

٧ ـ العقيدة مقدّمة على العمل. الإسلام والإيمان أولاً، ثم العبادة والصيام: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ... عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾.

٨ ـ إيمان المرأة وعبادتها أهم من كونها بكراً أو ثيباً: ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ... ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

- الوقود هو المادّة المسببة للاشتعال، مثل النفط والفحم. ورد في الروايات أنّ حطب جهنم من الفحم والكبريت[1].
- ورد في الروايات أن شاباً خرّ مغشياً عليه حين سمع بهذه الآية فوعده النبي ﷺ بالجنة وقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾[2].

---

(١) البحار، ج١٧، ص ٣٦٤. (٢) سورة إبراهيم: الآية ١٤.

❑ ورد في الروايات أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السبيل لحفظ الأقرباء من نار جهنم: **«إن أطاعوك كنت قد وقيتهم وإن عصوك قد قضيت ما عليك»**[١].

❑ نقرأ في الروايات: **«رحم الله رجلاً قال يا أهلاه! صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم»**[٢].

❑ قد يكون المقصود من: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ هو الإشارة إلى تجسّم أعمال الإنسان في يوم القيامة، إذ تصبح صفاته وأعماله السيئة في الدنيا ناراً في الآخرة.

الواجب تجاه الأسرة:

أشارت آيات عدّة من القرآن الكريم إلى واجبات الإنسان في تجاه أسرته، منها:

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[٣]، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[٤]، ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[٥]، ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[٦]، ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٧]، ﴿إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[٨]، ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾[٩]، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[١٠].

وقد اهتمّت الروايات كثيراً بهذا الموضوع كذلك، وسنذكر أمثلة عليها:

روي عن الإمام علي عليه السلام: **«علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم»**[١١].

وروي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: **«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته... الرجل راعٍ على أهل بيته.. فالمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده»**[١٢].

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) تفسير المراغي.
(٣) سورة التحريم: الآية ٦.
(٤) سورة طه: الآية ١٣٢.
(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.
(٦) سورة لقمان: الآية ١٧.
(٧) سورة الأحزاب: الآية ٥٩.
(٨) سورة الزمر: الآية ١٥.
(٩) سورة الطور: الآية ٢٦.
(١٠) سورة مريم: الآية ٥٥.
(١١) تفسير المراغي.
(١٢) مجموعة ورّام، ج ١، ص ٦.

وعن رسول الإسلام ﷺ: **«مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين واضربوهم على تركها إذا بلغوا تسعاً وفرقوا بينهم في المضاجع إذا بلغوا عشراً»**[(١)].

□ ذكر القرآن الكريم في سورة المدثر أنّ عدد ملائكة جهنم تسعة عشر: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[(٢)]، ولعل وصف: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ الذي ورد في هذه الآية، يشير إلى حالة هؤلاء الملائكة.

□ يمكن أن يكون المقصود من: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ هو أمر الله للملائكة بإحضار المجرمين ورميهم في النار، إذ نقرأ في مكان آخر: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾[(٣)]، أو: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾[(٤)].

□ حتى بين الملائكة توجد سلسلة مراتب: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[(٥)]، ويمكن أن يكون المقصود من: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ هو الأوامر التي تصدرها الملائكة ذات المرتبة الأعلى إلى الملائكة الأدنى منها، وهم بدورهم يطيعونهم من دون تأخير أو تردّد.

□ احموا أنفسكم: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ واطلبوا من الله أن يحميكم: ﴿رَبَّنَا... وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[(٦)].

التعاليم:

١ ـ لا يكفي الاتصاف بالإيمان، بل يجب المحافظة عليه من الضرر والأخطار؛ إذاً يجب الحذر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

٢ ـ الخطوة الأولى في الإصلاح هي إصلاح النفس والمقربين من ثم إصلاح المجتمع. دعت هذه الآية إلى إصلاح النفس والمقربين ثم ورد في الآية

(١) البحار، ج ٨٥، ص ١٣٤.
(٢) سورة المدثر: الآية ٣٠.
(٣) سورة الحاقة: الآيتان ٣٠ ـ ٣١.
(٤) سورة الدخان: الآيتان ٤٧ ـ ٤٨.
(٥) سورة الصافات: الآية ١٦٤.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

التاسعة إصلاح المجتمع عن طريق مجاهدة الكفار والمنافقين: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾.

٣ ـ الإيمان بالنار والمعاد له دور مهم في تحصيل التقوى، وإصلاح النفس، وإصلاح الآخرين: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾.

٤ ـ تقع على عاتق ربّ الأسرة مسؤولية التربية الدينية للأبناء: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾.

٥ ـ النفس الإنسانية متمردة وتحتاج إلى الحفاظ عليها: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾.

٦ ـ من له الأولوية بحفظ الإنسان هو الإنسان نفسه: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾.

٧ ـ لا نستطيع أن نحرر الناس إذا لم نحرر أنفسنا أولاً. بناء النفس هو شرط لبناء الأسرة والمجتمع: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾.

٨ ـ جزاء من يترك الأسرة والأقرباء هو أن يصبح حطباً لنار جهنم: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾.

٩ ـ من كان قلبه في هذه الدنيا متحجراً: ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾[1] يوضع في يوم القيامة مع الحجارة: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾.

١٠ ـ في الإدارة، يجب أن يكون كل شخص متناسباً مع عمله. إذا لم يكن المسؤول عن جهنم غليظاً وشديداً، إمّا أنه سيتأذى أو أنه لن يستطيع العمل بشكل صحيح: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾.

١١ ـ صحيح أنّ الإنسان العاصي سيدخل إلى جهنم، إلا أنّ ملائكة جهنم لن يعصوا الله في تعذيبه: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾.

١٢ ـ الملائكة لا يعصون ما أُمِروا به في الماضي: ﴿مَآ أَمَرَهُمۡ﴾، ولن يعصوا الأوامر التي ستعطى لهم: ﴿مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧٤.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧﴾

إشارات:

- هذه الآية هي الآية الوحيدة في القرآن التي بدأت بجملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وخاطبت الكافرين وهي تتحدّث عن يوم القيامة.
- ثمة مواقف متعددة في يوم القيامة: في أحد مواقف يوم القيامة لا يسمح بالاعتذار: ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾[١]، وفي مواقف أخرى، يعتذرون ولكن لا يقبل عذرهم: ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾[٢]، وفي موقف لا يسمح لهم حتى بالكلام[٣].

امثلة من الأعذار التي تقدّم يوم القيامة:

ـ أحياناً قد يحلفون كذباً: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾[٤]، نعم ويقولون ذلك إمّا لأن الكذب قد أصبح جزءاً من ذاتهم، أو لأنهم يعتقدون أنهم بكذبهم سينالون النجاة في ذلك اليوم. ولكن في كل الأحوال، كلامهم هذا يحمل نوعاً من الندم والاعتذار.

ـ أحياناً يلقون اللوم على الآخرين: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾[٥].

ـ أحياناً يعتذرون بأنهم قد أطاعوا كبراءهم والسابقين لهم: ﴿إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾[٦].

ـ أحياناً يعتذرون بعدم انتباههم وعدم تفكرهم: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ...﴾[٧]، أحياناً يعطون وعوداً بالندم وبجبران ماضيهم: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾[٨].

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٦.
(٢) سورة الروم: الآية ٥٧.
(٣) سورة يس: الآية ٦٥.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٢٣.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٨.
(٦) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.
(٧) سورة الملك: الآية ١٠.
(٨) سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩ و١٠٠.

التعاليم:

١ ـ لا يُغفر الكفر يوم القيامة وتوبة الكافر لا تنفعه في ذلك اليوم. أجل، العناد والتعصّب في مقابل المنطق والموعظة والمعجزة، لا يبقي مجالاً لأي عذر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾.

٢ ـ يجزى الإنسان يوم القيامة بأعماله لا غير: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾

إشارات:

- «نصوح» من النصح بمعنى الخلوص والصدق وأحياناً تكون بمعنى المُحكم. ذكر في التفاسير موارد عدّة للتوبة النصوح من قبيل: الندم، الاستغفار، ترك الذنب، والتصميم على تركه في المستقبل، الخوف من عدم القبول، استحضار الذنب والندم عليه، البكاء، قلة الكلام، قلة المأكل، وقلة النوم، إعطاء الناس حقوقهم و... من الأفضل أن نراجع الروايات.

- إذا اغتررنا بأنفسنا واعتقدنا بحتميّة قبول توبتنا، نكون قد مهدنا الطريق لارتكاب ذلك الذنب مرة أخرى، لذلك يجب ضمن تحلّينا بالأمل أن لا نثق بقبول توبتنا. كما يقول في هذه الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾، ويقول في الآية ٣١ من سورة النور: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، كلمة (لعلّ) تشير إلى الأمل.

- تحدثت الآيات السابقة عن النار وهذه الآيات تتحدث عن النور. في الآيات السابقة جاء ذكر الوقاية: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، أمّا هذه الآيات فإنها تذكر العلاج، يعني إذا لم تقدروا على حفظ أنفسكم ووقعتم في الذنب، فإنّ طريق التوبة مفتوح ولا يجب أن يتبدّل أملكم إلى يأس: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ...﴾.

☐ الرسول والمؤمنون أعزاء في الدنيا والآخرة:

في الدنيا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وفي الآخرة: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾؛ (وإنما يكون الخزي والخذلان للكافرين).

☐ أصحاب النبي يوم القيامة: ﴿ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾، هم الأشخاص الذين جاهدوا بأنفسهم ومالهم في الدنيا، وكانوا أشدّاء على الكفار، رحماء بالمؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾[2]، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[3].

☐ ثمة دائماً دور للدعاء والطلب من الله، في الدنيا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وكذلك في يوم القيامة: ﴿أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

☐ طلب المغفرة يكون في الدنيا: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[4]، وفي الآخرة أيضاً: ﴿رَبَّنَا... وَٱغْفِرْ لَنَا﴾.

التعاليم:

١ ـ أمرنا الله في الآيات السابقة بأن نحمي أنفسنا من نار جهنم: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ...﴾، وفي هذه الآية اعتبر أن إحدى طرق الحماية هي التوبة النصوح: ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ قد يصدر عن المؤمن ذنبٌ أحياناً، عندها يجب عليه التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟...﴾.

٣ ـ تكون التوبة باللجوء إلى الله، لا بالاعتراف بالذنب عند العباد: ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ إنّ التوبة عن الذنب هي إحدى تكاليف المؤمن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟...﴾.

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٨.
(٢) سورة التوبة: الآية ٨٨.
(٣) سورة الفتح: الآية ٢٩.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٣.

٥ ـ يجب أن تكون التوبة صادقة وخالصة، وألّا تكون مجرد لقلقة لسان: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾.

٦ ـ ليس للتوبة زمان أو مكان خاصان: ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾.

٧ ـ يجب تأميل الناس بالرحمة الإلهية لتحفيزهم على التوبة: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾.

٨ ـ قبول التوبة هو من الشؤون الإلهية: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾.

٩ ـ ليس ثمة مكان للفسق والخبث في الجنة، التطهير أولاً ثم دخول الجنة: ﴿يُكَفِّرَ... وَيُدْخِلَكُمْ﴾.

١٠ ـ نتيجة التوبة هي أمران: التكفير عمّا مضى: ﴿يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾، وضمان المستقبل: ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ﴾.

١١ ـ الإيمان بالنبي ليس كافياً، بل يجب اتباع النبي وملازمته: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾.

١٢ ـ العمل الصالح في الدنيا يظهر يوم القيامة على هيئة نور: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

١٣ ـ الأشخاص الذين يتبعون النور في الدنيا: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾[1] يأتون يوم القيامة ممتلئين نوراً: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾.

١٤ ـ حتى في يوم القيامة يوجد تكامل. يسعى المؤمنون في ذلك اليوم إلى إكمال نورهم: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

١٥ ـ يدأب المؤمنون الحقيقيون على تقليل السيئات ومحوها: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾، وعلى إثراء الحسنات وإنمائها: ﴿أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

١٦ ـ إن الأمل في استجابة الدعاء: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾، ناشىء عن قدرة الله المطلقة: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾

إشارات:

□ الأمر بجهاد الكفار والمنافقين هو من الله تعالى، أمّا شكله وطريقة تنفيذه فهو من صلاحيات الرسول وخلفائه بالحق. لهذا، لم يشكل الرسول جيشاً لمحاربة المنافقين، ولكن في زمان الإمام علي عليه السلام كان للمنافقين جيشٌ لذا حاربهم الإمام عليه السلام.

التعاليم:

١ ـ الجهاد والحرب يجب أن يخضعا لرقابة القائد الإلهي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾.

٢ ـ الإيمان القلبي هو حقيقة الإيمان، لذا ورد ذكر المتظاهرين الكاذبين وهم المنافقون إلى جانب الكفار: ﴿ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

٣ ـ الإسلام دين جامع فيه الرأفة والرحمة من جهة، وفيه الغلظة والشدّة من جهة أخرى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾.

٤ ـ يصل الإنسان بكفره ونفاقه إلى مرحلة يصبح فيها لزاماً على نبي الرحمة أن يتصدّى له بقسوة ويغلظ عليه: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾.

٥ ـ مقتل الكفار والمنافقين على يد المؤمنين، لا يخفف شيئاً من عذابهم يوم القيامة: ﴿جَٰهِدِ... وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾

إشارات:

□ أشارت هذه الآية إلى امرأتين على أنهما مثال واضح للكفر، كانتا زوجتين

لنبيين وتعيشان في بيت النبوة، لكنهما كانتا مناصرتين ومتعاونتين مع المخالفين للأنبياء. والآيات اللاحقة تشير إلى امرأتين أخريين على أنهما مثالٌ سامٍ للإيمان، هما امرأة فرعون المشرك الظالم والأخرى هي السيدة مريم.

- جاء في أول السورة الحديث عن خطإ زوجتين من زوجات الرسول: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، وقال تعالى: إن تآمرتما عليه فإن الله هو حاميه والملائكة والمؤمنون وفي آخر السورة جاء ذكر زوجتي النبي نوح والنبي لوط الكافرتين وقد أدخلتا النار لخيانتهما لزوجيهما، وهذان النبيّان مع أنهما يتمتعان بمقام النبوة إلا أنهما لا يدفعان شيئاً من عذاب الله عن نسائهم.
- كون المرأة زوجة للرسول أو كون الفرد من أبناء الرسول ليس سبباً للنجاة. بل تكتب السعادة أو الشقاوة للإنسان بناء على عمله. مضافاً إلى هذه الآية فقد وصف القرآن في موارد عدّة أخرى هلاك امرأة لوط: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[(١)].
- التنبيه غير المباشر هو من أفضل طرق التربية، مع أنّ أبا لهب وابن النبي نوح كانا مثالين للكفر، إلا أنّ الله تعالى ضرب مثلاً زوجات اثنين من الأنبياء وذكر كلمة الخيانة، حتى تتناسب مع حادثة إفشاء زوجات النبي ﷺ لسره، وليكون تحذيراً لزوجات النبي مفاده أن لا تظنوا أن صلتكم بالنبي ستكون سبباً لنجاتكم.
- حفظ الأسرة من نار جهنم الذي ذكر في الآية السادسة: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ لا يعني بالضرورة نجاح الإنسان في هذه المهمّة، فقد لا تستجيب العائلة للشخص أحياناً: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.
- نقرأ في الأحاديث أن خيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام لم تكن بمعنى الخيانة الجنسية[(٢)]، بل كان المقصود من الخيانة مخالفة أهداف الأنبياء وبرامجهم ومناصرة المخالفين لهم.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٣؛ سورة الحجر: الآية ٦٠؛ سورة الشعراء: الآية ١٧١؛ سورة النمل: الآية ٥٧؛ سورة العنكبوت: الآيتان ٣٢ و٣٣؛ سورة الصافّات: الآية ١٣٥.

(٢) بحار الأنوار، ج١١، ص ٣٠٧.

التعاليم:

١ ـ تستطيع المرأة أن تكون مثالاً للصلاح أو الفساد على مرّ التاريخ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا... ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾.

٢ ـ يمكن تعلّم الأدب من غير المؤدبين: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا... ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾.

٣ ـ المرأة حرّة في عقيدتها وعملها، وهي ليست خاضعة للعلاقات الاجتماعية والعائلية والاقتصادية: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا... فَخَانَتَاهُمَا﴾.

٤ ـ الصلاح والعبوديّة كانا سرّ الوصول إلى مقام النبوة: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾.

٥ ـ ينفذ الكفر والنفاق حتى إلى بيوت الأنبياء: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.

٦ ـ يكون للعبادة وللعبودية قيمة إذا ما كانت مصاحبة للعمل الصالح: ﴿عَبْدَيْنِ... صَٰلِحَيْنِ﴾.

٧ ـ الإدارة والرقابة هي من مسؤوليات الرجل في النظام العائلي الديني: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾.

٨ ـ لا يضر فساد الأقارب عدالة القادة الإلهيين وعصمتهم: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا... فَخَانَتَاهُمَا﴾.

٩ ـ خيانة الدين توصل الإنسان إلى مرحلة لا ينفع معها حتى شفاعة الأنبياء: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

١٠ ـ لا يمكن لأي أمر أن يمنع العذاب الإلهي: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا...﴾.

١١ ـ الخيانة طريق جهنم: ﴿فَخَانَتَاهُمَا... ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ أعطت الآيات السابقة مثالين للنساء السيئات (زوجة نوح وزوجة لوط)،

والآيات ١١ و١٢ تعطيان مثالين عن نساء صالحات. (زوجة فرعون والسيدة مريم).

- عندما رأت آسية (زوجة فرعون) معجزة موسى آمنت به، وعقاباً على إيمانها قام فرعون بدق يديها وقدميها بالمسامير إلى الأرض وأبقاها تحت الشمس الحارقة. كان دعاء آسية في آخر أيام حياتها ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾[1].

- ليس بالضرورة أن تكون القدوة نبياً أو إماماً معصوماً، وليس بالضرورة أن تكون القدوة سبّاقة في التوحيد. امرأة فرعون لم تكن معصومة ولم تكن موحّدة أول أمرها؛ ولكنها آمنت حين رأت معجزة موسى.

- ليس ثمة فرق بين المرأة والرجل عند التعريف عن القدوة وتجليل الشخصيات. أمر القرآن النبي الأكرم بأن يبقي ذكرى إبراهيم حيّة: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾[2]، وذكرى مريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾[3]، كما ذكرت هذه الآية امرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾.

مواصفات زوجة فرعون:

١ ـ لم تتأثر بمحيطها ولم يصنع المجتمع شخصيتها. لقد قابلت النظام الفاسد بالمنطق.

٢ ـ لم تتأثر بالمال والثروة، أدارت ظهرها لكل مظاهر الدنيا وتخلّت عن القصر والرفاه والماديّات.

٣ ـ هدمت جدار الصمت والخوف.

٤ ـ كانت صابرة، أسلمت روحها تحت التعذيب واستشهدت، ولكنها لم تتخلَّ عن دينها وعقيدتها.

٥ ـ دافعت عن القائد المعصوم آنذاك النبي موسى عليه السلام.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

(٢) سورة مريم: الآية ٤١.

(٣) سورة مريم: الآية ١٦.

٦ ـ كانت طموحة، لم تقنع بأقل من القرب من الله والجنة.
٧ ـ امتلكت الشهامة فلم تؤثر فيها تهديدات فرعون.
٨ ـ قدّمت رضا الخالق على رضا المخلوقين.
٩ ـ رجّحت المنطق والعقل والوحي على الأمور العائلية.
١٠ ـ أنقذت موسى عليه‌السلام من الموت، بنهيها عن المنكر عندما قالت: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾[1].

□ برهنت امرأة فرعون على أن الكثير من الشعارات التي أصبحت جزءاً من ثقافة المجتمع، خاطئة ويجب تغييرها. يقولون: إن شئت ألّا تفتضح، فاتبع الجماعة من حولك. أمّا امرأة فرعون قالت: أنا لن أتبع الجمع ولن أفتضح.

يقولون: يد واحدة لا تصفّق. ولكنها أثبتت أن بإمكان شخص واحد أن يوجد تغييراً.

يقولون: ليس للمرأة شخصية مستقلة؛ لكنها برهنت على استقلال المرأة في اختياراتها.

يقولون: لا يمكن مواجهة السيف باليد، لكنها أثبتت أن الحق باق، وإن كانت اليد لا تؤثر في الحديد إلّا أنّ لها تأثيراً على الأفكار العامّة على مر التاريخ.

يقولون: لا يمكن لزهرة واحدة أن تصنع ربيعاً؛ لكنها أثبتت أنه لو شاء الله لجعل الزهرة ربيعاً.

يقولون: أكل فلان من ملحنا فصار منّا. امرأة فرعون أكلت من ملح فرعون وخبزه؛ ولكنها كانت تكره عقيدته وكانت تقول: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾.

أنواع العائلات في القرآن:

١ ـ الزوجان المتفقان في الفكر والعقيدة وعمل الخير. من مثل الإمام علي عليه‌السلام والسيدة الزهراء عليها‌السلام: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾[2].

---

(١) سورة القصص: الآية ٩.
(٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

٢ ـ الزوجان المتفقان على الخبائث. (أبو لهب وزوجته): ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ...وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾.

٣ ـ العائلات التي يكون فيها الزوج صالحاً، أمّا الزوجة فسيئة (زوجات لوط ونوح): ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ... فَخَانَتَاهُمَا﴾[1].

٤ ـ العائلات التي يكون فيها الزوج سيئاً، أمّا الزوجة فصالحة (امرأة فرعون): ﴿مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾.

التعاليم:

١ ـ تستطيع المرأة أن تكون قدوة للرجال في التاريخ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾.

٢ ـ أحد طرق التربية هو مقارنة الأمثلة: ﴿مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا... مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

٣ ـ الضغوط التي يمارسها المجتمع والمحيط، أو الارتباط الاقتصادي، أو ضغط الزوج على الزوجة أو الخوف من التشرّد، هي عوامل لا يمكن لأي منها أن يبرر عدم التديّن: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾.

٤ ـ يكفي مثال واحد لإتمام الحجّة: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا... ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾.

٥ ـ القول الفصل هو لإرادة الإنسان لا لشيء آخر: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا... ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾.

٦ ـ محاربة الطاغوت لا تتنافى مع الدعاء: ﴿رَبِّ... وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ﴾.

٧ ـ التحرر من الطاغوت محتاج للدعم المعنوي: ﴿رَبِّ... وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ﴾.

٨ ـ القرب المعنوي من الله أهم من الجنة: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ...﴾.

٩ ـ الإيمان سبب في النفور من الظالمين. نفرت امرأة فرعون من كل أفعال فرعون بسبب إيمانها: ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾.

---

(١) سورة التحريم: الآية ١٠.

١٠ ـ المرأة ليست ملزمة بإطاعة عقيدة الناس، بل عليها أن تتخذ موقفاً في بعض الأحيان: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾.

١١ ـ ثمة حدود للعلاقات الأسرية وبمجرد أن تصل إلى الكفر والانحراف يجب أن تتغيّر: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾.

١٢ ـ البراءة من الكفر هي شرط للإيمان: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾.

١٣ ـ إظهار الانزعاج والنفور من الآخرين يجب أن يكون على أسس عقلية وشرعيّة: ﴿مِن فِرْعَوْنَ... مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

- «أحصنت» من حصن بمعنى القلعة، وعند الحديث عن النساء فهي تشير إلى العفة والطهارة.

- تبيّن هذه الآية أربعة كمالات للسيدة مريم عليها السلام: العفة، ونفخ الروح، وتصديق الأنبياء والكتب السماوية، والطاعة الخالصة لله تعالى

- ورد في تفاسير الشيعة والسُّنة أن نساء العالمين أربع: آسية زوجة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله[1].

- المرأة الوحيدة التي ذكر اسمها في القرآن الكريم هي السيدة مريم عليها السلام، إذ ذكر اسمها ٣١ مرّة في اثنتي عشرة سورة و١٢ مرة جاء بصيغة عيسى بن مريم، وتحمل إحدى سور القرآن اسمها.

- يجب على القدوات أن يكونوا مختلفين بالأجواء والظروف المحيطة لكي

(١) تفسير مجمع البيان.

يُتمكّن من تطبيقها مع أي شخص وفي أي زمان: امرأة فرعون، السيدة مريم، النبي إبراهيم عليه السلام، والنبي محمد صلى الله عليه وآله.

□ يدافع الله تعالى عن الطاهرين، فعندما رموا السيدة مريم بتهمة البغاء: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[١]، قال الله تعالى في القرآن مرتين: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[٢].

التعاليم:

١ ـ قدّم القرآن الكريم السيدة مريم عليها السلام على أنها القدوة في العفة للنساء والرجال: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا... وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ﴾.

٢ ـ إنّ قيمة المرأة في عفتها: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

٣ ـ على الإنسان أن يقدم على الخطوة الأولى، عندها ستنهال عليه الألطاف الإلهية: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾.

٤ ـ الولد الطاهر يأتي من الحضن الطاهر: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾.

٥ ـ أفضل تصديق بالأحكام والأوامر الإلهية هو العمل بها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾.

٦ ـ إلى جانب التصديق القولي، فإنّ الخشوع والخضوع لازمان في عبادة الله: ﴿صَدَّقَتْ... وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩١؛ سورة التحريم: الآية ١٢.



سُورَةُ المُلْكِ

السورة: ٦٧ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٣٠



ملامح سورة الملك

سورة الملك هي أول سورة في الجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم. وهي من السور المكيّة وتحتوي على ثلاثين آية. الاسم الآخر لهذه السورة هو (تبارك). والاسمان كلاهما مأخوذان من الآية الأولى.

بشكل إجمالي تشتمل هذه السورة على ثلاثة محاور:

١ ـ مباحث عن مبدأ الوجود، وصفات الله، والنظام المبهر للخلقة، وخلق الوجود والإنسان، ووسائل حصول الإنسان على المعرفة.

٢ ـ مباحث حول المعاد، وعذاب جهنم، وتحاور أهل النار في يوم القيامة.

٣ ـ تهديد الكافرين والظالمين بالعذاب الأخروي والدنيوي.

جاء في فضل هذه السورة: أن قراءتها توجب النجاة من عذاب القبر[١].



(١) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾

إشارات:

❑ مضافاً إلى هذه السورة فقد ابتدأت سورة الفرقان كذلك بكلمة (تبارك).

❑ (تبارك) من مصدر (البركة) بمعنى الخير الدائم الباقي وأيضاً بمعنى المقام العالي، ويقال للمكان الذي يجتمع فيه الماء (بِركة).

❑ **ما هو الهدف من خلق الإنسان؟**

الجواب: بيّن القرآن الكريم أربعة أهداف لخلق الإنسان:

أ) العبادة: ورد في القرآن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ب) اختيار الطريق الصائب من الخاطىء والوصول إلى الكمال في ظل الامتحانات الإلهية: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾.

ج) الرحمة بالناس. ذكر القرآن الكريم أنّ الهدف الآخر للخلق هو رحمة الله الخاصّة بالناس ويقول: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[2].

❑ **ما هي شروط العمل الصالح والحسن؟**

العمل الصالح هو العمل الذي يؤدّى وفق برنامج دقيق ويراعى فيه الهدف، والزمان، والمكان، والاستمرارية، والوسائل المستفاد منها، والمعاونون، والمستفيدون، الاستقامة في العمل، الاستحكام، النظم، الرؤية المستقبلية للعمل، الأولويات، والنشاط، والاعتدال، والدّقة، والسرعة، والسلامة في العمل، ويكون بعيداً عن العجب والرياء والسمعة.

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٢) سورة هود: الآية ١١٩.

□ إنّ الله تعالى له الحكم في الدنيا: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾، وله الحكم في الآخرة: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[١].

□ الله هو الحاكم الأوحد: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾[٢]، ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾. وحكمه مقرونٌ بالقداسة: ﴿ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ﴾[٣].

□ تتجلّى بركة الله تعالى في الخلق والتكوين: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ... خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ وكذلك في التشريع وسَنّ القوانين: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾[٤].

□ ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في ذيل هذه الآية: «**ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً؛ وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة والحسنة...**»[٥].

التعاليم:

١ ـ على الرغم من أنّ الله تعالى ذكر كلمة (تبارك) في وصف القرآن الكريم وفي حق نبيّه الذي أنزل عليه القرآن، إلا أنّ مصدر كل البركات هو الله تعالى وقدرته: ﴿۞ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

٢ ـ كل الحكومات والقوى العظمى مصيرها إلى الزوال، حكومة الله فقط هي الحكومة الأبدية: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

٣ ـ حكومات الدنيا جزئية ومحدودة ومؤقتة؛ ولذلك ليس لها بركات واسعة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾.

٤ ـ تقدير الموت والحياة من تجليّات حكومة الله المطلقة: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ... خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾.

٥ ـ لا يملك حكّام الدنيا القدرة على كل شيء، أما الله فهو الحاكم والقادر على كل شيء: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٦.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٢.
(٣) سورة الجمعة: الآية ١.
(٤) سورة الفرقان: الآية ١.
(٥) الكافي، ج ٢، ص ١٦.

٦ ـ الموت لا يعني التلاشي والفناء؛ بل هو أمر وجودي مخلوق وهو الانتقال من هذه الدنيا إلى دنيا أخرى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾.

٧ ـ خلق الموت، هو امتحان لإظهار الصبر، وخلق الحياة هو امتحان لإظهار الشكر: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾.

٩ ـ يتكشّف معدن الإنسان عند الابتلاءات والامتحانات والنعم: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾.

١٠ ـ ليس الهدف من الامتحانات الإلهية إظهار علم الله؛ لأنه يعلم كل شيء مسبقاً، وإنما الهدف إظهار عمل الإنسان وتصرفه: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ (مثل الأستاذ الذي يعلم بقدرات تلاميذه؛ ولكنّه يمتحنهم، حتى يستحق التلميذ الدرجة التي ستعطى له).

١١ ـ حُسْنُ العمل في الكيفية لا الكميّة: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ (لم يقل: أكثر عملاً).

١٢ ـ الامتحان الإلهي امتحان دائم وللجميع: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ (تدل على الاستمرار).

١٣ ـ لا ينبغي أن نقنع بحسن عملنا، بل يجب أن يكون عملنا هو الأحسن: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

١٤ ـ فقط قدرة الله وحكومته غير قابلين للانهزام: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ... قَدِيرٌ... وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾.

١٥ ـ عزة الله وقدرته مقرونة بالرأفة والرحمة: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

١٦ ـ لا تيأسوا إذا ما فشلتم في الامتحانات الإلهية فإن الله هو الغفور: ﴿ٱلْغَفُورُ﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

□ (طباق) إمّا مصدر (طابق) أو جمع (طبق)، في الحالة الأولى تكون: ﴿سَبْعَ

سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ بمعنى أنّ السماوات متناسبة ومتطابقة بعضها مع بعضها الآخر، وفي الحالة الثانية تكون بمعنى أنّ السماوات سبع طبقات بعضها فوق بعض.

❑ (تفاوت) من (فوت) بمعنى ظهور الاختلاف وعدم التجانس، و(فطور) بمعنى الشرخ الطولي. (خاسئاً) بمعنى خاسراً ومتعباً و(حسير) بمعنى ضعيف عاجز.

❑ قد يستثقل الإنسان سطحي التفكير الصعوبات والأزمات، ولكنّ المحققين ينظرون إلى كل شيء بإيجابية. الحامض والفلفل غير مستساغين بالنسبة إلى الطفل، ولكن بالنسبة إلى والديه فإن قيمة المخللات كقيمة المربّى.

❑ (مصباح) من (صبح) وهو الوسيلة التي تجعل الليل منيراً كالصبح.

❑ وصفت في هذه الآيات نجوم السماء بثلاث صفات هي:

١ ـ مصابيح،

٢ ـ زينة،

٣ ـ رجوم للشياطين.

❑ نقرأ في الآيتين ٧ و٨ من سورة الصّافات أنّ الشياطين كانت تسعى للنفوذ إلى السموات بقصد استراق السمع ومعرفة أخبار السماء، ولكن في كل مرّة يكونون هدفاً لمرمى النجوم وبذلك يطردون من السماء، فكانت النجوم هي وسيلة حفظ السماء.

التعاليم:

١ ـ نظام الخلق مبني على أساس الرحمة الإلهية: ﴿فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

٢ ـ النظام الموجود هو النظام الأحسن، ولا يوجد في نظام الخلق أي شائبة أو نقص: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾.

٣ ـ يزداد إيمان الإنسان بعظمة الوجود وقدرة الخالق عندما تكون معرفته عن الله تعالى مبنيّة على أساس النظر والتدقيق: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ... ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾.

٤ ـ الرؤية والنظر مرّة واحدة ليس كافياً لكسب المعرفة: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ... ثُمَّ ٱرۡجِعِ

﴿ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾. (تكررت في هذه الآية كلمة (ترى) مرّتين وكلمة (بصر) ثلاث مرّات مع لفظ (كرّتين)).

٥ ـ عمل الله تعالى مُحكم وحكيم وهو لا يخشى من تدقيق الآخرين في عمله، بل يدعوهم إلى ذلك: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ... ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾.

٦ ـ لا يتعب الله تعالى من الخلق: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[1]، ولكن عيننا تتعب من النظر إلى خلقه، ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

٧ ـ الزينة من الأمور الفطريّة عند البشر. (اعتبر الله تعالى كون النجوم زينة للسماء هو نعمة)، ﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾.

٨ ـ تتمتع المخلوقات الإلهية بالجمال مضافاً إلى كونها دقيقة ومحكمة: ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾[2]. (في الهندسة المعمارية يراعى إحكام البناء ومتانته كما يراعى جماله): ﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾.

٩ ـ للمخلوقات الإلهية استخدامات عدّة: ﴿بِمَصَٰبِيحَ... رُجُومًا﴾.

١٠ ـ لا ينبغي أن يكون تعاملنا مع العدو انفعاليّاً، بل يجب أن يكون هجومياً أحياناً: ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾.

١١ ـ يطمع الشياطين بالسموات أيضاً: ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾.

١٢ ـ الشياطين ضعفاء يمكن ضربهم: ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾

إشارات:

- (أُلقوا) من (الإلقاء) بمعنى السقوط من دون اختيار.
- ﴿شَهِيقًا﴾ تقال لأبشع الأصوات وأنكرها كما تقال لصوت الحمير المزعج.

---

(١) سورة ق: الآية ٣٨.
(٢) سورة النبأ: الآية ١٢.

(تفور) من الفوران، وهو إشارة إلى لهب نار جهنم العظيم الذي يفور ويتصاعد.

□ يصدر صوت الشهيق المنكر من جهنّم نفسها: ﴿لَهَا شَهِيقًا﴾، وأهل النار كذلك لهم شهيق. كما جاء في الآية ١٠٦ من سورة هود: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾.

التعاليم:

١ ـ قد يصل الغضب والغيظ أحياناً إلى حد الانفجار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

٢ ـ يُلقى أهل جهنم إلى داخل النار: ﴿أُلْقُوا فِيهَا﴾.

٣ ـ عذاب جهنّم فيه تحقير: ﴿أُلْقُوا فِيهَا﴾، وهو مزعج للسمع: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾، ومصاحب لأسئلة توبيخية: ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾.

٤ ـ يأتي العذاب الإلهي بعد إتمام الحجّة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾.

﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ أشارت هذه الآية إلى ثلاثة اعترافات للكافرين يوم القيامة:

أ) الاعتراف بمجيء الأنبياء وبتكذيبهم إياهم: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾.

ب) الاعتراف بعدم التعقل وعدم الاستماع إلى كلام الحق: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾.

ج) الاعتراف بارتكاب الذنب: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾.

□ ورد في الآية ٢٦ من سورة فصّلت أنّ المخالفين كانوا يقولون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾؛ ولكنهم في ذلك اليوم سيقولون: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾.

التعاليم:

١ ـ هدف الله تعالى هو تكامل الإنسان المعنوي؛ ولذلك كان لا بد من بعث الرسل، وإلا فإنّ هدفه هذا لن يتحقق عملياً: ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾.

٢ ـ جهنم هي نتيجة الإنكار المتعمّد للدين: ﴿أُلْقُوا فِيهَا... جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾.

٣ ـ يعلل المخالف أعماله، فكان الكافرون يقولون لتعليل تكذيبهم: ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾.

٤ ـ عدم التعقل هو السبب في التكذيب: ﴿فَكَذَّبْنَا... لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾. (تعاليم الإسلام مطابقة للعقل، لو كنّا تعقلنا لكنّا أصبحنا مؤمنين).

٥ ـ العقل الحقيقي هو أن يستمع الإنسان للحق فيقبله ويتبعه حتى ينجي نفسه من العذاب الإلهي: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

٦ ـ يوصل العناد الروحي الضالين إلى مرحلة يتهمون فيها الأنبياء الإلهيين بالضلال، وليس أي ضلال بل هو الضلال الكبير! : ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾.

٧ ـ من الممكن أن يؤدّي الاعتراف بالذنب في الدنيا إلى العفو والصفح؛ وأما في الآخرة فلا جدوى له: ﴿فَٱعْتَرَفُوا بِذَنۢبِهِمْ... أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

٨ ـ يلقى الكفار يوم القيامة عذاباً جسديّاً: ﴿أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وعذاباً نفسيّاً: ﴿فَسُحْقًا﴾ وهو البعد عن رحمة الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

❑ ورد في تفسير الثقلين، عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ اللطيف هو النافذ في الأشياء الممتنع من أن يُدرك.

التعاليم:

١ ـ يجب أن يكون تشجيع الصالحين وتوبيخ المخطئين جنباً إلى جنب في التربية وذلك حتى يكون ثمة مجال للمقارنة. (تحدثت الآيات السابقة عن عقاب أصحاب النار وهذه الآية تتحدّث عن أصحاب الجنة): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾.

٢ ـ تكون خشية الله مؤثرة إذا ما كانت بصورة مستديمة: ﴿يَخْشَوْنَ﴾؛ (الفعل المضارع يدل على الاستمرار).

٣ ـ التطّهر من الذنوب هو أرضيّة ممهدة لاستقبال الألطاف الإلهية: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

٤ ـ التقوى والخشية الحقيقية هي أن يتقي الإنسان الله من داخله، وإلا فإنّ التقوى الظاهرية هي تظاهر ليس أكثر: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾.

٥ ـ فلندع النفاق والرياء جانباً؛ لأن الله عليم بما نبطن ونخفي: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

٦ ـ الخفاء ليس له أثر في علم الله العميق. إنّه يعلم كل الأسرار والنوايا: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. ((عليم) فيها إشارة إلى العلم العميق والواسع).

٧ ـ إنّ الله هو من خلق المخلوقات، لذا فهو عليم بها. (من يصنع شيئاً يكن عالماً بحالاته): ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾.

٨ ـ الإيمان بعلم الله هو أفضل العوامل المانعة للنفاق والعمل بالخفاء: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ... أَلَا يَعْلَمُ...﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾

إشارات:

- (منكب) بمعنى الكتف، والكتف هو أنسب عضو لوضع الحِمل عليه. مناكب الأرض تعني الأماكن في الأرض التي وضع حمل رزقنا عليها.

- الأرض مذللة للإنسان ومع أنها تتحرك بأشكال مختلفة إلا أنها هادئة. لو كانت الأرض دائماً معرّضة للزلازل والبراكين، أو كانت الأرض أقرب للشمس أو أبعد، أو أي من الحسابات الأخرى الحاكمة على الأرض الآن لم تكن على ما هي عليه الآن ولم تكن مذللة للإنسان: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾.

التعاليم:

١ ـ ذلّل الله تعالى الأرض للإنسان لكي يتمكّن من السعي والعمل فيها: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾.

٢ ـ الرزق من الله؛ ولكن يجب السعي والكدّ للحصول عليه: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾.

٣ ـ الوجود في حالة حركة وهو يسير نحو التكامل:

الطبيعة للإنسان: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾.

والإنسان للسعي: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾.

والسعي للرزق: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾.

والدنيا للآخرة: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾.

٤ ـ لا ينبغي أن تكون ملذّات الدنيا سبباً في الغفلة عن يوم القيامة: ﴿كُلُوا۟... وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

- مضمون هاتين الآيتين شبيه بالآية ٦٥ من سورة الأنعام إذ تقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.
- (حاصب) بمعنى الرياح الشديدة التي تحمل معها حصى.
- نقرأ في آخر سورة القصص مثالاً على الانخساف في الأرض وهو قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾، ومثال إرسال الحصى من السماء في قصة عقاب أهل لوط: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾[1].

---

(١) سورة القمر: الآية ٣٤.

◻ قدرة الله على تذليل الأرض هي تجلٍّ لملكه الذي ورد في أوّل السورة: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

◻ احتمال التغيير والتبديل في الوجود، ينجي الإنسان من الغرور ومن الاتكال على الدنيا. يقول مثنوي شعراً جميلاً عن هذا الموضوع:

كل ذرّات الأرض والسماء ... هي جنود للحق وللامتحان
أرأيت ماذا فعلت الريح بعاد ... وماذا فعل الماء بالطوفان
ماذا فعل حقد البحر بفرعون ... وما فعلت الأرض بقارون
وما فعلت الأبابيل بالفيل ... وكيف نخرالنمل رأس النمرود
والحجر الذي ألقاه داود ... أصبح ثلاثمئة قطعة وهزم الجيش
إن تكلمت عن جمادات الكون ... التي نصرت الأنبياء بعقلانية
لكتبت شعراً، إن أراد أربعين ... جملاً حمله لعجزوا عن ذلك

التعاليم:

١ ـ لا يقتصر عذاب الله وعقابه على يوم القيامة فقط: ﴿ءَأَمِنتُم... أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾.

٢ ـ لا يأمننّ أحد على نفسه من عذاب الله وليتوقع نزول العذاب في أي لحظة: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

٣ ـ السماء هي مركز القيادة والتدبير الإلهي: ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

٤ ـ السماء مركز للمؤتمرين المطيعين الذين يأتمرون بأمر الله: ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

٥ ـ يخضع النظام الحاكم على الطبيعة لإرادة الله ويمكن أن يتغيّر في أي لحظة: ﴿يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾.

٦ ـ يمكن للعذاب الإلهي أن يأتيَ الإنسان من تحت قدميه، فتخسف به الأرض: ﴿يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾، ويمكن أن يأتيه من فوق رأسه، فينزل عليه من السماء: ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾.

---

(١) سورة الملك: الآية ١.

٧ ـ إنّ الله قادر على فعل ما يشاء. فهو يستطيع أن يرسل المطر من السماء: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[1]، ويستطيع أن يرسل الحجارة من السماء: ﴿يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾.

٨ ـ يجب أن نأخذ التهديدات الإلهية على محمل الجد: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

- الخصائص التي تتصف بها الطيور دليل على قدرة الله تعالى وعظمته. فهي تتحرك ضمن جماعات منظّمة وتطوي مسافات طويلة خلال الفصول الأربعة، تحطّ وتطير بشكل مستمر ولا يقيدها مكان، ولكن عند طيرانها وعدم تصادم بعضها ببعضها الآخر أو سقوطها هو رحمة من الله.
- جاءت (صافات) بصورة اسم فاعل، أي أنّ الطيور تطير بجناحين مفتوحين؛ ولكن كلمة (يقبضهن) جاءت بصورة فعل؛ لأن الطيور تضم جناحيها أحياناً.

التعاليم:

١ ـ يجب أن نأخذ التهديدات الإلهية على محمل الجد (نزل عذاب الله على السابقين بشكل عملي، خُسفت الأرض بقارون، وأمطر قوم لوط بحصب من السماء. فيجب أن نأخذ العبرة من تاريخهم): ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

٢ ـ يواسي الله تعالى نبيّه في تكذيب الناس له: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٣ ـ تاريخ السابقين فيه هدى للاحقين: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٤ ـ تكذيب الأنبياء هو مفتاح العذاب الإلهي: ﴿كَذَّبَ... فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

---

(١) سورة نوح: الآية ١١.

٥ ـ لا تغتروا بإمكاناتكم المادّية. (صحيح أنّ الطير يطير بواسطة جناحيه، إلا أنّ قدرة الله تعالى هي التي تبقيه في الهواء): ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾.

٦ ـ لا تجعلوا شيئاً شريكاً لله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾.

٧ ـ النعم الإلهية مبنيّة على الرحمة: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾.

٨ ـ يُدار نظام الكون تحت نظر الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

- تحدثت الآيات السابقة عن قدرة الله في السماء والأرض. يستطيع الله أن يأمر الأرض بخسف الكفّار، ويستطيع أن يُبقي على الطيور في الهواء.... تبيّن هذه الآية للإنسان عجزه وضعفه وتتساءل على أي جيش وعلى أي محامٍ يعتمد الإنسان في معاندته وتحديه لله. والظاهر أنّ المشركين كانوا يستشعرون القوّة من الأصنام.
- (غَرور) بمعنى المُخادع و(غُرور) بمعنى الخداع.
- وسائل الغرور متعدّدة والشيطان هو أهمها: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾[1]، ومن أسباب الغرور طول الأمل ووعود الغافلين.
- أشارت الآية إلى أسباب شقاء الإنسان، وهي: الغرور، العناد، العتوّ، والنفور. العتوّ هو الاستكبار وتجاوز الحق، والنفور هو إظهار التنفر والفرار من الحق.
- العناد هو أرضية ممهدة للعتوّ والطغيان. والعتوّ ممهد للنفور والابتعاد عن الحق.
- إنّ الله هو وحده الرزّاق. يرزق في الدنيا: ﴿خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ﴾[2]، يرزق في

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٣.
(٢) سورة الروم: الآية ٤٠.

البرزخ: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١]، ويرزق في القيامة: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

التعاليم:

١ ـ يجب أن يُنبّه الشخص المغرور إلى ضعفه وعجزه: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي...﴾.

٢ ـ امتلاك القوة والجيش هو من أسباب الغرور: ﴿جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم...إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.

٣ ـ يصاب الكافرون بالعجب والغرور لاتكالهم على القوة الفارغة: ﴿جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم... إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.

٤ ـ إنّ الله ليس مجبوراً على رزق العباد، بل يستطيع أن يقطع الرزق عنهم: ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾.

٥ ـ إحدى طرق تقدير النعم الإلهية هي الاعتقاد أنها يمكن أن تقطع: ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾؛ يقول الله ﷻ في آية أخرى من هذه السورة: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾[٣].

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات:

- (مُكِب) بمعنى الشخص الذي سقط إلى جهة الأمام، (إنشاء) بمعنى الإيجاد المصاحب للابتكار، و(ذرأ) بمعنى الخلق وتكثير النسل.
- شبّهت هذه الآية الكافر بالشخص الذي سقط على وجهه على الأرض ويتحرك وهو في هذه الحالة فيزحف زحفاً؛ ولكن المؤمن يمشي منتصب القامة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.
(٢) سورة غافر: الآية ٤٠.
(٣) سورة الملك: الآية ٣٠.

- السمع مصدر وتشمل المفرد والجمع؛ ولهذا لم يكن ثمة ضرورة لذكرها بصيغة الجمع كما (الأبصار) و(الأفئدة) التي جاءت بصيغة الجمع.
- الذي سقط على وجهه على الأرض لا يستطيع الرؤية ويتحرّك بصعوبة، وتتأذى يداه ووجهه لأنه لا يرى الموانع التي تعترض طريقه، يصبح ضعيفاً وذليلاً، يذهب الآخرون ويبقى وحيداً، أمّا الذي يتحرك وهو واقف، فإنّه عزيز، يتحرك بسرعة، يرى الموانع من بعيد ويتعرف عليها، فيبقى سالماً ويبقى الآخرون معه.
- عن الإمام الباقر عليه السلام، أنّ: «**القلوب أربعة ...[أحدها القلب المطبوع] وأما المطبوع فقلب المشرك**»، ثمّ قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ﴾[1].
- معرفة النفس طريق لمعرفة الله. فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلّم بلحم ويسمع بعظم...**»: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾.
- مع أنّ شكرنا قليل في مقابل نعم الله علينا، إلا أنّ الله لا يمنع نعمه عنّا. نقرأ في دعاء شهر رجب: «**يا من يعطي الكثير بالقليل**»[2].

التعاليم:

١ ـ الأشخاص المعاندون المحاربون للحق الفارّون منه، هم أشخاص ممسوخون يتحركون كالزواحف بدلاً من الحركة الطبيعية: ﴿بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ... مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ﴾.

٢ ـ طريق الإسلام، طريق مستقيم ومُعبّد وله مقصد واضح، ولو مشت الأمة الإسلامية على هذا الطريق لمشت منتصبة القامة مرفوعة الرأس: ﴿يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

٣ ـ إنّ خَلْق الإنسان موضوع مهم، إذ أُمِر النبي بأن ينبّه الناس إلى مبدأ الخلق والنعم المكنونة فيه مرّات متعددة ومتتالية: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ... قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ﴾.

---

(١) الكافي، ج٢، ص٤٢٣.

(٢) مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، ج١، ص٣٥٣.

٤ ـ خَلْقُ الله أمر مبتكر وليس تقليداً لمثال سابق: ﴿أَنشَأَكُمْ﴾.

٥ ـ أعطى الله تعالى الإنسان كل وسائل المعرفة حتى يُتمّ الحجة عليه (الناس العاديون يسمعون ويرون ويعتبرون فقط، ولكن الناس أصحاب المراتب الأعلى يتلقون أموراً عن طريق قلوبهم): ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾.

٦ ـ لا يكون شكر الله باللسان فقط، وإنما الشكر العملي هو المطلوب ويكون بالاستفادة الصحيحة من النعم: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

٧ ـ الذي بدأ خلقكم في الأرض ومن الأرض، هو القادر على إحيائكم مرّة أخرى: ﴿أَنشَأَكُمْ... ذَرَأَكُمْ... إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

٨ ـ نشر الله تعالى الناس في الأرض في الدنيا وسوف يجمعهم يوم القيامة: ﴿ذَرَأَكُمْ... تُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

- جاءت جملة: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ ست مرّات في القرآن على لسان المعارضين، وكان جواب النبيّ ﷺ دائماً أنّ علمها عند الله وحده.

- علم الغيب نوعان: نوع يعطيه الله تعالى للذين اصطفاهم: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾[1]، ونوع خاص بالله تعالى وحتى الأنبياء الإلهيون لا يعلمون به، مثل العلم بموعد يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وكما نقرأ في الدعاء: **«اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...»**[2].

---

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

(٢) الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٦١.

□ عدم العلم بجزئيات القيامة وبزمان وقوعها ليس دليلاً لإنكار كليّاتها. لو سمعت صوت جرس الباب ولم تر الشخص الذي رنّ الجرس، فلا يكون هذا سبباً للقول إنه لا أحد عند الباب.

التعاليم:

١ ـ يبحث الكافر عن حُجّة. (السؤال عن زمان وقوع يوم القيامة، يهدف إلى التهرّب من الاعتراف به): ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾.

٢ ـ يسعى العدو إلى إضعاف الدين والمبعوث السماوي عن طريق طرح الأسئلة والتحقير والاستهزاء، ولهذا يتهم الأنبياء بالكذب: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

٣ ـ لا تملك كل معرفة قيمة (إذا ما عرفنا موعد يوم القيامة سيكون هذا سبباً لقلق الأشخاص القريب زمانهم من القيامة وخوفهم، وبالمقابل الأشخاص الذين زمانهم بعيد عن القيامة سيكون هذا سبباً في غفلتهم ونسيانهم): ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ لم تكن رسالة النبي الأكرم ﷺ للإعلام عن الغيب وإنما كانت لهداية الناس وتحذيرهم: ﴿أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

٥ ـ كلام الأنبياء واضح وليس فيه أي غموض أو تعقيد: ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

٦ ـ يجب إرشاد الأشخاص المغرورين والمعاندين عن طريق التحذير، ولا ينفع التبشير والتشويق مع مثل هؤلاء: ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات:

□ (زلفة) بمعنى القريب، يُطلق على أرض المشعر الحرام (مزدلفة)؛ لأنها قريبة من مكّة.

□ (تدّعون) طلب جاد وفيه استعجال. ورد في الآية ١٤ من سورة الذاريات: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾[1]، هـذا العذاب الذي كنتم تستعجلونه وتقولون: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[2].

□ وصف القرآن الكريم هيئة المحسنين والمجرمين في يوم القيامة ضمن آيات متعددة. يقول عن المحسنين:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾[3]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾[4]، ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[5].

ويقول عن المجرمين والمنحرفين:

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١﴾[6]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾[7] أي وجوه ذليلة، ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾[8] كالحون تعني وجوههم عابسة ومنكسرة وقد ذابت شفاههم وبانت أسنانهم: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[9]، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[10]، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[11].

التعاليم:

١ ـ الكفر في الدنيا سبب لاسوداد الوجه في يوم القيامة: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾.

٢ ـ مضافاً إلى العذاب الجسدي في يوم القيامة يوجد عذاب التحقير الروحي: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾.

---

(١) سورة الذاريات: الآيتان ١٣ ـ ١٤.
(٢) سورة الذاريات: الآية ١٢.
(٣) سورة عبس: الآيتان ٣٨ ـ ٣٩.
(٤) سورة الغاشية: الآية ٨.
(٥) سورة المطففين: الآية ٢٤.
(٦) سورة عبس: الآيتان ٤٠ ـ ٤١.
(٧) سورة الغاشية: الآية ٢.
(٨) سورة المؤمنون: الآية ١٠٤.
(٩) سورة الإسراء: الآية ٩٧.
(١٠) سورة القيامة: الآية ٢٤.
(١١) سورة القمر: الآية ٤٨.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

- جاء في الروايات أنّ كفّار مكّة كانوا يتمنون موت النبي والمسلمين. تقول هذه الآية حتى إن ذهبوا هم عن الدنيا فمن سيجيركم من عذاب الله تعالى؟ وقد ورد تمنّي الكافرين هذا في سورة الطور كذلك: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[(١)]. وكذلك في الآية ١٢ من سورة الفتح إذ تمنى الكافرون عدم عودة الرسول والمسلمين سالمين من الحرب: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ﴾.
- يقولون إنّ طفلاً مشاغباً كان يتمنّى موت أستاذه، فقال له والده: إذا أردت أن تتخلص من الدرس والبحث عليك أن تتمنى من الله موتي أنا؛ لأنه إن مات أستاذك فإني سأرسلك إلى أستاذ آخر.

التعاليم:

١ ـ يجب أن نتعلم أسلوب مجادلة الكفّار والاحتجاج معهم من الوحي: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ...﴾.

٢ ـ الرسول هو أمين الوحي: ﴿قُلْ...﴾، (لم يحذف حتى كلمة (قل)).

٣ ـ قد نحتاج أحياناً في مقام الدعوة، إلى طرح الحقائق كافتراض: ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾.

٤ ـ كما يحقد الكفار على شخص النبي فهم يحقدون على أتباعه كذلك: ﴿أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾.

٥ ـ يجب على المؤمن أن يعيش بين الخوف والرجاء: ﴿أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ... أَوْ رَحِمَنَا﴾.

٦ ـ لا يمكن لأي شيء ولا لأي أحد أن يمنع نزول العذاب الإلهي: ﴿فَمَن يُجِيرُ

---

(١) سورة الطور: الآية ٣٠.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. (كان شعار بعض الكفّار هو: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[1]، ولكن القرآن يقول إنهم سوف يتعذبون).

٧ ـ من يتمنى الألم والهلاك لأولياء الله، جزاؤه العذاب الأليم: ﴿عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

- تتكون الأرض من أجزاء مُنفِذة وأجزاء غير مُنفِذة، فلو كانت كل أجزائها غير منفذة لما اختزن الماء فيها، ولو كانت كل الأرض منفذة لأصبحت الأرض مستنقعاً.
- ﴿غَوْرًا﴾ بمعنى النزول إلى العمق و﴿مَّعِينٍۭ﴾ يعني السهل والجاري.
- الآية الأخيرة هي بمثابة تفسير للآية السابقة. يقول تعالى في الآية ٢٩: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، وفي الآية ٣٠ يذكر أن الماء الجاري هو مثال على الرحمة الإلهية. يقول في الآية الأولى: توكلنا عليه، ويقول في الآية الثانية: دليل التوكل عليه هو أنّه إذا ما غارت الماء اللازمة إلى الأرض، لا يستطيع أن يخرجها أحد.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو؟ فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماوات والأرض وحلال الله وحرامه[2].

التعاليم:

١ ـ إنّ النبي مطالَب بإعلان موقفه من المعارضين والمخالفين: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

٢ ـ عنصرا الإيمان والتوكل هما وسيلتكم لمواجهة الكفّار: ﴿ءَامَنَّا... تَوَكَّلْنَا﴾.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٣٨.
(٢) تفسير نور الثقلين.

٣ ـ التوكل هو ثمرة الإيمان وملازم له: ﴿ءَامَنَّا... تَوَكَّلْنَا﴾.

٤ ـ الإيمان بمنبع الرحمة هو الإيمان ذو القيمة وليس الإيمان بالأصنام الجامدة: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا﴾.

٥ ـ بالتوكل على الله، سيحمل الكفّار أمنيتهم معهم إلى القبر: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾.

٦ ـ العبرة في خواتيم الأمور لا في أولها: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

٧ ـ في البدء أحكموا أسس بنائكم العقدي ثم واجهوا الأعداء وهدّدوهم: ﴿ءَامَنَّا... تَوَكَّلْنَا... فَسَتَعْلَمُونَ...﴾.

٨ ـ حديث قائد المجتمع الإسلامي بشكل قاطع ومحكم يكون سبباً في طمأنة المؤمنين وتخويف الأعداء: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ... فَسَتَعْلَمُونَ...﴾.

٩ ـ احتمال وقوع الخطر ليس كافياً للابتعاد عن الغفلة واللامبالاة: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾.

١٠ ـ يستطيع الله تعالى تغيير قوانين الوجود كيفما شاء: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ القَلَمِ

السورة: ٦٨ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٥٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾

إشارات:

- (ممنون) إذا كانت من (مَنّ) بمعنى القطع، فهي الأجر غير المنقطع، وأمّا إن كانت من (مِنّة) فتعني أنّ الألطاف الإلهية من دون مِنّة. والظاهر أنها تحمل المعنى الأول؛ لأن تمنن الله على عباده ليس عيباً؛ بل هو باعث على الشكر والطاعة له[1].

- دور القلم أهم وأقوى من دور اللسان، السيف، والدرهم، والدينار، والشهرة، والولد؛ لأنّ القلم ينقل تجربة الأجيال بعضها إلى بعضها الآخر وينمّي الثقافة. يمكن إيقاظ الناس بالقلم ويمكن تنويمهم. يمكن إعزاز الأمة بالقلم ويمكن إذلالها. القلم هو صراخ صامت. القلم مستند رسمي. وهو يخبرنا عمّا حصل في التاريخ.

القسم بالقلم دليل على الحضارة والثقافة. الاستناد إلى القلم هو استناد إلى البرهان والاستدلال.

الارتباط بالقلم هو ارتباط بالعلم. من بين كل الأصوات، ثمة ثلاثة أصوات مميزة: صوت قلم العلماء، صوت أقدام المجاهدين، وصوت آلات الحياكة.

---

(١) تفسير راهنما.

أجل، الأمّة العزيزة هي الأمّة القوية في علمها وقدرتها واقتصادها. وإن أردنا اليوم التعبير عن هذه الأصوات الثلاثة، يجب أن نقول: صوت المطبعة، صوت المعسكر وصوت المصنع. يعني القدرة الثقافية، والعسكرية، والاقتصادية.

- تحفظ الأقلام والكتابات، العلوم. نقرأ في الحديث: **«قيّدوا العلم بالكتابة»**[1].
- شخص لم يقرأ في حياته سطراً واحداً، يُقسم بالقلم وبالكتابة: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾[2]. كما قال حافظ:

معشوقي لم يذهب إلى كتّاب ولم يقرأ سطرا

ولكن بغمزة صار معلّماً لمئة معلّم

- لا تتعجبوا عندما يُنسب الجنون إلى الأفراد العظماء، يقول القرآن: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[3].
- لا تظنوا أنّ الثواب الإلهي بسيط: ﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[4]، ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[5]، ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[6]، ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[7]، ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾[8]، ﴿أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[9].

الأخلاق في الإسلام:

أكدّ القرآن الكريم من بين كل صفات وخصائص النبي على خلقه ووصفه بأنّه على خلق عظيم. وفي هذه المناسبة ننقل قسماً من أقوال أئمتنا عن هذا الموضوع من كتاب ميزان الحكمة، باب الخلق:

عن الإمام علي عليه السلام: **«رُبّ عزيز أذلّه خُلقه وذليل أعزّه خُلقه»**.

وعن الإمام الحسن عليه السلام: **«حسن الخُلق رأس كل بر»**.

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: **«إنمّا تفسير حسن الخلق إن أصاب الدنيا يرضَ وإن لم يصبها لم يسخط»**.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص ٥٢.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.
(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٢.
(٤) سورة هود: الآية ١١.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٧٢.
(٦) سورة يس: الآية ١١.
(٧) سورة فصلت: الآية ٨.
(٨) سورة الكهف: الآية ٢.
(٩) سورة النساء: الآية ١٠٠.

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**إنّ العبد المسلم يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم**».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**مكارم الأخلاق عشرة أشياء: اليقين، القناعة، الصبر، الشكر، الحلم، حسن الخلق، السخاوة، الغيرة، الشجاعة والمروءة**».

وعن الإمام علي عليه السلام: «**من مكارم الأخلاق أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك**».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**الخلق الحسن يميت الخطيئة كما تميت الشمس الخبائث**».

وعنه أيضاً: «**حسن الخلق يثبت المودّة**».

ورُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خصلتان لا تجتمعان في المؤمن، البخل وسوء الخلق**».

قيل للرسول الأكرم: إنّ فلانة من أهل العبادة ولكنها سيئة الخلق وتؤذي جيرانها بلسانها. فقال الرسول الأكرم: «**لا خير فيها هي من أهل النار**».

الخلق العظيم:

تقال كلمة خُلق للصفات التي عُجِنَت بفطرة الإنسان وطبيعته ولا تقال للتصرفات التي تصدر أحياناً أو بشكل مؤقت. وردت تفاسير عدّة حول الخلق العظيم، من بينها:

أ) قالت عائشة: أخلاق النبي هي الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون وليس ثمة مدح فوق هذا المدح.

ب) المقصود هو التخلّق بأخلاق الإسلام.

ج) المقصود الصبر على الحق وتدبير الأمور وفقاً لما يقتضيه العقل.

د) ورد في بعض كتب المفردات أنّ الخلق يعني الدين والدستور، كما ورد في حديث عن الإمام الباقر أنّه فسّر الخلق العظيم بالإسلام[1].

---

(١) انظر: تفسير نور الثقلين.

هـ) المقصود هو التعامل بمداراة مع المخالفين، كما أمره الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[١].

و) المقصود هو مكارم الأخلاق، مثلما جاء في رواية عن النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، وقال «**أدّبني ربّي فأحسن تأديبي**»[٢].

ز) قالت عائشة عن أخلاق الرسول ﷺ: «كان خلقه القرآن»[٣].

□ ينقل المرحوم العلّامة الطباطبائي في تفسير الميزان (ج ٦، ص ١٨٣) ٢٧ صفحة من روايات في أخلاق حياة النبي ﷺ وسننه وآدابه، وسنشير إلى بعضها بشكل إجمالي:

١ ـ كان النبي ﷺ يصنع نعله بيده.

٢ ـ كان النبي ﷺ يرتق ثوبه بنفسه.

٣ ـ يحلب الشاة بنفسه.

٤ ـ يأكل الطعام مع العبيد.

٥ ـ يجلس على الأرض.

٦ ـ يركب على الحمار.

٧ ـ لم يكن يمنعه الحياء من أن يشتري حاجاته من السوق.

٨ ـ كان يعطي يده للفقراء والمحتاجين ولم يكن يسحب يده قبل أن يسحب الطرف الثاني يده.

٩ ـ كان يسلّم على كل من يراه، صغيراً كان أم كبيراً.

١٠ـ إذا ما دُعيَ إلى طعام لم يكن يحقره وإن كان تمرة منخورة.

١١ـ بعيد عن البذخ، كريم الطبع وحسن العشرة.

١٢ـ كان دائم التبسم من دون أن يقهقه.

١٣ـ الحزن يبدو على محياه دائماً من دون أن يكون وجهه عابساً مكفهراً.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٢) تفسير مجمع البيان.

(٣) العلامة الطباطبائي، سنن النبي، ص٥٦.

١٤ـ كان متواضعاً؛ ولكن لا يذلّ نفسه.
١٥ـ كان كريماً من دون إسراف.
١٦ـ كان شديد الرحمة والعطف.
١٧ـ لم يمد يده إلى أي شيء بطمع.
١٨ـ كان ينظر في المرآة قبل خروجه من البيت فيمشط شعره، وكان يستخدم الماء بدل المرآة أحياناً.
١٩ـ لم يكن يمدّ رجله أمام الآخرين أبداً.
٢٠ـ كان دائماً يختار الأصعب من بين الأمرين.
٢١ـ لم يكن لينتقم من أي ظلم قد وقع عليه، إلا إذا هُتكت محارم الله، فكان يغضب لهتك الحرمة.
٢٢ـ لم يأكل الطعام وهو متكئ أبداً.
٢٣ـ لم يطلب منه أحد شيئاً وردّه أبداً.
٢٤ كانت صلاته تامّة وفي الوقت نفسه يسيرة وخطبته قصيرة.
٢٥ـ كان يعرفه الناس من رائحته الزكّية التي كانت تصل إلى مشامّهم.
٢٦ـ إذا جلس معه ضيف إلى الطعام، كان أول من يبدأ الطعام وآخر من يقوم عنه حتى لا يشعر الضيف بالخجل.
٢٧ـ كان يأكل من الطعام الذي يليه.
٢٨ـ كان يشرب الماء على ثلاث دفعات.
٢٩ـ لم يكن يأكل إلا بيده اليمنى ولم يكن يعطي أو يأخذ شيئاً إلّا فيها.
٣٠ـ عند الدعاء، كان يكرر دعاءه ثلاث مرّات، ولكن لم يكن كلامه تكرارياً في حديثه.
٣١ـ كان يستأذن ثلاث مرّات إذا أراد الدخول إلى بيوت الناس.
٣٢ـ كان كلامه واضحاً، فكان كل من يسمعه يفهمه.
٣٣ـ كان يوزّع نظراته على كل الجالسين معه.
٣٤ـ كان دائم التبّسم في حديثه مع الناس.

التعاليم:

١ ـ القسم بالقلم بدلاً من القسم بالبيان فيه تحفيز على التعلم وبيان لمقام العلم. (محاربة الأميّة والتشجيع على القراءة والكتابة هي من البرامج ذات الأولوية في الإسلام): ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

٢ ـ حصانة النبي وعصمته من تجليات العناية والألطاف الإلهية: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

٣ ـ الاعتقاد بالثواب واللطف الإلهي هو الذي يُثبّت الإنسان أمام الاتهامات والضغوط: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.

٤ ـ إن غضضنا النظر عن إثابة الناس لنا، سنصل إلى الثواب الإلهي: ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.

٥ ـ يُعطى الثواب الأبدي للشخص الذي يكون خلقه عظيماً: ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ... لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

٦ ـ التمكن من الخلق العظيم مساوٍ للتمكن من الصراط المستقيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وورد في آية أخرى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾[1].

٧ ـ إنّ النبي الأكرم معجون بالكمالات ومتملّك لها: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

٨ ـ يجب الدفاع عن الشخصيّات الدينية التي تتعرض للاتهام والتحقير: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

إشارات:

□ جاء في الروايات: عندما رأت قريش أنّ النبي ﷺ يقدّم الإمام علياً عليه السلام على الآخرين، قالت: لقد فُتِن محمد به. فنزلت الآيات[2].

(١) سورة يس: الآيتان ٣ ـ ٤.

(٢) تفسير مجمع البيان.

□ نقرأ في سورة القمر ما يشبه هذا الحديث في لحن خطابه: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾[1]. تحمل هذه الآيات كذلك نوعاً من تبشير نبي الإسلام بالنصر على المشركين.

التعاليم:

١ ـ يواسي الله تعالى نبيّه في مواجهته مع الكفّار: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾.

٢ ـ يُوَضِح المستقبل الحقائق: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾.

٣ ـ الكافر الذي يرفض براهين الأنبياء الواضحة عن علم وعمد، يستحق أن يوصف بالمجنون: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾. (كما أنّ الإيمان عن علم وفهم دليل على التعقل).

٤ ـ لا ينفع ادّعاء الهداية للنفس أو نسبة الضلال للآخرين، فإنّ الله هو الذي يعلم المهتدي الحقيقي من الضال الحقيقي: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

□ «تدهن» من الدهن بمعنى السمن والمقصود الليونة، والتساهل، والتفاهم.

□ «همّاز» من (هَمز) بمعنى يبحث في العيوب وهي مرادفة لكلمة (عيّاب).

□ ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ يعني يسعى بكل جهده للنميمة. قد يكون المقصود من ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ هو البخل بالمال؛ لأن القرآن قد استخدم كلمة الخير في حديثه عن المال[2].

---

(١) سورة القمر: الآية ٢٦.

(٢) ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ سورة البقرة: الآية ١٨٠.

□ (زنيم) تُطلق على الشخص الذي ليس له أصل ونسب محدد ولا يُنسب لقوم (ابن زنا). يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«العتل العظيم الكفر، والزنيم المستهزئ بكفره»**[1].

□ نهى القرآن الكريم رسول الله مرّات عدة عن اتبّاع المنحرفين بجمل من قبيل: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾[2]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾[3].

□ بيّنوا كل أبعاد العدو حتى ينجو الناس منه. تنقل هذه الآيات ما يقارب عشر خصال للأعداء وقد أوجبت الابتعاد عنهم لاتصافهم بإحدى تلك الخصال، فما بالك إذا اجتمعت كل هذه الخصال في فرد واحد أو في مجموعة.

□ يجب أن يكون قائد المجتمع المطاع من قبل الناس منبعاً للنشاط، والأمل، والوحدة، والتقوى، وألا يمتلك صفات كالهمز، واللمز، والنميمة، والبخل، والتعدّي، والخشونة، فهي عوامل تؤدي إلى الفتور والتفرقة، وقد نهت هذه الآيات عن اتباع أصحاب هذه الخصال.

□ لقد كانت آيات القرآن موضعاً للاتهام بالكثير من الصفات من قبيل: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾[4]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[5]، ﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾[6]، ﴿يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾[7]، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ﴾[8].

□ نقرأ في الروايات: قال الله تعالى للنبي شعيب: **«سأصيب قوماً فيهم مئة ألف شخص بعذابي، مع أنّ أربعين ألفاً منهم سيئون وستين ألفاً منهم صالحون وذلك لأنّ الصالحين لا يتحلّون بالغيرة الدينية ويداهنون المخطئين»**[9].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص ٣٩٤.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٦؛ سورة الفرقان: الآية ٥٢؛ سورة الأحزاب: الآيتان ١ و٤٨؛ سورة القلم: الآيتان ٨ و١٠؛ سورة الإنسان: الآية ٢٤.

(٣) سورة المائدة: الآيتان ٤٨ و٤٩؛ سورة الأنعام: الآية ١٥٠؛ سورة الأعراف: الآية ١٤٢؛ سورة ص: الآية ٢٦؛ سورة الشورى: الآية ١٥؛ سورة الجاثية: الآية ١٨.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٥.

(٥) سورة الأحقاف: الآية ٨.

(٦) سورة الأنفال: الآية ٣١.

(٧) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(٨) سورة الفرقان: الآية ٤.

(٩) تفسير أطيب البيان.

وليكن واضحاً أنّ الآيات تنتقد المصالحة من موقع الضعف والتي تُسمّى مداهنة، أمّا التنازل من موقع القوّة والذي يُسمى مداراة ليس منه مانع. كالوالد الذي يمشي ببطء مراعاة لحال طفله.

❑ (همّاز، منّاع، معتدّ، وأثيم) من صفات الكفار، وأيّما مسلم امتلك هذه الصفات أصبح قريباً من الكفّار.

التعاليم:

١ ـ ابتعدوا عن المنحرفين، شكراً للنعم الإلهية عليكم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ... فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٢ ـ الأخلاق الحسنة مصاحبة للنفور والابتعاد عن المنحرفين: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ... فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾. (أجل، فإنّ حسن الخلق لا يعني الانسجام مع الأفراد السيئين).

٣ ـ يحتاج الأنبياء الإلهيون للتذكير أيضاً: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٤ ـ ليس ثمة قيمة لقسَم المخالفين، وكلما أقسموا أكثر قلّت قيمة قسَمهم أكثر: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾.

٥ ـ ليس للأشخاص الوضيعين عديمي النسب: ﴿مَّهِينٍ﴾، النمّامين: ﴿بِنَمِيمٍ﴾، والأشخاص الذين أصبح البخل، والتعدّي، والذنب، والخشونة جزءاً من ذاتهم، ليس لهم أي مكانة اجتماعية، سياسيّة، أو إداريّة في المجتمع الإسلامي: ﴿فَلَا تُطِعِ...﴾.

٦ ـ لا تغفلوا عن مخططات العدو. يسعى الأعداء إلى حملكم على المُداهنة: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ...﴾.

٧ ـ لا تعطوا الأعداء أي امتياز، حتى لو أعطوكم الامتياز وفتحوا باب المداهنة: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ...﴾.

٨ ـ يريد الأعداء أن نتراجع عن مبادئنا: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ﴾؛ (لا يسمح بالتسامح والتساهل في المبادىء).

٩ ـ إنّ التساهل مع العدو هو بمثابة إطاعته. والمقصود من النهي عن الإطاعة هو النهي عن التساهل والمداهنة: ﴿فَلَا تُطِعِ... وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

١٠ ـ وضاعة الذات وامتلاك الإمكانات الخارجية، من أسباب الفتنة والفساد: ﴿مَّهِينٍ... ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾.

١١ ـ امتلاك الكفّار للقوة والثروة ليس عذراً لمداهنتهم: ﴿لَوْ تُدْهِنُ...﴾.

١٢ ـ الأثرياء المرفهون هم الخط الأول من بين المخالفين للأنبياء: ﴿ذَا مَالٍ وَبَنِينَ... قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

١٣ ـ يعذب الله تعالى المتكبّرين بصورة تبقى فيها آثار العذاب على أجسامهم: ﴿سَنَسِمُهُ﴾.

١٤ ـ جزاء المُحقِّر هو التحقير: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢)﴾

إشارات:

- «الطائف» هو البلاء والآفة التي حاقت بالبستان فأحرقته وجعلته رماداً. والصرم هو جني الثمار وقطعها وفي الآية هو اجتثاث الأشجار بالعذاب الإلهي وقطعها.
- (تنادوا) بمعنى نداء الأشخاص للاجتماع في مكان واحد للتفكير والتشاور.
- قد يصيب العذاب الإلهي الأشخاص أحياناً، كما أُغرق فرعون وجيشه: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَجُنُودَهُ﴾[1]، وقد يصيب الأموال كما في الآيات إذ أُحرق مالهم أمّا هم فلم يصابوا بأذى، وأحياناً قد يصيب المال والشخص معاً، كما حدث مع قارون إذ انخسفت الأرض به وبماله وبيته: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ﴾[2].
- انتقدت هذه السورة البخل مرّتين. مرّة في الآية: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ والمرّة الثانية في قصة هذه الآيات.

---

(١) سورة يونس: الآية ٧٣. (٢) سورة القصص: الآية ٨١.

- يجب الإبقاء على السنن والعادات الحسنة للسابقين، ولكنّ الورثة في هذه القصّة قرّروا ألا يتبعوا طريق والدهم وأن يحرموا الفقراء.
- الذنب سبب في الحرمان، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الرجل ليذنب الذنب فيدرأ عنه الرزق**»[١]، كما جاء في الروايات: «**قد يُحرم الإنسان بسبب ذنبه من صلاة الليل**»[٢].
- إذا أدّى المال إلى الانحراف فإنّه يفقد قيمته، فهذا مسجد ضرار خُرّب بأمر من الله وكذلك أُحرِق عجل السامري الذهبي: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[٣].

قصة أصحاب الجنّة:

اعتاد صاحب بستان على أن ينفق كل سنة من فاكهة بستانه على الفقراء، وعندما رحل عن الدنيا، قرر ورثته أن يحرموا الفقراء، كان أحد الورثة فقط معارضاً للفكرة؛ ولكنّ البقيّة بخلوا وقرروا أن يحرموا الفقراء؛ وذلك بأن يذهبوا في الصباح الباكر إلى البستان ويجمعوا الثمار لكي لا يعلم بهم الفقراء. ذهبوا إلى البستان فوجدوه رماداً. فقالوا: لقد أضعنا الطريق إنّ هذا ليس بستاننا. ولكن آخر قال: لقد أضعنا طريق والدنا المستقيم وقررنا أن نحرم الفقراء. الابن الذي كان معارضاً للبخل من البداية، قال: ألم أقل لكم إنّ هذه فكرة خاطئة. على كل حال، فقد رأوا العذاب الإلهي وتنبّهوا ولام بعضهم بعضاً.

التعاليم:

١ ـ الامتحان هو أحد السنن الإلهية: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ﴾.

٢ ـ يبين القرآن الكريم أمثلة مختلفة عن الامتحان الإلهي حتى نتعرّف على طريقة الامتحان الإلهي: ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) تفسير المراغي.

(٣) سورة طه: الآية ٩٧.

٣ ـ لا تنجح الخطط التي تهدف إلى حرمان الفقراء: ﴿أَقْسَمُوا... وَلَا يَسْتَثْنُونَ... فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

٤ ـ ليس لكل قَسَم قيمة: ﴿أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾.

٥ ـ لا يختص العذاب الإلهي بالآخرة، بل قد يقع في الدنيا وبسرعة: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ...... فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

٦ ـ العقاب والتنبيه هو من الشؤون الإلهية وفيه جانب تربوي: ﴿طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾.

٧ ـ لا يستطيع أحد أن يسبق الله. (قاموا في الصباح الباكر ليجمعوا الثمار ولكنّ الله أحرق البستان عند السحر): ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

٨ ـ يجب أن يتناسب العذاب مع الذنب. حُرِموا لأنهم حَرَموا الفقراء: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ... فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

٩ ـ تفكيرالإنسان وتدبيره ليس شيئاً أمام التدبير الإلهي. (في هذه القصّة قرر الوارثون شيئاً ولكن الله أراد شيئاً آخر): ﴿أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ... فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

١٠ ـ الله هو حامي الفقراء. مع أنّ الفقراء لم يكن لديهم علم بقرار الورثة إلا أنّ الله تعالى دافع عنهم وأحرق البستان تنبيهاً للورثة البخلاء: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ... فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

١١ ـ حسابات الإنسان لا تستطيع أن تحصر نتائج أعماله. في هذه القصّة كانت الحسابات شيئاً وأمّا النتيجة فكانت شيئاً آخر: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ... فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

١٢ ـ يعاقب الشخص على نيته السيئة إذا ما صاحب النيّة تخطيط واستعداد للتنفيذ: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ... فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

١٣ ـ عدم وجود الثروة التي لا يستفيد منها المحرومون هو أفضل من وجودها: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

١٤ ـ لا يؤدي الحرص والبخل إلى تحقيق الأهداف وزيادة الثروة: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ... فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

□ الحرد هو البخل ومنع الناس حقوقهم: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي أنّ أصحاب البستان انطلقوا بقصد حرمان الفقراء.

□ يجعل الحرص والبخل قلب الإنسان قاسياً، حتى يصل إلى درجة لا يرحم فيها المسكين والفقير: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

□ كلمة «أوسط» تقال للشخص المعتدل البعيد عن الإفراط والتفريط[١].

□ إعطاء المساكين ليس مستحباً بل واجب؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحداً على ترك المستحب. جاء في هذه الآية أن حرمان المساكين كان السبب في حرق البستان في الدنيا، وكذلك في الآخرة يقول أهل النار إنّ سبب عذابهم أنّهم لم يعتنوا بالمحرومين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ... وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[٢].

□ لا يختص إعطاء الفقراء بفقراء المؤمنين. لم يرد في هذه الحادثة ذِكر كفر الفقراء أو إيمانهم ولكن ذِكِر بخل بعضٍ وحرصهم، وجوع الآخرين وفقرهم.

□ قد يلزم أحياناً فضح الفرد أو المجموعة المخطئة في المجتمع وذلك لتغيير فكر أو ثقافة معيّنة بحيث يصبح هؤلاء عبرة للآخرين. الله وهو من: «أظهر الجميل وستر القبيح» يكشف هنا عمّا حدث، لتكون قصة الجنّة المحروقة عبرة للتاريخ.

□ فلنكرر كلمة (ربّنا) كثيراً في دعائنا وحديثنا. تكررت هذه الكلمة مرّات عدة في هذه الآيات: ﴿رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ... عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا... إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

---

(١) مفردات الراغب. (٢) سورة المدثر: الآيات ٤٢ ـ ٤٤.

❑ إذا نزل عذاب الله، أحرق كل شيء فإنّ أحد الورثة كان معارضاً لحرمان الفقراء إلا أنّ سهمه من البستان احترق كذلك.

❑ أمثلة على العذاب الدنيوي:

أ) سلب النعم،

ب) سلطة الأشرار،

ج) سلب التوفيق،

د) سلب الراحة والأمن.

ولكنّ عذاب الآخرة آلَمُ وأشد وأعظم: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

التعاليم:

١ ـ كلما كانت نيّة السوء أكبر زاد الخطر أكثر: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ (قالوا لن نسمح لفقير واحد بالدخول إلى البستان، فأحرق الله تعالى البستان كله).

٢ ـ يذهب البخل والحرص الشديدان بالإنسان إلى مرحلة لا يكون فيها حاضراً حتى لمساعدة مسكين واحد. فكلمة مسكين جاءت بصيغة المفرد.

٣ ـ لا ينفع أي من البخل: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾، ولا التصميم بالخفاء: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾، أو الإقدام المقتدر: ﴿قَٰدِرِينَ﴾ في إنجاز أمر ما: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

٤ ـ الرجوع إلى النفس هو إحدى فوائد الأحداث الصعبة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾.

٥ ـ إذا حرمنا الآخرين من شيء، فسنُحرم من أشياء: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ (محرومون من الفاكهة، محرومون من الثواب الإلهي، محرومون من دعاء الفقراء، محرومون من رضا روح الوالد، محرومون من العزّة الاجتماعية).

٦ ـ قولوا الحق وإن كنتم أقلية: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ...﴾.

٧ ـ يحول الاعتدال والتعقل دون البخل والحرص ويكون سبباً في إيقاف الظالمين: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾.

٨ ـ اغتنموا الفرص للتبليغ والدعوة، فالأشخاص الذين لم يقبلوا في الأمس أن يستمعوا لكلام الحق، قد يقبلون اليوم أن يستمعوا: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ...﴾.

٩ ـ يجب أن نعترف بتقصيرنا عند تحليلنا لسبب المصائب وأن ننزّه الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

١٠ ـ بإمكانكم أن تنجزوا اليوم ما قصّرتم فيه بالأمس: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ... قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾.

١١ ـ ظلم الإنسان لنفسه هو السبب في حرمانه من الألطاف الإلهية: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ... إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

١٢ ـ يتحوّل الاتحاد إلى تفرقة في نهاية المطاف، إذا لم يكن مبنيّاً على التقوى. (الإخوة الذين اتحدوا في الأمس لحرمان الفقراء، يلقي اليوم كل منهم اللوم على الآخر): ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾.

١٣ ـ منع الآخرين من حقوقهم هو ظلم للنفس وطغيان على الآخرين: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ... إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾.

١٤ ـ فلنعترف أكثر بضعفنا وقبح عملنا أمام الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ... إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾. (كما يقول الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل: **«معتذراً نادماً، منكسراً مستقيلاً، مستغفراً منيباً مقرّاً مذعناً معترفاً»**).

١٥ ـ إذا ما فقدتم أموالاً دنيوية فليكن أملكم بالرحمة واللطف الإلهي، فإنّه سيبدلكم الله أحسن منها: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾.

١٦ ـ يجبر الله ويُعوّض عمّا مضى كيفما شاء، فلا ييأس المخطئون ولا يظنّوا أنهم دائماً خاسرون: ﴿يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾.

١٧ ـ فرصة العودة إلى الله تعالى مُتاحة دائماً: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾؛ (عندما رأى أصحاب الجنّة بستانهم المحترق، أفاقوا من غفلتهم وتابوا ورجعوا إلى الله).

١٨ ـ إحزان الفقير وحرمانه، له عذاب دنيوي وأخروي: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

١٩ ـ الإيمان بعقاب يوم القيامة وعذابه، يحول دون البخل والطغيان والظلم: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

إشارات:

□ كان بعضٌ يقول: لا يوجد قيامة، وإن كان، فإننا سنكون هناك أيضاً مرفّهين: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾[1]. هذه الآيات ردٌّ على ذلك التفكير الباطل.

التعاليم:

١ ـ في التربية والإرشاد، يجب أن يكون التحذير مصاحباً للتشويق: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ... إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٢ ـ بساتين الجنّة ممتلئة بالنعم على عكس البساتين الدنيوية التي إلى جانب نعمها فيها آفات ومشاكل: ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

٣ ـ الثواب والعقاب مبنيّان على العدالة: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

٤ ـ يَستحسِن كل ضمير وفطرة سليمة العدالة: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

٥ ـ الكتاب السماوي حجّة، فيجب الاستناد إليه والاستدلال به: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾.

٦ ـ الكتب السماوية ليست تابعة لميول الإنسان العابثة: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ... إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ (لم يرد في أي كتاب سماوي أنّ كل ما يرغب به الإنسان يتحقق).

٧ ـ لم يَعِد الله تعالى أن تكون الحقيقة الشيء نفسه الذي تحكمون به: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ...إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

---

(١) سورة فصّلت: الآية ٥٠.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات:

□ المقصود من: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أنّ الإنسان حينها يشعر بالخطر الحقيقي الذي لا مفرّ منه وهو ما يعبّر عنه بقولهم: «وصل السكين إلى العظم».

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**أُفحم القوم، ودخلتهم الهيبة، وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر شاخصة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**»[1].

□ نقرأ في الآية السادسة من سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، وهذه الآية التي تقول: ﴿كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ تشير إلى تلك الآية.

□ المقصود من الدعوة إلى السجود في الدنيا: ﴿كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾، إمّا نداء الأذان الذي يدعو الناس إلى الصلاة والسجود، وإما الآيات التي تأمر بالعبادة، وإما الأوامر التي يُعتبر العمل بها ضرباً من السجود والتواضع أمام الله تعالى، ولا ننسَ أنّ السجود هو أوج العبادة.

التعاليم:

١ ـ يوم القيامة هو يوم ظهور المصاعب: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.

٢ ـ القيامة هي تجسيم للدنيا. الناس الذين لم يكونوا من أهل السجود في الدنيا لا يستطيعون السجود في الآخرة: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

٣ ـ فلينتظر الأشخاص الذين لا يستفيدون من فرص الاختيار والسلامة ذلك اليوم الذي لن يملكوا فيه أيّاً من تلك الفرص: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٣٩٦.

٤ ـ يخجل المجرم من رفع رأسه والنظر: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾.

٥ ـ ذلّ يوم القيامة واسع ومنتشر: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.

٦ ـ من لا يختار الخشوع أمام الله، سيُجبر يوم القيامة على الخشوع والذل: ﴿خَٰشِعَةً... تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات:

- كلمة (استدراج) تعني الاقتراب درجة درجة وخطوة خطوة، والمقصود منها أنّ الله تعالى يقرّب فريقاً من الناس إلى السقوط درجة درجة بحيث لا يشعرون.
- ذكرت آيات عدة من القرآن الكريم أنّ الله تعالى يُمهل المذنبين فلا ينبغي أن يظنّ هؤلاء أنه يُحبّهم أو أنّه قد نسيهم.
- رُوِي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إذا أحدث العبد ذنباً، جدّد له نعمة، فيدع الاستغفار فهو الاستدراج**»[1].

التعاليم:

١ ـ المكذبّون خصماء الله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ﴾.

٢ ـ يُواسي الله تعالى نبيّه: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ﴾.

٣ ـ لتكذيب القرآن عقاب عظيم؛ لأن الله يقول: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾.

٤ ـ يزخر القرآن الكريم بالكلام الحديث والمتجدد: ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾. (حديث = الكلام الجديد).

٥ ـ لا تطلقوا أحكامكم بسرعة، ولا تظنوا كلّ رفاه دليلاً على السعادة. (تؤخذ

---

(١) تفسير مجمع البيان.

المواشي إلى المراعي فترعى وتسمن وفي النهاية تؤخذ إلى المسلخ لتُذبح): ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٦ ـ أعظم الأخطار هو ما يغفل عنه الإنسان ولا يفكّر في دفعه: ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٧ ـ إنّ الله يُمهل ولا يُهمل: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم... إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

٨ ـ المهلة الإلهية هي تدبير من الله ليُهلك الكفّار: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

٩ ـ قد تفشل المخططات البشريّة؛ ولكن تدبير الله مُحكم لا محل للفشل فيه: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات:

- (مَغرم) من (غرامة) بمعنى الضرر الذي يقع على الإنسان من دون أن يكون قد ارتكب خيانة أو جُرماً.
- (مُثقلون) من (ثِقل) وقد يكون ثقلاً مادياً أو معنوياً.
- (مكظوم) تُطلق على الشخص الممتلىء حزناً وألماً.
- الآيات ٤٦ و٤٧ من هذه السورة شبيهة بالآيات ٤٠ و٤١ من سورة الطور.
- دعا الله تعالى نبيّه في القرآن إلى الصبر ما يُقارب العشرين مرّة لأنّ إرشاد الناس يتطلب الصبر والثبات.
- كان شعار كل الأنبياء كما جاء في سورة الشعراء أنّنا لا نريد منكم أيها الناس أجراً: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[1].
- هُدّد الكفّار في الآية ٤٥ بجملة: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، إذاً فقد وضع لهم الله

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

حكماً ومخططاً، فاصبر ولا تستعجل في الدعاء عليهم أو لعنهم: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

سؤال: ما المقصود من النعمة التي أعطاها الله لنبيّه يونس؟

الجواب: لقد أعطاه نعمة مادّية، فابتلعه الحوت ولم يغرق وعاش في بطن الحوت ومن ثم أخرجه.

وأعطاه كذلك نعمة معنوّية إذ وفّقه للاستغفار وقبل توبته، حيث إنّه لا يصدر أي استغفار أو توبة من الإنسان إلّا بتوفيق إلهي.

سؤال: إذا كان اللطف الإلهي قد شمل يونس عليه السلام، فلماذا نُبذ في العراء كما جاء في سورة الصافّات؟: ﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾[1].

الجواب: يُعتبر قذفه إلى العراء وعلاجه من مرضه، لُطفاً. وأمّا العذاب يكون في حال كان قذفه مصاحباً للتوبيخ والذم الأبدي.

التعاليم:

١ ـ لم يطلب الأنبياء ثواباً من الناس: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾.

٢ ـ من الطبيعي أن ينفر الناس من عالم الدين الذي له أهداف مادّية: ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

٣ ـ الصبر والمقاومة مطلوبان إذا كانا في طاعة أمر الله، لا لأجل الإلحاح والعناد عديم النفع: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

٤ ـ لا ينبغي لقائد الأمة أن يتركها تحت أي ظرف من الظروف: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾.

٥ ـ الدعاء والمناجاة ممهدان للتدارك الإلهي: ﴿نَادَىٰ... تَدَارَكَهُۥ﴾.

٦ ـ التوفيق إلى التوبة هو نعمة إلهيّة: ﴿تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

---

(١) سورة الصافّات: الآيتان ١٤٥ و١٤٦.

٧ ـ التوبيخ واللوم والنبذ في الصحراء القاحلة كان عقاباً على عدم الصبر: ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾.

٨ ـ يكون للاستغاثة والنداء قيمة في حال صدورهما من القلب، وإلّا فهما نفاق لا أكثر: ﴿نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾.

٩ ـ التوبة إلى الله ومناجاته طريقان للوصول إلى النعم الإلهية الخاصّة: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ...فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾.

١٠ ـ بدلاً من أن نطرد الناس لزلّة واحدة ارتكبوها، فلندركهم ونرفع ضعفهم وبعد ذلك نسائلهم: ﴿تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ... فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾.

١١ ـ الله وحده هو الذي يختار الأنبياء: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (٥٢)﴾

إشارات:

- أشار الله سبحانه في بداية السورة إلى اتهام النبي ﷺ بالجنون، وفي هذه الآية التي هي آخر السورة صُرّحَ بتلك الإشارة: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾.
- ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ من مادّة (زلق) بمعنى الانزلاق والوقوع على الأرض وهي كناية عن الهلاك والموت.
- تُبيّن الآية ٥١ شدّة غضب الكفّار عند سماعهم آيات القرآن وكيف أنهم يريدون أن يمحوا النبي عن الوجود بأعينهم، والمقصود إمّا أنهم يحسدونه بأعينهم فيمحونه، وإما كناية، كما نقول نحن، إنّ فلاناً كان سيأكلني بعينيه.
- يدفع الحقد والكره بالإنسان إلى تصرفات متضادّة. فالكفّار من ناحية يعتبرون أنّ القرآن عظيم ويحسدون النبي عليه ويريدون إن يزلقوه بأبصارهم، ومن ناحية أخرى يتهمونه بالجنون وبقول الأساطير.
- يحارب العدو بيده، ويتهم بلسانه، ويُريد أن يُهلِك بعينه.
- تحدثت بداية السورة عن القلم والكتابة، وفي نهاية السورة جاء الحديث عن

إيقاظ كل العالم، وربّما كان القصد هو الإشارة إلى أنّ الطريق إلى إيقاظ العالم من غفلته هي الأدوات الثقافية.

الحسد:

رُوِي عن الرسول الأكرم ﷺ: «**إنّ العين حق وإنّها تُدخل الجمل والثور التنور**»[1].

ليس بالضرورة أن يصدر الحسد عن العدو، أحياناً قد يُعجب الصديق بإحدى كمالات صديقه. ولذلك ورد في الحديث، إذا أعجبك شيء في صديقك اذكر الله لتدفع الحسد وما أكثر الأشخاص الذين هلكوا وماتوا بسبب الحسد[2].

وكون الحسد حقّاً، لا يجوّز لنا أن نظن ببعض الأفراد سوءاً ونتهمهم بالحسد، أو أن نُلقي باللوم في الأمور المختلفة على الحسد. جاء في الروايات أنّ الصدقة، الدعاء، قراءة سورتي الناس والفلق وأمثال ذلك تمنع آثار الحسد.

التعاليم:

١ ـ حقد العدو أمر جديّ ويجب أن نحذر منه: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾.

٢ ـ يكشف القرآن الكريم عن مؤامرات العدو: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

٣ ـ مقصد العدو الرئيس من هجومه هو قائد المجتمع الإسلامي: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾.

٤ ـ الحسد حقيقة: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾.

٥ ـ يجب الدفاع في مقابل التهم الموجهة لأولياء الله أي في مقابل: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾، قال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

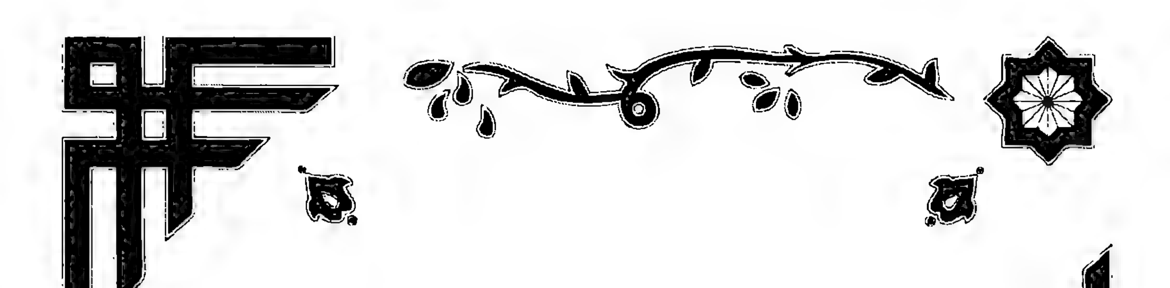
٦ ـ القرآن وسيلة للإيقاظ من الغفلة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.

٧ ـ القرآن ليس محدوداً بزمان ومكان، بل إنّه كتاب للعالمين وخالد لكل الأمم: ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ١٧. (٢) المصدر نفسه، ج٩٥، ص ١٢٧.



سُورَةُ الحَاقَّةِ

السورة: ٦٩ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٥٢



ملامح سورة الحاقة

نزلت هذه السورة في مكة وهي تتألف من اثنتين وخمسين آية. اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والحاقّة هي الأمر الثابت والمحقَّق.

محور حديث هذه السورة هو يوم القيامة وخصائصها، وقد ذكر ثلاثة أسماء ليوم القيامة في هذه السورة، هي: الحاقة، القارعة، الواقعة.

وتتحدث الأجزاء الأخرى للسورة عن مصير الأقوام السابقة المشؤوم، وعن عظمة القرآن والنبي، وعن خصائص الجنة والنار، وعن أهل الجنة وأهل النار.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾

إشارات:

- ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ من (حق) بمعنى الأمر الثابت والمحقّق. هذه الكلمة هي أحد أسماء يوم القيامة؛ لأنّ القيامة واقعة حتميّة وحقيقية وثابتة.
- «القارعة» من القرع بمعنى الدق. وتعني أنّ العالم سيواجه حادثة قارعة تدقه وتهزه في يوم القيامة.
- ذكر القرآن الكريم ثلاثة أحداث في هلاك قوم ثمود:

أ) الزلزال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾(١).

ب) الصيحة: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً﴾(٢).

ج) الصاعقة: ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾(٣).

ربما قد وقعت هذه العذابات الثلاثة سوياً وفي زمن واحد، أي رعد، وبرق، وزلزال، وربمّا كلُّ عذابٍ قتلَ عدداً معيناً من القوم.

- يلزم إيجاد نوع من الشوق والرغبة للتحفيز على الاستماع للمسائل المهمّة. الهدف من تكرار كلمة (الحاقّة) وتوجيه الخطاب إلى شخص النبي الأكرم ﷺ هو إثارة هذه الرغبة.

التعاليم:

١ ـ يوم القيامة، يوم عظيم ومرعب: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٨.

(٢) سورة القمر: الآية ٣١.

(٣) سورة فصلت: الآية ١٣.

٢ ـ لا يمكن معرفة القيامة إلا عن طريق الوحي: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾.

٣ ـ يُبتلى المكذبون بيوم القيامة بالعذاب الإلهي في الدنيا: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ... فَأُهۡلِكُواْ﴾.

٤ ـ القيامة حدث قارع ومخيف: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾.

٥ ـ ليس كل العذاب يوم القيامة، فثمة أقوام عُذبت في الدنيا: ﴿فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾.

٦ ـ التكذيب مقدمة للطغيان والطغيان سبب للهلاك: ﴿كَذَّبَتۡ... فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾.

٧ ـ الأفعال والصفات هي المعيار لاستقبال الخير أو الشر: ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾.

﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨﴾

إشارات:

- ﴿صَرۡصَرٍ﴾ بمعنى الرياح الباردة والقاسية. ﴿عَاتِيَةٖ﴾ من العتوّ بمعنى الطغيان.
- (حسوم) جمع (حاسم) يعني القيام بعمل بصورة متكررة ومتتالية حتى ينقطع ويفنى بشكل نهائي.
- تأتي كلمة «خاوية» بمعنى فارغة من الداخل وكذلك بمعنى الشيء الذي وقع على الأرض.
- «صرعى» جمع صريع، وتُطلق على الشيء الذي وقع على الأرض، «أعجاز» جمع (عَجُز) بمعنى جذع الشجرة.
- جاء في الآية ٢٠ من سورة القمر: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ أي أنّ هلاك قوم عاد كان بشكل وكأنّ جذع شجرة نخل طويلة قد اجتُثّ من جذورها.

التعاليم:

١ ـ يستطيع الله تعالى أن ينزل أي نوع من العذاب شاء. أهلك قوم ثمود بالصاعقة وقوم عاد بالرياح الباردة: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾.

٢ ـ يتحكّم الله تعالى بآثار الظواهر الطبيعية. فتارة تكون سبباً في حركة السفن والسُحُب وإنزال المطر وتارة تكون وسيلة للهلاك: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾.

٣ ـ قد ينزل العذاب الإلهي مرّة واحدة وقد ينزل على دفعات: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾.

٤ ـ ضخامة الجسد وقوته لا يمنعان الهلاك. حتى لو كان الإنسان طويلاً وضخماً كشجرة النخل، يقع على الأرض في مقابل العذاب الإلهي: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

٥ ـ لا يشبه بعض العقاب بعضه الآخر، أحياناً يكون ماحياً للجسد بشكل كلي: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، وقد يبقى الجسد أحياناً: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

- ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ جمع (مؤتفكة) من الائتفاك بمعنى القلب رأساً على عقب والمقصود بها المناطق التي سكنها قوم لوط. ﴿رَّابِيَةً﴾ من (ربا) بمعنى الرشد والزيادة، والعذاب الرابي هو العذاب القاسي.
- «تعيها» من وَعى بمعنى الفهم والحفظ والتقبّل.
- نقل مفسرو أهل السُّنة مثل الزمخشري، فخر الرازي، المراغي، القرطبي ومفسرو الشيعة مثل الشيخ الطبرسي، وأبو الفتوح الرازي، والعلّامة الطباطبائي، نقلوا روايات فُسّرت على أساسها (الأذن الواعية) بالإمام علي عليه السلام. وذِكْرُ كلمة (أذن) بصيغة المفرد يؤيد هذا المعنى بأنه ثمة أذن واحدة فقط هي من حفظت كل تلك الحقائق.

التعاليم:

١ ـ كان قوم لوط يعيشون في مناطق عدّة، وهلكوا كلهم: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾.

٢ ـ طاعة الأنبياء واجبة ومخالفتهم تؤدي إلى الهلاك: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾.

٣ ـ يوجد عقاب دنيوي يترتب على مخالفة الأنبياء: ﴿فَعَصَوْا۟... فَأَخَذَهُمْ﴾.

٤ ـ يُتم الله تعالى حجّته، ففي البداية يُرسل النبي، فإن عصاه الناس عندها يأخذهم بعذابه: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ... فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾.

٥ ـ العذاب الإلهي شديد: ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾.

٦ ـ يلطف الله تعالى بمجموعة معيّنة حين العذاب: ﴿لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾.

٧ ـ سكّان شبه الجزيرة العربية هم من الباقين من نسل نوح عليه السلام: ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾.

٨ ـ يجب أن نعتبر من الأحداث القاسية: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾.

٩ ـ يُعتبر حفظ التاريخ والآثار والكلمات، ميزة: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾.

١٠ ـ يكون للاستماع قيمة إذا ما صاحبه فهم وحفظ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

- الدكّ هو التهديم والتخريب وتُطلق كذلك على الأرض المستوية والملساء. (واهية) بمعنى ضعيفة، والأرجاء تعني الأطراف والنواحي.
- يدلّ تكرار كلمة (يومئذ) في هذه الآيات على أهميّة يوم القيامة.
- عن الإمام الصادق عليه السلام: **الثمانية الذين يحملون العرش، بعضهم أنبياء وبعضهم**

أئمة: (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، علي، الحسن والحسين)، والمراد من العرش هو العلم الإلهي، لذلك يكون أولياء الله المطلعون على عمل الناس أعلى مرتبة: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ من الملائكة[1].

□ عن الإمام علي عليه السلام في حوار له مع نصرانيّ: «**إن الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيئة السرير؛ ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر، وربك عزّ وجلّ مالكه، لا أنه عليه...**»[2].

التعاليم:

١ ـ النفخ في الصور من الأمور الحتميّة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾.

٢ ـ سيتلاشى نظام الوجود بوسيلة صوت كالرعد: ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ... فَدُكَّتَا﴾.

٣ ـ تخرج الأرض من مدار حركتها، وتقلع الجبال من مكانها وبضربة واحدة تُدّك بعضها ببعضها الآخر وتتفتت: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾.

٤ ـ يكون انهيار الجبال بسرعة وبشدّة: ﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾.

٥ ـ الواقعة المهمّة هي يوم القيامة، وكل واقعة أخرى بالنسبة إليها لا تُعد شيئاً: ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.

٦ ـ نهاية السماوات المُحكمَة: ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ هي الضعف: ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾.

٧ ـ صحيح أنّه في يوم القيامة سيزول النظام الموجود ولكن سيحكُم نظام آخر، وهو النظام الذي سيقوم بحضور الملائكة: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.

٨ ـ يُكشف يوم القيامة عن كل أبعاد شخصية الإنسان، وتُعرض شخصية الإنسان الحقيقية بحسناتها وسيّئاتها وأفكارها وأهدافها ونقصها وكمالها: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٠٤.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات:

- (هاؤم) اسم له معنى الأمر، يعني تعالوا. (قطوف) جمع (قطف) وهي الفاكهة المقطوفة أو الجاهزة للقطف.
- (ظن) في الأمور الدنيوية هي الاعتقاد المصاحب للشك، ولكن في الأمور الأخروية تعني الاطمئنان. (أسلفتم) من (إسلاف) وهو تقديم الشيء مع أمل الحصول على ما هو أفضل منه.
- لكل إنسان كتاب أعمال يوم القيامة، ويحمل المحسنون كتابهم في أيمانهم. وقد تكون المجموعة التي وُصفت في سورة الواقعة بأصحاب اليمين هم هؤلاء.
- المقصود من العلوّ في قوله: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: قد يكون علوّ المقام لا المكان.
- توجد في القيامة نِعم ماديّة ونِعم معنوية. رضا الإنسان نعمة معنوية والجنّة العالية نعمة ماديّة.
- قول الله: هنيئاً، يجعل التوفيق أعظم وأجمل. استُخدمت كلمة (هنيئاً) أربع مرّات في القرآن الكريم، منها ثلاث مرّات حول نِعَم الجنّة.

التعاليم:

١ ـ يُعطى كل شخص يوم القيامة كتاب أعماله بيده: ﴿أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾.

٢ ـ يُحاكِم الله تعالى الناس يوم القيامة ويُثيبهم أو يُعاقبهم على أساس الكتاب المكتوب والمستند: ﴿أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾.

٣ ـ ليس اليقين بيوم القيامة فقط هو ما يُؤثر في الإنسان ويُحرّكه، بل حتى التخمين والظن: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

٤ ـ يوم القيامة هو يوم حصاد نتائج ما زُرع في الدنيا: ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾.

٥ ـ الميل إلى إظهار الكمالات أمر فطري ويبقى حتى في يوم القيامة: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾.

٦ ـ الإيمان بالحساب سبب للتقوى واجتناب اللذات المحرّمة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وسوف يعوّض عن الحرمان في الدنيا وتكون الحياة في الدار الآخرة حياة راضية: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾﴾

إشارات:

□ الذراع هي المسافة من أطراف الأصابع إلى المرفق. وقديماً كان وحدة للقياس. وكلمة «سبعين» إمّا أن تكون بمعناها الحقيقي أو هي كناية عن طول السلسلة.

□ الجحيم من (جحمة) وتُطلق على النار الملتهبة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«لو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً، وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها»**[1].

□ ذَكَرت هذه الآية الكفر والبخل وعدم الاكتراث بالمحرومين بعضهم إلى جانب بعضهم الآخر: ﴿لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ... وَلَا يَحُضُّ﴾.

□ يُبين الأخذ والغَل والسحب والرمي في جهنم، مدى التحقير والإذلال الذي يتعرّض له أهل جهنم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ... صَلُّوهُ... فَٱسۡلُكُوهُ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص ٤٠٩.

التعاليم:

١ ـ من أساليب القرآن في توضيح الحقائق بشكل أفضل، المقارنة بين عاقبة الصالحين والسيئين: ﴿أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ... أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾.

٢ ـ عند التربية والهداية يجب ذكر البشارة والتحذير أحدهما إلى جانب الآخر: ﴿أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ... أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾.

٣ ـ المعرفة بالمستقبل هي خطوة في سبيل اتخاذ القرار الصائب اليوم: ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى﴾.

٤ ـ لا يوجد أي بصيص أمل للكفار يوم القيامة. وقد يكون عنده أمل قبل رؤية كتابه أما بعد معاينته فلا يبقى لديه أمل: ﴿يَٰلَيْتَنِى... يَٰلَيْتَهَا﴾.

٥ ـ ليس للقدرة والثروة أي قيمة يوم القيامة: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾.

٦ ـ تكديس الثروات في الدنيا سببٌ للحسرة في يوم القيامة: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ﴾.

٧ ـ عقاب الأيادي التي كانت تُمَد في الدنيا إلى الظلم والفساد، هي الغَل بالسلاسل يوم القيامة: ﴿فَغُلُّوهُ﴾.

٨ ـ من الأفضل أن يحترق الإنسان الذي لا يعمر قلبه نور معرفة الله ولا يخدم الناس بعمله: ﴿لَا يُؤْمِنُ... وَلَا يَحُضُّ﴾.

٩ ـ الاعتناء بالجوعى مطروح إلى جانب الإيمان بالله: ﴿لَا يُؤْمِنُ... وَلَا يَحُضُّ﴾.

١٠ ـ على فرض أننا لا نملك القدرة على المساعدة، فيجب أن نشجّع الآخرين على مساعدة المحتاجين: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾.

١١ ـ لا يشترط في مساعدة الفقراء أن يكون الفقير مؤمناً: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات:

- «غِسلين» هو الدم والقيح الذي يخرج من جسد أهل النار.
- المقصود من ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ شخص نبي الإسلام ﷺ وليس جبرائيل الأمين عليه السلام؛ لأننا نقرأ في الجمل اللاحقة أنه ليس كاهناً أو شاعراً، وقد نُسبت صفة الشاعر والكاهن إلى النبي الأكرم لا إلى جبرائيل عليه السلام.
- كان المشركون يعدّون القرآن كتاب شعر وأنّ النبي شاعر، في حين أنّه لم يُنقل عن الرسول ولو بيتاً من الشعر(١).
- عقاب يوم القيامة متناسب مع الذنب. من لا يرحم المساكين في الدنيا، لا يجد من يرحمه في الآخرة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾. ومن لا يُطعم المحتاج في الدنيا سيُعذب بالطعام في ذلك اليوم.
- ورد أعظم قسم في هذه السورة: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي كل الوجود، المرئي وغير المرئي، والذي هو أكثر من المرئي بكثير، عوالم الغيب والملائكة والجن غير المرئيين وأعالي الأفلاك وأعماق البحار التي لا تُرى في الأحوال العاديّة.
- نزل القرآن بالتدريج؛ لأن كلمة تنزيل تُستخدم للنزول التدريجي. ولكن من القرآن كلّه نزل على قلب الرسول في ليلة القدر ومن ثم بالتدريج على طول ٢٣ سنة. كأن تضع مبلغاً من المال في المصرف ثم تسحب منه تدريجياً.
- كان الرسول ﷺ يتحلّى بالكرم المطلق: ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فهو كريم في تعامله مع الزوجة، العدو، الصديق، الجار، الفقير، وكريم في الشدة واليُسر.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

□ نقرأ في الآية السادسة من سورة الغاشية أنّ طعام أهل النار هو الضريع: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾.

وفي سورة الدخان: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾[1].

في الآية ٣٦ ورد: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾، لذا فقد يكون (الزقوم) و(الضريع) طعام واحد و(غسلين) هو شرابهم، يعني عندهم نوع واحد من الطعام ونوع من الشراب.

ويمكن أن يكون لكل فريق من أهل النار طعام خاص به، فريق له ضريع، وفريق زقوم وفريق غسلين.

التعاليم:

١ ـ لا يرتاح أهل النار، لا من الناحية النفسية: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾؛ ولا من الناحية المادية: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾.

٢ ـ عدم الإيمان بالله تعالى وعدم الاكتراث بالمحتاجين هو ذنب لا يُغتفر: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾.

٣ ـ كل الوجود له أهميّة في النظرة الإلهيّة؛ لأن الله قد أقسم بكل الوجود: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾.

٤ ـ لا تحصروا أنفسكم في الماديّات، فإنّ الأشياء غير المرئية كثيرة: ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾.

٥ ـ في فنّ الإدارة، يجب أن تدافعوا عن الكوادر السليمة وتبعدوا الشبهات عنها: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ... وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾.

٦ ـ إنّ الله يُتمّ حجته، فينزل ربّ العالمين الوحي وواسطة الوحي هو الرسول الكريم: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ... تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٧ ـ لا يجب على المبلّغ أن يتوقع إيمان الناس جميعاً أو أغلبهم: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) سورة الدخان: الآيتان ٤٣، ٤٤.

٨ ـ لا يكفي الإيمان وحده، بل إن الذكر ضروري أيضاً، من الممكن أن يكون الإنسان مؤمناً ولكنّه غافل: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ... قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

٩ ـ لا تسكتوا عن قول الحق وإن عارضت الأكثرية: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ...قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات:

- «تقوّل» يعني نَسَبَ الكلام إلى الشخص الذي لم يقله.
- «الوتين» هو الشريان الذي يغذي القلب بالدم وإذا قطع مات الإنسان.
- القرآن في الدنيا والآخرة، سبب لحسرة الكفّار. يتحسّرون في الدنيا لعدم مقدرتهم على الإتيان بمثله، وفي الآخرة يتحسّرون لعدم إيمانهم به.
- الأخذ بـ(اليمين) كناية عن القدرة؛ لأن اليد اليمنى لها قدرة أكبر.
- إنّ الله تعالى لا يخجل من أحد، ندماً يخاطب الله نبيّه بهذا الأسلوب على البقية أن يحذروا.
- للقرآن خصائص، من بينها: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾.
- لم يَنسِب الرسول الأكرم أي شيء غير صحيح إلى الله تعالى؛ لأن كلمة (لو) تُستخدم في الموارد التي يكون فيها الأمر غير قابل للتحقق.
- دافع الله تعالى في الآية السابقة عن نبيّه أحسن الدفاع؛ ولكنه في هذه الآية يُهدد بأنه إن نسب إلى الله كلاماً لم يقله سيُقطع شريانه الرئيس بكل اقتدار.

التعاليم:

١ ـ الله تعالى هو حافظ الوحي ولا أحد يملك القدرة على الإضافة إليه أو التنقيص منه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾.

٢ ـ يجب على النبي كما الآخرين أن يحفظوا حرمة الوحي: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾.

٣ ـ كل الناس سواسية أمام القوانين الإلهية، حتى النبي: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ... لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾.

٤ ـ إنّ القرآن ليس كلام كاهن ولا شعراً وهو ليس كلام النبي كذلك: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ...﴾.

٥ ـ إنّ التساهل والتسامح في قانون الله وكلامه ممنوع: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ...﴾.

٦ ـ التعاطي مع الأمور بشكل حاسم، يمنع الآخرين من الطمع بالتصرف: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾.

٧ ـ يتمتع القرآن بالحفظ والصيانة التامَّيْن: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾.

٨ ـ الدفاع عن الحق أهم من الشخص؛ فمن الممكن أن تؤخذ روح أفضل الأشخاص لأجل حفظ الوحي: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ... لَأَخَذْنَا...﴾.

٩ ـ يجب الكلام بشكل حاسم عند الدفاع عن حرمة القرآن وحدوده: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾.

١٠ ـ الذنوب العظيمة لها عقاب عظيم: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ... ثُمَّ لَقَطَعْنَا...﴾.

١١ ـ يجب أن تكون الحراسة مشددة أكثر على الشيء ذي القيمة الأكبر: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ... وَلَوْ تَقَوَّلَ... لَأَخَذْنَا... لَقَطَعْنَا...﴾.

١٢ ـ يعاقب الله الأشخاص الذين يتعدّون على حرمة الوحي بالهلاك: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾.

١٣ ـ لا يملك أي أحد أي قدرة على المقاومة في مقابل العذاب الإلهي: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾.

١٤ ـ تأثير القرآن على المتقين جدّي وحتمي: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾

١٥ ـ التقوى هي شرط لتقبّل النصيحة: ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

١٦ ـ ثمة مكذبون في مقابل المتقين: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ... مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾.

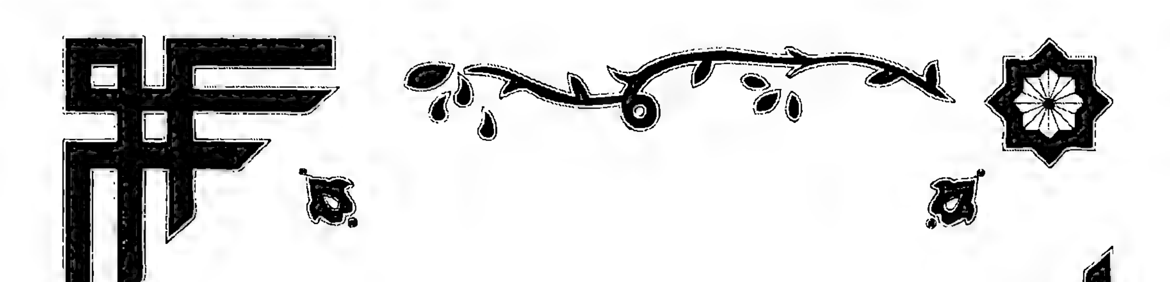
١٧ ـ لا ينبغي أن يتوقع المبلّغ أن يُسلم كل الناس له: ﴿مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾.

١٨ ـ فليعلم المكذبّون أنهم تحت رقابة الله تعالى: ﴿لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾.

١٩ ـ سِيروا في طريقكم تحت عين الله في مقابل تموضع المكذبين: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٢٠ ـ تسبيح الله تعالى هو في سبيل تربية الإنسان: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ المَعَارِج

السورة: ٧٠ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٤٤



ملامح سورة المعارج

تحتوي هذه السورة على أربع وأربعين آية وهي من السور المكيّة، وإن كانت آياتها الأولى قد نزلت في المدينة. اسم السورة مأخوذ من الآية الثالثة والمعارج هي مكان عروج الملائكة في السموات.

وهي كغيرها من السور المكيّة تتحدث عن المعاد وإنذار المشركين والمخالفين. والجزء الآخر من السورة يتحدث عن أحوال الكافرين في يوم القيامة وصفات أهل النار وأهل الجنة وخصائصهم.

تتحدّث الآيات الأولى للسورة عن نزول العذاب بأحد منكري ولاية الإمام علي عليه السلام الذي أدّى إلى هلاكه، وسيرد تفصيل الحادثة في ذيل الآية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾

إشارات:

- «المعارج» من العروج بمعنى محل العروج والصعود، والمقصود بها السموات التي هي محل عروج الملائكة وصعودهم.
- نقل المرحوم العلّامة الأميني رحمه الله ثلاثين اسماً لكبار المفسّرين والمحدّثين من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع عشر في كتابه الشريف **الغدير**[1]، إذ قال هؤلاء: يرتبط سبب نزول الآية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ بشخص كان قد قال للنبي: أكان تنصيب أمير المؤمنين للخلافة يوم الغدير من قبلك أم من قبل الله؟! أمرتنا بالحج والزكاة وقبلنا، ولم ترض إلا أن تؤمّر ابن عمّك علينا! ثم قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[2]، فنزل حجر عليه فأهلكه، ثم نزلت هذه الآية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

التعاليم:

١ ـ من الضروري التذكير بالحوادث الفردية والجزئية حتى يعتبر الآخرون ويجب أن تُحفَظ هذه الحوادث. (إنّ السائل كان شخصاً واحداً وقد أهلكه الله بعذابه، ولكن الله تعالى ذكر هذه القصة في القرآن حتى يقرأها كل الناس عبر التاريخ): ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

٢ ـ يمكن أن يكون الطلب الذي ليس في محله والناشيء عن العناد، سبباً لوقوع أحداث عظيمة: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

---

(١) الغدير، ج١، ص٢٣٩ إلى ٢٤٦. (٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

٣ ـ طالما أنّ العذاب الإلهي لم ينزل بعد، فإنّ باب التوبة ودفع العذاب بالصدقة مفتوح؛ ولكنّ العذاب النازل ليس له دافع: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ... لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾

إشارات:

- ما قاله بعض المسلمين والمخالفين لنبي الإسلام ﷺ من تجريح وتأنيب عند تنصيبه الإمام علياً عليه السلام لخلافة يوم غدير خم كان شديداً لدرجة أنّ الله تعالى أمر نبيّه بالصبر على أذاهم: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ... فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾.
- كان الكافرون يعتقدون بأنّ وقوع المعاد أمر بعيد ومجافٍ للذهن والعقل، في حين أنّ الله تعالى يقول إنّ المعاد أمر حتمي وواقع وقريب جداً: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾
- دعا الله تعالى نبيّه في القرآن الكريم إلى الصبر ما يقارب العشرين مرّة، دعاه إلى الصبر الجميل الذي ليس فيه جزع وفزع أو كلام بذيء. وُجِه الخطاب بالصبر إلى النبي الأكرم وإلا فإنّ الصبر واجب على كل الأمّة.
- سيتغيّر النظام الحاكم على الأرض والسماء بشكل كلّي لكي تقوم القيامة. وردت في القرآن تعبيرات عدّة تبيّن هذه التغييرات، والمثال على ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[١][٢].

التعاليم:

١ ـ حتى النبي يحتاج إلى توصية بالصبر والثبات: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾.

٢ ـ من يرى أنّ القيامة قريبة، يصبر ويثبت أمام المشاكل: ﴿فَاصْبِرْ... وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(٢) لمزيد من التفصيل، انظر: كتاب المعاد للمؤلف.

٣ ـ سينتهي النظام الموجود في السماء في يوم من الأيام ويفنى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

❑ «يَفتدي» بمعنى إعطاء الفدية مقابل الخلاص والنجاة. والفصيلة هي العائلة التي انفصل الإنسان منها. «تؤويه» من (مأوى) بمعنى اللجوء. اللظى لهب النار الخالص. أوعى من (وِعاء) والمقصود بها حِفظ شيء بالوِعاء. والشوى تُطلق على جلد أطراف الجسم.

❑ يتمنى المجرم يوم القيامة ثلاث أمنيات:

أ) أن يتساوى بالأرض: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾[1].

ب) أن يبتعد عن أعماله: ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[2].

ج) أن يفتدي نفسه بالمال أو غيره: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى...﴾.

❑ لا يختار المجرم فرداً أو مجموعة ليفتدي بهم، بل إنّه يقول: خذوا الجميع وخلّوا سبيلي، خذوا الولد، الزوج، الأخ، القريب وكل الناس على الأرض. (عُطِفت الكلمات بحرف الواو وليس بحرف أو).

في ذلك اليوم، يضحي الإنسان بعاطفته على ولده، وغيرته على زوجه، وحبّه لأخيه، وحماية العائلة والمعارف والناس، ولكن ما النفع؟

❑ بحسب هذه الآيات ثمة أربعة عوامل تؤدي إلى جهنم هي: أن يدير الشخص

(١) سورة النساء: الآية ٤٢. (٢) سورة آل عمران: الآية ٣٠.

ظهره للحق ﴿أَدْبَرَ﴾، أن ينفر بقلبه ويُشيح بوجهه: ﴿تَوَلَّىٰ﴾، أن يجمع الثروة: ﴿جَمَعَ﴾، ألّا يعطي الآخرين: ﴿فَأَوْعَىٰ﴾.

التعاليم:

١ ـ لا تتعلّقوا بالصداقة والروابط الدنيوية الحميمة؛ فإنّها لا تنفع في الآخرة: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾.

٢ ـ يكون العذاب يوم القيامة جسدياً ونفسياً. عرض أقرباء الإنسان وأصدقائه الحميمين عليه وبالعكس، هو أكبر تعذيب نفسي له: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾.

٣ ـ يريد المجرم في ذلك اليوم أن ينجو من العذاب بأي قيمة: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى... بِبَنِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ... وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾.

٤ ـ فلنحذر في الدنيا ألّا نجعل أنفسنا من أصحاب النار لأجل ترفيه أزواجنا وأولادنا وإرضاء أصدقائنا وأقاربنا؛ لأنهم لن ينقذونا في ذلك اليوم ولن ينفعونا: ﴿لَوْ يَفْتَدِى... بِبَنِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾.

٥ ـ غريزة حب الذات من أقوى الغرائز: ﴿لَوْ يَفْتَدِى... وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾.

٦ ـ نار جهنم لها شعور، وتعرف المجرم: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

- الهلوع هو الإنسان عديم الصبر والحريص.
- **سؤال**: ذكر الله تعالى في بعض الآيات أنّ خلق الإنسان هو الأحسن: ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١]، وأنّه أحسن الخالقين ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[٢]؛ ولكن

---

(١) سورة التين: الآية ٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

هذه الآيات تقول إنّ الإنسان خُلق هلوعاً وبخيلاً، فكيف يمكن جمع المعنَيين معاً؟

الجواب: جُعلت في الإنسان أمور متضادّة عند خلقه، وهذا هو سر التكامل. نفس الإنسان تسوقه إلى الشر: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[١] ولكن عقله يمنعه: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾[٢]، ويصل الإنسان إلى الرشد باختياره بين هذه الأضداد، وهذا ما يؤدي إلى التربية والتزكية.

□ تفيد روايات عدة، أن أحسن الأعمال هي ما نداوم عليه[٣]: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾.

□ وردت روايات عدة حول الحرص[٤] وسنذكر بعضها:

١ ـ **«الحرص لا يزيد في الرزق»**.

٢ ـ **«من كثر حرصه.. ذلّ قدره»**.

٣ ـ **«ربّ حريص قتله حرصه»**.

٤ ـ **«ليس لحريص غناء»**.

٥ ـ **«الحرص يزري بالمروة»**.

٦ ـ **«الحرص مطيّة التعب»**.

٧ ـ **«لا حياء لحريص»**.

٨ ـ **«الحريص أسير»**.

٩ ـ **«الحرص علامة الفقر»**.

١٠ـ **«الحرص يفسد الإيقان»**.

١١ـ **«الحرص موقع في كثير العيوب»**.

١٢ـ **«لا يلفى الحريص مُستريحاً»**.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) سورة النازعات: الآية ٤٠.

(٣) تفسير نور الثقلين.

(٤) غرر الحكم.

التعاليم:

١ ـ الدليل على الحرص أمران: الجزع عند المصيبة والبخل عند الغنى: ﴿هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.

٢ ـ البخل والحرص هما أساس الكثير من الأزمات: ﴿جَزُوعًا... مَنُوعًا﴾.

٣ ـ قدرة الإنسان على التحمل ضئيلة جداً، فما أن يواجه مشكلة، حتى تجده يشتكي ويبخل: ﴿مَسَّهُ... مَسَّهُ﴾.

٤ ـ المداومة على الصلاة هي طريق النجاة من الأخلاق السيئة: ﴿خُلِقَ هَلُوعًا... إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

٥ ـ يميل طبع الإنسان المادي إلى الحرص والبخل، وتلجم الصلاة وذكر الله ذلك الطبع: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا... إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

٦ ـ يكون الإنسان مضطرباً من دون الصلاة: ﴿جَزُوعًا... مَنُوعًا... إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

٧ ـ تظهر آثار الصلاة عند المداومة عليها: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

□ يرى عدد من المفسّرين أنّ هذه الآية نزلت قبل تشريع الزكاة والخمس.

□ سئل الإمام الصادق عليه السلام عن: ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾، فقال: «هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال، فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة الآلاف والأقل والأكثر، فيصل به رحمه ويحمل به الكَلَّ عن قومه»[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٤١٧.

وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الآية كذلك، فأجاب بأنّ الحق المعلوم هو شيء آخر غير الزكاة[١].

☐ نقرأ في نهج البلاغة: «**إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء؛ فما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك**»[٢].

☐ تشير عبارة: ﴿لِلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ إلى أنّ بعض المحتاجين في المجتمع لا يسألون ولا يُبدون حاجتهم؛ لذا على الأغنياء أن يبحثوا عنهم ويعرفوهم ويؤدّوا إليهم حقوقهم.

☐ يجب أن نواجه العادات والتقاليد والرسوم غير المنطقيّة وألا نسمح بتحريم حلال الله. بعض العادات والتقاليد في المجتمع تمنع زواج الفتاة والشاب في الوقت المناسب أو تمنع العروس وزوجها من أن يكونوا سويّاً، وإذا ما تمّ الزواج في سنّ مبكرة يلومهم الناس ويوبّخونهم؛ في حين أنّه من وجهة نظر القرآن لا يجب أن يُلام هؤلاء الأشخاص ويجب أن يُوبّخ الأشخاص الذين يبغون طريقاً غير الزواج.

☐ الاستمناء ذنب كبير. فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الاستمناء، فقال عليه السلام: «**إثم عظيم نهى الله عنه في كتابه**»، فسألوا: في أي آية؟ فتلا عليه السلام آية: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾.

☐ ورد في رواية عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال لولده: «**خَفِ الله خوفاً لو أتيته بحسنات الثقلين لعذبك، وارجُ الله رجاءً لو أتيته بذنوب الثقلين لعفا عنك**»[٣].

☐ يساعد الإيمان بالقيامة والخوف من العذاب على الاهتمام بالصلاة والإنفاق.

التعاليم:

١ ـ الهلوع عنده جزع وبخل، أمّا المصلي فعنده الصلاة والإنفاق: ﴿هَلُوعًا.. جَزُوعًا... مَنُوعًا... إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ... حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٢، ص ٩٥.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٨.
(٣) تفسير نمونه.

٢ ـ ثمة علاقة غير منفكّة بين الصلاة ومساعدة المحتاجين: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ... حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

٣ ـ يُعدّل الإنفاق من خُلق الحرص والبخل: ﴿خُلِقَ هَلُوعًا... وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ... فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾.

٤ ـ لا يعتبر المؤمن والمصلي الحقيقي نفسه مالكاً لكل ممتلكاته ويعتقد بأن قسماً منها هو حق الآخرين: ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾.

٥ ـ المحتاجون شركاء للمقتدرين في أموالهم ولهم فيها حق: ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

٦ ـ لا يمكن تشخيص فقر الناس من مظهرهم الخارجي؛ إذ قد يعمد بعض المحتاجين إلى إعطاء انطباع بأنهم مرتاحون ولا يسألون الناس شيئاً: ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

٧ ـ سعادة الفرد ليست بمعزل عن سعادة المجتمع: ﴿ٱلْمُصَلِّينَ... لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

٨ ـ شرط المساعدة هو الاحتياج، سواء أكان مؤمناً أم لم يكن: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

٩ ـ الدين الجامع يعني الاهتمام بالمسائل الاجتماعية: ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾؛ وبالمسائل العقدية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

١٠ ـ الإسلام دين فطري. يجب فيه إرضاء الغرائز بالطريقة الصحيحة ويجب كذلك الحؤول دون وقوع الفحشاء والمنكر: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾.

١١ ـ يعارض الإسلام كبح الغريزة الجنسية: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾.

١٢ ـ يترصّد الخطر بنا دائماً: خطر الانحراف، وسوء العاقبة، والموت قبل التوبة، وخطر عدم قبول الأعمال، وخطر حبط الأعمال، و...: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

١٣ ـ لا يجب أن يُلام أي شخص في أي زمان وفي أي مكان، في أي سنّ كان على الزواج المشروع: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

١٤ ـ إرضاء الغريزة الجنسية عن طريق الحرام نوع من أنواع الاعتداء: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات:

❑ رسمت الآيات ٢٢ إلى ٣٥ من سورة المعارج، صورة الأمّة الإسلامية والمجتمع المثالي:

ـ عندهم ارتباط دائم وكامل بالله تعالى عن طريق الصلاة.

ـ يهتمون بمشاكل المحرومين ويعتبرون أنّ جزءاً من أموالهم هو حق للمحرومين.

ـ تحكم التقوى على أفكارهم وأقوالهم وأفعالهم، لإيمانهم بالمعاد وخوفهم من الحساب.

ـ يحافظون على الأمانات ويحفظون العهود.

ـ يثورون لأجل حقوق الناس، وإذا دعوا للشهادة لا يرفضون.

ـ يتبعون الطريق الحلال لإرضاء غريزتهم الجنسية وتشكيل العائلة والسلالة الطاهرة.

❑ تشمل الأمانة، الأمانة المعنوية كذلك، مثل المسؤوليات، وأسرار الناس، وحفظ ماء وجههم.

❑ كل عهد هو لازم الإجراء: مع الناس، مع الله، مع القادة الدينيين، مع الزوج ..... إلخ.

❑ قد يكون المقصود من عبارة: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[1] عدم ترك الصلاة.

---

(١) سورة المعارج: الآية ٢٣.

والمقصود من: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الاهتمام الجدّي بالصلاة، وكذلك انتظار الصلاة، التوضؤ قبل دخول وقت الصلاة، صلاة الجماعة، والصلاة في المسجد، ومراعاة شروط صحة الصلاة وقبولها وكمالها[1].

□ ورد في رواية عن النبي الأكرم ﷺ، أنّه عدّ الخيانة في الأمانة، وعدم الوفاء بالعهود، والكذب من علامات النفاق[2].

التعاليم:

١ ـ لا يكون الإيمان فقط بالإنفاق والصلاة، بل إنّ المحافظة على العهد والالتزامات الاجتماعية من شروط الإيمان كذلك: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

٢ ـ السكوت عن علم جريمة، والشهادة بالحق دليل على الإيمان: ﴿بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾.

٣ ـ التوجّه إلى الصلاة هو أساس كل الكمالات ومنتهاها؛ قال في البدء: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، ويقول في الختام: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

٤ ـ أهل الجنّة مُؤمَّنون من الناحية الماديّة: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾، والمعنوية: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

□ «مُهطِعين» بمعنى مد العنق أو التحديق أو السعي بسرعة للبحث عن شيء.

ذُكِر المنافقون عند أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال: «**وما زال رسول الله ﷺ يتألفهم ويقربهم ويجلسهم عن يمينه وعن شماله حتى أذن الله عزّ وجلّ له**

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير.
(٢) سفينة البحار، ج٢، ص١٣١.

في إبعادهم»، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾»[١]؛ لأن الكفر هو عدم التسليم وليس عدم المعرفة. مثل الشيطان الذي كان يعرف الله ويعترف بالقيامة فقد قال: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢] إلا أنّه لم يكن مُسلماً لله. وعلى كل حال، فإنّ العلم غير الإيمان، فقد كان المنافقون يعرفون النبي؛ ولكنهم لم يُسلموا ولذلك أُطلق عليهم لقب الكافرين.

❑ (قِبَل) بمعنى مقابل؛ و(عِزين) جمع عِزَة بمعنى المجموعات المتفرقة.

❑ قال عمر بن سعد لأصحابه صبح يوم عاشوراء؛ وهو يحرّضهم على قتل الحسين عليه السلام: **«يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة»**[٣].

❑ كان الكفار يقولون بسخرية: إذا كان كلام النبي عن الجنة صدقاً فنحن أيضاً سنكون من أصحاب الجنة وسندخلها قبلهم: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

التعاليم:

١ ـ للقرآن جاذبية، حتى المعارضون للنبي صلى الله عليه وآله كانوا يجتمعون حوله ويمدّون أعناقهم ليستمعوا إليه: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾.

٢ ـ كان النبي واسع الصدر فحتى المخالفون كانوا يجتمعون حوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

٣ ـ لا تفرحوا بكل تجمهر واستقبال حار من الناس: ﴿مُهْطِعِينَ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

٤ ـ قد يتواجد الأعداء حول المؤمنين لمعرفة أخبارهم وقراراتهم: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

٥ ـ كان الكفّار يُعرضون عن النبي صلى الله عليه وآله وكان المنافقون يتقرّبون إليه: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤.
(٣) تفسير أطيب البيان.

٦ ـ يغترّ المنافق بعمله ويطمع بالجنّة: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

٧ ـ يظنّ المنافقون أنّهم سيدخلون الجنّة من دون إيمان أو عمل: ﴿يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

٨ ـ رُدّوا على الأعداء آمالهم الواهية بشكل قطعي: ﴿أَيَطْمَعُ... كَلَّآ﴾.

٩ ـ لماذا يغتر الأشخاص الذين يعرفون أننا خلقناهم من ماء مَهين، ويعتقدون مع كل كفرهم أنهم سيدخلون الجنة: ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾.

١٠ ـ الذين يعلمون ممّا خلقناهم يجب أن يعلموا كذلك أننا قادرون على خلقهم مرّة أخرى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ (٤٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٤٤)﴾

إشارات:

- المقصود من: ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ مشرق الشمس ومغربها؛ لأن الشمس تُشرق وتُغرب من مواقع مختلفة في كل يوم من أيام السنة، فتشرق من نقطة وتغرب بأخرى، ولا تُشرق أبداً من النقطة التي أشرقت منها بالأمس ولا تغرب بنقطة الغروب نفسها السابقة كذلك[١].

- المقصود من ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي أحسن منهم إيماناً. يعني نحن نستطيع أن نهلك المنافقين ونأتي مكانهم بأناس مؤمنين يتبعون الحق ولا ينكرونه.

- وردت ثلاثة تعبيرات في القرآن الكريم حول المشرق والمغرب:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

بصيغة المفرد: ﴿ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾[١]، وبصيغة المثنى: ﴿ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[٢]، وبصيغة الجمع: ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.

بشكل عام فإنّ ثمة جهة للمشرق وجهة للمغرب. ومن جهة أخرى، يوجد تغيير في المدار في الصيف والشتاء إذ إنّ مدار الصيف في الشمال ومدار الشتاء في الجنوب، إذاً فللشمس مشرقان ومغربان. وبنظرة أدق إلى هذا الموضوع، فكل يوم له نقطة شروق ونقطة غروب يعني ٣٦٥ نقطة شروق و٣٦٥ نقطة غروب. وثمة حديث للإمام علي عليه السلام يُؤيد هذا المعنى[٣].

- هدد الله تعالى الكافرين والمشركين والمنافقين في آيات عدة مضافاً إلى الآية ٤١ من هذه السورة، بأنّه قادر على أن يهلكهم ويأتي بمن هم أفضل منهم: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٤]، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[٥].
- الآية ٤٢ من هذه السورة شبيهة بالآية ٨٣ من سورة الزخرف: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ...﴾.
- يكون الخروج من القبر مصاحباً للانتشار: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾، كما يقول في موضع آخر: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[٦]، أو قوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[٧].
- تُطلق كلمة «نُصُب» على العلامة التي تُنصب في الطريق للاستدلال. قال بعض المفسّرين باستنادهم إلى آية: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[٨] إنّ المقصود من النُّصُب في هذه الآية، كما في تلك الآية هو الأصنام، وهذا المعنى بعيد عن كلام الله[٩].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٥.
(٢) سورة الرحمن: الآية ١٧.
(٣) تفسير نور الثقلين.
(٤) سورة فاطر: الآية ١٦.
(٥) سورة محمّد: الآية ٣٨.
(٦) سورة القمر: الآية ٧.
(٧) سورة يس: الآية ٥١.
(٨) سورة المائدة: الآية ٣.
(٩) الميزان في تفسير القرآن.

□ ورد في سورة القلم، الآية ٤٤: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾.

□ معارضة الرسول سبب للذل في الدنيا: ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾[1]؛ وفي الآخرة: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.

□ ذلك الذي يؤذي رسول الله بنظراته في الدنيا: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾[2]؛ سوف تكون نظراته خجلى يوم القيامة: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾.

التعاليم:

١ ـ يجب أن يُحفّز قَسَمُ الله تعالى بالمشرق والمغرب، الإنسان على التفكير فيهما: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.

٢ ـ المشرق والمغرب خاضعان للربوبيّة الإلهية: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.

٣ ـ نظام الوجود قائم على الحكمة والنظم، بشكل يمكن معه محاسبة طلوع كل يوم وغروبه في مكانه بدّقة: ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.

٤ ـ الخلق بيد الله وتبديله كذلك: ﴿خَلَقْنَٰهُم... نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾.

٥ ـ لا تظنوا أبداً أنكم الأحسن؛ فإن الله قادر على تبديلكم بمن هو أحسن منكم: ﴿نُّبَدِّلَ خَيْرًا﴾.

٦ ـ يجب الإرشاد طالما أنّه يُحتمل الأثر؛ ولكن بعد اليأس من الهداية يجب الترك: ﴿فَذَرْهُمْ﴾.

٧ ـ الكلام الفارغ الذي ليس له أساس عن الدين وعن القادة الدينيين، يُغرق الإنسان في مستنقع الذنوب ويشغله: ﴿يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾.

٨ ـ الدعوة والإرشاد واجبان ما دامت توجد أرضية للقبول؛ ولكن إذا ما خاض المدعوّون في الحديث وأخذوه لهواً، فيجب تركهم بحال سبيلهم: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٠.
(٢) سورة القلم: الآية ٥١.

٩ ـ ترك الناس المعاندين هو بمثابة إعطائهم المهلة: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾.

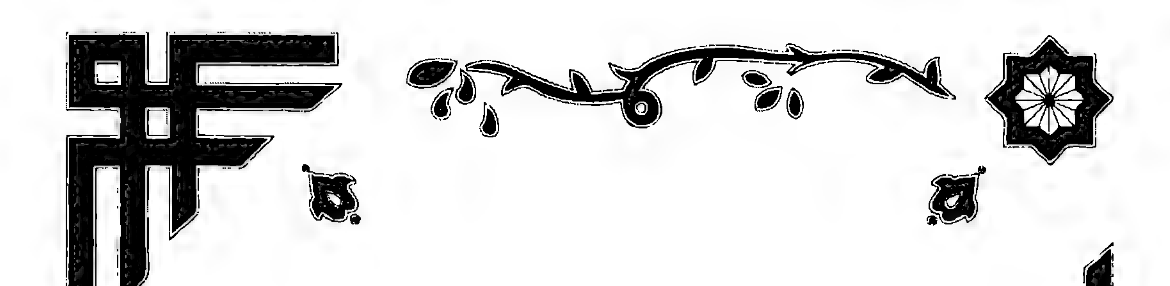
١٠ ـ المعاد جسماني: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾.

١١ ـ السرعة بين الناس المزدحمين، دليل على وحشة الكفّار واضطرابهم يوم القيامة: ﴿سِرَاعًا﴾.

١٢ ـ يكون الكافرون يوم القيامة منغمسين في الفضيحة والذل: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.

١٣ ـ كان الأنبياء دائماً يُحذرون الناس من يوم القيامة: ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ... الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سورة نوح

السورة: ٧١ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٢٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾

إشارات:

- وردت قصة نبي الله نوح بالتفصيل في سوَر: الأعراف، هود، المؤمنون، الشعراء، القمر، ونوح. وأكثرها تفصيلاً كان في سورة هود من الآية ٢٥ إلى الآية ٤٩.

- نسب قوم نوح الضلال لنوح: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١]، وكانوا دائماً يسخرون منه: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟﴾[٢]، كانوا ينعتونه بالجنون وخفة العقل: ﴿مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾[٣]؛ ولكنه عليه السلام ظلّ يدعوهم إلى الهدى.

- أعظم رسالة للأنبياء، الدعوة للتوحيد: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾، إطاعة المبعوث الإلهي: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، ورعاية التقوى: ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾.

- يجب أن يكون التبليغ خطوة خطوة. في البداية حذّر النبي نوح قومه: ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، ورويداً رويداً بلّغ رسالته لكل الناس، وبعد عنادهم دعا عليهم: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[٤].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٦٠.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٦.
(٣) سورة القمر: الآية ٩.
(٤) سورة نوح: الآية ٢٦.

خصائص النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم:

ـ تسليم الله عليه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، لقد سلّم الله تعالى على إبراهيم وموسى وهارون وإلياس وعباده الصالحين، ولكن لم يرد مع أي سلام كلمة: ﴿فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ـ هو النبي الوحيد الذي ذكرت مدة نبوّته في القرآن الكريم (٩٥٠ سنة).

ـ النبي الوحيد الذي خالفه زوجه وابنه وقومه.

ـ النبي الوحيد الذي عمّر طويلاً، وصنع السفينة بأمر من الله، وكانت سفينته وسيلة نجاة البشرية والإبقاء على الحيوانات ولُقّب بـ(أبي البشر الثاني).

ـ أول نبي امتلك كتاباً وشريعة عالميّة[2].

ـ النبي الذي أغرق اللهُ الأرض استجابة لدعائه.

ـ النبي الذي لم يصل عدد أصحابه إلى عشرة من بعد دعوة دامت ٩٥٠ سنة.

التعاليم:

١ ـ يجب الاكتفاء بالأحداث البنّاءة عند نقل تاريخ السابقين، والابتعاد عن نقل التفاصيل الزمانيّة والمكانيّة، التي ليس لها أثر في التربية: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾.

٢ ـ يجب تحذير الناس الغافلين لا تبشيرهم: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾.

٣ ـ لا يجوز العقاب قبل البيان: ﴿أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ﴾.

٤ ـ يجب أن تكون التحذيرات الدينية واضحة ومشفقة: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

٥ ـ اتباع الأنبياء هو نتيجة الإيمان بالله وبالمعاد. التوحيد والتقوى أولاً، ثم الدعو إلى إطاعة النبي: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

---

(١) سورة الصافّات: الآية ٧٩.

(٢) كنز العمال، الحديث ٣٢٣٩١.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

إشارات:

□ للإنسان أجلان:

ـ أجل يتأخّر بالعبادة والتقوى ويتقدّم بالذنب والمعصية.

ـ أجل نهائي غير قابل للتغيير واسمه (الأجل المسمى).

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«يعيش الناس بإحسانهم أكثر مما يعيشون بأعمارهم ويموتون بذنوبهم أكثر مما يموتون بآجالهم»**[١].

التعاليم:

١ ـ تُغفر الذنوب المتقدّمة بالإيمان: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ... يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾.

٢ ـ قسم من الذنوب فقط قابل للغفران وهو المتعلق بحق الله: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾. (وأمّا حق الناس، فيجب أن يسامِح فيه صاحب الحق).

٣ ـ الإيمان والعمل الصالح سبب في طول العمر ودفع البلاء: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾.

٤ ـ حب الحياة والنجاح هو مطلب طبيعي؛ ولهذا كان ثواباً على الأعمال الحسنة: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾.

٥ ـ إن للعمر نهاية وأجلاً غير قابل للتغيير: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

٦ ـ اخشوا الموت وآمنوا: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ... إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

٧ ـ لا يعلم الإنسان بالعلاقة بين العمل الصالح وطول العمر: ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج٥، ص ١٤٠.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾

إشارات:

□ كان الشخص من قوم النبي نوح يأخذ بيد ابنه ويذهب به إلى النبي نوح ويقول لابنه: كما أوصانا آباؤنا، أوصيك بألّا تتبع هذا الرجل.

□ ثمة أوجه شبه بين كفار زمان النبي نوح وبين كفار زمان النبي الأكرم ﷺ، من بينها:

١ ـ الفرار من الحق:

ـ فرار قوم نوح: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾.

ـ فرار قوم النبي: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[١].

٢ ـ الدعوة إلى المغفرة:

ـ النبي نوح: ﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾.

ـ نبي الإسلام: ﴿تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾[٢].

٣ ـ التكبّر والاستكبار:

ـ كفّار زمان النبي نوح: ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾.

ـ كفّار زمان النبي الأكرم: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[٣].

٤ ـ عدم الاستماع إلى الوحي:

ـ كان كفّار زمان النبي نوح يضعون أصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا: ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٣.

(٢) سورة المنافقون: الآية ٥.

(٣) سورة المدثر: الآية ٢٣.

ـ كان كفّار زمان النبي الأكرم لا يستمعون للقرآن كذلك، وعندما كان النبي يتلو القرآن كانوا يُحدِثون جلبة وضجة لعلهم ينتصرون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ إنّ الله عليم بكل أحوال الإنسان ولكن المناجاة ضرورية: ﴿رَبِّ إِنِّي﴾.

٢ ـ الشكوى إلى الله، هي أسلوب الأنبياء: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾.

٣ ـ يجب أن يكون إرشاد الناس وتبليغهم مستمرّاً: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾.

٤ ـ لن تُسفر دعوة النبي عن أي نتيجة إذا لم يكن ثمة استعداد للقبول: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾.

٥ ـ الناس أحرار، فهم يستطيعون أن يصرّوا على المخالفة في مقابل إصرار الأنبياء على الهداية: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾.

٦ ـ كانت دعوة نوح دائماً ما تواجَه بردة فعل سلبية: ﴿كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ... جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ﴾.

٧ ـ يصل العناد بصاحبه إلى مرحلة، لا يسمع فيها: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾؛ لا يرى: ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾؛ ويُصرّ على عمله: ﴿وَأَصَرُّوا﴾؛ ولا يتنازل: ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾.

٨ ـ يجب أن تُؤخذ حالة الناس وظرف المكان والزمان بالاعتبار عند التبليغ. فأحياناً يجب أن يكون سريّاً وخاصاً وأحياناً يجب أن يكون عامّاً وعلنيّاً: ﴿دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا... دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا... وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢٦.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ۝١٢﴾

إشارات:

- ﴿مِّدْرَارًا﴾ من الدر بمعنى هطول المطر الغزير.
- ورد في مواضع عدة من القرآن الكريم الحديث عن الارتباط العميق بين العقيدة والعمل الفاسدَين بالقحط والفقر، وكذلك ارتباط العقيدة والعمل الصالحَين بالأمن والرفاه.

كما قال تعالى في أحد المواضع: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، ويقول في موضع آخر: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[2].

- هدف الأنبياء هو إنقاذ الناس من العذاب الإلهي. تحدثت الآيات من أولها إلى الآن ثلاث مرّات عن الاستغفار. الآية الرابعة: ﴿يَغْفِرْ لَكُم﴾، الآية السابعة: ﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾، وهذه الآية: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾.

التعاليم:

١ ـ على الإنسان الاستغفار، ومن الله الغفران: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾.

٢ ـ المغفرة والعفو من السُّنن الإلهية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾.

٣ ـ التحفيز المادي والمعنوي ضروريان للدعوة إلى الخير: ﴿غَفَّارًا... مِّدْرَارًا﴾.

٤ ـ غفران الذنوب ممهد لاستقبال الألطاف الإلهية اللاحقة: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ... يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

٥ ـ المطر أحد أهم النعم الإلهية: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

٦ ـ تحسُّن الحياة الماديّة من آثار الإيمان: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ... وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٦. (٢) سورة الروم: الآية ٤١.

٧ ـ قد تكون كثرة الأموال والأولاد والماء والحدائق، ميزةً وثواباً إلهيّين: ﴿بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ و... أَنْهَٰرًا﴾.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

إشارات:

- كلمة (وقار) بمعنى الثبوت والشيء الباعث على العظمة. (أطوار) جمع (طور) بمعنى الحالة، المرحلة أو الصنف.
- (بِساط) من (بسط) بمعنى الواسع. و(فجاج) جمع (فجّ) بمعنى الطريق الواسع.
- تأتي كلمة (الرجاء) في مقابل اليأس، وإذا ما جاءت مع أداة نفي تكون بمعنى الخوف، يعني: ما لكم لا تخافون من عظمة الله؟ عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية: «**لا تخافون لله عظمة**»[١].

يعتقد بعضٌ أنّ المقصود من الرجاء هو الاعتقاد؛ لأن الشخص الذي يملك رجاءً بشيء فهو حتماً يعتقد به. ويكون معنى هذه الآية: ما بالكم لا تعتقدون بعظمة الله[٢]؟

- إمّا أن تكون (طباقاً) بمعنى الموافق والمطابق أو بمعنى طبقة فوق طبقة.
- الإنسان مشابه لسائر النباتات في كون نشأته من عناصر الطبيعة والأرض وفي رشده التدريجي وهرمه وجفافه، كونه مُثمراً أم غير مُثمر، في تغذّيه من الأرض وفي حاجته الدائمة للمزارع والمُرّبي: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٤٢٥. (٢) تفسير راهنما.

التعاليم:

١ ـ التحذير بصيغة السؤال هو أحد أساليب التربية: ﴿مَّا لَكُمْ﴾.

٢ ـ التأمل في مراحل الخلق، ينبّه الإنسان إلى عظمة الله: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

٣ ـ كان نبي الله نوح الذي عاش قبل النبي موسى والنبي عيسى بآلاف السنين، يدعو الناس إلى معرفة الكون وعلم الأحياء: ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا... سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾.

٤ ـ معرفة الطبيعة طريق إلى المعرفة الله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا...﴾.

٥ ـ كل الوجود هو مكان للتعلّم: ﴿خَلَقَكُمْ، خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ، وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ، وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ، أَنۢبَتَكُم، يُعِيدُكُمْ، وَيُخْرِجُكُمْ﴾.

٦ ـ كل الأعمال الإلهيه هادفة: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا لِّتَسْلُكُوا۟﴾.

٧ ـ الالتفات إلى دور الشمس والقمر في حياة البشر هو طريق إلى معرفة الله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ... نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

٨ ـ يحتاج الإنسان إلى السير والسفر والطُّرُق الواسعة: ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

❑ وردت كلمات (أصنام)، (أوثان)، (نُصُب)، (تماثيل) في القرآن الكريم بمعنى الصنم؛ ولكن الأسماء الخاصّة بأصنام المشركين المشهورة ذكرت بشكل خاص. ورد في هذه الآية أسماء خمسة أصنام وأمّا (اللات) و(عُزى) و(مناة) فقد وردت في سورة النجم.

التعاليم:

١ ـ يبثُّ رجال الله شكواهم إلى الله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾.

٢ ـ الإخبار عن ما وقع من الظلم هو درسٌ وعبرة للآخرين: ﴿عَصَوْنِي﴾.

٣ ـ من لا يتّبع الداعي إلى الحق، يتبع الضالين: ﴿عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ... إِلَّا خَسَارًا﴾.

٤ ـ كان نوح يشكو من ضلال الناس لا من غربته: ﴿عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾.

٥ ـ ليس كل مال وولد، نعمة: ﴿لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾.

٦ ـ القدرتان الاقتصادية والاجتماعية عاملان لجذب الناس وانقيادهم والتأثير عليهم: ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ...﴾.

٧ ـ الأنبياء هم المحور المخالف لأصحاب المال والسلطة الماكرين: ﴿عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ... وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾.

٨ ـ لم يتوانَ قوم نوح عن أي عمل: عصَوا نوحاً، اتبعوا الضالين، مكروا وتواطؤوا، وأصرّوا على الاحتفاظ بالأصنام: ﴿عَصَوْنِي... اتَّبَعُوا... مَكَرُوا... قَالُوا...﴾.

٩ ـ قانون الشرك حافظ لمنافع أصحاب المال والمقام: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾.

١٠ ـ قد يكون من الضروري أحياناً ذكر أسماء الرؤساء الذين هلكوا ليعتبر الآخرون: ﴿وَدًّا... سُوَاعًا... يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

١١ ـ يجب على القائد الإلهي أن يعرف رؤوس الفساد: ﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

١٢ ـ تُفتح طرق متعددة للانحراف أمام الشخص الذي يخرج عن الصراط المستقيم: ﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

□ ظاهر جملة: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ هو أنهم بعد أن غرقوا أُدخلوا إلى النار وبالتأكيد فإنّ هذه غير نار جهنم التي سيدخلونها بعد قرون، وهي نار البرزخ.

□ عرّف القرآن الكريم أفراداً وأموراً على أنهم وسيلة للانحراف، من بينها: كلام اللهو، نشر الأكاذيب والشائعات، الاستفادة السيئة من المقدسات، التزوير، الشيطان، الطاغوت، الفنان المنحرف، العلماء غير الملتزمين، الذين يبيعون دينهم ويكتمون الحقيقة، الأشخاص الذين يرجحون الدنيا على الآخرة والمنافقين[1].

التعاليم:

١ ـ كل شيء يأخذ مكان الحق يكون سبباً للانحراف والضلال: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ... قَدْ ضَلُّوا۟﴾.

٢ ـ للدعاية السيئة آثارها: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ... وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾.

٣ ـ توجد درجات للضلال والانحراف: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾.

٤ ـ العقاب والعذاب الإلهيّان هما نتيجة لأعمالنا: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾.

٥ ـ الشرك أساس الخطايا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ... مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾.

٦ ـ كان غرق قوم نوح كفّارة لبعض خطاياهم: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾.

٧ ـ توجد نار البرزخ حتى في وسط الماء: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾.

٨ ـ جزاء ترك رسول الله هو البقاء بلا ناصر: ﴿عَصَوْنِى... فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾.

٩ ـ من ينصره الله ليس عنده ناصر واحد، بل أنصار: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾.

١٠ ـ لا تجزي الأموالُ والثروةُ والأصنامُ والمكرُ والحيلةُ شيئاً أمام العذاب الإلهي: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾.

---

(١) سورة لقمان: الآية ٦؛ سورة الأنفال: الآية ١٤٤؛ سورة النساء: الآيتان ٤٤ و٦٠؛ سورة المنافقون: الآية ٢؛ سورة الأنفال: الآية ٣٦؛ سورة طه: الآيتان ٧٩ و٨٥؛ سورة الأحزاب: الآية ١٠؛ سورة آل عمران: الآية ٦٩؛ سورة التوبة: الآية ٩؛ سورة إبراهيم: الآية ٣.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾

إشارات:

- ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[1] مضافاً إلى ذلك فإن تجربته في التبليغ التي دامت ٩٥٠ سنة كانت كافية ليعرف قومه وليعرف أنّ هذا الجيل والجيل اللاحق له لن يهتدوا، ولهذا دعا عليهم.
- «ديّار» من دار بمعنى الشخص الساكن في الدار.
- لا يفكّر رجال الله بأنفسهم وإنمّا يفكرون بهداية جيل اليوم وجيل الغد. مع أن النبي نوحاً قد أُهين وعُذّب إلا أنه دعا على قومه بسبب انحرافهم وضلالهم.

التعاليم:

١ ـ يجوز الدعاء بالشر في المراحل الأخيرة: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ...﴾.

٢ ـ كانت رسالة النبي نوح، رسالة عالميّة: ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ استخدموا في كلامكم المفردات التي يستخدمها الناس. في مقابل: ﴿لَا تَذَرُنَّ، وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ قال النبي نوح: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

٤ ـ سلامة فكر المجتمع، مُقدَّمَة على سلامة جسم الفرد. لو يهلك الأشخاص الذين يضلون الناس، لكان أفضل: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ... يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾.

٥ ـ تلعب الوراثة دوراً مهماً في التربية: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

٦ ـ يوصل الإنسان نفسه إلى مرحلة لا يبقى معها مجال لإصلاح عقيدته وعمله: ﴿فَاجِرًا﴾ في العمل و﴿كَفَّارًا﴾ في العقيدة.

---

(١) سورة هود: الآية ٣٦.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

- يجب أن يكون الداعي نافذ البصيرة. لينظر إلى الماضي والحاضر، وليشمل الدعاء النفس والأقارب وكل المؤمنين في التاريخ.
- سئل الإمام الرضا عليه السلام عن مسجد الكوفة فقال: «**فإنّ مسجد الكوفة بيت نوح، لو دخله الرجل مئة مرة لكتب الله له مئة مغفرة؛ لأنّ فيه دعوة نوح حيث قال:** ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾...».
- ورد عن الإمام الحسين عليه السلام **أنّه تجنّب قتل بعض الناس في كربلاء؛ لأنّه كان يرى في أصلابهم ذريّةً مؤمنة**[1].

التعاليم:

١ ـ فلنستفد من كلمة «ربّ» المباركة في دعائنا بالخير والشر: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ... رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾.

٢ ـ لم يُصَب الأنبياء بالغرور على الرغم من الجهود التي بذلوها. النبي الذي قال: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾، يقول: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي...﴾.

٣ ـ تقديم النفس على الغير عند طلب المغفرة هو أمر مستحسن: ﴿ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ...﴾.

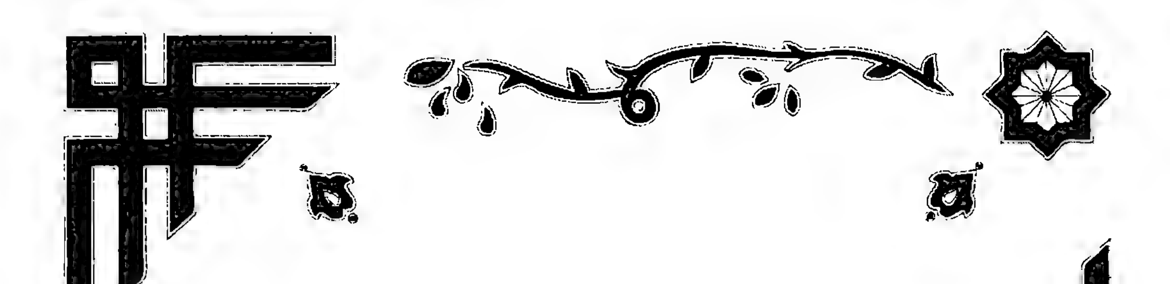
٤ ـ تشمل العناية الأقارب السببيين والنسبيين في حال كانوا قريبين فكرياً كذلك: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾.

٥ ـ اطلبوا في دعائكم الرحمة والمغفرة للمؤمنين والهلاك والفناء للظالمين: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ... لِلْمُؤْمِنِينَ... وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(١) انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين، ص ٥٠٥.



سُورَةُ الجِنّ

السورة: ٧٢ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٢٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾

إشارات:

- «نفر» تُطلق على المجموعة المؤلَّفة من ثلاثة إلى سبعة أو أحد عشر شخصاً.
- الكون في الرؤية الكونية الإلهيّة، ليس محصوراً في الأشياء الماديّة والمحسوسة، ولا في ما نراه في هذه الدنيا.

لا ينبغي بالإنسان الذي اكتشف مجرة فيها المليارات من النجوم تفصل بينها سنين ضوئية أن يعتقد بأنه تعرّف على الكون بشكل كامل. ولذا، يجب أن نضع أنفسنا تحت تصرّف الوحي وأن نعتقد بما ورد في القرآن الكريم.

ثمة آيات عدة في القرآن الكريم تتحدّث عن الجن، سنشير هنا إلى بعضها:

كان خلق الجن قبل خلق الإنسان: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾[1].

للجن مكانة خاصة كما للإنسان؛ لأن الهدف من خلقه هو الهدف نفسه من خلق الإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

يُوَجَّه إليهم الخطاب والعتاب: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾[3].

عندهم القدرة على الاختيار، لذا منهم الكافر ومنهم المؤمن.

خُلقوا من نار، والشيطان من هذا الجنس: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[4].

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢٧.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٣) سورة الرحمن: الآية ٣٣.
(٤) سورة الكهف: الآية ٥٠.

هم يروننا وإن كنّا نحن لا نراهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[١].

يستطيع الجن أن يكون خادماً لأولياء الله. ورد في القرآن أنهم كانوا يعملون عند النبي سليمان: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ﴾[٢].

□ كل الأمور المبتكرة الباعثة على التعجب تصبح عادية بعد أيام عدّة؛ ولكن القرآن كتاب عجيب أبدي ولا يصبح عادياً أبداً. يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: **«لا تفنى عجائبه»**[٣].

□ كل الأمور العجيبة، تكون عجيبة من إحدى جوانبها، أمّا القرآن فهو عجيب من جهات لا تُحصى، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لا تُحصى عجائبه»**[٤]، ليس للقرآن مثيل من جهة لفظه، ومحتواه، وجامعيته وتناغمه مع الفطرة.

□ نقرأ في الحديث: **«ما جالس أحد هذا القرآن إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى أو نقص من عمى»**[٥].

□ توجد ردّات فعل مختلفة حيال القرآن:

الاستماع إليه والإيمان به: ﴿سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا... فَـَٔامَنَّا﴾.

الاستماع إليه وزيادة الإيمان به: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[٦].

الاستماع إليه والتهرّب منه: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ... ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾[٧]، ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾[٨].

القبول الاختياري: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٩].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٧.
(٢) سورة سبأ: الآية ١٣.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٧٥.
(٤) الكافي، ج ٢، ص ٥٩٩.
(٥) غرر الحكم.
(٦) سورة الأنفال: الآية ٢.
(٧) سورة التوبة: الآية ٨٦.
(٨) سورة محمد: الآية ٢٠.
(٩) سورة البقرة: الآية ٨٥.

الاستماع إليه واتهامه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[١]، ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾[٢].

الاستماع إليه والاستخفاف به: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[٣].

الدعوة إلى عدم الاستماع إليه: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾[٤].

□ أدرك الجن مميزات القرآن وقالوا: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾؛ ولكن العرب المعاندين قالوا إنه ليس قرآناً عجيباً ولو أردنا فبإمكاننا الإتيان بمثله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[٥].

□ طريق الرشد هو طريق الحق بعينه: ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾، ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾[٦] واللطيف أن التعبيرين وردا على لسان الجن.

التعاليم:

١ ـ لم ير النبي الأكرم الجن؛ ولكنه علِم من طريق الوحي أنهم استمعوا إليه: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾.

٢ ـ صحيح أن الجن ليس مخلوقاً من تراب؛ ولكنه يسمع كلام الإنسان: ﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

٣ ـ يُؤثر الاستماع إلى تلاوة القرآن في وجود المستمع: ﴿ٱسْتَمَعَ... فَقَالُوٓاْ... قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

٤ ـ يختلف القرآن الكريم عن كل الكتب الأخرى من حيث المحتوى واللفظ: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

٥ ـ يجب أن نستمع إلى الكلام الذي يوصلنا إلى الرشد: ﴿سَمِعْنَا قُرْءَانًا... يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٥.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٣١.
(٤) سورة فصلت: الآية ٢٦.
(٥) سورة الأنفال: الآية ٣١.
(٦) سورة الأحقاف: الآية ٣٠.

٦ ـ يمتلك الجنّ القدرة على السمع: ﴿سَمِعْنَا﴾، التكلم: ﴿فَقَالُوٓاْ﴾، وعلى التجزئة والتحليل: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾.

٧ ـ هداية القرآن دائمة: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾.

٨ ـ رشد الإنسان الحقيقي هو رشده المعنوي: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾.

٩ ـ لا يكفي امتلاك أداة الرشد، بل الرشد نفسه مهم: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾.

١٠ ـ الإيمان والإخلاص دليلان على الرشد: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ﴾.

١١ ـ إذا امتلك الإنسان الاستعداد فإنه سيفهم الحقيقة بمجرد استماعه لكلمات عدة من القرآن، وسيدعو الآخرين إليها كذلك وسيأخذ موقفاً قاطعاً من الانحراف: ﴿سَمِعْنَا... يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾.

١٢ ـ الإيمان الكامل لا يجتمع مع الشرك أبداً: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

إشارات:

- كلمة «جدّ» تعني العظمة، وإن كانت تُستعمل في حق والد الأب فهذا للإشارة إلى مكانته الكبيرة والعظيمة وسط عائلته.
- «الشطط» هو الكلام الظالم المجافي للحق. والمقصود من السفيه إمّا الناس السُّفهاء أو شخص إبليس الذي كان من الجن واعترض على الله وابتعد عن الحق.

التعاليم:

١ ـ معرفة الله هي الخطوة الأولى في طريق الرشد: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ... وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾.

٢ ـ حتى الجن يعرف أنّ الله ليس له زوجة وولد: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

٣ ـ الحاجة إلى الزوجة والولد منافية لمقام توحيد الله وتنزّهه عن الحاجة: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

٤ ـ قول الباطل دليل على السفاهة: ﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾.

٥ ـ لدى الجنّ علم بمعتقدات الإنسان وأفكاره: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾

إشارات:

- «الرهق» هو الفعل القبيح والخطيئة التي تحيط بالإنسان.
- ورد في الروايات، أنّ المقصود بالاستعاذة برجال من الجن، هو الذهاب إلى أشخاص يدّعون العلاقة بالجن ويتلقون إلهامهم من الشيطان، وطلب حل المشكلات منهم[1].
- من ملأ القرآن قلبه نوراً وأدّى به إلى الرشد، ينجو من كل الانحرافات الفكرية والعملية. ذكر القرآن بعد جملة: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾، أمثلة من الانحرافات العقدية، من مثل نسبة الزوجة والولد لله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، وقول الباطل: ﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾، والالتجاء إلى غير الله: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، والاعتقاد بعدم وجود قيامة: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾.

التعاليم:

١ ـ الالتجاء إلى الجن لغو وسفاهة: ﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾.

٢ ـ الجن كالإنسان فيه ذكر وأنثى: ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٣ ـ نتيجة الارتباط بالجن، بهدف الوصول إلى المقاصد الخاطئة، هي ضلال الطرفين: ﴿يَعُوذُونَ... فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

٤ ـ لا يستند المنكرون للقيامة إلى دليل وبرهان علمي؛ ولكنهم يتبعون الظن والتخمين: ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾.

٥ ـ الجن عالم بمعتقدات الإنسان: ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾.

٦ ـ بعض الجن كافر ومنكر للقيامة: ﴿لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾.

٧ ـ يستطيع الجن أن يتصل بالسماء: ﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾.

٨ ـ لا تسمحوا بدخول الضالين إلى أي مكان: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

- «الرصد» اسم جمع لراصد بمعنى الحارس والمراقب. «القدد» جمع «قد» بمعنى المقطوع، و(طرائق قدداً) بمعنى الطرق المتعددة.
- يستفاد من هذه الآية أن الجن المؤمن مضافاً إلى أنّه عرف القرآن، فهو أيضاً أدرك ضعفه وعظمة الله وقدرته وأدرك بأنه يملك القدرة على الاختيار والانتخاب.

التعاليم:

١ ـ لنزول القرآن أثر في السموات كذلك. كان الجن يسترق السمع إلى الأخبار السماوية قبل نزول القرآن؛ ولكنه مُنع من ذلك بعد نزول القرآن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا... فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾.

٢ ـ لا يعلم الجن بمستقبل البشر والكون: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي...﴾.

٣ ـ المواجهة الشديدة هي جزاء استراق السمع: ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

٤ ـ نسب القرآن الخير والإحسان إلى الله تعالى؛ ولكنه لم ينسب الشر والسوء إليه ففي التعبير عن الشر استخدمت صيغة المجهول: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ... أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

٥ ـ الإرشاد هو من شؤون الربوبية: ﴿رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

٦ ـ الجن ليس مفطوراً على الفساد والشيطنة، بل إنّ من الجن من هو صالح ومنه من هو غير صالح: ﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

٧ ـ من لوازم الحرية وحق الاختيار، الانقسام إلى مجموعات: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾.

٨ ـ لا يمكن إعجاز الله لا بالمقاومة ولا بالفرار: ﴿لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

- «بخس» بمعنى الإنقاص الظالم، و«الرهق» تأتي بمعنى السفاهة، والطغيان، والذنب، والكذب، والظلم[1].
- «قسط» بمعنى سهم ونصيب ويُطلق وصف «قاسط» على الشخص الذي يأخذ سهم الآخر و«مقسط» للشخص الذي يعطي الآخرين سهامهم. وبمعنى آخر، أنها لو كانت من باب إفعال لكانت بمعنى إجراء العدالة، أمّا لو كانت ثلاثياً مجرداً فهي بمعنى ظلم الآخرين.
- «تحرّوا» أي قصدوا.

---

(١) تفسير راهنما.

❑ بما أنّ كلمة ﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ جاءت في مقابل ﴿ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ يعني هذا أنّ أهل التسليم يجب أن يكونوا عادلين.

❑ تتحدث آيات هذه السورة حتى الآن عن لسان الجن الذين سمعوا القرآن وعمّا قالوه وما نقلوه من معتقدات وأفكار لسائر الجن، وإنّ التوجه إلى طريقتهم في الكلام ومحتوى مطالبهم، يمكن أن يكون مفيداً للمبلغين الدينيين في تبليغهم. وسنمر على بعض النقاط بإجمال:

ـ الاستماع باهتمام: ﴿ٱسْتَمَعَ﴾.

ـ الحضور الجماعي: ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

ـ الابتهاج بالحق وإبراز الأحاسيس: ﴿سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

ـ الإبلاغ: ﴿فَقَالُوٓا۟...﴾.

ـ إظهار العقيدة والتوجه: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾.

ـ إظهار البراءة من الانحراف: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾.

ـ رد المعتقدات الباطلة: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

ـ تحقير السفهاء: ﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾.

ـ الأسف على انحراف الآخرين: ﴿ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

ـ نفي الخرافات والأفكار الباطلة: ﴿رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

ـ بيان عظمة الحق: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

ـ بيان قدرة الحق: ﴿لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾.

ـ بيان ضعف الإنسان: ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾.

ـ إعطاء الأمل لأهل الإيمان: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

ـ المقارنة بين المسلمين والظالمين: ﴿مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾.

ـ دعوة الآخرين عن طريق العمل: ﴿سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ...﴾.

ـ إبراز الصلاح والصالحين: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

ـ الابتداء بالمسائل المحورية والأساسية: ﴿يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ، سَمِعْنَا قُرْءَانًا، وَلَن نُّعْجِزَهُۥ، لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

التعاليم:

١ ـ القرآن هدى مطلق: ﴿سَمِعْنَا قُرْءَانًا... سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

٢ ـ الإسراع في عمل الخير يزيد من قيمته: ﴿لَمَّا سَمِعْنَا... ءَامَنَّا بِهِۦ﴾.

٣ ـ الإيمان بالقرآن يعني الإيمان بخالق العالم: ﴿سَمِعْنَا... ءَامَنَّا بِهِۦ... يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾.

٤ ـ الإيمان هو ضمان للجزاء غير المنقوص: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

٥ ـ المسلم طالب للعدالة: ﴿مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾.

٦ ـ مع أنّ الجن هو موجود لطيف، إلا أنّ عذابه جسماني: ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

٧ ـ الإنسان المجرم حطب لجهنم: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1]، وكذلك الجن المنحرف: ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

□ «غدق» بمعنى الكثرة و«صعد» بمعنى الصعب والمشكل.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه فسّر الاستقامة على الطريقة بالثبات على ولاية أهل البيت عليهم السلام. ونُقل عن الإمام الصادق قوله في تفسير الآية: **«معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلمونه من الأئمة»**[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٢) تفسير مجمع البيان.

□ أسلوب المقارنة هو من أفضل الأساليب التربوية. ورد في آيةٍ: الاستقامة والمطر، وفي الآيةِ التالية: الإعراض والعذاب، وبمقارنة هاتين الحالتين تصبح مسألة الحق والباطل واضحة وشفافة أكثر.

□ الإعراض عن ذكر الله يجعل الحياة الدنيا قاسية: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[1] ويكون جزاء الإنسان في الآخرة عذاباً عظيماً وصعباً: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

التعاليم:

١ ـ الأهم من الإيمان هو البقاء والثبات عليه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾.

٢ ـ من بين كل الطرق، ثمة طريق واحد فقط مقبول للحق: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا... عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾.

٣ ـ أفضل طريقة للدعوة هي توضيح آثار الإيمان وبركاته: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟... لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾.

٤ ـ لا تظهر آثار الإيمان في الآخرة فقط وإنما تظهر في الدنيا كذلك: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾.

٥ ـ الاستقامة على طريق الحق هي ميزة، وليس لكل استقامة قيمة، فأحياناً يكون الثبات ناشئاً عن العناد: ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾.

٦ ـ توسيع الرزق هو أحد وسائل الامتحان: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ (مثلما اعتبر النبي سليمان توسيع الرزق عليه وسيلة للامتحان: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ﴾)[2].

٧ ـ الثبات على طريق الحق له آثار على الطبيعة: ﴿مَّآءً غَدَقًا﴾.

٨ ـ الرفاه سبب للغفلة: ﴿مَّآءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

٩ ـ لا تغترّوا بسعة رزقكم: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

---

(١) سورة الجن: الآية ١٧.
(٢) سورة النمل: الآية ٤٠.

١٠ ـ إذا ما استقمتم على طريق الحق ونلتم ثوابكم فلا تظنوا أنّ عملكم قد انتهى، فالآن يجب أن تواجهوا امتحاناً جديداً: ﴿مَّآءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

١١ ـ الله عنده الرحمة وعنده العذاب: ﴿مَّآءً غَدَقًا... عَذَابًا صَعَدًا﴾.

١٢ ـ الإعراض عن ذكر الله هو أحد عوامل الانقياد إلى جهنم: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

١٣ ـ قد يكون نزول المطر أحياناً وسيلة للامتحان، فإذا ما قوبل بالجحود، فسيصبح سبباً للعذاب: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

- «مساجد» جمع «مسجد» بمعنى محل السجود.
- عن الإمام الصادق عليه السلام، في كلام له مع أحد أصحابه: **«ملعون ملعون من لم يوقّر المسجد، أتدري يا يونس لم عظّم الله حقّ المساجد وأنزل هذه الآية ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ...﴾؟ كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم أشركوا بالله تعالى، فأمر الله سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله أن يوحّد الله فيها ويعبده»**[1].
- «لِبداً» بمعنى التراكم والازدحام.
- الدعاء في جملة: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ بمعنى العبادة، بدليل آية: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾[2]؛ لذا فإن دعاء غير الله بقصد العبادة شرك. وأمّا الدعاء العادي فليس شركاً.
- المقصود من ازدحام الناس عند عبادة النبي الأكرم في الآية: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، إمّا أن يكون ازدحام المخالفين للاستهزاء والمضايقة، أو تجمع الراغبين من الجن والإنس للتعلم.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٣٥٥. (٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

□ يصل الإخلاص إلى أوجه عندما لا يرى الإنسان نفسه ويرى كل شيء من الله تعالى. يقول تعالى في بداية هذه الآيات: لا أشرك بالله أحداً، ثم قال حتى أنا لا أرى نفسي أنني أملك شيئاً: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا... لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾.

□ تتجلى عبادة النبي في أنّه لم يكن يرى لنفسه أي دور وكان يعتقد بأن كل شيء هو من الله: ﴿لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾.

□ استُخدمت كلمة الرشد أربع مرّات من بداية السورة حتى الآن، حتى يتم الانتباه في كل لحظة إلى أهمية الوحي: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ، أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا، تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا، ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾.

□ المراد من أنّ النبي لا يملك ضراً أو نفعاً، هو أنّ النبي ليس مالكاً مستقلاً في مقابل الله تعالى وإلا فإنّ الآيات القرآنية عزت إلى النبي دوراً مهمّاً من عند الله تعالى، من مثل الاستغفار للناس: ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا﴾[1]، ﴿تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾[2].

ملاحظات حول المسجد:

١ ـ المسجد كان أول بناء على الكرة الأرضية: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا﴾[3].

٢ ـ يجب أن يكون للمسجد مكانة مقدسة، مثلما قال المؤمنون: فلنبنِ على مزار أصحاب الكهف مسجداً: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾[4].

٣ ـ أول ما قام به النبي في المدينة هو بناء مسجد: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾[5].

٤ ـ ورد اسم المسجد الحرام أكثر من عشر مرّات في القرآن الكريم.

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٤.
(٢) سورة المنافقون: الآية ٥.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٦.
(٤) سورة الكهف: الآية ٢١.
(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٨.

٥ ـ اعتبر الله تعالى المسجد بيته، وجعل أفضل الناس أي إبراهيم وإسماعيل، النبيين العظيمين، جعلهما خادمَين للمسجد: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾[(١)].

٦ ـ أُوصي بالتزيّن عند الحضور إلى المسجد: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[(٢)].

٧ ـ إن لم يكن المسجد مبنياً على أساس التقوى، فسيكون عامل تفرقة ويجب هدمه: ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾[(٣)].

٨ ـ للمسجد قداسة لدرجة أنّه لا يمكن لأي أحد أن يبني مسجداً: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾[(٤)]، وهذا الأمر مخصوص بالمؤمنين المتقين: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ... وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾[(٥)].

٩ ـ إنّ للمسجد وسائر دور عبادة اليهود والنصارى (الأديرة، والصوامع، والمعابد) مكانة رفيعة، بحيث يجب المحافظة عليها وفداؤها بالدماء: ﴿...لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾[(٦)].

١٠ ـ للمسجد آداب، من بينها عدم التحدّث فيه بصوت عال، أو بالكلام الباطل، ولا يُتحدّث فيه عن البيع والشراء، وأن يُتجنب اللغو فيه.

١١ ـ ثمة ثواب على كل خطوة تخطى في طريق الذهاب إلى المسجد.

١٢ ـ الجلوس في المسجد وانتظار الصلاة له ثواب.

١٣ ـ يشتكي المسجد الذي لا يُصلى فيه إلى الله تعالى.

١٤ ـ لا صلاة لجار المسجد،إلا في المسجد.

١٥ ـ يرفع الله العذاب عن الآخرين، كُرمى لأهل المسجد[(٧)].

١٦ ـ أقرّ سارق في عهد المعتصم العبّاسيّ بالسرقة وطلب إقامة الحدّ عليه، فجمع الخليفة الفقهاء وسألهم عن القطع إلى أين يجب أن يكون، فاختلفت

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٧.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٧.

(٥) سورة التوبة: الآية ١٨.

(٦) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٧) الموارد من ١٠ إلى ١٥ هي على أساس روايات وردت في ميزان باب الحكمة، باب المسجد.

كلماتهم في ذلك واستند كل منهم إلى آية من القرآن لإثبات وجهة نظره، فأفتى أحدهم بالقطع من المعصم لقوله تعالى: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾[1]، وقال آخر تقطع من المرفق لقوله تعالى: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾؛ وعندها توجّه المعتصم إلى الإمام الجواد عليه السلام وسأله رأيه فقال عليه السلام: القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف، قال: لِمَ؟ قال: لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين فإذا قُطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ وما كان لله لم يقطع، قال: فأعجب المعتصم ذلك فأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف[2].

التعاليم:

١ ـ أماكن العبادة خاصّة بالله وحده: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾.

٢ ـ المواضع السبعة التي توضع على الأرض عند السجود هي ملك لله، ولا يجوز السجود لغير الله: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾.

٣ ـ المكان الذي يُبنى بقصد المسجد ويُصلى فيه، تُصبح له أحكام خاصّة: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾.

٤ ـ بحسب القرآن، يمكن لبعض الأماكن أن تكون لها قداسة خاصة: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ...﴾.

٥ ـ لا تدعو مع الله أو إلى جانب الله أي أحد: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾.

٦ ـ مقدمة كل الكمالات والرسالات هي العبودية لله: ﴿قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾، (أعطى الله تعالى للنبي صفة (عبد الله)).

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٢) وسائل الشيعة، كتاب الحدود، حد السرقة.

٧ ـ تحتاج عبادة الله إلى القيام، والرغبة، والتصميم، والنشاط: ﴿قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ يجب أن نعلن عن موقفنا من الاعتقادات الخاطئة بصراحة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾.

٩ ـ الدعاء الخالص هو الدعاء ذو القيمة: ﴿أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

١٠ ـ من يدعو الناس للإخلاص يجب أن يكون هو مخلصاً: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

١١ ـ نفي الشرك ضروري إلى جانب التوحيد: ﴿أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

١٢ ـ المنفعة الحقيقية رهينة بالهداية ومن لا يتبع سبيل الرشاد يُضر بنفسه. أجل فليس ثمة شيء مقابل للرشاد إلا الضرر: ﴿ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

□ وردت كلمة (قل) في القرآن أكثر من ثلاثمئة مرّة وكانت إمّا جواباً على أسئلة طُرحت، أو جواباً عن أسئلة قد تُطرح، أو كانت موقفاً مقابلاً للتوهمات، والاعتقادات، والتوقعات الخاطئة.

□ تفكير الإنسان في الشخص الذي يمكن أن يدفع عنه البلاء، هو أحد طرق الداعية إلى الإخلاص: ﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾.

□ كان الأنبياء الإلهيون يدعون الناس إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى أنفسهم أي امتياز خاص: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[١]، ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى﴾[٢]، ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾[٣]، ﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾.

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.
(٢) سورة الأحقاف: الآية ٩.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

التعاليم:

١ ـ الكل سواسية أمام القانون الإلهي ولا أحد يملك حصانة خاصّة: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾.

٢ ـ ليس أني لا أملك لكم نفعاً وضراً وحسب، بل إني كذلك لا أستطيع دفع البلاء حتى عن نفسي: ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾.

٣ ـ حتى النبي غير مصون من العذاب الإلهي إذا أخطأ: ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾.

٤ ـ أداء الوظيفة والرسالة هو الطريق الوحيد للنجاة من العذاب الإلهي: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا... وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾.

٥ ـ النبي معصوم؛ لأن مخالفته جُعلت موازية لمخالفة الله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

- يفتخر جماعة من الناس بقولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾[1]، لذا يقول القرآن: ستعرفون يوم القيامة أن لا المال ينفعكم ولا الولد.
- عدم معرفة موعد يوم القيامة مفيد للاستعداد من جهة ولعدم الخوف من جهة أخرى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ﴾.

التعاليم:

١ ـ تتوضح المسائل بمرور الزمان: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾.

٢ ـ سيُلاقي رؤوس الشر عاقبتهم في الآخر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٣٥.

٣ ـ يوم القيامة، هو يوم ظهور ضعف الإنسان وعجزه، وعجز كل ما اعتمد عليه: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾.

٤ ـ لا يعلم النبي شيئاً عن المستقبل دون إرادة الله: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾.

٥ ـ قول لا أدري ليس عيباً: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

- فن الإدارة يستلزم إعطاء المعلومات اللازمة للمسؤول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، والمحافظة عليه ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ...﴾، والرقابة الدقيقة على عمله ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾.

علم الغيب:

يوجد كلام كثير حول ما إذا كان أحد غير الله يعلم الغيب؟ وإذا ما كان أحد يعلم، فكيف هو علمه وكم مقداره؟ من هم الذين يعلمون؟ وهل هذا العلم بإرادتهم أم لا؟ دائم أم مؤقت؟ جزئي أم كلي؟ موروث أم مُهدَى؟ لذا راجعت البحث الذي قمت به في أيام شبابي والملاحظات التي دونتها من سنين، ولخصتها لأنقلها هنا.

الأصل الأول: لا أحد غير الله تعالى يعلم الغيب بشكل مستقل؛ لأنه المالك الوحيد لفاتح الغيب وخزائنه ومنبعه: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[(١)] وإذا اطلع الآخرون على الغيب فهذا من عند الله، وعلى هذا الأساس تقول بعض الآيات: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾[(٢)].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.
(٢) سورة هود: الآية ٤٩.

ورد في القرآن الكريم أنّ النبي عيسى قال للناس: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[1].

أجل، فإن معرفة الآخرين بالغيب تكون بإرادة الله تعالى ومشيئته: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[2]

الأصل الثاني: يقول الله تعالى في الآية ٢٦ من سورة الجن: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ ويقول في الآية ١٧٤ من سورة آل عمران: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾[3].

ولذلك فإنّ حساب الكهنة، والسحرة، والعرّافين الذين ليس عندهم أي ارتباط معنوي ويستغلون وقاحتهم وبساطة الناس، ويتنبّؤون على أساس الظن والتحليل، هو بمعزل عن حساب أولياء الله.

الأصل الثالث: يستفيد أولياء الله من علم الغيب في موارد خاصة فقط وذلك بإذن الله تعالى، ولا يستفيدون منه في حل مشاكلهم الشخصية. كما كان النبي الأكرم ﷺ يعتمد في قضائه على القسم والشهود وظواهر الأمور ولم يكن يعتمد علم الغيب.

لو استفاد أولياء الله من علم الغيب والمعجزات في حياتهم الشخصية لما استطاعوا أن يكونوا أسوة للناس، لو أنّ الإمام الحسين كان قد أنهى العطش في كربلاء بالدعاء والمعجزة، كيف كان سيصبح إماماً للناس الذين لا يملكون هذه الإمكانات؟

أحد أسرار نجاح القدوات الدينية هو صبرهم على المشكلات الشخصية، القناعة والحلم والزهد والتقوى في تلك الظروف.

الأصل الرابع: الغيب نوعان: نوع خاص بالله تعالى، ونوع يُعطى للأنبياء والملائكة والأئمة المعصومين. كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ لله عزّ وجلّ علمين:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

علماً عنده لم يُطلع عليه أحداً من خلقه وعلماً نبذه إلى ملائكته ورسله، فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا»[١].

لذلك فإنّ المقصود من الآيات التي تقول إنّ علم الغيب مختص بالله تعالى هو النوع الأول من العلم، والآيات التي تقول إنّ غير الأنبياء يعلمون علم الغيب، تقصد النوع الثاني. كذلك نقرأ في الدعاء: **«وبحق علمك الذي استأثرت به لنفسك»**.

الأصل الخامس: يستطيع الله تعالى أن يُغيّر أمور العالم كيفما شاء، وبتعبير القرآن أن يُمحي ويُثبت؛ لذلك فإنه ليس من الممكن لأولياء الله أن يمتلكوا العلم القطعي بالمستقبل. وقد رُوِي عن الإمام السجاد عليه السلام: قوله: **«لولا آية في كتاب الله لحدّثتكم بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة»**. فسُئل عن هذه الآية فأشار إلى قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾[٢][٣].

الأصل السادس: يكون الكمال أحياناً بعلم الغيب وأحياناً يكون بعدم العلم به. مثال ذلك، كان كمال الإمام علي عليه السلام في الليلة التي نام فيها في فراش الرسول، في أنّه لم يكن يدري هل سيقتله الأعداء أم لا؟ لأنه إن كان يعلم بأنهم لن يقتلوه، عندها لن يكون نومه في فراش النبي أمراً مهماً إلى الدرجة.

قال القادة الدينيون: **«يبسط لنا فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم»**[٤] أجل، فإنّ قبض علم الغيب وبسطه بيد الله تعالى. كما يُخاطب الله تعالى نبيّه في القرآن قائلاً: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾[٥] أنت لا تعلم من هم المنافقون في المدينة، ويقول ردّاً على الناس الذين سألوا عن زمان يوم القيامة: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾[٦] يعني قل لهم لا أدري.

---

(١) الكافي، ج١، ص٢٥٥.
(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.
(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص ٤٢٠.
(٤) الكافي، ج١، ص٢٥٦.
(٥) سورة التوبة: الآية ١٠١.
(٦) سورة الجن: الآية ٢٥.

التعاليم:

١ ـ الوجود ليس عبارة عن الأمور المرئية فقط، بل ثمة العديد من الأمور الخافية عن أعيننا وغير القابلة للرؤية: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾.

٢ ـ الأشخاص الذين يدّعون علم الغيب كالعرّافين، والكهنة، والمنجمين هم كاذبون؛ لأن الله تعالى يُعطي علم الغيب فقط لأمثال الأنبياء: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

٣ ـ لا يوجد من لا يحتاج إلى مراقب وناظر: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ... رَصَدًا﴾.

٤ ـ يُحافظ الملائكة على الوحي الإلهي: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾.

٥ ـ الرسول مصان في استقباله للوحي وتبليغه: ﴿رَصَدًا لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾.

٦ ـ الحماية الإلهية عن طريق الملائكة هي حماية شاملة جامعة: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾.

٧ ـ علم الله ليس إجمالياً، بل إنّه شامل، ومحيط، ومحصٍ لكل شيء: ﴿لِّيَعْلَمَ... أَحَاطَ... وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ المُزَّمِّلِ

السورة: ٧٣ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٢٠



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾

إشارات:

- التزمّل هو لَفُّ الإنسان الرداء أو القماش حول نفسه. قال بعضٌ: إنّ المراد بها هو رداء النبوة، وقال بعضٌ آخر: المراد هو أنّ الرسالة لا تتناسب مع الانزواء والعزلة. قال آخرون: المُراد منها أنّ الرسالة لا تتناسب مع الاستراحة ويجب عليك أن تنهض بأعباء الرسالة.
- الترتيل قراءة القرآن بصورة صحيحة بتريُّث ومن دون عجلة.
- عن الإمام علي عليه السلام: **«بيّنه تبياناً ولا تهذه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل؛ ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة»**[1].
- وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«أنّ الترتيل هو طلب الجنّة من الله عند قراءة آيات الجنّة، والاستعاذة بالله من النار عند قراءة آياتها، وفي رواية أخرى أنّ الترتيل هو القراءة بصوت حسن»**[2].
- المقصود من «القول ثقيل» كما قال المرحوم طيّب في كتابه تفسير **أطيب البيان**، إعلان خلافة وإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث كان ذلك الأمر

---

(١) الكافي، ج٢، ص٦١٤.

(٢) تفسير نور الثقلين.

صعباً على النبي، وليس المقصود به القرآن الكريم؛ لأنّه تعالى يأمره بترتيل القرآن؛ لأنه سيلقي عليه قولاً ثقيلاً. فالقرآن قبل القول الثقيل.

□ القرآن كلام ثقيل، بحيث إنّه لو نزل على جبل لفتته قطعة قطعة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[١]، وكذلك تلقي الوحي وتبليغ القرآن في المجتمع هو عمل شاق وثقيل جداً: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

□ مع أنّ النبي موسى عليه السلام ظل في جبل الطور يُناجي ربّه أربعين يوماً وليلة، إلا أنّ الله تعالى لم يذكر سوى الليالي: ﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾[٢]، وقد يكون هذا لأنّ الليالي تتناسب مع المناجاة أكثر من النهار.

التعاليم:

١ ـ يجب على قائد المجتمع الإسلامي أن يُقلل من أوقات استراحته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٢ ـ الليل هو من أفضل الأوقات للعبادة: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾.

٣ ـ يوجد تأكيد إلهي على صلاة الليل: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾.

٤ ـ كانت عبادة الليل واجبة على النبي الأكرم ﷺ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾؛ (كما جاء في موضع آخر: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٣].

٥ ـ الاستعداد المعنوي ضروري لتحمّل المسؤوليات الثقيلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ... إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

٦ ـ يجب على القادة الدينيين أن يقوموا في الليل لعبادة الله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ...﴾ وأن يقوموا في النهار ليُنذروا العباد: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[٤].

٧ ـ ليس ثمة حدود لمقدار إحياء الليل: (نصف، ثلث أو ثلثي الليل؛ يجب ألّا

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢١.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٩.
(٤) سورة المدّثر: الآية ٢.

نُضَيِّق على الناس للقيام بالأمور العبادية. فلا يمكن وصف الدواء نفسه لكل الناس في أي زمان): ﴿نِصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ... أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾.

٨ ـ يجب الاستراحة جزءاً من الليل، لكي تُؤدّى العبادة بنشاط: ﴿نِصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾.

٩ ـ أفضل وسيلة لإيجاد الاستعداد الروحي وكسب القدرة هي الصلاة في الليل وقراءة القرآن: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا... وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾.

١٠ ـ توجد آداب لتلاوة القرآن وأول آدابه هو الترتيل: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾.

١١ ـ تلاوة كل جزء من القرآن هي مقدمة للجزء الآخر: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ... سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا﴾.

١٢ ـ في فن الإدارة، لا تنظروا إلى كل الظروف بعين واحدة، على القائد أن يتوقع الأعمال الثقيلة منذ البداية: ﴿سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا﴾.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـࣰٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحࣰا طَوِيلࣰا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلࣰا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلࣰا ۝٩﴾

إشارات:

□ «ناشئة الليل» هي الاستيقاظ من النوم، كما ورد في رواية عن الإمام الصادق والإمام الباقر عليهما السلام[١].

□ «الوطء» وضع القدم على الشيء وجعله تحت القدم. وفي الآية تعني، وضع القدم في طريق العبادة، عن الإمام الصادق في تفسير ﴿أَشَدُّ وَطۡـࣰٔا﴾ أن المراد هو القيام من الفراش في حال أنّه لا يريد غير وجه الله[٢].

□ «التبتل» أي الابتعاد عن هوى النفس والتوجه إلى الله.

(١) تفسير مجمع البيان.

(٢) الكافي، ج٣، ص ٤٤٦.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ التبتّل هو رفع اليدين في تكبير الصلاة. وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«التَبَتُّل هو رفع يدك إلى الله وتضرّعك»**[1].

صلاة الليل في الروايات:

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: **«خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلّى والناس نيام»**[2].

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال ثلاث مرّات للإمام علي: **«عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل»**[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام، **«أنّ صلاة الليل هي شرف المؤمن»**. وفي رواية أخرى أنّها فخره وزينته[4].

أتى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إني قد حُرمت الصلاة بالليل، فقال عليه السلام: **«قد قيدتك ذنوبك»**[5].

وكان في ما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: **«يا موسى، كذب من زعم أنّه يحبّني، فإذا جنّه الليل نام عنّي»**[6].

عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: **«الركعتان في جوف الليل أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها»**[7].

وقد وصفت صلاة الليل في عدد من الروايات بأنّها تساهم في: سعة الرزق، وأداء الدين، ورفع الهم والغم، وإبعاد الحسد[8].

وفي رواياتٍ عدّة أنّ صلاة الليل سبب لغفران معاصي النهار[9].

بيّن الله تعالى في القرآن الكريم ثواب بعض الأعمال؛ ولكنّه يقول عن ثواب صلاة الليل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم...﴾[10].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٤٥٠.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٦٠.
(٣) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٦٨.
(٤) بحار الأنوار، ج٨٧، ص١٤٠.
(٥) المصدر نفسه، ج٨٠، ص١٢٨.
(٦) الديلمي، أعلام الدين، ص ٢٦٣.
(٧) علل الشرائع، ص ٣٦٣.
(٨) سفينة البحار، ج٢، ص٤٦.
(٩) فروع الكافي، ج٣، ص ٣٦٦.
(١٠) سورة السجدة: الآية ١٧.

التعاليم:

١ ـ عنصر الزمان مؤثر في العبادة: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾.

٢ ـ الليل منشأ لبعض البركات والإفاضات: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾.

٣ ـ عتمة الليل تؤمّن البيئة المناسبة لعبادة كلها خشوع، وخضوع، وبعيدة عن الرياء: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾

٤ ـ تأثير عبادة الليل على الروح أكثر بقاءً: ﴿أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾.

٥ ـ صلاة الليل عامل لتقوية عقيدة المؤمن وتثبيته: ﴿أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾.

٦ ـ حتى النبي محتاج إلى مناجاة الله وذكره: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾.

٧ ـ يحتاج التوفيق في النهار إلى كسب القوة من مناجاة الليل: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ... إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾.

٨ ـ تقتضي ربوبية الله أن نذكره دائماً: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾.

٩ ـ في الوصول إلى الكمالات يجب أن تكون أعلى المراتب هي محل نظركم: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾.

١٠ ـ الذكر في النهار والعبادة في الليل هما مقدمة للانقطاع الكامل إلى الله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾.

١١ ـ ربوبية الله للمشرق والمغرب هي دليل على وحدانيته وعلى لزوم التوكل عليه: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

□ «الهجر» هو الانفصال عن الآخر والانزواء عنه، سواء أكان الانفصال بالقلب أم بالجسد.

□ «نِعمة» بكسر النون، تعني الشيء الذي أعطاه الله للإنسان، و«نَعمة» بفتح النون، تعني النجاح والعيش والعشرة.

□ «أنكال» جمع نكل وتعني العجز، والنكول هو العجز عن أداء الدين أو القيام بالعمل. وتُطلق كلمة أنكال على السلسلة أو القيود التي تُربط بها يدا الإنسان.

□ جاء في الروايات، أنه ألَمَّ وجع ضرس شديد بالإمام علي عليه السلام فتعجّب من شدّة الألم وتذكّر العذاب الأليم في الآخرة وتلا قوله تعالى[1]: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾.

□ «الكثيب» هو تل من الرمال، و«مهيل» الرمل الجاري المنهمر.

□ الإعراض والانزواء عن المعارضين، لا يعني تركهم الدائمي والتخلي عن الهدف، ولكنه خطة مؤقتة في مراحل التبليغ. كما ورد في سورة النساء: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾[2].

□ يمكن أن يكون التهديد في هذه الآية ناظراً إلى هزيمة المشركين في مقابل المؤمنين أو إلى العذاب الإلهي في الآخرة: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾.

التعاليم:

١ ـ ذكْرُ الله، الانقطاع عن الآخرين والتوكل على الله، هي العوامل المساعدة على الصبر في الأزمات: ﴿وَاذْكُرِ... وَتَبَتَّلْ... فَاتَّخِذْهُ... وَكِيلًا... وَاصْبِرْ﴾.

٢ ـ من الشروط المهمة للقائد: الصبر وسعة الصدر: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

٣ ـ على القائد أن يتوقع أي نوع من الاتهامات والكلام الجارح: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

٤ ـ قد يجب على قائد المجتمع الإسلامي أن يقاطع أفراداً أو جماعة ويعتزلهم: ﴿وَاهْجُرْهُمْ...﴾.

٥ ـ في البدء، يجب الصبر ثم الاعتزال. والصبر مُقدَّم على الهجر: ﴿وَاصْبِرْ... وَاهْجُرْهُمْ﴾.

(١) تفسير كنز الدقائق.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٣.

٦ ـ من السهل على الشخص الذي اتخذ الله وكيلاً لنفسه أن يهجر الآخرين: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا... وَٱهْجُرْهُمْ﴾.

٧ ـ يجب أن يتخذ إبعاد الآخرين شكلاً جميلاً ويكون مناسباً لقائد المجتمع: ﴿هَجْرًا جَمِيلًا﴾.

٨ ـ الشخص الذي يتخذ الله وكيلاً، يفوض أمر الكاذبين إلى الله: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا... وَٱهْجُرْهُمْ... وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٩ ـ يواسي الله نبيّه في تكذيب الأعداء إياه: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

١٠ ـ حماية الله اللامتناهية هي التي تُلهم الإنسان الصبر وتُطمئن قلبه: ﴿وَٱصْبِرْ... وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

١١ ـ عادة ما يكون المكذبون من الطبقة المترفة: ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾.

١٢ ـ إن لم تملكوا القدرة على مواجهة أصحاب المال والمقام، فلا تقلقوا؛ لأن الله قادر على مواجهتهم: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾.

١٣ ـ إمهال المخالفين، سُنة إلهية: ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾.

١٤ ـ فترة الترفيه وتكذيب الحق ليست طويلة، وفرصة المكذّبين قليلة في الدنيا: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾.

١٥ ـ إعطاء الله تعالى المهلة للكافرين المرفهين ليس دليلاً على أنّه راضٍ عنهم، بل إنّها مهلة حتى تحين القيامة: ﴿وَمَهِّلْهُمْ... إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾.

١٦ ـ على الكافرين ألا يغترّوا بنجاحاتهم العابرة، فإنّ من ورائها قيوداً وسلاسل وناراً مسعّرة وطعاماً ذا غصّة: ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ... أَنكَالًا وَجَحِيمًا... ذَا غُصَّةٍ﴾.

١٧ ـ تبديل الحياة المرفهة بعذاب أليم، هو أمر هيّن على القادر على أن يبدّل الجبال إلى رمال: ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ... ذَا غُصَّةٍ... وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾.

١٨ ـ تبديل الجبال إلى رمال متحركة فيه إشارة إلى عظمة اهتزاز الأرض وزلزال يوم القيامة: ﴿تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

- «وبيل» هو الوخيم والثقيل.
- الشهادة تعني أنّ الإنسان يرى الشيء ويسمعه بحواسّه، واستناداً إلى آيات القرآن الكريم والروايات، فإنّ النبي الأكرم والأولياء المعصومين عليهم السلام شهود على الأعمال كلها.
- تكررت كلمة (رسول) في هذه الآيات، لتشير إلى أنّ مخالفة الأنبياء كانت فقط بسبب مقام رسالتهم، وكذلك تكرار كلمة (فرعون) كان للتأكيد على أنّ أعتى قدرة لا تقدر على الدفاع أو المواجهة في مقابل العذاب الإلهي.
- وصف القرآن الكريم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأنّه شاهد في آيتين أخريين[1].
- بُعث كل الأنبياء إلى أقوامهم. ما عدا النبي موسى عليه السلام الذي أُمِر منذ البدء بأن يذهب إلى مجلس فرعون ويدعوه. أجل، فإنّ محاربة الطاغوت هي في رأس برنامج الأنبياء في المجتمع الذي يحكمه حاكم ظالم: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.

التعاليم:

١ ـ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عنده رقابة كاملة على أمته وهو شاهد عليها: ﴿رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾.

٢ ـ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله شاهد على الأعمال في الدنيا: ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾، ويُدلي بشهادته في الآخرة: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[2].

٣ ـ أداء الرسالة مصاحب للرقابة: ﴿رَسُولًا شَاهِدًا﴾.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٥؛ سورة الفتح: الآية ٨.

(٢) سورة النساء: الآية ٤١.

٤ ـ فلسفة بعث الأنبياء واحدة في كل الأزمنة: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ... كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.

٥ ـ خذوا الحكمة من التاريخ، فإنّه مرآة العِبر: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ... فَعَصَىٰ... فَأَخَذْنَٰهُ﴾.

٦ ـ عند محاربتكم للمنكرات، اقصدوا رأس الفساد: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.

٧ ـ أعطوا مثالاً عملياً إذا ما وعدتم أو توعدتم الناس، (ذكّر الله تعالى بعاقبة فرعون عندما هدد الكافرين المرفهين): ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ... فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

٨ ـ عصيان أمر رسول الله، سبب للابتلاء: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

- «ولدان» جمع وليد، بمعنى حديث الولادة و«شيب» جمع أشيب بمعنى الكبير في السن ذي الشعر الأبيض. يمكن تفسير الآية ١٧ بطريقتَين:

  أ) يوم القيامة شديد إلى درجة أنه يُصبح فيه الطفل حديث الولادة، عجوزاً.

  ب) ذلك اليوم طويل لدرجة أنّ الطفل يكبر حتى يصبح شائباً.

- كلمة «هذه» في: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ...﴾ قد يُقصد منها الإشارة إلى نافلة الليل التي ذكرت في أول السورة، مثلما ورد في الآية ٢٩ من سورة الدهر بعد أن أمر بالسجود والتسبيح الطويل في الليل، قال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾. أي أنّ العبادة في جوف الليل هي الطريق إلى الله، من شاء فليسلكه.

التعاليم:

١ ـ لا يوجد سبيل لفرار الكفّار من جهنم يوم القيامة: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾.

٢ ـ لم يستطع أصحاب النفوذ أن يمنعوا عذاب الله في الدنيا، فكيف بعذاب الآخرة!: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾.

٣ ـ الحزن والغم، المآسي، المصاعب والفشل هي أسباب للشيخوخة المبكرة وابيضاض شعر الرأس والوجه: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾.

٤ ـ تؤثر أخطار يوم القيامة على الإنسان: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾؛ وكذلك على السموات: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾.

٥ ـ خُلق الإنسان حرّاً: ﴿فَمَن شَآءَ...﴾.

٦ ـ معرفة أخطار يوم القيامة عامل للتذكّر: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾.

٧ ـ تقتضي ربوبيّة الله علينا أن نختار سبيله: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ (٢٠)﴾

إشارات:

- تقول هذه الآية: لا تغترّوا إذا ما قمتم بأعمال حسنة من قبيل صلاة الليل وقراءة القرآن ومساعدة المحرومين؛ لأنكم مع هذا بحاجة للاستغفار أيضاً.

- تُبيّن هذه الآية كيف أنّ الإسلام دين جامع لدمع الليل وجهاد النهار، للارتباط بالله ومساعدة الفقراء، لتلاوة القرآن والأسفار التجارية، وللقيام بأعمال الخير والاستغفار.

□ ورد في الآيات السابقة: قوموا نصف أو ثلث أو ثلثي الليل. تقول هذه الآية: محاسبة هذه الأوقات أمر صعب لن تقدروا عليه؛ لذا فقد عفا الله عنكم ومن الآن فصاعداً، قوموا للعبادة متى ما استطعتم وبالمقدار الذي تقدرون عليه وصلّوا واقرأوا القرآن. وبالأخص إن كنتم مرضى أو مسافرين.

□ نقل الإمام الرضا عليه السلام عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال في تفسير آية: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: اقرأوا القرآن طالما امتلكتم الخشوع وصفاء القلب[1].

□ جاء في هذه الآية السفر للتجارة إلى جانب السفر للجهاد، مع أنّ الأول أمر دنيوي والثاني أمر أخروي. استناداً إلى الروايات، إذا ما اتقى التاجرُ اللهَ، واجتنب البخس والتطفيف في الميزان، والاحتكار، والاحتيال، وأمّن معيشة الناس، فهو كالمجاهد الذي يجول في الميدان ليقتل العدو ويضمن الأمن لمجتمعه[2].

□ تلاوة القرآن ليست أمراً واجباً، إلا أنّه أوصي بها بشكل كبير. إذ ذُكر الأمر مرتين في الآية الواحدة وأُكّد عليه: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ...﴾.

□ تتناسب أحكام الإسلام مع قدرات الإنسان وإمكاناته، ولا تُسبب أي عسر أو حرج، مثل تشريع التيمم بدل الوضوء للمريض، وأن يصلّي بالوضعية المريحة له، ورفع تكليف الصيام عنه فيعطي كفارة بدلاً منه. سنشير هنا إلى بعض الآيات التي تبيّن هذه الأوامر الإلهية الخاصّة:

﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾[3]، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[4]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ﴾[5]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[6]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[7]، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[8]، ﴿فَلَمْ

(١) تفسير مجمع البيان.
(٢) تفسير الدر المنثور.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٦.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٠.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٩٧.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٧) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

﴿تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾[١]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[٢]، ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ... وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ علم الله بأحوال عباده هو أحسن دافع للقيام بأعمال الخير: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾.

٢ ـ من بركات العبادة في الليل أن الله تعالى وحده من يعلم بها وهي بعيدة عن أي رياء أو تظاهر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾.

٣ ـ يعمل النبي وفقاً للأمر الإلهي. قال تعالى في الآيات السابقة: ﴿قُمِ اللَّيْلَ... نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ... أَوْ زِدْ...﴾؛ ويقول في هذه الآية: ﴿تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾.

٤ ـ ترك الله تعالى الإنسان حرّاً في تعيين مقدار عبادة الليل، حتى يقدر أشخاص أكثر على أدائها، ويصلّي كل شخص بمقدار استطاعته: ﴿ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾.

٥ ـ كان من عادة بعض أصحاب النبي القيام في الأسحار: ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾.

٦ ـ من أفضل آداب إحياء الليل، تلاوة القرآن وإقامة الصلاة: ﴿تَقُومُ... فَاقْرَءُوا﴾.

٧ ـ التكاليف الإلهية يسيرة ولا تُلقي الإنسان في مشقّة: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ﴾.

٨ ـ الارتباط بالقرآن وتلاوته في كل الأحوال هو أمر ضروري، حتى على فراش المرض أو السفر والجهاد: ﴿مَرْضَى... يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ... يُقَاتِلُونَ... فَاقْرَءُوا...﴾؛ (إذا كانت تلاوة القرآن ضرورية في الأوقات العصيبة، فهي لازمة في الأوقات العادية من باب أولى).

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٣) سورة الفتح: الآية ١٧.

٩ ـ كسب المال الحلال فضل من الله: ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

١٠ ـ إمكانات المعيشة هي من فضل الله تعالى ولطفه وإن كان الإنسان يحصل عليها بسعيه: ﴿يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

١١ ـ يدل ذكر الأسفار التجارية والاقتصادية إلى جانب الأسفار الجهادية والحربية على أهمية التجارة من وجهة نظر الإسلام: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

١٢ ـ يجب أن يُعطى القرض بأسلوب حسن، بأن يُعطى بإخلاص وبسرعة وبعيداً عن أي منّة: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾.

١٣ ـ إحياء الليل، وتلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، وإعطاء الزكاة، وإقراض الآخرين هي أمثلة على أعمال الخير: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾.

١٤ ـ تزودوا بأعمال الخير لأنفسكم قبل الموت، إمّا بأنفسكم وإما بالوصيّة: ﴿تُقَدِّمُوا۟﴾.

١٥ ـ أعمال الخير ذخر ليوم القيامة: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

١٦ ـ تُحفظ أعمال الخير عند الله تعالى ولا تضيع أبداً: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

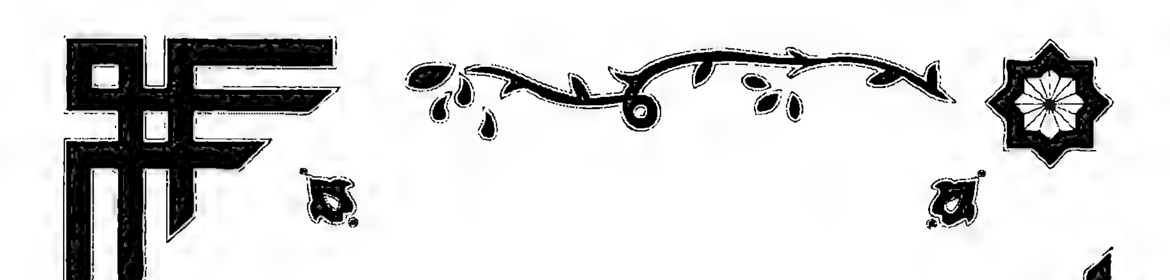
١٧ ـ الثواب عند الله مضاعف وعظيم: ﴿هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾.

١٨ ـ لا يظنن أحد أنّه بعيد عن القصور والتقصير؛ لأنه وإن أدّينا كل التكاليف نحتاج أيضاً للاستغفار: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

١٩ ـ ضَمِن الله تعالى المغفرة لأهل الاستغفار: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ...﴾.

٢٠ ـ غفران الله تعالى مصاحب للرحمة: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ المُدَّثِّرِ

السورة: ٧٤ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٥٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾

إشارات:

- وردت كلمة «قم» في القرآن مرتين، وفي المرتين كانت خطاباً للنبي الأكرم ﷺ، إحداهما لصلاة الليل وبناء النفس: ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾، والأخرى للإرشاد وبناء المجتمع: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾.
- «مدّثر» من (دِثار) وهو اللباس الذي يوضع على الجسم فوق الثياب الملبوسة أو يستخدم كغطاء عند النوم. (ويقابله «شعار» وهو اللباس السُّفلي).
- نلاحظ الأمر بالتكبير في تكبيرات الأذان، والإقامة، وتكبيرة الإحرام، وكذلك التسبيحات الأربع في الصلوات الواجبة.
- عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه فسّر تطهير الثياب في الآية بالتقصير. فقد كان لباس كبار القوم في الجاهلية طويلاً لدرجة أن جزءاً من الثوب كان يزحف وراءهم على الأرض وكانوا يستأجرون أفراداً ليحملوا لهم ذلك الجزء.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه فسر ذلك برفعها كي لا تصيبها أوساخ الأرض[١].

- كلمة «رُجز» مرادفة لـ (رِجس) بمعنى الفسق والنجاسة؛ ولهذا تُستخدم في

---

(١) الكافي، ج٦، ص٤٥٥.

موارد الذنب، الشرك، الأصنام، العذاب وكل عمل أو خلق سيئ.

- طرحت السورة السابقة برنامج عبادة الليل والارتباط بالله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾، وتطرح هذه السورة برنامج النهار والعلاقة مع الناس: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾.
- المصداق الواضح للعمل بهذه الآية هو ذِكر (الله أكبر): ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾.
- تكبير الله يعني تصغير غيره. مثل الطائرة، كلما ارتفعت في الجو، تُصبح الأرض وما عليها أصغر. من يكون الله عنده كبيراً ويقول الله أكبر من صميم وجوده، تكون الدنيا عنده صغيرة ولا يخشى أي قوة[1]. كما نقرأ من بين صفات المتقين في خطبة همام في نهج البلاغة: «**عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دون ذلك**».
- إنّ الله كبير بالمطلق. أكبر وأعظم من كل المرئيات، المسموعات، المكتوبات، الأفكار والتوصيفات ... إلخ.
- ثمة نقاط عدّة تؤثر في الإرشاد والإنذار: الطهارة الظاهرية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾، الطهارة المعنوية: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾، الإخلاص في العمل: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾، الصبر والسعي: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾.

التعاليم:

١ ـ تشمل عناية الله الخاصة واهتمامه، كل أحوال النبي الأكرم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

٢ ـ نجاة الناس مشروطة بتحرك القادة الدينيين وتركهم للاستراحة والانزواء: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾.

٣ ـ يُعطي الأنبياء البشارة وكذلك الإنذار، ولإيقاظ الناس من غفلتهم يجب إنذارهم لا تبشيرهم: ﴿فَأَنذِرۡ﴾.

---

(١) كان الإمام الخميني رحمه الله يعتقد بأهمية التكبير ولهذا كان يقول: لا تستطيع أمريكا أن ترتكب أي حماقة.

٤ ـ الإنسان مُعرّض لأنواع من المخاطر، ووظيفة الأنبياء هي تحذير الناس من الأخطار الدنيوية والأخروية: ﴿فَأَنذِرْ﴾.

٥ ـ قوموا بكل وجودكم لتنفيذ الأوامر الإلهية: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

٦ ـ قام الأنبياء بعد أمر الوحي إياهم، لا طلباً للزعامة أو هوى النفس: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

٧ ـ كبّروا الله بقلبكم وروحكم وكذلك بلسانكم: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

٨ ـ من يعتقد بأنّ الله هو الكبير، يرى العدو وحِيَله ومكره وأذيته، صغارًا: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

٩ ـ الكبر خاص بالله تعالى لا بالآخرين. (جاءت كلمة (ربّك) قبل كلمة (فكبّر) وهذا يدل على الحصر).

١٠ ـ لكي يكون كلام القائد السماوي نافذاً، يجب أن يكون القائد طاهراً من كل دنس: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

١١ ـ ذكر النظافة والطهارة إلى جانب التوحيد والتكبير دليل على اهتمام الدين بالنظافة: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

١٢ ـ لا يهتم الإسلام بنظافة الجسم فقط، بل يهتم بنظافة اللباس كذلك: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

١٣ ـ يجب على قائد المجتمع الإسلامي الابتعاد عن كل أنواع الرجس، لكي يكون أسوة وقدوة للجميع: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.

١٤ ـ بناء النفس مقدّم على بناء المجتمع. من يريد أن يُطهّر المجتمع من كل أنواع النجاسات، يجب أن يطهر نفسه أولاً: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.

١٥ ـ لا تمُنّ على الله بالعبادة والإنفاق، وتظنّ بأنّ أعمالك كثيرة ولا تمنّ على خلق الله بما تعطيهم: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

١٦ ـ المنّ في الإنفاق والعطيّة دليل على فساد الروح: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

١٧ ـ أحد شروط نجاح القائد والمبلّغين هو الابتعاد عن المنّ والاستكثار: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

١٨ ـ لا يجب على القائد الديني أن ينتظر شيئاً من الناس: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

١٩ ـ يكون للصبر والثبات مكانة قيّمة إذا ما كان في سبيل الله، وفي غير هذه الحالة فهو عناد ليس أكثر: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

٢٠ ـ السعي والإصرار وسيلتان لرشد الإنسان: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

٢١ ـ يلزم الصبر على المصيبة، والمعصية والطاعة؛ ولكن هداية الناس يلزمها صبر خاص: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ... وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

٢٢ ـ يجب أن تكون مقاومة القائد الإسلامي جامعة: الصبر على الاتهام، على الأذيّة، التكذيب، والصبر والثبات في التبليغ، والإنذار، والعبادة: ﴿قُمْ... فَاصْبِرْ﴾.

٢٣ ـ تحتاج دعوة الناس إلى عزيمة صادقة: ﴿فَأَنذِرْ... فَاصْبِرْ﴾.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

□ «الناقور» الشيء الذي يُدقّ عليه لإصدار صوت، من مثل الطبل، أو يُنفخ فيه كالبوق، والمقصود به هنا هو النفخ في الصور كما ورد في آية أخرى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾[1]، ومن هذه الكلمة جاءت تسمية منقار الطائر، إذ إنها وسيلة للدق وصنع الثقوب، وكذلك صوت البوق فكأنّه يثقب الأذن ويدخل إلى الدماغ.

□ ورد في القرآن الكريم موردين للنفخ في الصور: النفخة الأولى يموت على أثرها الجميع، والنفخة الثانية يحيا بها الجميع مرة أخرى.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠١؛ سورة الحاقّة: الآية ١٣.

❑ كان ثمة مركز باسم (دار الندوة) بجانب المسجد الحرام، وكان المشركون يجتمعون فيه للمشاورة. كان الوليد بن المغيرة، شخصاً مشهوراً ومعروفاً بعقله ودرايته، قال مرة في أحد مجالس ذلك المركز: دعونا نوّحد كلامنا لمواجهة محمد، ونعطي زائري الكعبة جواباً واحداً حول محمد. قال أحدهم: فلنقل إنّ محمداً شاعر، وقال آخر: نقول إنّه كاهن، وقال ثالث: إنّه مجنون. عبس الوليد وقال: لقد سمعنا شعراً كثيراً ولكن كلام محمد لا يشبه الشعر في شيء، وليس فيه أثر من جنون، وكلامه مختلف عن كلام الكهنة. فقرروا أخيراً أن يقولوا إنّ محمداً ساحر ويُفرّق بين أبناء الأسرة الواحدة، والأشخاص الذين آمنوا به قد انفصلوا عن أفراد عائلتهم في البيت الواحد.

يقول الله تعالى في هذه الآيات عن الوليد: لقد خلقته وجعلت له الكثير من المال والبنون؛ ولكنّه أساء استخدام فكره وقدراته وواجه النبي، فليهلك إذاً.

❑ المقصود من «وحيداً» في: ﴿خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هو أحد المعاني التالية:

١ ـ (وحيد) صفة للمخلوق، أي أنّه كان وحيداً عاجزاً وفقيراً وأنا أنعمت عليه.

٢ ـ (وحيد) صفة للخالق، أي أنا خلقته وحدي وأنا من سأحاسبه وحدي.

التعاليم:

١ ـ يُصاحب نهاية هذا الكون وبداية الكون الجديد، صوت مُرعب وعظيم: ﴿نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾.

٢ ـ يوم القيامة صعب جداً على الكافرين، ولا يستطيع الكافر مع مرور الزمان أن يعتاد تلك الصعاب ولا تُصبح سهلة عليه: ﴿عَسِيرٌ... غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

٣ ـ يواسي الله تعالى نبيّه ويقول له اترك العدو لي: ﴿ذَرْنِى...﴾.

٤ ـ أصل الخلق وكذلك أمور الحياة، كلها بيد الله تعالى: ﴿خَلَقْتُ... وَجَعَلْتُ﴾.

٥ ـ لا ينبغي أن نغتر اليوم إذا ما امتلكنا الأموال والأولاد، ولا ننسَ بأننا قد جئنا بمفردنا وسنذهب يوماً ما بمفردنا: ﴿خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

٦ ـ ترتبط ممتلكات البشر بإرادة الله ومشيئته. لا تظنّوا أنّ النعم التي أعطيت لكم هي نتيجة علمكم وذكائكم: ﴿وَجَعَلْتُ... وَمَهَّدتُّ﴾.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

- «عنيد» من العناد، أي أنّ الكافرين قد فهموا الحق؛ ولكنهم لم يقبلوه بسبب عنادهم.
- «أرهقه» من الإرهاق أي حث شخص ما على عمل صعب.
- «صعود» يعني الطريق المرتفع وتعني المشقة الصعبة التي يكون العبور منها وتجاوزها أمراً شاقاً وصعباً.
- المراد من «قدّر» هو التقدير، أي المقارنة بين القرآن والسحر والشعر والتكهن.
- استخدم القرآن كلمة «قُتِلَ» مرّة واحدة في حديثه عن الكفر والكذب: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[1]، ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[2].

ولكن في حديثه عن المؤامرة على النبي الكريم والقرآن، كرّر الكلمة مرّتين: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

- قال الله تعالى في الآية ٢٣: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾، سوف نرى الآن ما هو جزاء الذي يُعرِض عن الحق ويخالفه؟

يقول القرآن الكريم إنّ الأشخاص الذين يعرفون الحق ويكفرون به ويُعرضون عنه لهم عقوبات متعددة من بينها:

(١) سورة عبس: الآية ١٧.
(٢) سورة الذاريات: الآية ١٠.

- يفقدون طريقهم وهدفهم في الحياة: ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[1]،
- يُبتلون بضيق الصدر: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2]،
- يُبتلون بضيق العيش: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[3]،
- يتسلط عليهم الفشل والتعاسة: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4].
- يُحرمون الاستفادة الصحيحة من النعم الإلهية. يقول القرآن: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾[5].
- أعمالهم كسراب ورماد متطاير: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾[6]، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ﴾[7].
- تزداد خسارتهم كل لحظة: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[8]،
- بعيدون عن الحق دائماً: ﴿ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[9]،
- ليس لهم طريق إلا جهنم: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾[10].

□ وبّخ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بعض الناس في نهج البلاغة إذ إنّ العدو يخطط وينفذ وهم غافلون: **«تكادون ولا تكيدون.. لا ينام عليكم وأنتم في غفلة»**[11].

□ يفقد الأشخاص العنيدون عادة اعتدالهم بشكل كامل ويتعاملون بأسلوب قاس. مع أنّ كلمتي (عبس) و(بسر) تحملان المعنى نفسه تقريباً، إلا أنّ ذكر الكلمتين معاً دليل على شدة القسوة. إذا كان الإعراض ناشئاً عن الاستكبار قد تأتي (عبس وبسر) معاً، ولكن ورد في الآيات كلتا كلمتي الإدبار والاستكبار كذلك: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧١.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.
(٣) سورة طه: الآية ١٢٤.
(٤) سورة النحل: الآية ٢٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ٧.
(٦) سورة النور: الآية ٣٩.
(٧) سورة إبراهيم: الآية ١٨.
(٨) سورة فاطر: الآية ٣٩.
(٩) سورة النساء: الآية ١٦٧.
(١٠) سورة النساء: الآيتان ١٦٨، ١٦٩.
(١١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣٤.

التعاليم:

١ ـ الإنسان البعيد عن الله، طماع وطالب للمزيد: ﴿يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾.

٢ ـ لن يصل العدو إلى كل أمانيه: ﴿يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّآ﴾.

٣ ـ واجهوا التوقعات غير المنطقيّة بإحكام وحزم: ﴿يَطْمَعُ... كَلَّآ﴾.

٤ ـ إذا ما تمكّن العناد من الإنسان، فإنه سيكذب الآيات الإلهية: ﴿كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾.

٥ ـ العناد سبب لزوال النعمة: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾.

٦ ـ العناد سبب للعذاب المهلك: ﴿عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

٧ ـ ينتج عن الرفاه والغفلة الدنيوية، عذابات شديدة في يوم القيامة. (أجل، فوراء كل هبوط، صعود): ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا... سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

٨ ـ يعمل العدو بناءً على برنامج وتفكير: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾.

٩ ـ يخطط العدو لمحاربة القرآن والآيات الإلهية: ﴿كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا... إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾.

١٠ ـ ليس لكل فكر قيمة، وليس لكل مفكّر مقام: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

١١ ـ فليعلم المتواطئون أنهم ملعونون حتى من اللاحقين: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

١٢ ـ الدعاء على العدو ليس جائزاً فحسب، بل إنّه لازم كذلك: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

١٣ ـ يجب اللعن الدائم على القادة الفاسدين والأشخاص الذين يُضرّون بالثقافة عن طريق أفكارهم واقتراحاتهم: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

١٤ ـ التفكير السيّىء هو مقدمة للقرار الخاطىء والخطير. (الآية الشريفة بدل من أن تقول (فقتل كيف فكّر) قالت مرّتين: ﴿قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾).

١٥ ـ لحظة من التفكير تستطيع أن تكون مقدمة للخير أو للشر لفترات طويلة. تكررت كلمة (فكّر) مرّة واحدة في حين تكررت كلمة (قدّر) ثلاث مرّات.

١٦ ـ يحافظ العدو على استمرارية أفكاره وأطروحاته ويقويها عن طريق الرقابة والتقدير: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ... ثُمَّ نَظَرَ﴾.

١٧ ـ لا تتوقعوا أن يضحك العدو ويبتسم لكم: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾.

١٨ ـ ينتظر العدو وقتاً طويلاً ويصبر ليصل إلى النجاح: ﴿ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ، ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ (تُستعمل كلمة (ثم) عادة في الموارد التي تقع بينها فواصل زمنيّة طويلة).

١٩ ـ حتى في نظر الكافرين، فإنّ القرآن كلام مليء بالجاذبية والسحر: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

□ «سَقَر» من أسماء جهنم، وتعني في الأصل، الذوبان مقابل حرارة الشمس[١].

□ التلويح بمعنى تغيير اللون إلى الأسود أو الأحمر.

□ «بَشَر» جمع «بشرة» وتعني ظاهر الجلد.

□ جاء في التاريخ أنّ أبا جهل حين سمع أنّ لجهنم تسعة عشر مأموراً، قال لأصحابه: كل عشرة أشخاص منكم يغلبون واحداً منهم. فقال أحد أقوياء قريش: أنا أغلب سبعة عشر منهم وأنتم اغلبوا الاثنين المتبقيين[٢].

□ قال بعضهم: المقصود من الآية ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أنّ نار جهنم لا تقتل ولا تبقي على الحياة، على نسق آية: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[٣]، وكذلك آية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا﴾[٤].

---

(١) مفردات الراغب.
(٢) تفسير مجمع البيان.
(٣) سورة الأعلى: الآية ١٣.
(٤) سورة النساء: الآية ٥٦.

التعاليم:

١ ـ لا يمكن إدراك حقيقة جهنم إلا عن طريق الوحي: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾.

٢ ـ نار جهنم واسعة شاملة: ﴿لَا تُبْقِى﴾، ولا تنطفىء كذلك: ﴿لَا تَذَرُ﴾.

٣ ـ المعاد جسماني: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾.

٤ ـ جزاء من يُغيّر الوحي الإلهي ويصور للناس أنه سحر هو أن يتغير جلد جسمه في نار جهنّم: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾.

٥ ـ إذا كان بمقدور ملاك واحد أن يقبض روح جميع الناس، وبمقدور ملاكين اثنين أن يخسفوا مدينة لوط ويُهلكوا أهلها، فبإمكان تسعة عشر ملاكاً أن يتولوا مسؤولية تعذيب المجرمين: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

□ يقول الفخر الرازي في التفسير الكبير: يبعث العدد ١٩ اليقين عند أهل الكتاب والمسلمين من جوانب عدة:

أ) لأنّ هذا العدد نفسه قد ورد في الكتب السماوية السابقة أي التوراة والإنجيل، قال أهل الكتاب: كيف لشخص لم يقرأ ويدرس أن يطّلع على هذا؟ حتماً إنه قد أوحي إليه إذاً.

ب) سيكون إيمان أهل الكتاب بحقّانية القرآن سبباً في ازدياد إيمان المسلمين.

ج) تعيين عدد المأمورين بتسعة عشر، قد يكون دافعاً لسخرية بعضهم وتعجبهم، والإنسان عادة لا يقول شيئاً ليضحك الناس منه. وبما أن

القرآن قد ذكر هذا العدد على أنّه تعداد الملائكة الموكلين بجهنّم، فيُصبح واضحاً عندها أنه كلام الوحي.

- نسبت بعض آيات القرآن إضلال الناس إلى الله تعالى. مثل هذه الآية التي تقول: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾؛ لكن يجب أن نعلم أنّ المقصود من الإضلال هو ترك الشخص بحال نفسه؛ أي أنّ الله يكل الطالحين إلى أنفسهم. مثل المزارع الذي يترك الحبوب الفاسدة ويضعها جانباً ويحتفظ بالحبوب الجيدة ويهيِّىء لها الأسباب للنمو.
- أحد طرق زيادة إيمان المؤمنين، مطالعة التوراة والإنجيل ومقارنتهما بالقرآن. فبهذه الطريقة، يستخرجون الموارد المحرّفة في تلك الكتب السابقة وسيجدون كذلك موارد مشتركة عدة مما يثبت أن القرآن حق.
- يجب أن نتعامل مع الأحكام والمطالب الدينية باحترام، وألا نحقّر أو نُهين أي أمر قد يُثير تعجبنا.

بيان عدد الملائكة وأنهم تسعة عشر هو وسيلة للامتحان ليتضّح من سيتقبّل الأمر ممن سيسخر منه.

- إدارة أمور الوجود وتدبيرها أمر محسوب ودقيق جداً. الموظفون بتنظيم الوجود، يتخذون مواقعهم على حسب الحاجة إليهم، لا واحد أكثر ولا واحد أقل.

بناءً على العلم الإلهي، فإنّ تسعة عشر ملاكاً يكفون لإدارة جهنم وأهلها. إذًا لن يُضاف فرد واحد، وهذا أفضل درس للمدراء عند تعيين الموظفين، أن يُوَظفوا بناءً على الحاجة والضرورة.

التعاليم:

١ ـ الموكلون بالنار هم من الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾.

٢ ـ الشخص النقي من الدنس، المنزّه عن ارتكاب ما ينهى الآخرين عنه هو من يستطيع أن يُجري القوانين والأحكام الإلهية: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾.

٣ ـ ذكر تعداد ملائكة جهنم هو امتحان للكفار: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٤ ـ ثمة أشخاص منصفون بين أهل الكتاب يؤمنون إذا ما رأوا أنّ الإسلام حق: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾.

٥ ـ يُخبر القرآن عمّا سيقوله مرضى القلوب في المستقبل: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾.

٦ ـ لا يبتدىء الله تعالى الكافرين بالإضلال، وإنما هو عقاب لهم. (مثل اللص الذي يدخل إلى المنزل فتغلق الباب بوجهه، في هذه الحالة حبس اللص هو جزاءٌ له على عمله): ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾.

٧ ـ يتفق الكفار والمنافقون في عداوتهم للإسلام والمسلمين: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ﴾.

٨ ـ أحياناً، قد يكون أمر بسيط سبباً في هداية بعض الناس وإضلال بعضٍ آخر: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾

إشارات:

- «أسفر» من (سفر) بمعنى كشف الستار والإظهار، وتطلق كلمة «سافرات» على النساء غير المحجبات.
- «كُبَر» جمع (كُبرى) أي أنّ العذاب الذي ذكر في الآيات السابقة، ليس إلا أحد عذابات الله الكبيرة وثمة عذابات أخرى كبيرة.
- القمر من آيات الله الكبرى، فهو يدور حول الأرض، يُنير في المساء، يُعتبر تقويماً طبيعياً، يُسبب الجزر والمد وله أدوار أخرى في الكون، ولهذا استحق أن يكون موضعاً للقسَم.
- أقسم الله بكل الأوقات مرّة واحدة؛ ولكنه أقسم بالسحر ثلاث مرّات:

﴿وَالْفَجْرِ﴾[(١)]، ﴿وَالصُّبْحِ﴾[(٢)]، ﴿وَالضُّحَىٰ﴾[(٣)]، ﴿وَالْعَصْرِ﴾[(٤)]، ذُكرت كلها مرّة واحدة؛ ولكن ذكر الوقت الذي ينتهي فيه الليل ويأتي السحر بثلاثة تعبيرات: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[(٥)]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[(٦)]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[(٧)].

□ عن الإمام الكاظم عليه السلام، أنّه فسّر قوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾، بالتقدّم والتأخّر عن جهنّم وإليها، وربط ذلك باختيار ولاية أهل البيت ورفضها.

التعاليم:

١ ـ تتمتع مخلوقات الله الطبيعية بأهميّة تجعلها أهلاً للقسم: ﴿وَالْقَمَرِ﴾.

٢ ـ تحذيرات نبي الإسلام موجهة إلى البشر جميعاً: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾.

٣ ـ تحذيرهم أمر ضروري لإرشادهم: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾.

٤ ـ يملك الإنسان الإرادة والاختيار: ﴿لِمَن شَاءَ﴾.

٥ ـ الإنسان المتديّن متقدم على الآخرين والإنسان الذي لا دين له متأخر: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات:

□ المقصود بأصحاب اليمين هم الفريق نفسه الذي ذُكر في الآية ٢٧ من سورة

---

(١) سورة الفجر: الآية ١.
(٢) سورة المدثر: الآية ٣٤.
(٣) سورة الضحى: الآية ١.
(٤) سورة العصر: الآية ١.
(٥) سورة المدثر: الآية ٣٣.
(٦) سورة الفجر: الآية ٤.
(٧) سورة التكوير: الآية ١٧.

الواقعة: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ وهم الأشخاص الذين يحملون كتاب أعمالهم يوم القيامة بيدهم اليمنى.

- تكثر في يوم القيامة الحوارات المريرة والسعيدة، السلام أو اللعن، السؤال والتوبيخ، تحميل الذنب للآخرين وإلقاء اللوم عليهم ولعنهم، وقد جاء في القرآن تحاور المؤمنين مع المؤمنين، المجرمين مع المجرمين، المجرمين مع المؤمنين، والمؤمنين مع المجرمين، وكذلك تحاور الملائكة مع المؤمنين والمجرمين.
- إمّا أن يكون المقصود من إطعام المسكين الزكاة الواجبة والتي يستلزم تركها جهنم، وإمّا المقصود أنه وإن أدّيت الزكاة إلا أنّه ثمة جوعى في المجتمع إطعامهم واجب، وعدم الاهتمام بهم سبب لدخول جهنم.
- قد يكون المقصود من إطعام المسكين هو كل احتياجاته من لباس ومسكن، لا الطعام والشراب فقط.
- تكذيب يوم القيامة مقدمة للذنب: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝﴾[1]. وكذلك، فإن الذنوب تجر الإنسان إلى الكفر والتكذيب: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟﴾[2]، وعلى هذا فإنّ ما في الآية: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قد يكون السبب في الأعمال التي قام بها المجرمون أو تكون نتيجة لذنوبهم.
- المقصود من «اليقين» في هذه الآية هو الموت. إمّا لأنه أكثر أمر متيقن عند الجميع ولا يشك أحد بوقوعه، وإما لأنّ الحقائق كلها تتكشف للإنسان عند الموت ويصل الجميع إلى درجة اليقين والتصديق: ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾
- الصلاة التي تُصلى أحياناً ويُتغاضى عنها مرة أخرى، هي صلاة لا تجعل الإنسان من المصلّين: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي أنّ صلاتنا لم تكن دائمة. جاء أيضاً في سورة الماعون: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ

---

(١) سورة الماعون: الآيتان ١ و٢.
(٢) سورة الروم: الآية ١٠.

سَاهُونَ﴾[1] وهكذا صلاة لا تجعل الإنسان مشمولاً بشفاعة الشافعين: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ... فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[2]، وهو الحديث نفسه المعروف عن الإمام الصادق عليه السلام الذي قاله عند شهادته إذ قال: أحضروا أقاربي وقال لهم: «**لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة**»[3].

- الناس إمّا فائز وإما خائض. يعني إمّا أن يصلوا للفوز والفلاح، وإمّا أن يخوضوا في الباطل ويغرقوا فيكونوا خائضين.
- نقل القرطبي، أحد المفسرين المعروفين عند أهل السُّنة، عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «**نحن وشيعتنا أصحاب اليمين وكلّ من أبغضنا أهل البيت فهم المرتهنون**»[4].

التعاليم:

١ ـ تصرفات الإنسان هي التي تبني شخصيته: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾.

٢ ـ تتعلق نجاة الإنسان في يوم القيامة وخلاصه من العذاب الإلهي بجوابه عن الأسئلة في محكمة العدل الإلهي: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾.

٣ ـ طرح الأسئلة المتتالية على المجرمين يوم القيامة هو ضرب من التعذيب النفسي: ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

٤ ـ لا يذهب الشخص إلى النار لذنب واحد اقترفه، وإنّما هو الإصرار والاستمرار على الذنب والفساد الذي يؤدي به إلى جهنم. (تشير عبارتا (لم نك) و(كنا) على استمرارية العمل).

٥ ـ إطعام المسكين واجب وإن لم يكن مسلماً: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

٦ ـ قضاء العمر بالباطل هو أمر لا يُغتفر: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾.

٧ ـ الانخراط بالجماعة الفاسدة هو أحد أسباب دخول جهنم: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾.

---

(١) سورة الماعون: الآيتان ٤ و٥.

(٢) سورة المدثر: الآية ٤٣ و٤٨.

(٣) الكافي، ج٣، ص٢٧٠.

(٤) تفسير القرطبي.

٨ ـ رفيق وجليس السوء سبب ممهد لجهنم: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾.

٩ ـ الموت ليس فناءً؛ ولكنه تحرر من الأسر المادي للدنيا ورؤية للحقائق الماورائية: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات:

- «حُمُر» جمع «حمار» وتُطلق على الحمار الوحشي.
- توجد نقاط عدة كامنة خلف تشبيه القرآن الفرار من القرآن بفرار الحمر الوحشية من الأسد:
  - أ) فرار الحُمُر من الأسد لا يكون مبنياً على العقل والشعور.
  - ب) يكون هذا الهروب مصاحباً للخوف.
  - ج) لا يكون للفرار هدف خاص.
  - د) ليس للفارّ قدرة على الاستراحة وتجديد طاقته وستكون نهايته الحتمية هي الأسْر.
- «قَسورة» من «قَسر» بمعنى القهر والغلبة وهو أحد أسماء الأسد وتُستخدم في بعض المواضع بمعنى الصيّاد. والظاهر أنّ المقصود هو فرار الحُمُر من الصيّاد أو من الأسد.
- جاء في بعض الروايات أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا لنبي الإسلام ﷺ: لن نؤمن بك حتى تأتي لنا بكتاب من السماء كُتب فيه: من خالق العالمين إلى فلان بن فلان ويرد فيه أمر صريح لنا، عندها سنؤمن بك[1].

---

(١) تفسير المراغي.

□ ورد في آيات من القرآن الكريم حديث عن توقعات الكفّار غير المنطقيّة: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾[1]. وفي سورة الأنعام كذلك ورد ما يشابه هذا القول: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[2]، ويقول الله تعالى جواباً عن هذه التوقعات الفارغة: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3].

شفعاء يوم القيامة:

جاء في القرآن والروايات أنّ أشخاصاً يُسمح لهم يوم القيامة بأن يشفعوا للآخرين. نقرأ في رواية للنبي ﷺ: «**أنا أول شافع**»[4].

ـ القرآن: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من يشفع له القرآن يوم القيامة يشفّع فيه**»[5].

ـ الأنبياء: ورد في الروايات أنّ الأنبياء يشفعون يوم القيامة: «**يشفع الأنبياء**»[6].

ـ الأئمة المعصومون والشيعة الحقيقيون: نقرأ في رواية عن الإمام المعصوم: «**لنا شفاعة ولأهل مودتنا شفاعة**»[7].

ـ الملائكة: «**يؤذن للملائكة والشهداء أن يشفعوا**»[8].

ـ الشهداء: يشفع كل شهيد يوم القيامة لسبعين فرداً من عائلته[9].

ـ العبادات: عبادة العبد من أسباب الشفاعة يوم القيامة «**الصيام والقرآن شفيعان للعبد يوم القيامة**»[10].

شروط الانشمال بالشفاعة:

عرّف القرآن والروايات، المُشفّعين بأنهم من يملكون الخصائص الآتية:

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩٣.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.
(٤) صحيح مسلم، ج٢، ص ١٣٠.
(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.
(٦) مسند أحمد، ج٣، ص١٢.
(٧) الخصال، ص ٦٢٤.
(٨) مسند أحمد، ج٥، ص ٤٣.
(٩) سنن أبي داود، ج٣، ص ١٥.
(١٠) مسند أحمد، ج٢، ص١٧٤.

أ) أن يكونوا من أهل الإيمان والصلاة والإنفاق في سبيل الله، وألا يكونوا قد أضاعوا عمرهم هدراً: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

ب) أن يأذن الله بأن يُشفع لهم: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1].

ج) أن يرحلوا عن الدنيا وهم مؤمنون.

د) أن تكون ثمة علاقة بين الشافع والمشفوع له. من لا صلة له بالشفعاء، فلن يُشفع له.

التعاليم:

١ ـ الاستخفاف بالصلاة والإنفاق وإطعام المحتاجين وإهدار العمر، أسبابٌ للحرمان من الشفاعة يوم القيامة: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

٢ ـ يأذن الله تعالى يوم القيامة لأشخاص بأن يشفعوا للآخرين؛ ولكن لا يملك كل الناس شروط استحقاق الشفاعة: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

٣ ـ الشفعاء متعددون يوم القيامة: الأنبياء، والأوصياء، والشهداء، والقرآن ...إلخ: ﴿ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

٤ ـ لا يملك المخالفون للإسلام أي دليل على رفضهم للآيات الإلهية وكلام الوحي: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾.

٥ ـ لا يتمتع المعرضون عن كلام الحق بالتعقل والتفكر: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾.

٦ ـ التوقعات غير المنطقية من الله (مثل انتظار كتاب من الله)، دليل على الحماقة: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ... يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾.

٧ ـ الكفار مغرورون ويتوقعون بأن ترسل لكل واحد منهم دعوة خاصة تهديه إلى الحق: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾.

٨ ـ ردّوا على التوقعات الفارغة بنفي قاطع. (لقد أتم الله الحجة بإرسال البرهان والمعجزة وليس ثمة حاجة لإرسال رسالة خاصة إلى كل شخص وحده): ﴿كَلَّا﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

٩ ـ طلبات الكفّار غير المنطقية للإيمان، هي ذرائع ليس إلا: ﴿يُرِيدُ... كَلَّآ﴾.

١٠ ـ عدم الخشية من الآخرة هو سبب لإنكار النبوة: ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ... بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾.

١١ ـ يملك الإنسان الإرادة والحرية في اختيار العقيدة والفكر: ﴿فَمَن شَآءَ﴾.

١٢ ـ القرآن أرضية مناسبة لهداية البشر؛ ولكن الاستفادة من هذه الأرضية والاهتداء مرتبط بإرادة الإنسان: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ صحيح أنّ الإنسان يملك الاختيار: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ ولكن إرادته وحدها ليست كافية، فإن لم يرد الله فلن يحدث شيء: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٢ ـ لا يمكن الاستفادة من المواعظ الإلهية إلا بتوفيق من الله: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ الكفار المعاندون صعبو المراس لا يؤمنون بأي قيمة كانت، إلا أن يشاء الله ويُجبرهم على ذلك؛ (ولن يقوم الله بهذا): ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٤ ـ فقط الله تعالى يستحق أن نتقيه ونخشاه، وإذا ما أخطأنا فهو وحده من يستطيع أن يغفر لنا ويعفو عنا: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ القِيَامَةِ

السورة: ٧٥ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٤٠



ملامح سورة القيامة

نزلت هذه السورة في مكة، وعدد آياتها أربعون آية.

اسمها مأخوذ من الآية الأولى.

محور حديث هذه السورة كما هو جلي من اسمها، يدور حول المعاد ويوم القيامة. في البداية، طُرحت أحداث نهاية هذا العالم الصعبة والثقيلة ومن ثم وُصفت الوجوه السعيدة والحزينة للصالحين والطالحين.

وبعد ذلك تُبيّن الآيات حالات الإنسان عند تسليم الروح والاحتضار وتختم بالحديث عن خلق الإنسان من قطرة ماء مهين، وفي هذا دليل على قدرة الله على خلق الإنسان مرّة أخرى.

تتحدث الآيات الأربع الوسطى في السورة عن القرآن وطريقة نزوله وقراءته.

ضَمِنَت الروايات للأشخاص الذين يداومون على قراءة هذه السورة ويعملون بما جاء فيها، العبور على الصراط والحضور في يوم القيامة بوجه بشوش ضاحك.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

- بدأت هذه السورة وكذلك سورة البلد بجملة «لا أقسم». بناءً على قول العديد من المفسرين، فإنّ حرف (لا) هو للتأكيد ولكن بعضاً يعتقد أنّه للنفي، أي أنّ الموضوع واضح إلى درجة أنه لا يُقسم عليه.
- يمكن أن يكون وجه الشبه بين القيامة والنفس اللوامة اللتين أُقسم بكلتيهما هو أنه في دنيا وجود الإنسان الصغيرة توجد مَحكمة باسم النفس اللوامة، وفي عالم الوجود ثمة أيضاً مَحكمة باسم القيامة[1].
- عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال لابن مسعود: **«يا ابن مسعود، أكثر من الصالحات والبرّ، فإنّ المحسن والمسيء يندمان. يقول المحسن يا ليتني ازددت من الحسنات، ويقول المسيء: قصّرت، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾»**[2].

النفس في القرآن:

- صَوَّرَ القرآن والأدعية والزيارات، أنواعاً عدة لنفس الإنسان:

أ) **النفس الأمّارة**: هي التي تأمر الإنسان دائماً بعمل السوء، وإذا لم تُكبح بالعقل والإيمان فإنها تودي بالإنسان إلى السقوط والضياع. ورد في القرآن: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[3].

تظل هذه النفس تكرر مطالبها وتُلحّ على الإنسان حتى تورّطه. عن الإمام

---

(١) تفسير نمونه.

(٢) البحار، ج ٧٤، ص ١٠٤.

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٣.

علي عليه السلام: «**النفس الأمارة تتملق تملق المنافق، وتتصنع بشيمة الصديق الموافق، حتى إذا خدعت وتمكنت تسلطت...**»[(١)].

يخبرنا القرآن الكريم في سورة يوسف أنه بعد أن ترك إخوة يوسف بنيامين في أرض مصر، ورجعوا إلى أبيهم وأوضحوا له ما جرى من أمر السرقة وأخذ بنيامين، قال النبي يعقوب عليه السلام: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾[(٢)].

نقرأ في حديث آخر: اطلبوا من الله بعد صلاتكم أن: «**إلهي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً**»[(٣)].

يقول الإمام زين العابدين في مناجاة الشّاكين: «**إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسّها الشر تجزع، وإن مسّها الخير تمنع، ميّالة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تُسرع بي إلى الحوبة وتسوّفني بالتوبة**».

ب) **النفس اللوّامة**: هي التي ذُكِرت في هذه السورة، ويمكن أن يكون المراد بها الضمير الأخلاقي. أجل، فإنّ الإنسان يمتلك حالة يلوم فيها نفسه في الدنيا عند القيام بعمل سيِّء أو قلة العمل الحسن، وكذلك في الآخرة. هذا اللوم، هو الندم نفسه الذي يكون مقدمة للتوبة أو أرضية لليأس والانهزام.

ج) **النفس المطمئنة**: وهي التي تتكون على أثر الصلاة وذكر الله ويجد الإنسان عندها الاطمئنان. يقول القرآن الكريم في آية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾[(٤)]، ويقول في آية أخرى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[(٥)].

لا يخاف الإنسان المطمئن من الموت؛ بل يشتاق للشهادة، ولا يكترث ببريق الدنيا ومظاهرها ويرضى دائماً بالمقدّرات الإلهية.

---

(١) غرر الحكم.
(٢) سورة يوسف: الآية ٨٣.
(٣) الكافي، ج٣، ص ٣٤٦.
(٤) سورة طه: الآية ١٤.
(٥) سورة الرعد: الآية ٢٨.

- يطرح منكرو المعاد أحياناً أسئلة لإنكار القيامة، من بينها قولهم: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[1]. وأحياناً ينكرون القيامة بشكل مباشر وصريح: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[2].
- يؤكد القرآن القدرة الإلهية على إحياء الإنسان في مقابل تشكيك مخالفي المعاد، وسنشير إلى أمثلة على ذلك:

﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[3]، ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[4]، ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾، ويقول في هذه الآية لسنا قادرين فقط على إحياء الإنسان بل حتى خلق بصمات إصبعه ليس أمراً مهماً عند الله: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾

- توجد خطوط خاصّة في أصابع كل إنسان مختصة به، ولا يوجد شخصان لهما الخطوط نفسها؛ ولهذا تُستخدم بصمة الأصبع لمعرفة المجرم. أجل، فإنّ علم الله وقدرته يجري على أدق ذرات الوجود: ﴿نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾.

التعاليم:

١ ـ إنّ وقوع القيامة حتمي عند الله تعالى؛ ولذا يُقسم الله به: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

٢ ـ إحدى خصائص الإنسان هي الضمير الأخلاقي، والمعرفة الفطريّة للحسنات والسيئات، والتأنيب ولوم النفس والآخرين عند القيام بعمل سيىء: ﴿بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

٣ ـ من بين الأنفس الثلاث اللوامة، والأمّارة، والمطمئنة، النفس التي تشبه يوم القيامة بحسراته وتوبيخاته هي النفس اللوّامة: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ... بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

٤ ـ الإيمان بالمعاد مانع من الفسق والفجور؛ لذلك يشكك الفاسقون والفاجرون بالمعاد: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

---

(١) سورة يس: الآية ٧٨.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٣٧.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٩٩.
(٤) سورة الأحقاف: الآية ٣٣.

٥ ـ ينكر الكفار المعاد بناءً على الظن والخيال لا على الاستدلال والبرهان والدليل: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾.

٦ ـ الأعضاء والجوارح والعظام البالية والمشتتة، قابلة للجمع يوم القيامة: ﴿نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾.

٧ ـ المعاد جسماني، ووجود الإنسان يوم القيامة يتشكّل من عظامه: ﴿نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾.

٨ ـ يجوز نقل الاعتقادات الخاطئة والرد عليها: ﴿أَيَحْسَبُ...بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾.

٩ ـ خلْق الله في الدنيا تابع للنظم والنظام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[1]، وكذلك في الآخرة: ﴿نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾.

١٠ ـ إنسان يوم القيامة هو نفسه الإنسان الدنيوي: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾.

١١ ـ أعطى الله الإنسان القدرة على الانتخاب والاختيار والإرادة، ويستطيع الإنسان أن يتصرّف على خلاف عقله وفطرته ومعرفته: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾.

١٢ ـ لا يملك الكثير من الأشخاص الذين ينكرون المعاد مشكلة علمية؛ ولكنهم من الناحية النفسية يظنون أنّ إنكارهم يفتح الطريق أمام رغباتهم: ﴿يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

□ عندما تُنسب كلمة «برق» إلى العين، تعني حالة من الخوف الشديد والوحشة.

---

(١) سورة الأعلى: الآية ٢.

□ «وَزَر» يعني ملجأ كالجبل أو القلعة، ويكون بحث الإنسان عن ملجأ يوم القيامة إمّا نتيجة لخجله واستحيائه من الله، وإمّا هروباً من الكتاب والحساب، أو من جهنم، أو من الفضيحة، ويمكن أن تكون كل هذه الأمور مجتمعة.

□ «معاذير» جمع معذرة وتعني البحث عن شيء لمحو آثار الذنوب. سواء أكان عذراً مقبولاً أم غير مقبول.

□ يلجأ الإنسان عادة إلى خلق الأعذار، وسنشير هنا إلى أمثلة على ذلك من القرآن الكريم:

يقول أحياناً إني غفلت: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[1].

وقد يقول أضلني رؤسائي وسادة قومي: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾[2].

وأحياناً يقول إنّ الشيطان قد أضلني، فيجيبه الشيطان: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم﴾[3].

□ يقول الإمام الباقر عليه السلام في توضيحه للآية: ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: «**فما سنّ من سُنة ليستنّ بها من بعده فإن كان شرّاً كان عليه مثل وزرهم... وإن كان خيراً كان له مثل أجورهم**»[4].

التعاليم:

١ ـ سيزول النظام الحاكم على العالم يوم القيامة: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

٢ ـ تؤثر الوحشة الناشئة عن يوم القيامة على وجود الإنسان كله:

ـ العين: ﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾.

ـ القلب: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾.

ـ العقل: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٨.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.
(٤) تفسير كنز الدقائق.

٣ ـ يُنبّأ الإنسان يوم القيامة بالجرائم التي ارتكبها: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

٤ ـ يتحمل الإنسان، مضافاً إلى أعماله، مسؤولية الأعمال التي اتبعه فيها الآخرون من بعده: ﴿قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

٥ ـ أفضل شاهد على الإنسان في محكمة يوم القيامة هو ضميره: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾.

٦ ـ حتى الإنسان نفسه لا يؤمن بالأعذار التي يختلقها: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

❑ نقرأ ما يشابه هذه الآيات في الآية ١١٤ من سورة طه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

نزل القرآن على النبي الأكرم دفعة واحدة في ليلة القدر، ومن ثم نزل مرّة أخرى بالتدريج على النبي في المناسبات المختلفة خلال السنين الثلاث والعشرين من نبوته؛ لذا تدل آية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ على أن النبي ﷺ كان يَعلَمُ آيات القرآن من قبل ولهذا السبب يقول الله تعالى لا تعجل بتلاوته واقرأه بعد أن نقرأه نحن: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾.

❑ تحدثت بعض آيات القرآن عن كيفية نزول الوحي على النبي وتلاوته على الناس. وفي هذه الآية أيضاً يقول الله تعالى لنبيّه: لا تُقدم على قراءة الآيات عند نزول الوحي قبل أن تكتمل الآيات. ولا تعجل بكلامي ولا تخف من نسيانها؛ لأننا نتعهد بحفظها. دع نزول الوحي يكتمل ثم اقرأ الآيات.

التعاليم:

١ ـ ثمة آداب للاستماع، وإن تكرار كلام المتحدّث ليس أمراً مستحسناً: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ...﴾.

٢ ـ القرآن مصون من أي تحريف أو تغيير: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ...﴾.

٣ ـ ألفاظ القرآن هي من عند الله: ﴿قُرْءَانَهُۥ﴾.

٤ ـ يتعهّد الله تعالى تبيين الوحي للنبي وتوضيحه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

- «ناضرة» حيوية ونضارة الوجه الناشئة عن النعم الكثيرة. كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[1].
- قد يكون المقصود من «ناظرة» هو انتظار الحصول على النعمة. كما ورد في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «**مشرقة تنتظر ثواب ربّها**»[2].
- صحيح أنّ هذه الآية تقول: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ ولكن بناءً على آية أخرى تقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[3]، فإن الله لا يُرى بالعين الباصرة وينظر الناس يوم القيامة إلى ألطاف الله تعالى.
- «باسرة» بمعنى عابسة ومقطّبة.
- «فاقرة» من فقار بمعنى فقرات الظهر. ومنها جاءت كلمة فقير، وتعني أنّ الشخص الذي لا يملك شيئاً كأنّ فقرات ظهره متكسّرة. والمقصود من فاقرة أنها كاسرة للظهر.

---

(١) سورة المطففين: الآية ٢٤.
(٢) تفسير نور الثقلين.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

التعاليم:

١ ـ للسؤال والجواب جذور نفسية؛ فالسؤال عن القيامة ناتج عن التعلق بالدنيا: ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ... كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾.

٢ ـ يكون التعلق بالدنيا سيئاً وموجباً للتوبيخ إذا كان شديداً: ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[١] أو ملازماً لنسيان القيامة: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.

٣ ـ حب الدنيا عامل ممهد لإنكار المعاد: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.

٤ ـ الدنيا زائلة. وكأنّ الدنيا تستعجل للوصول وتمضي بسرعة: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾.

٥ ـ لا يمكن لقلب واحد أن يحب اثنين متضادّين: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.

٦ ـ ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٢]. وإذا لم يتحكم بنفسه بالعقل والوحي، لا يفكر إلا بالدنيا العاجلة: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾.

٧ ـ المقارنة بين الكفر والثواب هي إحدى وسائل التربية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ... وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾.

٨ ـ تؤثر المسائل النفسية والروحية على وجه الإنسان. لون الوجه ينبىء عن سر الضمير: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ... وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾.

٩ ـ الناس الذين عبدوا الله وحده في الدنيا: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾[٣]، وتوكلوا عليه وحده: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[٤]، يخشعون له وحده ولا يخافون غيره: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾[٥]، يطلبون العون منه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي ذلك اليوم ينظرون فقط إليه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

١٠ ـ حب الدنيا ونسيان الآخرة سببان للحزن والكآبة يوم القيامة: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ... وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾.

---

(١) سورة العاديات: الآية ٨.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٧.
(٣) سورة غافر: الآية ١٤.
(٤) سورة الملك: الآية ٢٩.
(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات:

- «التراقي» جمع ترقوة وهو العظم المحيط بالحلق.
- «راق» هي في الأصل راقٍ اسم فاعل من رَقى. ويُطلق على الأوراد والأذكار التي تشفي المريض «الرُّقية»، إذًا (راق) هي كل ما فيه نجاة للمريض من الموت.
- تأتي كلمة «ظنّ» أحياناً بمعنى العلم، مثلما جاء في هذه الآية: عند الاحتضار، يتيقّن الإنسان بالفراق.
- جاء في الروايات أنه عند الموت، يتجلّى مال الإنسان وأولاده وأعماله أمام ناظريه، يقول المال: أنا خارج من يدك، ويقول الولد: أنا سأبقى معك حتى القبر؛ ولكن الأعمال تقول: أنا سأبقى معك إلى الأبد[(١)].
- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ يكون السَّوْق أحياناً إلى الجنة بواسطة ملائكة الرحمة، أو إلى جهنم بواسطة ملائكة العذاب.
- ورد في الحديث: «**من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر**»[(٢)]. وقد ذكر القرآن كذلك أن نتيجة ترك الصلاة هي الكفر: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾.
- ذهب بعض المفسرين إلى أنّ سبب نزول الآية ٣١ وما بعدها، هو الإشارة إلى تكبر أبي جهل وغروره، وعلى فرض صحة هذا الكلام، فلا يضر هذا بعموم الموضوع.
- كلمة «يتمطى» إمّا من مطّ بمعنى مد الرجل، أو من مطاء بمعنى إدارة الظهر والتولي والمعنيان هما كناية عن التكبر والتبختر.

---

(١) تفسير أطيب البيان. (٢) تفسير مخزن العرفان.

□ ترسم هذه الآيات مشهد احتضار المنحرفين؛ لأنه وحسب ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام فإن احتضار المؤمن كشمّ أجمل الروائح[١].

□ نقرأ في الحديث: ذكر الموت يقتل الشهوات، ويقضي على الغفلة، ويقوي القلب بالوعود الإلهية، يجعل طبع الإنسان لطيفاً ويجلي عنه القسوة، ويُخمد نار الحرص ويصغر الدنيا في عين الإنسان، وهذا هو معنى كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: **«تفكر ساعة خير من عبادة سنة»**[٢].

□ وصف الإمام علي عليه السلام اللحظات الأخيرة من عمر الإنسان وعند احتضاره بهذه الصورة:

«حيث لا إقالة ولا رجعة، كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدِموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون، فغيْر موصوف ما نزل بهم: اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوْت، ففترت لها أطرافهم، وتغيّرت لها ألوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحيل بين أحدهم وبين منْطِقِه، وإنه لبيَن أهله ينظر ببصره، ويسمع بأذنه، على صحة من عقله، وبقاء من لُبّه، يفكر في ما أفنى عمره، وفي ما أذهب دهره! ويتذكر أموالاً جمعها، أغمض في مطالبها، وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها، ويتمتعون بها، فيكون المهنأ مهنأ لغيره، والعبء على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه بها، فهو يعض يده ندامة على ما أصحر له عند الموت من أمره، ويزهد في ما كان يرغب فيه أيام عمره، ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه! فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم، ولا يسمع رجع كلامهم. ثم ازداد الموت التياطاً به، فقُبض بصره كما قُبض سمعه، وخرجت الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله، قد أوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه، لا يُسعد باكياً،

---

(١) بحار الأنوار، ج٦، ص ١٥٢.
(٢) تفسير نمونه؛ بحار الأنوار، ج٦، ص ١٣٣.

ولا يُجيب داعياً. ثم حملوه إلى مخط في الأرض، فأسلموه فيه إلى عمله، وانقطعوا عن زورته»[١].

□ قد لا يقبل الإنسان شيئاً ما أحياناً؛ ولكنه لا يردّه كذلك؛ لأن عنده شكاً. كما قالوا للنبي صالح: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[٢]، ولكن أحياناً لا يرد الأمر فحسب بل إنه ينكره ويكذبه وهذا ناشىء عن العناد، مثل ما ورد في الآيات: ﴿فَلَا صَدَّقَ... وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

«أولى لك» مماثلة لـ «ويلٌ لك» للتحقير والمذمّة. فسّر الإمام الرضا عليه السلام آية: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ بقوله: **«بعداً لك من خير الدنيا وبعداً لك من خير الآخرة»**[٣].

□ «سُدى» بمعنى مُهمل، ويُقال للإبل الشاردة «سُدى».

□ لم يُبيّن المقدار الذي يستحقه المتكبّرون كجزاء لهم؛ لأنه سيشمل كل أنواع التعاسة والسوء: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾.

التعاليم:

١ ـ توصيف لحظات الاحتضار، هو أفضل وسيلة لترك التعلق بالدنيا: ﴿تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ... كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾.

٢ ـ أصعب لحظات الاحتضار، عندما تصل الروح إلى الحلق: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾.

٣ ـ الموت ليس له علاج. سيأتي زمن سيُظهر الجميع عجزهم أمام قدرة الله وسيُعبّرون عن حيرتهم: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾.

٤ ـ تعلق الإنسان بالدنيا شديد إلى درجة أنّه حتى في لحظة الموت، يكون ظانّاً ولا يصل إلى اليقين: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٠٩.
(٢) سورة هود: الآية ٦٢.
(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٤٦٦.

٥ ـ الأشخاص الذين يُحبّون الدنيا وينسون الآخرة، يجب أن يعلموا أنهم في يوم ما سينفصلون عن محبوبتهم: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ... أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.

٦ ـ لحظة الموت هي لحظة الفراق بين المرء وأولاده، وأمواله، ومقامه، وإمكاناته...: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.

٧ ـ تبقى الروح بعد الموت. (كلمة الفراق تعني الابتعاد لا الفناء): ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.

٨ ـ لحظة الموت، لحظة صعبة جداً ومريرة: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾.

٩ ـ لا طريق غير الرجوع إلى الله واللجوء إليه: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾.

١٠ ـ العقائد مقدّمة للأعمال، من لا يصدّق الحق، فإنّه بالتأكيد لن يُصلي: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾.

١١ ـ يجب التصديق بكل حقائق الدين، وإذا ما كذّب شخص بإحدى ضروريات الدين، فكأنه كذّب بالدين كلّه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾.

١٢ ـ الصلاة هي أوّل دليل على الإيمان وتصديق الدين: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾.

١٣ ـ البُعد عن الدين والتكاليف الدينية، سبب للغرور والتكبّر: ﴿ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾، ونقرأ في موضع آخر: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾[1].

١٤ ـ التهديدات المتتالية واجبة في مقابل الإنكارات المتتالية: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (تكرار كلمة (أولى) أربع مرّات دليل على أنه في مقابل التكبّر المتكرر، يلزم تحقير متكرر): ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾.

١٥ ـ تحسن إهانة المتكبّرين: ﴿يَتَمَطَّى، أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾.

---

(١) سورة المطففين: الآية ٣١.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات:

- بدأت هذه السورة بالقسم بيوم القيامة وتختم بالحديث عن قدرة الله على إحياء الموتى يوم القيامة.
- الذين ينكرون المعاد، لا يعرفون الله حق معرفته؛ ففناء الإنسان بالموت لا ينسجم مع حكمة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾، ويقول في موضع آخر: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.
- أشارت هذه الآيات في البداية إلى الحكمة الإلهية من يوم القيامة ومن ثم أشارت إلى قدرة الله على خلق الإنسان والتي تُبيّن إمكانية خلق الإنسان مرّة أخرى. وقد أعطى الله أنبياءه في هذه الدنيا أمثلة أخرى لقدرته على إعادة الخلق:
  - أحيا النبي عيسى عليه السلام طائرين من الطين بالنفخ فيهما.
  - أحيا النبي إبراهيم عليه السلام الطيور المذبوحة المخلوط لحمها، بمناداتها.
  - مات السبعون شخصاً الذين ذهبوا مع النبي موسى عليه السلام عندما تجلّى الله لجبل الطور، وأحياهم الله مرّة أخرى.

التعاليم:

١ ـ من يرى أنّ الإنسان مخلوق بلا هدف أو مسؤولية، يستحق الإهانة المتكررة: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

٢ ـ إنّ الله حكيم، والإنسان موجود مسؤول ومكلّف وله هدف، إذًا لا بد من أن تكون ثمة قيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

٣ ـ الكثير من حسابات الإنسان باطلة. جاء في بداية السورة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أن لن نجمع عظامه وجاء في آخر السورة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

أجل، فإنّ الإنسان موجود متخيّل، وإن لم يكن ثمة أنبياء يهدونه سينحرف: ﴿يَحْسَبُ... يَحْسَبُ﴾.

٤ ـ الخلق الأول دليل على إمكان الخلق ثانية وقدرة الله عليه: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً...﴾.

٥ ـ فليعرف المتكبرون أنهم لا شيء وأنهم ضعفاء: ﴿يَتَمَطَّىٰ... مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾.

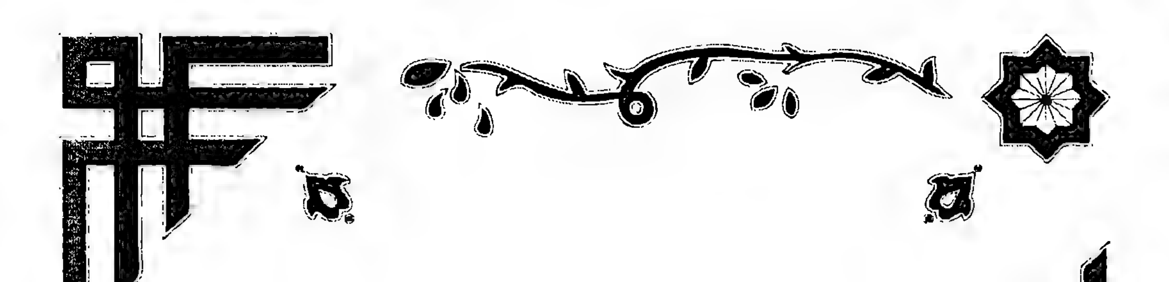
٦ ـ خُلِق الإنسان بصورة كاملة بعيدة عن أي نوع من النقص أو الزيادة: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾.

٧ ـ من طرق معرفة المعاد، دراسة مراحل وطريقة خلق الإنسان: ﴿نُطْفَةً ... عَلَقَةً... ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾.

٨ ـ التوازن بين الجنسين الذكر والأنثى، دليل على القدرة والحكمة الإلهية: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾.

٩ ـ عدم البعث يفقد خلق الإنسان أهدافه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى... أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الإنسَانِ

السورة: ٧٦ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٣١



ملامح سورة الإنسان

ورد في الروايات: أن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام مرضا في الصغر. فعادهما النبي صلى الله عليه وآله في أناس معه، وأشار على أمير المؤمنين عليه السلام بنذر صيام ثلاثة أيام لشفائهما، وبعد شفاء الحسنين، بدأوا بالصيام وفاءً بالنذر، ولم يكن لديهم طعام يأكلونه، فاقترض أمير المؤمنين من شمعون اليهودي مقداراً من الشعير، وصنعوا به أقراصاً من الخبز. وعند الإفطار، وقف مسكين على باب الدار وطلب طعاماً، فأعطوه خبزهم وأفطروا على الماء، وفي اليوم التالي واصلوا صيامهم وعند الإفطار، أعطوا خبز شعيرهم ليتيم كان قد طلب الطعام، وأفطروا مرة أخرى على الماء فقط، وواصلوا صيامهم في اليوم التالي، وعندما حلّ وقت الإفطار لليوم الثالث أعطوا طعامهم لأسير وقف على بابهم يطلب الطعام. وقد أنزل الله تعالى هذه السورة في وصف إيثارهم.

المهم في الأمر أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يكن شريكاً معهم في هذا العمل المقدّس، حتى يكون جليّاً أن هذه السورة نزلت في أهل البيت فقط[1].

---

(١) الغدير، ج٣، ص ١٠٧.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾

إشارات:

- «الدهر» بمعنى الزمان والوقت، «أمشاج» جمع «مشيج» بمعنى المخلوط.
- عن الإمام الباقر عليه السلام: **«كان شيئاً لم يكن مذكوراً»**[1].
- وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«كان شيئاً مقدّراً، ولم يكن مكوّناً»**[2].
- وعن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير كلمة «أمشاج» قوله: **«ماء الرجل والمرأة إذا اختلطا»**[3].
- قد تُطرح المسائل الحتميّة في قالب السؤال لإيقاظ الضمير النائم، مثل أن تسأل الوالدة ولدها: ألم أرضعك؟ وفي هذه الآية كذلك فإنّ كلمة «هل» هي بمعنى «قد»: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ...﴾ أي أنه قد جاء على كل إنسان وقت لم يكن فيه شيئاً مذكوراً.
- كون الإنسان ليس شيئاً أمر طبيعي أحياناً: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ ولكن أحياناً قد يوصل الإنسان نفسه بسبب الأعمال غير المناسبة إلى حد اللاشيء، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ...﴾[4].
- ذكر القرآن الكريم خلق الإنسان من نطفة ١٢ مرّة؛ لكي تتضح قدرة الله على خلق الإنسان من نطفة، ولكي لا يُصاب الإنسان بالغرور والتكبّر.

التعاليم:

١ ـ يجب أن يفكّر الإنسان في منشأ وجوده: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

---

(١) تفسير البرهان.
(٢) تفسير كنز الدقائق.
(٣) تفسير نور الثقلين.
(٤) سورة المائدة: الآية ٦٨.

٢ ـ الإنسان مخلوق جديد وحديث: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

٣ ـ يطوي الإنسان مراحل في مسيرة وجوده نحو التكامل: في البداية لم يكن شيئاً مذكوراً: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[1]، وبعد أن جاء إلى الوجود لم يكن شيئاً قابلاً للذكر كذلك: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

٤ ـ تذكير الإنسان بضعفه، يزيل غروره ويجعله مسلماً لله: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

٥ ـ خلق الإنسان من نطفة لا تُذكر، هو من تجليات العظمة الإلهية: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ...﴾.

٦ ـ يُظهر الله تعالى قدرته بجعل الماء أشكالاً: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾.

٧ ـ خُلِق الإنسان لحكمة وهدف: ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ... نَّبْتَلِيهِ﴾.

٨ ـ الإنسان موجود مسؤول ومكلّف. (الابتلاء دليل على التكليف): ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾.

٩ ـ يمر كل البشر على طول التاريخ بالامتحان الإلهي: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾.

١٠ ـ تخضع كل أعضاء الجسم للامتحان، وذِكرُ حاسّتَي السمع والبصر هو من باب المثال: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

إشارات:

❑ للهداية أنواع عدة:

ـ قد تكون هداية فطرية. كما يقول القرآن: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[2].

ـ النوع الآخر هو الهداية التي تتحصّل عن طريق الدراسة، التعقّل، المشاورة، التجربة والمطالعة.

ـ النوع الثالث هو الهداية عن طريق تبليغ الأنبياء والأولياء وإرشادهم.

---

(١) سورة مريم: الآية ٦٧.
(٢) سورة الشمس: الآية ٨.

□ أحياناً قد يكون الشكر قلبياً، أي أن نعتبر كل النعم من عند الله؛ وقد يكون عمليّاً، أي أن يستخدم الإنسان النعم الإلهية في سبيل الحق فقط، وأحياناً يكون باللسان، أي أن يقول الإنسان: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

□ «سلاسل» جمع «سلسلة»، و«أغلال» جمع «غُل» وهو الطوق الذي يوضع حول الرقبة. و«سعير» تعني النار المتأججة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾: **«عرّفناه، إمّا آخذ وإمّا تارك»**[1].

□ ﴿سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا﴾ تعني سلاسلَ في الأقدام وأغلالاً على الرقبة.

□ يمر الإنسان بمراحل ضعيفة أو متوسطة في مسيرة شكره لله؛ ولكنه يمر بمراحل استعلائية في مسيرة تمرّده وعصيانه. في الشكر، فهو شاكر (ليس شكوراً)، ولكن في الكفر فهو كفور: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي أنّ شكره عادي؛ ولكن كفره شديد. لاحظوا أمثلة أخرى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾[2]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾[3]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[4]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾[5]، ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[6]، ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾[7]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[8].

التعاليم:

١ ـ امتحان الإنسان، على أساس العلم والحريّة:

العلم الداخلي بواسطة العين والأذن والعقل والفطرة، والهداية الخارجية؛ وحرية الاختيار التي أعطيت لكل البشر: ﴿نَّبْتَلِيهِ... سَمِيعًۢا بَصِيرًا... هَدَيْنَٰهُ... إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

---

(١) تفسير كنز الدقائق.
(٢) سورة هود: الآية ٩.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.
(٤) سورة الإسراء: الآية ١١.
(٥) سورة الإسراء: الآية ١٠٠.
(٦) سورة المعارج: الآية ١٩.
(٧) سورة المعارج: الآية ٢٠.
(٨) سورة العاديات: الآية ٦.

٢ ـ لقد أتمّ الله الحجة على الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾.

٣ ـ طريق الحق هو واحد لا أكثر: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ (كلمة (سبيل) مفردة).

٤ ـ الهداية، نعمة تستحق الشكر: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا﴾ (اتباع طريق الدين هو شكر، والانحراف عنه جحود وكفران).

٥ ـ يصل الأشخاص الذين لا يقبلون هداية الأنبياء إلى أعلى مراتب الكفر. (بدل أن يقول (إمّا كافراً) قال ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾؛ لأن كفوراً هي قمة الكفر).

٦ ـ من لا يكون شاكراً، يكون كفوراً، ولا يوجد خيار ثالث: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

٧ ـ يلعب التحذير دوراً أكبر من التبشير في تربية الإنسان، (لذا فإنّ القرآن يبشّر في البدء ثم يُحذّر): ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ...﴾.

٨ ـ العذاب الإلهي له مِلاك ومعيار: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾.

٩ ـ لكل اختيار نتيجة، الكفر له جهنم والشكر له الجنة: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا... إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ... إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾

إشارات:

□ «الأبرار» إمّا أن تكون جمعاً لبَرّ (مثل (أرباب) جمع (رب)) وإما أن تكون جمع بار (مثل (أشهاد) جمع (شاهد)). على أي حال فإنّ «برّ» صفة لصاحب النفس الواسعة والمنفتحة والذي يقوم بالأعمال لأجل حُسنِها، ولا يكون هدفه هو الوصول إلى المال والمقام، بل يفكر بأبعد منهما[1].

---

(١) مفردات الراغب.

□ «الكافور» نبتة طيبة الرائحة ويضرب المثل في بياضها وبرودتها.

□ «تفجير» أي الفتح أو التمزيق، ويُقال لمن يُمزّق ثوب الحياء (فاجر). ويُطلق على النور الذي يشُقُّ عتمة الليل (فجر).

□ بناءً على الروايات، فإنّ المقصود من الأبرار في هذه الآيات هم أهل البيت عليهم السلام، الذين صاموا وفاءً لنذرهم وأعطوا إفطارهم لليتيم والمسكين والأسير، وقد جاء ذكرهم في الآيات اللاحقة.

مع أن بعضاً اعتبر أنّ هذه السورة مدنية، إلا أنّ بعض المخالفين والمغرضين يقولون: إنّ سورة الإنسان مكيّة، وقد ولد الحسنان في المدينة، ولم تنزل هذه الآيات في أهل البيت؛ لأن مرضهم وعيادة النبي لهم وصيام والديهم كان في المدينة!

نقول في الجواب: توجد العديد من الآيات المدنيّة في السوَر المكيّة وأفضل شاهد على ذلك كلمة (أسير) التي جاءت في الآيات المكية، فلم يكن ثمة أسارى في مكة ويعود الأسْر إلى الحروب التي وقعت بعد الهجرة.

التعاليم:

١ ـ الإحسان بيان لشكر الهداية الإلهية: ﴿إِمَّا شَاكِرًا... إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ...﴾.

٢ ـ شراب الجنة مخلوط بمواد معطرة زكية الرائحة: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

٣ ـ يحصل الأشخاص الذين يوصلون أنفسهم إلى مرحلة العبودية على نِعَم الجنة: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ يُجبَر في يوم القيامة الحرمان المؤقت لعباد الله في الدنيا: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ حاز أهل البيت على لقب (أبرار) لاعتنائهم بالمحرومين. ولُقبّوا بعباد الله لإطاعتهم لله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ... عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

٦ ـ يُحسن عباد الله إلى الآخرين، والمحسنون هم عباد لله: ﴿ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ... يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ إرادة أهل الجنة نافذة وينالون كل ما يريدون وإن أرادوا أي أمر يتحقق: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾

إشارات:

- «مستطير» من «سيطرة» وتعني السلطة وهي من مادّة: «طير»، بمعنى التوسع.
- «قمطرير» بمعنى الشر الشديد.
- وفقاً لبعض الروايات، فإنّ إطعام اليتيم، والأسير، والمسكين كان في ليلة واحدة، ووفقاً لروايات أخرى كان على ثلاث ليال متتالية، وكل ليلة كان يأتي أحدهم.
- المقصود من: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أن أهل البيت على الرغم من أنهم كانوا يحبّون الطعام إلا أنهم قد أعطوه للآخرين، مثلما يقول القرآن في موضع آخر: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1].

يقول صاحب تفسير الميزان: طُرحت محبة أهل البيت لله تعالى في الآية التالية: إذ يقولون: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ والمقصود من: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾، أي حب الطعام، وفي هذه الحالة فيثبُت إخلاصهم مضافاً إلى إيثارهم.

- إن لم تسعوا إلى الشهرة، سيجعل الله اسمكم خالداً. ما فعله أهل البيت لم يكن له قيمة مادّية كبيرة؛ ولكنه كان خالصاً ولهذا خلّده الله تعالى.
- في هذه الآية، جاءت كلمات يتيم وأسير ومسكين بصيغة النكرة لكي تخبرنا بأنه لا يحسن التميز عند الإطعام، بل يجب الإنفاق على أي محتاج.
- تقول بروين اعتصامي حول الإخلاص في الإنفاق:

(١) محاسن برقي، تفسير البرهان، ج٢، ص ٣٩٧.

أعطى أحد العظماء فقيراً درهماً وقال له اذكرني حين دعائك
ضحك أحدهم وقال هذا الدرهم لا يستحق البيع والشراء فيه
لا تُظهر الطاعة التي تؤديها أبداً لا تجعل عملك مظاهرة ورياء
اعمل الخير للمسكين والمحتاج وعملك هذا سيكون سبباً في الدعاء
عندما تُنفقين وتتصدّقين يا بروين لا ينبغي أن يكون في قلبكِ غير الله

□ الخوف من الله يمعنى الخوف من مقامه، مثلما قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ الكمال الواقعي في أن يكون الإنسان مطبوعاً على الإحسان. (ذُكرت جميع الأفعال بصيغة المضارع وذلك يدل على استمرارية الفعل): ﴿يُوفُونَ، وَيَخَافُونَ، وَيُطْعِمُونَ﴾.

٢ ـ يكون للإنفاق والإطعام قيمة أكبر حين يكون ثمة حب وحاجة للشيء المنفق منه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾.

٣ ـ يدافع الإسلام عن المساكين، واليتامى، والأسارى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ... مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

٤ ـ بعضٌ يحب الطعام وبعضٌ آخر يحب الإطعام: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾.

٥ ـ يكون للإنفاق قيمة أكبر حين يكون من الشخص وبيد الشخص نفسه: ﴿نُطْعِمُكُمْ﴾.

٦ ـ تكون المساعدة ذات قيمة حين تكون بعيدة عن المنّ وتوقُّع البدل: ﴿نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ الرغبة الخالصة والإخلاص في العمل هما اللذان يعطيان للعمل قيمة: ﴿نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

٨ ـ لا يطلب المحسنون الشكر من أحد، لا بلسانهم ولا بقلبهم: ﴿لَا نُرِيدُ... شُكُورًا﴾.

٩ ـ صحيح أنّ الأبرار لا ينتظرون جزاءً؛ ولكن لا ينبغي للناس أن يكونوا غير مكترثين. ورد في الآية ٢٥ من سورة القصص: أرسل نبي الله شعيب ابنته إلى النبي موسى لتعطيه جزاء ما سقى لهما: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ﴾.

١٠ ـ لا يُعتبر الزهد في الجزاء وحده دليلاً على الإخلاص، وإنما الزهد في الشكر والتمجيد لازم كذلك: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

١١ ـ الوفاء بالنذر واجب. وَلْيَخْشَ عذاب الله من لا يفي بنذره: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾.

١٢ ـ إن كان عملنا لله وحده، فينبغي الخوف منه هو فقط لا من الناس: ﴿نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾.

١٣ ـ لا يتنافى الدافع الإلهي مع الشوق للثواب والخوف من العقاب، لأن الثواب والعقاب كذلك من عند الله: ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ... إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾.

١٤ ـ لا يكون الناس وحدهم عابسين يوم القيامة بل كذلك اليوم يكون عابساً: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾.

١٥ ـ لكي تنجوا من ذلك اليوم العبوس، لا تعبسوا اليوم في وجه المسكين واليتيم والأسير: ﴿نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾.

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

□ «النضرة» هي الجمال والحيوية، كما ورد في موضع آخر: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

نَّاضِرَةٌ﴾[١]. «أرائك» جمع «أريكة» بمعنى السرير المُزيّن.

- «زمهرير» بمعنى البرد الشديد. و«قطوف» جمع «قَطف» بمعنى الحصد.
- «تذليل» بمعنى الترويض والتطويع.
- «أكواب» جمع «كوب». و«قوارير» جمع قارورة، و«سلسبيل» اسم عين في الجنة.
- عن الإمام الباقر عليه السلام في ذيل آية: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾: **«يكون جزاء الأبرار مقابل صبرهم على مصائب وفقر الدنيا»**[٢]. كما عن الإمام علي عليه السلام: **«صبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى»**[٣]. ونقرأ عن الإمام الحسين عليه السلام: **«لقد عجبت من صبرك ملائكة السموات»**[٤]
- إقدام الأبرار على الإطعام له هدفان: ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ و﴿نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ ويصلون إلى الهدفين: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.
- لا يُلاقي الصابرون الثواب فقط في يوم القيامة، بل عليهم في هذه الدنيا صلوات من الله وسلام منه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[٥]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ... أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[٦]، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾[٧].
- النعم الإلهية على أعلى درجة من الحُسن، فالتنوين في كلمات (نَضْرَةً)، (سُرُوراً)، (جنةً)، و(حريراً) هو للتعظيم.

التعاليم:

١ ـ يوصل الله تعالى المخلصين إلى مُرادهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ... فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾.

٢ ـ ثمرة الخشية من الله، النجاة من عذابه: ﴿إِنَّا نَخَافُ... يَوْمًا عَبُوسًا... فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾.

---

(١) سورة القيامة: الآية ٢٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٨٦.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣.
(٤) بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢٣٩.
(٥) سورة الرعد: الآية ٢٤.
(٦) سورة البقرة: الآيات ١٥٥ ـ ١٥٧.
(٧) سورة المؤمنون: الآية ١١١.

٣ ـ يجب أن يكون الثواب والعقاب متناسبين مع جنس العمل، (إنقاذ المحرومين وحفظهم، سبب لحفظ الإنسان ونجاته يوم القيامة): ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾.

٤ ـ خوف اليوم سبب للأمن غداً، وإسعاد الناس اليوم سبب لسعادة الإنسان غداً: ﴿نَخَافُ مِن رَّبِّنَا... فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ... وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

٥ ـ الثواب الإلهي هو جزاء للصبر: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

٦ ـ ينعم أهل الجنة بالراحة والهدوء: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾.

٧ ـ مناخ الجنة ملائم لراحة الإنسان: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

٨ ـ كل نِعَم الجنّة مذللة للأبرار: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

٩ ـ يطوف خدّام الجنة حول الأبرار كالفراشات: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾.

١٠ ـ تُصنع أطباق وقدور الجنة بأشكال وأحجام مختلفة، طبقاً لإرادة أهل الجنة ورغبتهم: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

- سئل الإمام الكاظم عليه السلام: إنّ الله تعالى قد أنزل «هل أتى» في أهل البيت، وليس شيء من نعيم الجنّة إلا وذكر فيه إلا الحور العين، فقال: ذلك إجلالاً لفاطمة عليها السلام[1].

- نقل الإمام الصادق عليه السلام عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه عند الدخول إلى الجنّة ينادي منادٍ ألا إنّ فلاناً ابن فلان قد سعد سعادةً لا يشقى بعدها أبداً، قال: فيدخل،

---

(١) المناقب، ج ٣، ص ٣٢٨.

فإذا هو بشجرة ذات ظلٍّ ممدود، وماء مسكوب، وثمارٍ مهدّلة يخرج من ساقها عينان تجريان، فينطلق إلى إحداهما فيغتسل منها فيخرج عليه نضرة النعيم، ثمّ يشرب من الأخرى فلا يكون في بطنه مغص، ولا مرض، ولا داء أبداً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[(١)].

نِعَم الجنّة:

❑ ثمة اختلافات عدّة بين نِعم الجنة ونِعم الدنيا، وسنشير هنا إلى شيء منها:

- هي كثيرة جداً: ﴿فَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾[(٢)].
- ليست موسمية ولا منقطعة: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾[(٣)].
- لا يوجد أي مانع من الاستفادة منها: ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[(٤)].
- أهل الجنة لهم الحق في اختيار ما يريدون منها: ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[(٥)].
- توجد نعمة مقابل أي شيء يشتهونه: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[(٦)].
- لا ينجم عن الاستفادة منها أي عارض أو سوء: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾[(٧)].
- لا تستلزم أي مشقة للاستفادة منها: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[(٨)].
- يتولى الخدم تأمين كل ما تحتاجون إليه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾.
- يتمتّع خدام الجنة بالحُسن: ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ والشباب الدائم: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾.
- يصلون إلى ما يبتغون وهم بقمّة الراحة: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[(٩)].
- لا يجد الحسد والغِل طريقه إلى الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[(١٠)].
- النعم مصحوبة بسلام ورضا من الله: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[(١١)]، ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[(١٢)].

---

(١) البحار، ج٨، ص ٢١٢.
(٢) سورة الواقعة: الآية ٣٢.
(٣) سورة الواقعة: الآية ٣٣.
(٤) سورة الواقعة: الآية ٣٣.
(٥) سورة الواقعة: الآية ٢٠.
(٦) سورة الواقعة: الآية ٢١.
(٧) سورة الواقعة: الآية ١٩.
(٨) سورة الإنسان: الآية ١٤.
(٩) سورة يس: الآية ٥٦.
(١٠) سورة الحجر: الآية ٤٧.
(١١) سورة التوبة: الآية ٧٢.
(١٢) سورة يس: الآية ٥٨.

ـ تلحقهم ذرية صالحة ويسعدون بها: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[(١)]

ـ هم جيران لأولياء الله: «**وهم جيراني**»[(٢)].

ـ نِعَم الجنة متنوعة: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ... وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ...﴾[(٣)].

التعاليم:

١ ـ ثمة مميزات خاصّة للاستضافة في الجنة. من بينها:

ـ ليس ثمة داع للطلب؛ لأن المضيفين هم في حالة طواف دائم حول أهل الجنة: ﴿يَطُوفُ﴾.

ـ يُشرف المضيفون على أهل الجنة من كل جانب: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾.

ـ المضيفون أولاد صغار: ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾[(٤)].

ـ وجههم كاللؤلؤ البرّاق: ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا﴾.

ـ حكومة أهل الجنة واسعة: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

ـ يرتدي المضيفون لباساً أخضر اللون: ﴿خُضْرٌ﴾ وثيابهم مصنوعة من الحرير الناعم: ﴿سُندُسٍ﴾ والسميك: ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾.

ـ الله تعالى هو ساقي الأبرار: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وشرابهم، شراب طهور: ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ (وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الشراب الطهور: «**يطهّرهم عن كلّ شيء سوى الله**»[(٥)].

٢ ـ مع أن الجنة لطف وفضل إلهي إلا أنّ الله تعالى عدّها أجراً وثواباً لأهل الجنة لكي يتباهوا بعملهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾.

٣ ـ الثواب الإلهي على أساس نيّة العمل وكيفية القيام به، وليس على أساس كميّة العمل، ومقداره، والمبلغ المُعطى. (استحق إعطاء رغيفين من الخبز كل

---

(١) سورة الطور: الآية ٢١.

(٢) دعاء الندبة.

(٣) سورة محمد: الآية ١٥.

(٤) سورة الطور: الآية ٢٤.

(٥) تفسير مجمع البيان.

هذا الجزاء؛ لأن العمل كان عن إخلاص وإيثار): ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

٤ ـ من لا يطلب من الناس لا شكراً ولا ثواباً: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ يعطيه الله تعالى الجزاء ويشكره كذلك: ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

٥ ـ شكر المحسنين وتقديرهم، صفة إلهية: ﴿سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

٦ ـ تصل النطفة عديمة القيمة: ﴿نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ نتيجة الإيمان، والعمل، والإخلاص، والإيثار إلى مكان يشكرها فيه خالق الكون: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

□ «بُكرة» تُطلق على الفترة بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، «الأصيل» هو الفترة بين العصر والمغرب وآخر اليوم، ويمكن أن يكون المقصود من هاتين الكلمتين، ذِكرُ الله في بداية اليوم ونهايته وإقامة الصلاة.

التعاليم:

١ ـ عليكم بمقاومة اتهام القرآن بالسحر والكهانة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

٢ ـ نزل القرآن بالتدريج: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

٣ ـ إطاعة أوامر القرآن تستلزم الصبر والثبات: ﴿نَزَّلْنَا... فَٱصْبِرْ﴾.

٤ ـ الثبات والصبر على أداء الأوامر الإلهية له قيمة، لا الإصرار لأجل الأهواء الشخصية: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

٥ ـ الأوامر الإلهية هي لرشد الإنسان: ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

٦ ـ يحتاج الأنبياء إلى الموعظة الإلهية: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

٧ ـ يسعى المخالفون والمذنبون للنفوذ في قيادة المسلمين: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

٨ ـ يجعل ذكرُ الله الإنسانَ مقاوماً وصبوراً: ﴿فَاصْبِرْ... وَاذْكُرِ... بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

٩ ـ أول اليوم ونهايته، من الأوقات المناسبة لذكر الله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

إشارات:

- الأمر بالعبادة وتكرار كلمة (الليل) في آية قصيرة، فيه إشارة إلى أهمية الليل في العبادة ودوره.
- سألوا الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام: عن المقصود من: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾؟، فقالا: «**صلاة الليل**»[1].

التعاليم:

١ ـ حب الدنيا والتعلق بها هو رأس كل ذنب وكفر، وهو من علائم المذنبين: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا... إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.

٢ ـ الدنيا عابرة وفانية: ﴿الْعَاجِلَةَ﴾.

٣ ـ حب الدنيا والنفور من الآخرة، عامل ممهد للذنب: ﴿ءَاثِمًا... يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.

٤ ـ يوم القيامة، يوم صعب جداً وثقيل: ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.

٥ ـ من العوامل التي تساعد على التقليل من حب الإنسان للدنيا، الالتفات إلى أنّ الدنيا دار ممر وأن يوم القيامة يوم صعب وثقيل: ﴿الْعَاجِلَةَ... يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

□ «الأسر» أي القبض على الشيء، و«الأسير» الشخص المقبوض عليه، والمقصود من ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي جعلنا مفاصل الإنسان مُحكمة.

التعاليم:

١ ـ الكفر والطغيان سببان في هلاك الإنسان: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا... بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾.
٢ ـ قدرة الله على خلق الإنسان، دليل على إهلاكه: ﴿خَلَقْنَٰهُمْ... بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾.
٣ ـ لقد أتمّ الله الحُجة على الناس: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾.
٤ ـ القرآن وسيلة للتذكير والتنبيه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾.
٥ ـ طريق الله ليس إجبارياً، من يريد أن يصل إلى السعادة، يجب عليه أن يختار هو الطريق ويتبعه: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.
٦ ـ إرادة الإنسان ليست مستقلّة عن إرادة الله وليست أعلى منها، ولكن أي شيء يريده الإنسان، إن كان مطابقاً لإرادة الله فإنّه يتحقق: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.
٧ ـ مشيئة الله عالمة وحكيمة وليست عابثة: ﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ... عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.
٨ ـ يُدخل الله تعالى، بناءً على مشيئته الحكيمة، من يشاء في رحمته: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾.
٩ ـ الأشخاص البعيدون عن الرحمة الإلهية، هم من اختاروا طريق الظلم: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ المُرسَلاتِ

السورة: ٧٧ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٥٠



ملامح سورة المرسلات

نزلت هذه السورة في مكّة وعدد آياتها خمسون.

اسم السورة مأخوذ من أول آية فيها: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾، والمقصود هو الملائكة الذين يرسلهم الله تعالى للقيام بالمهام المختلفة.

هذه السورة مثل سوَر: الأنبياء[١]، القمر[٢]، الحج[٣]، الواقعة[٤]، الحاقة[٥]، القيامة[٦]، النبأ[٧]، التكوير[٨]، الانفطار[٩]، الانشقاق[١٠]، الغاشية[١١]، القارعة[١٢] والزلزلة[١٣]، تبدأ بآية مرتبطة بالمعاد.

وتبدأ بالقسم بالملائكة مثل سُوَر: فاطر، الذاريات، والنازعات.

تكررت في هذه السورة آية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرّات، مثلما تكررت آية: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن، وآية: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ في سورة القمر.

---

(١) ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.
(٢) ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾.
(٣) ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾.
(٤) ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾.
(٥) ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾.
(٦) ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.
(٧) ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾.
(٨) ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.
(٩) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾.
(١٠) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾.
(١١) ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾.
(١٢) ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.
(١٣) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾

إشارات:

- كلمة «عُرف» تعني متتالٍ، ويُطلق على الشعر النابت في محدّب رقبة الفرس، «عُرْف»، وتأتي هذه الكلمة أيضاً بمعنى الجود والمعروف.
- وردت ثلاثة تفسيرات للأمور الخمسة التي ذُكرت في الآيات الأولى أي: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ، فَٱلْعَٰصِفَٰتِ، وَٱلنَّٰشِرَٰتِ، فَٱلْفَٰرِقَٰتِ، فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾:

أ) يعتقد بعض المفسرين أن المراد بها هو الرياح والعواصف[١].

ب) يعتقد بعضٌ أن المراد بها هو أنواع من الملائكة[٢].

ج) يعتقد بعضٌ أنّ الآيتين الأولى والثانية مرتبطة بالرياح والعواصف، والآيات الثالثة إلى الخامسة مرتبطة بالملائكة، وسبب هذا التفكيك هو حرف العطف؛ لأن حرف العطف (واو) في أول الآية يدل على التفكيك وحرف (الفاء) في أول الآية يدل على الوصل.

- «العاصفات» جمع (عاصف) بمعنى الريح الشديدة، مثل ما ورد في الآية ١٢ من سورة يونس: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، وكلمة (عصف) تعني الرياح السريعة، مثل: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[٣]، ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾[٤].
- إذا اعتبرنا أن المقصود بالعاصفات هم الملائكة، فيكون معنى الآيات: أنهم يقومون بتنفيذ الأوامر الإلهية بشدة وبسرعة، مثل ما جاء في الآيات: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٥]، ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[٦].

---

(١) التفسير الكبير لفخر الرازي.
(٢) الميزان في تفسير القرآن.
(٣) سورة الفيل: الآية ٥.
(٤) سورة الرحمن: الآية ١٢.
(٥) سورة النحل: الآية ٥٠.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ٢٧.

□ يمكن أن يكون القسم بالملائكة والرياح سوياً، للشبه بين الريح والملاك، فكلاهما خفيف وسريع، ولكلاهما دور في الخلق وتدبير الأمور.

□ كلمة «مُلقيات» جاءت بصيغة الجمع، وقد يكون بسبب أنه في بعض الأحيان تنزل ملائكة مع ملاك الوحي أي جبرائيل، وقد يكون بسبب أنّ الملائكة وأحياناً أفراداً ما وأموراً أخرى يكونون سبباً في تذكير الإنسان ويلقون أموراً إلى الإنسان.

□ يجب أن يُتم الله تعالى الحجة على الناس ويسد الطريق أمام أي عذر أو حجة: ﴿عُذْرًا﴾. ونقرأ أيضاً في الآية ١٣٤ من سورة طه: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾

□ ثمة سيَر طبيعي للصفات الثلاث: الناشرات، الفارقات، والملقيات. بالبداية يجب على الملائكة أن تنشر المعارف: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾، ثم تُفرّق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام في ظل المعرفة: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾، وبعد هذا يُلقون الذكر: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ كل ما يُرسل من قِبل الله تعالى مقدّس ويجوز القسم به: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾.

٢ ـ ألطاف الله دائمة ومستمرة[2]: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾.

٣ ـ ما ينزل من عند الله فهو خير[3]: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾.

٤ ـ لا يقع شيء مصادفة في نظام الوجود، حتى الريح، يرسلها خالق الكون: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾.

٥ ـ يجب أن تُنفذ الأوامر الإلهية بسرعة: ﴿عَصْفًا﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) بناء على أن العرف بمعنى التابع والتالي.

(٣) إذا كانت عُرف بمعنى الخير والمعروف مثل ما ورد في آية ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

٦ ـ في النظرة الإلهية إلى الكون، لكل من الشدة واللطافة مكانهما وقيمتهما: ﴿عُرْفًا... عَصْفًا﴾.

٧ ـ الانتشار والتوسعة لا يعني غض النظر عن المبادىء والأصول: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾.

٨ ـ الأعمال مُقسّمَة في نظام الوجود، وقد أُعطي كل فرد أو مجموعة وظيفته، وهذا هو سر النجاح في الإدارة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ، وَٱلنَّٰشِرَٰتِ، فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾.

٩ ـ في النظام الإلهي التشريع والتكوين متلازمان: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ... فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾.

١٠ ـ يجب السعي إلى تفهيم المطلب للمخاطب في الأوامر الإرشادية: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾.

١١ ـ أي نوع من الذكر، الإلهام، العلم، وخطور الحق هو من عند الله تعالى: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾.

١٢ ـ لقد أتمّ الله الحجة بالفوارق التي وضعها بين الحق والباطل: ﴿عُذْرًا﴾ وقام بالإنذار كذلك: ﴿نُذْرًا﴾.

١٣ ـ يجب أن يُسَدَّ الطريق أمام الاعتذار والتحجج في المهام الإرشادية: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾.

١٤ ـ القسم بأشياء متعددة ومفيدة يفتح الطريق للحديث عن أمور مهمة من مثل وقوع القيامة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ، فَٱلْعَٰصِفَٰتِ، وَٱلنَّٰشِرَٰتِ، فَٱلْفَٰرِقَٰتِ، فَٱلْمُلْقِيَٰتِ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾.

١٥ ـ الإنسان بحاجة دائمة للتذكير بالقيامة: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا... إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

□ «الطمس» هو الهلاك والمحو، وقد يكون المقصود هو ذهاب نورهم.

□ «الفرج» بمعنى الشّق، و﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ تعني انشقاق السماء وتشتتها إلى قطع.

□ «أُقتت» من وقت وتعني تحديد الوقت ليشهد الأنبياء يوم القيامة، وقد أشير إلى هذا الأمر مرّات عدة في القرآن الكريم، مثل ما ورد في سورة المائدة: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾[1].

□ «يوم الفصل» هو أحد أسماء يوم القيامة ويعني يوم التفريق. جاء في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾[2].

□ عبّرت هذه الآيات عن عظمة يوم القيامة بثلاثة تعبيرات: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ وتكرار كلمة (يوم) يدل على عظمة ذلك اليوم.

□ توجد آيات أخرى في القرآن الكريم مشابهة لهذه الآيات:

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ ويقول في مكان آخر: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾[3].

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ ويقول في موضع آخر: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[4].

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾ ويقول في موضع آخر: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾[5].

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ إذ يقول في آية أخرى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾[6].

التعاليم:

١ ـ يتغيّر النظام الحالي للخلق في يوم القيامة، فتمحى النجوم وتتشقق السماء، وقد ذُكر هذا التغيير مرّات عدّة في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾.

٢ ـ الوحي هو السبيل الوحيد لمعرفة حقيقة القيامة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٠٩.
(٢) سورة الحج: الآية ١٧.
(٣) سورة التكوير: الآية ٢.
(٤) سورة الانشقاق: الآية ١.
(٥) سورة طه: الآية ١٠٥.
(٦) سورة المائدة: الآية ١٠٩.

٣ ـ لقد عُيّن وقت محدد للأنبياء ليشهدوا على أمَمِهم يوم القيامة: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ﴾.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩﴾

إشارات:

□ تكررت في هذه السورة جملة: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ مرّات عدة، ونلاحظ هذا التحذير عند نهاية كل آية.

□ تستخدم كلمة «ويل» للتحذير والتهديد بالعذاب والهلاك، وبناءً على بعض الروايات فإنّه اسم وادٍ في جهنّم أو اسم لأحد أبوابها.

التعاليم:

١ ـ المكذبون بيوم الدين هم في معرض الهلاك وعذاب الله لهم هو سنّة إلهية: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

٢ ـ أيقظوا الضمائر الغافلة بتذكيرها بتاريخ السابقين: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

٣ ـ التكذيب بالدين له تاريخ عريض: ﴿لِّلۡمُكَذِّبِينَ... ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

٤ ـ ستؤول الحضارات البشرية إلى الأفول والسقوط لو تخطّت حدود الدين وستعطي مكانها لحضارات أخرى: ﴿نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ... نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

٥ ـ تكذيب الدين والقيم الدينية هو منبع الإجرام والفساد في المجتمع: ﴿لِّلۡمُكَذِّبِينَ... ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

٦ ـ عذاب الله تابع لقانون، ولا يشمل إلا المذنبين والمجرمين: ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

٧ ـ العذاب الإلهي ليس مبنياً على الانتقام؛ ولكنه مبنيّ على استحقاق الإنسان له: ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات:

□ «مهين» بمعنى الضعيف، والحقير، والقليل، و«مكين» بمعنى المُحكم والثابت.

□ ثمة مواد وظروف لازمة لصناعة أي مُنتج، من بينها: تعيين الهدف، تأمين المواد، الدراسة والتخطيط، تعيين جدول زمني لمراحل العمل، خدمة الصيانة بعد التصنيع، الترميم والإصلاح، ولقد أُخذت كل هذه المراحل بعين الاعتبار وأُجريت عند خلق الإنسان:

ـ الهدف: هو التكامل الاختياري والمعنوي للإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

ـ المواد الأولية: التراب والنطفة: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾.

ـ مكان التصنيع: ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

ـ خطة وبرنامج التصنيع: ﴿نُّطْفَةٍ، عَلَقَةٍ، مُّضْغَةً﴾.

ـ الجدول الزمني: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.

ـ البرمجة الداخلية: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٢] وذلك مصاحب للتحكم الخارجي: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ السَّبِيلَ﴾[٣] و﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾[٤].

ـ خدمة ما بعد الإنتاج: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾[٥].

ـ الإصلاح والترميم: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾[٦]، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٧].

□ تكمن عظمة الخلق في أنّ الله تعالى خلق الإنسان بكل تعقيداته من قطرة ماء إذ لا يستطيع أي فنان ماهر أن يُشكل شيئاً من الماء: ﴿نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾.

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٢) سورة الشمس: الآية ٨.
(٣) سورة الإنسان: الآية ٣.
(٤) سورة الليل: الآية ١٢.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٣٢.
(٦) سورة التوبة: الآية ١٠٤.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٥٤.

◻ لقد أعطى الله تعالى في أحد المواضع لنفسه وساماً: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1] لخلقه الإنسان، وطرح هنا تعبير: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

◻ يمكن تفسير: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ بصورتين:

أ) مع أخذ عبارتي: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ﴾ و﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالاعتبار، وقد وردتا قبل هذه العبارة، فيكون المقصود من «القادرون» هو القياس وأنّ الله تعالى قد استخدم أفضل المقاييس في خلقه للإنسان.

ب) بالنظر إلى أنّ البحث يدور حول الخلق ومراحله وهو يحتاج إلى القدرة، فيكون المقصود من «القادرون»، القدرة وأنّ الله تعالى قد استخدم كمال قدرته في خلق الإنسان.

◻ الله هو الأحسن في كل شيء:

- في النصرة والإعانة: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[2].
- في الدعم والتأييد: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[3].
- في التمهيد والتهيئة: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[4].
- في الإجابة: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾[5].
- في الإثابة: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[6].
- في القدرة: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

التعاليم:

١ ـ يدل خلق الإنسان من ماء مهين على العظمة والقدرة الإلهية ويدل كذلك على المعاد وإحياء الإنسان مرّة أخرى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾.

٢ ـ يُذهب ذكر الضعف وهوان القيمة، غرور الإنسان وتكبُّره: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٤.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٠.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.
(٤) سورة الذاريات: الآية ٤٨.
(٥) سورة الصافات: الآية ٧٥.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٣٦.

٣ ـ استفيدوا الأمور المحسوسة عند الدعوة والتبليغ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾.

٤ ـ فلنتعلّم من الله تعالى، ولنسعَ للإحكام والتمكين في العمل والتصنيع: ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

٥ ـ من أصول الخلق الإلهي، التقدير والجدول الزمني: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ فَقَدَرْنَا﴾.

٦ ـ رشد الجنين تابع للقياسات الإلهية الدقيقة: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾

إشارات:

- «كفات» المكان الذي يوضع ويُجمع فيه الشيء. ورد في الروايات أنّ الإمام الصادق عليه السلام نظر إلى القبور وقال: «**هذه كفات الأموات**»، ونظر إلى البيوت وقال: «**هذه كفات الأحياء**»[1].

- المقصود من: ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ الظل الذي يتكوّن على أثر الدخان العظيم لنار جهنم، ومن الجلي أنّ هذا الظل ليس غير مريح وحسب، بل إنّه مؤذ وحارق، يتراكم هذا الدخان ويتعاظم لدرجة أنّه يتشعّب إلى ثلاث شُعب، شُعبة تُحيط بأهل جهنم من فوقهم، شُعبة عن شمالهم، وشعبة عن اليمين، وتدخلهم في جوفها.

- الشُّعب التي تخرج من نار جهنم شبيهة بقصور الدنيا العالية وبالجِمال صُفر اللون، وكأنّ القرآن يهدد ساكني القصور وكانزي الذهب بأن انتبهوا ألّا يأكلكم لهب جهنم الشبيه بالقصر.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

□ «شامخات» يعني الجبال العالية، و«فرات» يعني الماء العذب.

□ «الظل الظليل» هو الدائم. و«لا ظليل» يعني الظل عديم الفائدة لا يحمي من الحرارة.

□ «جمالات» جمع جمل، و«صُفر» جمع أصفر.

□ خلق الله تعالى الأرض على أنسب وجه من حيث السعة، طريقة الحركة، تأمين الأمن عن طريق الجبال، تأمين الماء الذي يحتاجه الإنسان والنباتات والحيوانات، وجعل التراب أفضل طريقة للتخلص من النفايات، ومياه الصرف، ودفن الأموات، وجعل فيها خاصية قتل الجراثيم فأصبحت كمصفاة تأخذ الماء المعكر وتحوّله إلى ماء زلال، هذه المصفاة، طبيعية، مجانيّة، دائمة وعامّة، ولا تتعرض لأي نقص فني، في الواقع لو لم تكن الأرض موجودة لملأت الرائحة الكريهة والمتعفنة كل مكان.

□ يحيط عذاب الله بالمجرمين من كل جهة فلا يوجد سبيل للهرب والطريق الوحيد المفتوح هو طريق جهنّم: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[1]، ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾[2].

التعاليم:

١ ـ سطح الأرض هو أفضل مكان ليعيش الأحياء عليه، وباطن الأرض أفضل مكان للأموات: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا أَحۡيَآءً وَأَمۡوَٰتًا﴾.

٢ ـ الجبال هي من منابع تأمين الماء اللازم: ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءً﴾.

٣ ـ مشهد يوم القيامة شديد وصعب جداً لدرجة أنّ الذهاب إلى جهنّم كأنه نوع من التحرر للمجرمين: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ...﴾.

٤ ـ يحيط بجهنم دخان غليظ له ظل، ولكن لا يوجد فيه أي راحة: ﴿ظِلٍّ...﴾.

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٢. (٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

٥ ـ القصور والأموال التي جُمعت في الدنيا بالباطل، ستتحول يوم القيامة إلى ألسنة لهب جهنّم: ﴿كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾.

٦ ـ إذا كانت ألسنة اللهب لنار جهنّم شبيهة بالقصور العالية والجمال العظيمة، فما حال النار نفسها؟! ﴿بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾.

٧ ـ العقائد الفاسدة هي أساس كل جُرم، فمن لا يملك الاعتقاد ويُكذّب الحق، سيُقدم على أي عمل فاسد: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)﴾

إشارات:

- للقيامة مواقف متعددة، في أحد المواقف، يُختم على الأفواه فلا يستطيع الشخص أن يتكلم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ و﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾[1]، وفي مواقف أخرى ثمة تحاور، ولقد بيّنت آيات عدة في القرآن الكريم هذه الحوارات وشكوى المجرمين يوم القيامة.

- عن الإمام الصادق عليه السلام: **«الله أجلّ وأعدل من أن يكون لعبده عذر لا يدعه يعتذر به؛ ولكنه فلج من لم يكن له عذر»**.

- يستطيع الإنسان في الدنيا أن يخدع نفسه أو أن يخدع الآخرين عن طريق المال، والقوة، والتزوير، أو عن طريق الرشوة، والتهديد، والوعيد، أو أن ينتفع من أقاربه ومعارفه، ولكن في يوم القيامة يُسد الطريق أمام كل هذه الأمور: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾.

---

(١) سورة يس: الآية ٦٥. (٢) الكافي، ج ٨، ص ١٧٨.

التعاليم:

١ ـ لا ينطق المجرمون يوم القيامة إمّا بسبب الخوف، أو لعدم وجود فائدة، أو أنه قد خُتم على أفواههم، أو لأن الأمور واضحة: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن يتعب المُربّي أو المُبلّغ من تكرار التحذير. تكررت آية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرّات في هذه السورة.

٣ ـ القيامة هي يوم الجمع وهي يوم الفصل كذلك: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ﴾؛ (من جهة، يحضر الجميع ولا يتغيّب أحد: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[1] ومن جهة أخرى يفصل بين الصالحين والمجرمين وسيفرّق بينهم، حتى أهل الجنّة لهم درجات مختلفة في الجنّة).

٤ ـ يوم القيامة هو يوم الحساب والقضاء، وليس يوم الاعتذار: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ... هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.

٥ ـ لا يوجد فرار يوم القيامة، ولا خداع، ولا تُقبل فدية، ولا يوجد طريق للفلاح: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾.

٦ ـ يكون المجرمون يوم القيامة عاجزين، ومتحيّرين، ولا يملكون أي سبيل: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)﴾

إشارات:

- تحدّث الله تعالى في الآيات السابقة عن خواص جهنّم، ودخانها، والنار ذات الثلاث شُعب المحيطة بها، وبالمقابل يتحدّث في هذه الآية عن ثلاث نِعَم لأهل التقوى: ﴿ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ﴾.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٧.

□ تستخدم كلمة «هنيئاً» في الموارد التي لا يكون فيها أي صعوبة أو ضيق ويكون موردها سائغاً وسهلاً بشكل كامل.

□ المقارنة هي من وسائل القرآن في التربية:

(ثواب المتقين)	(عقاب المجرمين)
﴿فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾	﴿ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾	﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾
﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾
﴿هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾

□ **سؤال**: لماذا جاءت: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بعد الآيات المرتبطة بالجنّة أيضاً؟

الجواب: قد يكون بسبب أن حسرة الحرمان من نعيم الجنّة هي في حدّ ذاتها من أعظم العذابات.

التعاليم:

١ ـ لكل من الجنة والنار ظلال مختلفة: ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ... فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾.

٢ ـ يحب الإنسان التنوّع، وفي الجنة، فإن البساتين، العيون، الفاكهة، الطعام والأنهار كلها متنوعة: ﴿فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

٣ ـ وجود الماء إلى جانب الشجر دليل على النعيم الكامل: ﴿فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾.

٤ ـ يُعوّض نعيم الجنة على المؤمنين ما حُرموا منه في الدنيا: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾.

٥ ـ المعاد جسماني وتتناسب نِعَم المعاد مع احتياجات جسم الإنسان: ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

٦ ـ يتوقف الحصول على النعمة على عمل الإنسان: ﴿هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٧ ـ لا يوجب طعام الجنة أي مشقة أو عارض: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾.

٨ ـ تُحَصّل الجنة بالعمل لا بالاعتذار: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٩ ـ العمل ذو القيمة هو العمل الدائم الثابت، لا العمل الموسمي المنقطع: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

١٠ ـ السعي والإحسان من ضروريات التقوى: ﴿الْمُتَّقِينَ... كُنتُمْ تَعْمَلُونَ... الْمُحْسِنِينَ﴾.

١١ ـ السُّنة الإلهية في الثواب والعقاب واحدة لكل البشر: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

١٢ ـ يدل تكرار التحذير على اللطف الإلهي، فقد يثوب المستكبرون إلى رشدهم ويتوقفون عن التكذيب بالحقائق: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات:

- يسمح الطبيب للمريض بتناول أي طعام في حالتين: الحالة الأولى أن يكون قد شُفي من مرضه وتعافى، والحالة الأخرى أن يكون مرضه غير قابل للعلاج وقد يئس الطبيب من شفائه. وكذلك في القرآن، فإنّ أمر ﴿كُلُوا﴾ قد يدل أحياناً على السلامة والأمل، وأحياناً أخرى يدل على العذاب الإلهي، مثلما خاطب الله تعالى المجرمين في الآيات قائلاً: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾، وكذلك آية: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[1].
- أمر النبي الأكرم ﷺ قبيلة ثقيف بالصلاة، فقالوا: نحن لا نركع ونسجد لأحد، فقال ﷺ: **«لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»**[2].
- أسلمت هند زوج أبي سفيان بعد فتح مكّة، ويروى أنّ رسول الله ﷺ سألها كيف رأيت دين الإسلام؟ قالت: أفضل دينٍ لولا ثلاثة أشياء فيه. فسألها وما هي؟ قالت: أحدها التجبية (الركوع والسجود)، والثاني المعجر (الحجاب)،

(١) سورة فصلت: الآية ٤٠.
(٢) البحار، ج ١٧، ص ٥٢.

والثالث صعود هذا الغلام الأسود سطح الكعبة أي أذان بلال. فقال ﷺ: أما التجبية فلا تقبل الصلاة بدونها. وأما الحجاب فهو أفضل لباس للمرأة. وأما الغلام الأسود، فهو من أفضل خلق الله[1].

□ «الحديث» هو الكلام الجديد والحديث الذي لم يسبق أحد إليه.

□ طلب النبي إبراهيم من الله تعالى بعد أن جدد الكعبة ألا يرزق إلا المؤمنين: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم﴾؛ ولكن الله تعالى قال: سأرزق في الدنيا الكافرين أيضاً وسأحاسبهم يوم القيامة: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ...﴾[2].

□ الركوع من أركان الصلاة، وهو شاخص وميزة خاصة بالصلاة؛ لأن السجود بنفسه يمكن القيام به خارج إطار الصلاة، مثل سجدة الشكر، ولكن لا يوجد موضع آخر للركوع غير الصلاة، ولهذا استُخدمت كلمة ركوع في الحديث عن الصلاة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾

التعاليم:

١ ـ متاع الدنيا ليس شيئاً أمام متاع الآخرة: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾.

٢ ـ التمتع بنعيم الدنيا، لا يشير بالضرورة إلى حب الله للشخص: (فالمجرمون يتمتعون أيضاً)، ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾.

٣ ـ استفادة المجرمين من النعم الإلهية هي استفادة مادّية فقط: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا...﴾.

٤ ـ مهما كانت الحياة الدنيا طويلة، فهي لا شيء أمام الآخرة: ﴿وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾.

٥ ـ ترك الصلاة من الدلائل على التكذيب العملي بالدين: (جاءت عبارة ترك الصلاة بين كلمتي المكذبين): ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٦ ـ إنكار الدين ملازم لارتكاب الجرم: ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

---

(١) تفسير الكاشف.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٦.

٧ ـ القرآن هو أفضل وأحدث وأبلغ رسالة للناس: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾.

٨ ـ لا يصير كلام القرآن قديماً أبداً وهو جديد لكل زمان: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾.

٩ ـ من لم يؤمن بالقرآن، فبأي كلام بعده سيؤمن؟ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ النَّبَإِ

السورة: ٧٨ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤٠



ملامح سورة النبأ

سورة النبأ مكيّة وعدد آياتها أربعون.

اسم السورة مأخوذ من الآية الثانية والتي تصف يوم القيامة بالنبأ العظيم.

استدلت هذه الآيات على وقوع يوم القيامة بالنظام الحكيم الحاكم على الطبيعة، واعتبرت أن القيامة ضرورية لإجراء نظام الثواب والعقاب وأنها من لوازم الحكمة الإلهية وبدونها يكون وجود الإنسان عبثاً وبلا فائدة.

وفي تتمة السورة، تشير الآيات إلى جزءٍ من العذاب الشديد للطغاة وتُبيّن نعم الجنة وتختم بتحذير الكافرين بشدة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾

إشارات:

- كلمة «نبأ» تعني الخبر المهم والحتمي، ويُفهم من الآيات اللاحقة أن المقصود من هذا الخبر هو وقوع القيامة.
- عَرّفت الروايات الإمام علياً عليه السلام على أنه أحد مصاديق النبأ العظيم[1].
- ينقسم الكفار إلى مجموعات عدة في ما يخص المعاد: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾. يعتقد بعضهم أنه بعيد ومستحيل، وبعضٌ آخر يُشكك فيه، وبعضٌ ثالث يعاند فيه.
- قد يكون السؤال أحياناً لفهم المطلب وهذا النوع من السؤال يؤيده القرآن ويؤكد عليه، مثل قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾[2]، ولكن أحياناً يكون السؤال لإيجاد الشك والتردّد عند الآخرين خاصة في الأمور الحتميّة والقطعيّة مثل وقوع القيامة، إذ يذم القرآن في هذه الآيات هذا النوع من السؤال.

التعاليم:

١ ـ ابتداء الكلام بالسؤال، يجعل الحديث مؤثراً: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾.

٢ ـ التشكيك في القيامة هو عمل الكافرين: ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٣ ـ إذا كان السؤال طبيعياً يجب الإجابة عنه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ... قُلْ﴾؛ ولكن إن كان ناشئاً عن المكر والعبث فيجب التصدي له: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

٤ ـ يجب مواجهة الهمز واللمز على المقدّسات والمعتقدات الحتميّة بشكل قطعي: ﴿كَلَّا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٣.

٥ ـ يجب تكرار كلام الحق في مقابل التشكيك: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ... كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.
٦ ـ القيامة ليست بعيدة: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾؛ (يشير حرف السين إلى القرب).
٧ ـ يوم القيامة هو يوم كشف الحقائق: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ «أوتاد» جمع وتد بمعنى المسمار، وتشبيه الجبل بالمسمار هو من المعجزات العلمية للقرآن الكريم. تمتد الجبال في عمق الأرض، تحول دون حركة طبقات الأرض وحدوث الزلازل الدائمة. الجبال كالمسمار، قد غارت في جوف الأرض بمقدار يساوي أضعاف حجمها الظاهري. وللجبال فوائد أخرى كذلك: تحفظ الثلج للشتاء، تمنع الرياح الشديدة، علامة ودليل للطريق، فيها المعادن والأحجار والكهوف، وهي عامل في تكوين الوديان ولكل منها دوره المهم في الحياة.

□ «سُبات» يعني التعطيل والتوقف عن العمل وهو يبعث في الجسم والروح الراحة والاستقرار.

التعاليم:

١ ـ القليل يدلّ على الكثير. التأمل في الوجود هو من أفضل الطرق لمعرفة الله ومعرفة المعاد: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾.
٢ ـ الإنسان عبد لله في عقله وضميره، وبالإمكان سؤال ضميره عن القدرة الإلهية: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾.
٣ ـ يُستدل على قدرة الله على إحداث القيامة من خلال قدرته على خلق الأرض والسماء والظواهر الطبيعية الأخرى: ﴿الْأَرْضَ... وَالْجِبَالَ... اللَّيْلَ... النَّهَارَ﴾.
٤ ـ استدلوا على عقائدكم الحقّة بعد نفي الأفكار الباطلة: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ... أَلَمْ نَجْعَلِ﴾.

٥ ـ يستطيع الإنسان أن يعتبر من الأرض، والزمان، والنوم، والأكل، إن لم يكن معانداً: ﴿ٱلْأَرْضَ... ٱلَّيْلَ... ٱلنَّهَارَ﴾.

٦ ـ تدل قدرة الله وحكمته في خَلْقنا وخلق الوجود على أنه لن يتركنا بعد الموت: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا... نَوْمَكُمْ سُبَاتًا... ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

□ «معصرات» من العصر أي الضغط، أو أنها صفة للسحاب الحامل للمطر، وكأنّ السحاب يعصر نفسه ليُنزل المطر، أو أنها صفة للرياح التي تجمع السحب معاً وتعصرها لينزل منها المطر[١].

التعاليم:

١ ـ بنى الله تعالى إدارته للوجود على أساس نظام محدد: (نظام السببية والعلة والمعلول). (عوامل إنتاج البذور والنبات هم النور، وحرارة الشمس، مضافاً إلى المطر والسحاب): ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا مَآءً ثَجَّاجًا لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾.

٢ ـ القرآن ليس شعراً؛ ولكن له لحناً موسيقياً خاصاً: ﴿وَهَّاجًا، ثَجَّاجًا، نَبَاتًا﴾.

٣ ـ لا ينبغي أن تجرنا الأسباب والعوامل الطبيعية إلى الغفلة عن الله تعالى: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ...﴾.

٤ ـ الله الذي أحيا الأرض الميتة بنزول المطر وجعلها بستاناً أخضرَ، ليس بعاجز عن أن يحيي الموتى: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا... وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

إشارات:

□ من جهة، فإن القيامة هي يوم الجمع؛ لأن الكل يجتمع فيها، ومن جهة أخرى فهي يوم الفصل؛ لأنه يُفصل فيها بين الصالحين، والطالحين، والحق، والباطل.

□ جاء في الروايات أنه في يوم القيامة يُقسّم الناس إلى مجموعات مختلفة ولكل مجموعة هيئة؛ النمّامون على هيئة قرد، آكلو السحت على هيئة خنزير، آكلو الربا على هيئة مقلوبة، يكون القاضي الظالم أعمى، المغرور يكون أبكم وأصم، العالم بلا عمل يمضغ لسانه، الجار المؤذي يُحشر بلا يدين وساقين، ويُعلّق الواشي في النار، ويُحشر من اتبع هواه كريه الرائحة، والمتكبرون يُحشرون بلباس من نار جهنم[1].

□ حركة الجبال هي مقدمة لارتطامها ببعض، وتفتتها، وتشتت أحجارها، حتى تصبح في النهاية كالرمال الجارية، وتُرى من بعيد كأنها سراب: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾.

التعاليم:

١ ـ الدنيا مقدمة للقيامة، وكل هذه النعم ليست عبثاً أو بلا فائدة: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾.

٢ ـ وقت يوم القيامة معروف عند الله من قبل: ﴿كَانَ مِيقَـٰتًا﴾.

٣ ـ للقيامة نظام كذلك: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾.

٤ ـ يتغير نظام السماء والأرض يوم القيامة: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ... وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾.

٥ ـ لا يُترك الإنسان ولا يُنسى بالموت: ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٦ ـ لا تفرحوا بالعلاقات والارتباطات الدنيوية، فسيأتي يوم يُفرّق فيه بين كل شيء: ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾.

٧ ـ يتسع ارتباط أهل السماء والأرض في يوم القيامة: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

- «مرصاد» يعني كمين، و«طاغين» من الطغيان أي التمادي في المعصية إلى أبعد الحدود.
- «مآب» من الأوب بمعنى الرجوع، ويقال لعاقبة المرء، مآب؛ لأن الإنسان يصنعها بعمله وسيعود إليها الآن.
- «أحقاب» جمع حُقب وتعني الفترة الزمنية الطويلة.
- جاء في الروايات: «أحقاب» جمع حُقب وكل حقبة ستين سنة، ويقول بعضٌ: إنه ثمانون سنة؛ إذ إنّ كل يوم فيها كألف سنة مما تعدون في الدنيا[1].
- «حميم» الماء الحار، و«غسّاق» الماء الأصفر الذي يخرج من الجرح، والدم، والقيح.
- قد يكون معنى الآية هو أنّ جهنم تنتظر الجميع بالمرصاد ،ولكن المتقين يعبرون منها ويبقى المجرمون فيها: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾.
- مع أخذ العدل الإلهي بعين الاعتبار فإنّ العذاب والجزاء متناسبان مع جنس العمل: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ والعذاب الزائد الذي ذُكر في الآية: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ هو نتيجة للكفر الزائد والفرار من الحق: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾[2]

(١) تفسير نور الثقلين. (٢) سورة نوح: الآية ٦.

كان فرار الكفّار يزداد في مقابل كل دعوة للأنبياء، ولهذا سيزيد الله تعالى من عذابهم.

□ في جهنم، توجد حرارة في مكان البرودة، وثمة غسّاق وهو مكان الشراب: ﴿بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾.

التعاليم:

١ ـ جهنم بالمرصاد للمجرمين من الآن: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا﴾.

٢ ـ وقوع المجرمين بالكمين هو أمر حتمي: ﴿مِرۡصَادٗا لِّلطَّٰغِينَ﴾.

٣ ـ الطغيان هو من علائم أهل النار: ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾.

٤ ـ عقاب الله تعالى، عادل: ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾.

٥ ـ مجرد احتمال الحساب والعقاب في يوم القيامة هو كاف للتحكم بالإنسان: ﴿لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا﴾.

٦ ـ عدم الاعتقاد بيوم القيامة هو سر الطغيان: ﴿لِّلطَّٰغِينَ... لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا﴾.

٧ ـ يُمهّد إنكار القيامة لإنكار كل شيء: ﴿لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا﴾.

٨ ـ ثمة حساب وكتاب للأعمال الصغيرة منها والكبيرة وقد أحاط علم الله تعالى بكل شيء وهذه الإحاطة ثابتة وباقية (الكتابة هي رمز الثبات والبقاء): ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا﴾.

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

□ «المفاز» إمّا بمعنى مكان الفوز وإما الفوز نفسه. «حدائق» جمع (حديقة) وهي البستان المسوّر. «كواعب» جمع كاعب وتُطلق على الفتاة التي برز صدرها حديثاً. «أتراب» جمع تِرب أي المماثل في السن والشكل والصفات. وقد يكون

المقصود هو أنه لا توجد أفضلية في الجمال بين حور الجنة. كلمة «كأس» تعني الوعاء البلوري، و«دهاق» أي ممتلىء إلى آخره، وقد اعتبر بعضهم أن دهاق من مادة «دَهَقَ» أي العُقَد المتواصلة أي أنّ كؤوس الشراب تُعرض الواحدة تلو الأخرى.

□ للعنب مكانة خاصة بين الفاكهة ولهذا ذُكر بشكل منفرد: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا﴾.

التعاليم:

١ ـ يجب أن يكون الخوف والرجاء متلازمين. جاء في هذه السورة جزاء المتقين إلى جانب عقاب الطاغين: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا لِّلطَّٰغِينَ... إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾.

٢ ـ إن الفوز والفلاح هما في ظل النعم الماديّة والمعنوية: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾؛ (كلمة «حدائق» هي رمز للنعم الماديّة، وعبارة «لا يسمعون» رمز للنعم المعنوية).

٣ ـ لا تَجُرّ نِعَم الجنّة الإنسان إلى الغرور والتكبّر والغفلة وقول الزور: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ﴾.

٤ ـ الجلسات التي لا يكون فيها لغو ولا كذب، هي كجلسات الجنة: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا﴾.

٥ ـ ليس العذاب وحده هو العادل: ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾، بل الثواب كذلك له حساب وكتاب: ﴿عَطَآءً حِسَابٗا﴾.

٦ ـ لا يكذب أفراد مجتمع الجنة بعضهم بعضاً ويسود بينهم الاطمئنان والثقة: ﴿وَلَا كِذَّٰبٗا﴾.

٧ ـ الثواب الإلهي، تفضّل وعطاء من الله، وليس له أي تبعة: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً﴾.

٨ ـ نظام الثواب والعقاب هو من لوازم الربوبيّة: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ﴾.

٩ ـ ثواب الله للمتقين له حساب. من كان تقاه أكثر كان ثوابه أكبر: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾

التعاليم:

١ ـ تدبير أمور الوجود سيان عند الله. لا تتفاوت عنده السماء والأرض وما بينهما: ﴿رَبِّكَ... رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٢ ـ للنبي الأكرم مقام رفيع جداً. كأنّه في كفّة وباقي العالم كله في كفّة أخرى: ﴿رَبِّكَ... رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ ربوبية الله مبنيّة على أساس الرحمة: ﴿رَّبِّ... ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

٤ ـ ليس للحق معارضون ومخالفون يوم القيامة: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

□ تأتي كلمة «الروح» في القرآن الكريم أحياناً بصورة مطلقة، مثل هذه الآية والآية ٤ من سورة القدر: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ وتكون عادة مقابلة للملائكة في هذه الموارد. وأحياناً تأتي مقيّدة من مثل روح القدس، روح الأمين.

يُستنتج من الروايات أنّ الروح إمّا أن تكون مخلوقاً أعظم من الملاك، وإن كان ملاكاً فإنّه أعظم الملائكة. كما جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: **«الروح ملاك، أعظم من جبرائيل وميكائيل»**[١].

□ ورد في الروايات أنّ المقصود من: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ الأئمة المعصومون عليهم السلام إذ إنّ الله يأذن لهم ويقولون حقّاً وصواباً[٢].

---

(١) تفسير نمونه.

(٢) تفسير نور الثقلين.

التعاليم:

١ ـ لا يحضر الإنس والجن فقط في يوم القيامة، بل حتى الملائكة يحضرون: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾.

٢ ـ من خصائص ملائكة الله أنّهم يراعون النظام والانضباط ومستعدون لتنفيذ الأوامر: ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾.

٣ ـ الشفاعة يوم القيامة منوطة بالإذن الإلهي: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

٤ ـ الإنسان حر في اختيار الطريق: ﴿فَمَن شَآءَ﴾.

٥ ـ وقوع يوم القيامة حق، ويُعمل فيه بالحق كذلك: ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾.

٦ ـ لأنّ القيامة حق، فعلينا اختيار الطريق الذي يؤدي بنا إليها: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

التعاليم:

١ ـ التحذير والتنبيه بالنسبة إلى الأفراد الغافلين، أهم من البشارة: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ﴾.

٢ ـ من علائم الغفلة، اعتقاد الناس بأنّ القيامة بعيدة: ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾.

٣ ـ الندم، دليل على أنّ الإنسان مختار: ﴿يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

٤ ـ ينظر الإنسان إلى عمله يوم القيامة: ﴿يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.

٥ ـ المصير الأخروي لكل شخص، في يد الشخص نفسه: ﴿يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.

٦ ـ تأخذ الأرض بذرة، فتُنبت عنقوداً؛ ولكن الكفار يسمعون مئة دليل وبرهان ولا يقبلون بواحد منها. إذاً فإنّ التراب أفضل من الكافر: ﴿يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ النَّازِعَاتِ

السورة: ٧٩ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤٦



ملامح سورة النازعات

آيات سورة النازعات ستّ وأربعون آية، وهي من السور المكيّة.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى وهو بمعنى الملائكة النازعة للروح. كباقي السور المكيّة وكسورة النبأ التي سبقتها، فإنّ محور مطالب هذه السورة يدور حول المعاد والقيامة.

تبدأ هذه السورة بالقسَم بأنواع الملائكة، إذ إنّ الملائكة هي المسؤولة عن أخذ روح الكافرين والمؤمنين وتدبير أمور كل العباد.

توضيح جزء من الأحداث التي جرت بين موسى وفرعون وطغيانه في مقابل الحق والذي استحق على أثره الجزاء الإلهي الشديد في الدنيا، هو مقدمة لتوضيح الأصل الكلي الذي مفاده أنّ الطغيان وعبادة الدنيا يوصلان الإنسان إلى جهنّم، في حين أنّ محاربة هوى النفس وتقوى الله يقودان الإنسان إلى جنة السعادة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾

إشارات:

- «النزع» بمعنى فصل الشيء بالاقتلاع أو السحب. «الغرْق» بمعنى الشدّة. و«النشط» بمعنى فك العقدة و«النشاط» يعني التخلص من العقد الروحية. على عكس بعض الناس الذين يؤدون صلاتهم بكسل أو ينفقون وهم كارهون، فإنّ ملائكة الله يقومون بأداء مهامهم بكل نشاط. و«الناشط» تُطلق على الشخص الذي يؤدي العمل برغبة. وتُطلق هذه الكلمة أيضاً على الشخص الذي يسحب الدلو من البئر، وكأنّ الملائكة يسحبون روح المؤمنين بهدوء[١].

- في الواقع فإنّ (نازعات) و(ناشطات) وصفان لطائفة من الملائكة ولأنّ كلمة (طائفة) مؤنث فقد جاءت هاتان الصفتان بصيغة المؤنث كذلك.

- «السابحات» من سبح بمعنى الحركة السريعة في الماء أو في الهواء. وفيها إشارة إلى سرعة الملائكة في تأدية الأوامر الإلهية.

- عن الإمام علي عليه السلام، في وصف قبض الملائكة أرواح المؤمنين: «**يقبضون أرواح المؤمنين يسلّونها سلّا رفيقاً**»[٢].

- قسَمُ الله تعالى بالملائكة فيه دليل على أهمية الملائكة ومقامهم في نظام الوجود وكذلك أهمية الأمر الذي أقسم من أجله.

- قد تكون الصفات الخمس التي وردت في هذه الآيات متعلقة بخمس مجموعات من الملائكة، وقد تكون لمجموعة واحدة إذ تعني أنّه بمجرد صدور

---

(١) تفسير راهنما. (٢) تفسير نور الثقلين.

الأمر، فإنها تقوم من مكانها وتسعى بنشاط وتتحرّك بسرعة وتتسابق في ما بينها لأداء الأمر بتدبير[١].

التعاليم:

١ ـ كل من كان تعلّقه بالمادّيات أكثر، يكون انتزاع هذا التعلّق من قلبه أصعب: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾.

٢ ـ لحظة الموت، هي بداية الجزاء والعقاب: ﴿غَرۡقٗا، نَشۡطٗا﴾.

٣ ـ كل طائفة من الملائكة، مأمورة بعمل خاص: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ، وَٱلنَّٰشِطَٰتِ، وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾.

٤ ـ النشاط عند تأدية الوظيفة هو ميزة: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾.

٥ ـ كل الوجود، ميدان عمل للملائكة: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾.

٦ ـ تسابق الملائكة في ما بينها لتأدية الأوامر الإلهية: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾.

٧ ـ تقوم الملائكة بعملها على أحسن وجه: ﴿غَرۡقٗا، نَشۡطٗا، سَبۡحٗا، سَبۡقٗا﴾.

٨ ـ مع أنّ التدبير الإلهي بيد الله ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾[٢]، إلا أنّه يأذن للملائكة بأن يدبّروا: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾.

٩ ـ يلزم الملائكة مهارة خاصّة لإدارة الأمور وتدبيرها: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾.

١٠ ـ يحتاج تدبير الأمور وإدارتها إلى السرعة والنشاط والسبق: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ، وَٱلسَّٰبِحَٰتِ، فَٱلسَّٰبِقَٰتِ، فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ﴾.

١١ ـ نظام الوجود قائم على أساس التدبير، لا الصدفة: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ...﴾.

١٢ ـ التدبير ميزة تستحق أن يُقسم بها: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة يونس: الآية ٣.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

- «الراجفة» بمعنى الاضطراب والاهتزاز الشديد. ويُقال لكلام الفتنة الباعث على الاضطراب: «أراجيف».
- «رادفة» من رديف وتعني اللحاق في الأثر، وتقال لتوابع الزلزال. قد تكون الهزة الأرضية الأولى بسبب نفخ الصور الأول حيث يموت الجميع، وعندها يكون المقصود من رادفة النفخ الثاني في الصور إذ يحيا الجميع، كما صرّحت بهذين الأمرين الآية ٦٨ من سورة الزمر.
- «واجفة» تقال للحركة أو الاضطراب السريع والشديد، وتُطلق (خاشعة) على الشخص المطأطىء رأسه المُحدّق إلى الأرض.
- «حافرة» تعني بداية أي شيء. ولهذا يتعجب الكافرون من العودة إلى الحياة الأولى. وقد تكون حافرة بمعنى محفورة أي القبر المحفور في الأرض، في هذه الحالة يُصبح المعنى: هل سنُخْرَج بعد الموت من قبورنا ونحيا مرة أخرى[١]؟
- «نخرة» العظام البالية التي تتفتت عند أقل ملامسة.
- القلوب التي ترجف في الدنيا خوفاً من الله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٢] تكون في مأمن يوم القيامة: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣] والقلوب الغافلة الهادئة في الدنيا، تضطرب يوم القيامة: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾.
- «الزجر» هو الطرد المصاحب للصراخ والجلبة، و«زجرة» قد تكون هي النفخة

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٢.
(٣) سورة يونس: الآية ٦٢.

الثانية في الصور وهي مقدمة لإحياء كل الأموات، و«ساهرة» هي أرض الحشر ليوم القيامة، ففي تلك الأرض لا تنام العيون وتظل ساهرة.

التعاليم:

١ ـ تغيير نظام الطبيعة هو من مقدمات القيامة: ﴿تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾.

٢ ـ زلازل يوم القيامة ليست في مرحلة واحدة، بل هي متتالية: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ... ٱلرَّادِفَةُ﴾.

٣ ـ لا يضطرب الجميع يوم القيامة، بعض القلوب تكون مضطربة: ﴿قُلُوبٌ﴾.

٤ ـ ثمة ارتباط عميق بين الروح والجسم: ﴿قُلُوبٌ... وَاجِفَةٌ، أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾.

٥ ـ ينكر بعض الناس وقوع القيامة بطرح أسئلة تكرارية: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

□ الوادي يُطلق على المنحدر بين جبلين أو تلّتين و«طوى» هو واد في أسفل جبل الطور.

□ «الخشية» هي الخوف الناشىء عن الإيمان بعظمة الله.

□ «تزكى» من زكاة ولها معنيان: الرشد والنمو والنقاء والطهارة.

□ يجب أن يكون المكان الذي يُتحدث فيه إلى الله، طاهراً ومقدّساً. كما قال في هذه الآية: ﴿نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾، ونقرأ في آيات أخرى، قول الله تعالى لنبيّه إبراهيم: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[1]، وفي آية أخرى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[2]، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[3]، ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[4].

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٦.
(٢) سورة التوبة: الآية ١٧.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٤.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٣١.

التعاليم:

١ ـ ابتداء الكلام بالسؤال يزيد عند الناس الشوق إلى الاستماع: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾.

٢ ـ يساعد نقل أخبار الأنبياء السابقين إلى الأنبياء اللاحقين على تقوية عزيمتهم: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾.

٣ ـ يقوي القادة الإلهيون ارتباطهم بالله تعالى قبل أن يواجهوا الطاغوت: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ... اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾.

٤ ـ تتمتّع بعض الأماكن بالاحترام والقداسة: ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

٥ ـ الأنبياء هم رأس الحربة في مواجهة الطاغوت: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾.

٦ ـ تقصّوا جذور المشكلة عندما تنهون عن المنكر: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.

٧ ـ لا تيأسوا من اهتداء أي أحد حتى فرعون، وأتمّوا الحجة على الأقل، بإبلاغه كلام الحق: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ... فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾.

٨ ـ تكلّموا برفق عندما تنهون عن المنكر، حتى مع الطاغين: ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ هَل لَّكَ﴾.

٩ ـ أيقظوا الفطرة بالسؤال: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾.

١٠ ـ عند التبليغ، لا تنسوا اللحن الرقيق والعاطفي في حديثكم: ﴿هَل لَّكَ﴾.

١١ ـ هدف دعوة الأنبياء هو تزكية الإنسان: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾.

١٢ ـ عند تبليغ الناس ودعوتهم، استخدموا كلمات يتقبّلها ويستحسنها كل إنسان: ﴿إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾.

١٣ ـ سيبقى سعي الأنبياء بلا نتيجة إن لم يوجد ميل للتزكية: ﴿تَزَكَّىٰ... وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

١٤ ـ في مذهب الأنبياء، يجب وعظ الطغاة قبل بدء محاربتهم: ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

١٥ ـ الخوف والخشية دليل على القابلية للهداية: ﴿وَأَهْدِيَكَ... فَتَخْشَىٰ﴾.

١٦ ـ يدعو الأنبياء الناس إلى الله لا إلى أنفسهم: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

١٧ ـ الطغيان مصاحب للوقاحة والفساد. (يقول تعالى: اذهب إلى فرعون الطاغية وحدّثه عن التزكية والخشية أي أنّه جسور على الحق وفاسد): ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ... أَن تَزَكَّىٰ... فَتَخْشَىٰ﴾.

١٨ ـ يرتبط إصلاح الأفراد بإرادة الأفراد أنفسهم واختيارهم: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

- كان فرعون يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، فقال له موسى في مقابل ذلك: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.
- «نكال» هو العقاب أو الجزاء الذي يتجنّب كل شخص يراه، أن يرتكب مثله. سُمي عذاب الآخرة النكال؛ لأن كل شخص يسمع فيه يتجنّب ارتكاب أي عمل يؤدي به إلى ذلك العذاب[1].

التعاليم:

١ ـ يجب الإتيان بأكبر المعاجز لأشخاص مثل فرعون: ﴿ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

٢ ـ يستمد الطغاة العون من المنحرفين لحفظ كيانهم: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾.

٣ ـ يحتاج ادعاء النبوة وتوقّع تسليم الآخرين لها، إلى معجزة: ﴿وَأَهْدِيَكَ... فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

٤ ـ حتى أكبر المعاجز لا تؤثر في بعض المتكبرين: ﴿ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ فَكَذَّبَ﴾.

٥ ـ معجزات الأنبياء ليست متساوية: ﴿ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

٦ ـ تكذيب الأنبياء ناتج عن الرغبة في التحرر من قيود الدين وحدوده وعدم اتباع تعاليم الأنبياء: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾.

٧ ـ الأشخاص العاجزون عن الحوار المباشر والاستدلال، يسعون إلى ذلك من خلف الكواليس: ﴿فَكَذَّبَ... ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾.

٨ ـ من أساليب الفراعنة، الشعارات والجلبة وإثارة أجواء معيقة: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾.

٩ ـ يستغل الطواغيت امتلاك الناس لفطرة باحثة عن الله ويوجهونها إلى أنفسهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ﴾.

١٠ ـ سيُذل المستكبرون يوماً ما: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ... فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾.

١١ ـ التاريخ وسيلة للاعتبار، لا للتسلية وملء وقت الفراغ: ﴿لَعِبْرَةً﴾.

١٢ ـ انقلوا الأحداث المفيدة والحاوية للعبر من التاريخ: ﴿لَعِبْرَةً﴾.

١٣ ـ العبر كثيرة، والاعتبار هو المهم ويحتاج إلى الاستعداد النفسي: ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ طرح السؤال أسلوب مهم جداً في التبليغ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾.

٢ ـ التنبّه إلى نِعم الله هو أفضل طريق إلى معرفة الله. يجب الاستفادة من المحسوسات لإدراك المعقولات: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾.

٣ ـ نحن لسنا للدنيا، بل الدنيا لنا: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾.

٤ ـ يتساوى الإنسان مع ذوات الأربع في الاستفادة المادية. (الكمالات المعنوية هي ما يميز الإنسان): ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

٥ ـ جُعلت النِّعم ليستفيد منها الإنسان، ولا يوجد معنى للتحريم والرياضات الروحية الفارغة: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾.

٦ ـ توسيع الأرض وجعلها في مدار في الفضاء كان بعد خلق السموات: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

التعاليم:

١ ـ القيامة أكبر وأعظم حادثة، وتنضوي تحت جناحها كل الحوادث الأخرى: ﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾.

٢ ـ يتذكر الإنسان يوم القيامة، أعماله في الدنيا: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾.

٣ ـ حب الدنيا هو أساس الطغيان: ﴿طَغَىٰ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾.

٤ ـ الدنيا ليست سيئة، وإنما ترجيحها على الآخرة هو السيىء: ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾.

٥ ـ إنّ الله ليس مخيفاً، وإنما الإنسان يخاف من مقام الله. كأن يخاف الإنسان من القاضي؛ لأنه يعلم أنه إذا ما ارتكب جرماً، فإنه سوف يعاقبه: ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾.

٦ ـ الخوف من الله، أساس محاربة هوى النفس: ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾.

٧ ـ نفس الإنسان أمّارة بالسوء، ويجب كبحها: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾.

٨ ـ القانون الإلهي واحد لكل البشر: ﴿مَن طَغَىٰ...مَنۡ خَافَ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

إشارات:

- طرح القرآن الكريم مرّات عدّة السؤال عن زمان وقوع القيامة، ولكن لم يقدّم جواباً عنه. فإبقاء زمان الموت والقيامة غير معلوم هو من الألطاف الإلهية، والعلم بزمن وقوعهما سيكون سبباً لفقدان السكينة الداخلية والروابط الخارجية وسيكون سبباً للرشد الاضطراري.
- المهم هو الإيمان بالقيامة لا العلم بزمان وقوعها.
- التحذير والإنذار أهم من التبشير بالنسبة إلى الغافلين؛ لذا لا نجد في القرآن: «إنما أنت مبشر» بل نجد: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ...﴾.

التعاليم:

١ ـ بعض الأسئلة عن يوم القيامة ليست في محلها ولا تجب الإجابة عنها: (كالسؤال عن زمان وقوع يوم القيامة): ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ...﴾.

٢ ـ لا معنى لمناقشة أمر غير مرتبط بالبشر: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾.

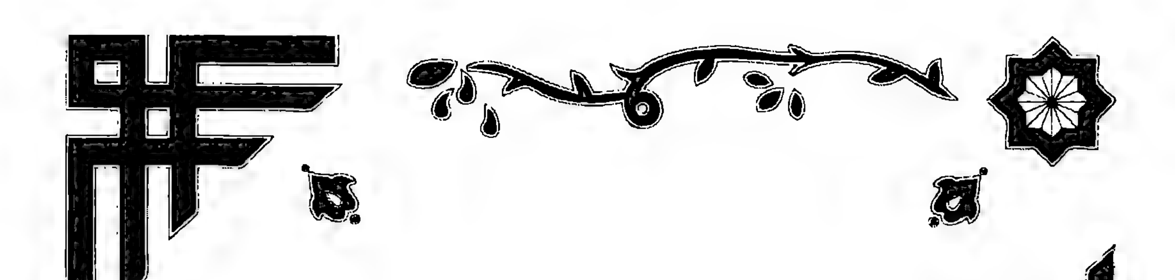
٣ ـ علم البشر محدود ولا يمكن الوصول إلى منتهى العلم فهو مختص بالله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾.

٤ ـ وظيفة النبي إنذار الناس، لا إلزامهم وإجبارهم على القبول: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾.

٥ ـ الاستعداد النفسي لدى الناس واتقاء الذنوب، من شروط قبول دعوة الأنبياء: ﴿أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾.

٦ ـ الآخرة عظيمة إلى درجة أن كل عمر الدنيا مضافاً إلى البرزخ لا يساوي ليلة أو يوماً من أيّام القيامة: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾.

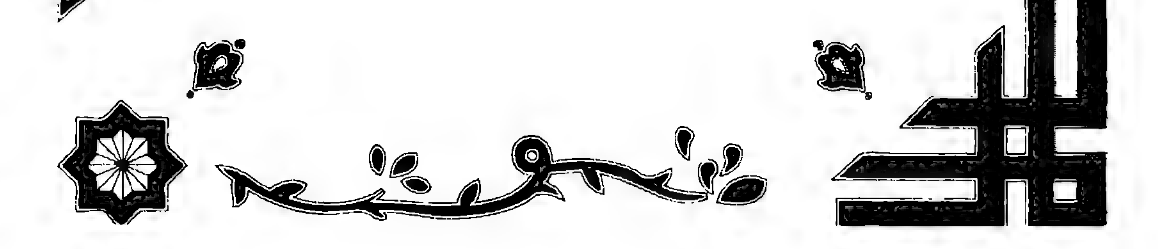
«والحمد لله رب العالمين»



سورة عبس

السورة: ٨٠ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤٢



ملامح سورة عَبَس

سورة عبسَ مكية وعدد آياتها اثنتان وأربعون آية. واشتقّ اسمها من العبوس وهو تقطيب الحاجبين.

على الرغم من أن سبب نزول هذه الآيات هو تصرف غير لائق مع شخص أعمى، إلّا أن محور حديث هذه الآيات، مثل باقي السور المكيّة، يدور حول المعاد وأحداث يوم القيامة العصيبة ومصير المؤمنين والكافرين في ذلك اليوم.

جزء آخر من آيات هذه السورة يبيّن قسماً من نعم الله على الإنسان وجحود الإنسان بهذه النِّعم.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾

إشارات:

□ ورد في روايات أهل السنّة، أنّ شخصاً باسم عبد الله بن أم مكتوم وقد كان أعمى، دخل إلى مجلس الرسول ﷺ، وكان ﷺ جالساً مع كبار قريش من مثل أبي جهل وعُتبة يدعوهم إلى الإسلام، ولأنه كان أعمى ولم يستطع رؤية الحاضرين، فقد طلب من النبي مكرراً أن يقرأ له القرآن ليحفظه.

فظهر على وجهه ﷺ شيءٌ من الضيق بذلك. فنزلت الآيات الأولى من سورة عبس، تعاتب النبي وتؤنبه.

في الواقع، لا يوجد في الآيات المطروحة للبحث ما يدل على أنّ الشخص العابس كان النبي ﷺ. وقد طرحت روايات أهل السُّنة هذا الأمر. ولكن طبقاً لرواية وردت عن الإمام الصادق عليه السلام، نزلت هذه الآيات في رجل من بني أميّة كان حاضراً في مجلس النبي، وقد عبس وأدار وجهه عندما دخل ابن أم مكتوم[(١)].

□ ردّ المرحوم السيد مرتضى روايات أهل السنّة في كتابه متشابه القرآن وقال استناداً إلى آيات أخرى من القرآن الكريم:

لقد مدح الله تعالى أخلاق النبي الأكرم ﷺ وقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[(٢)]، وأمر الله تعالى نبيّه الأكرم في موضعين أن يتواضع للمؤمنين: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(٣)]، ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(٤)].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.
(٢) سورة القلم: الآية ٤.
(٣) سورة الحجر: الآية ٨٨.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

ومضافاً إلى ذلك، فلو كان هذا هو خلق النبي لم يكن الله ليوفقه في التبليغ. كما قال الله لنبيّه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[١].

- ❑ نزول عشر آيات تنتقد العبوس وتقطيب الوجه في مقابل أعمى لا يميز بين الابتسامة والتقطيب، يدل على حساسية الإسلام بالنسبة إلى التعامل مع الطبقة المحرومة.
- ❑ المقصود من: ﴿مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ إمّا عدم الحاجة الماديّة وهو ما يجعل الشخص يشعر بأنه أفضل من الآخرين، أو المقصود هو عدم الحاجة إلى الإرشاد والهداية حيث يرى الشخص البقيّة ضالين ومنحرفين. ويمكن الجمع بين المقصدين، أي على أثر امتلاك الشخص للثروة الزائدة، يُصاب بالغرور فلا يستمع لكلام الحق من الآخرين.

التعاليم:

١ ـ لا يدل نقص عضو ما، على نقص في الشخصيّة. (يجب احترام المكفوفين والمعاقين والأفراد ناقصي الخلقة): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾.

٢ ـ تكمن قيمة الأخلاق في كمال الأخلاق الذاتي، لا في رضا الآخرين عنها، (لا يتمكن الأعمى من الرؤية، ليفرح أو يحزن على أثر العبوس بوجهه): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾.

٣ ـ يُعارض الإسلام خُلق الاستكبار وإهانة الآخرين: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾.

٤ ـ لا يمكن الحكم على الآخرين من ظاهرهم. (يكون الأعمى أحياناً طالباً للعلم أكثر من المبصر): ﴿ٱلْأَعْمَىٰ... لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾.

٥ ـ يتفاوت مقدار التقبّل بين أفراد المجتمع. فمجموعة تتزكى في مقابل دعوة الأنبياء وإرشادهم، ومجموعة تكتفي بالتذكر: ﴿يَزَّكَّىٰٓ أَوْ يَذَّكَّرُ﴾.

٦ ـ التذكير له أثره ونتيجته: ﴿يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

٧ ـ الأساس هو إيمان الإنسان، لا ماله وثروته: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ... أَمَّا مَن... يَخْشَىٰ﴾.

٨ ـ النبي مسؤول عن إرشاد الناس لا عن إجبارهم: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾.

٩ ـ إحساس عدم الحاجة ليس مستحسناً جاءت جملة ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ في مقام الانتقاد.

١٠ ـ الإحساس بالكمال وعدم الحاجة هو سبب للحرمان من التزكية: ﴿مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ... أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾.

١١ ـ تهرع الطبقة المحرومة مسرعة نحو الإسلام: ﴿جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾.

١٢ ـ يجب أن يكون الخوف الداخلي مصاحباً للسعي والحركة الخارجية: ﴿يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾.

١٣ ـ الحضور في محضر النبي أو المعلم الربّاني هو الطريق إلى بناء النفس: ﴿جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾.

١٤ ـ لا يجوز التعامل بطريقتين مختلفتين مع الفقير والغني: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ... فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

□ «صُحُف» جمع صحيفة بمعنى المكتوب. «سَفَرة» جمع سافر ويعني الكاتب. و«أسفار» هي جمع سِفر وتعني الكتاب، «بررة» جمع بارّ وتعني المُحسن[1].

□ المقصود من «سفَرَة» هم السفراء ورسل الوحي، أي الملائكة الذين ينقلون الوحي الإلهي للأنبياء وهؤلاء الملائكة هم أصحاب جبرائيل وتحت إمرته، إذ

(١) تفسير مجمع البيان.

يقول القرآن عنهم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[1]. طريق الله ميسر وله أرضية فقهية وفطرية وفكرية كذلك.

التعاليم:

١ ـ آيات القرآن وسيلة للتذكّر وعامل لإيقاظ الفطرة البشرية: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾.

٢ ـ مقام القرآن ومرتبته أرفع من أن يصل إليه الضالون ويحرّفوه ويغيّروا فيه: ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾.

٣ ـ يجب وضع القرآن في مقام رفيع: ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾.

٤ ـ يجب أن يصان القرآن من أي تدنيس: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾.

٥ ـ ليس ثمة إكراه أو إجبار في الدعوة إلى القرآن، فمن شاء يستطيع أن يختار القبول به: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾.

٦ ـ يجب علينا أن نكرم من أكرمه الله: ﴿صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾.

٧ ـ الملائكة الكرام هم من يوصل القرآن الكريم إلى النبي: ﴿صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ... بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ﴾ (مصدر القرآن أي الله كريم، وكذلك القرآن نفسه ومنزلوه والشخص الذي نزل عليه).

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

□ الدفن من الطرق المختلفة للتعامل مع الأموات، فقد علّم الله تعالى الإنسان، الدفن في القبور. ورد في الآية ٣١ من سورة المائدة: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ عندما احتار قابيل بما يفعل بجسد أخيه، أرسل الله غراباً يعلمه كيفية الدفن في التراب.

---

(١) سورة التكوير: الآية ١٩.

التعاليم:

١ ـ يلعن الله تعالى الإنسان الكافر الجاحد: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾.

٢ ـ في التبليغ، يجب مواجهة بعض الناس بأسلوب حاد: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾.

٣ ـ تأملوا في خلقكم من نطفة مهينة لكي تمتنعوا عن الكفر والغرور: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾.

٤ ـ خلْق الإنسان ليس صدفة، وإنما على أساس الحساب والكتاب والتقدير والقياس: ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾.

٥ ـ الخلْق، دليل على القدرة والقياس، ودليل على الحكمة: ﴿خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾.

٦ ـ لماذا يضل بعض الناس السبيل، مع أنّ سبيل الحق واضح واتباعه سهل؟: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ... ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾.

٧ ـ لقد أتم الله تعالى الحجة بتيسير السبيل إلى التكامل: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾.

٨ ـ يمتلك الإنسان كمالات عدّة، ويصل إلى التكامل باتباع طريق الحق: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾.

٩ ـ لماذا يبقى الإنسان على عناده، مع أنّه يرى الموت والقبر؟: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ... ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾.

١٠ ـ كل الأمور منسوبة إلى الله: ﴿أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾.

١١ ـ المعاد جسماني: ﴿فَأَقْبَرَهُۥ... أَنشَرَهُۥ﴾ أي هو نفسه الذي دخل إلى القبر، يخرج منه.

١٢ ـ مع أنّ السبيل مفتوح والحركة فيه ميسّرة، إلا أنّه توجد مجموعة تخلّفت عنه: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ... لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾.

١٣ ـ يُطرح التوحيد والنبوة والمعاد معاً: ﴿خَلَقَهُۥ... ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ... أَنشَرَهُۥ﴾.

١٤ ـ وقت وقوع القيامة بيد الله وحده: ﴿إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾.

١٥ ـ من البداية حتى النهاية، يكون الإنسان في يد الله وتحت تدبيره: ﴿خَلَقَهُۥ... أَمَاتَهُۥ... أَنشَرَهُۥ﴾.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات:

- «الصبّ» بمعنى تساقط الماء من مكان مرتفع ويشمل نزول المطر من السماء ونزول الماء من الشلالات أيضاً.
- «القضب» تُطلق على الخضروات التي تُقطف وتُؤكل طازجة، وتشمل علف الحيوانات كذلك.
- المقصود من ﴿شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾، شق الأرض عن طريق براعم النباتات، إذ إنها تشق الأرض لتخرج منها ثم تتابع نموّها.
- المقصود من «الحب» الحبوب التي يصرفها الإنسان كطعام له، مثل القمح، والشعير، والحمص، والعدس، وأمثالها.
- «حدائق» جمع حديقة بمعنى البستان المحاط بسور، و«غلُب» جمع غَلباء وتعني الشجرة الكبيرة والكثيفة.
- يجب أن ينظر الإنسان إلى طعامه هل هو حلال أم حرام، هل يملك الآخرون الطعام أم لا، كيف سيصرف الطاقة التي حصل عليها من الطعام وكيف حصل على هذا الطعام؟ عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير آية: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ أنّه فسَّر الطعام، بالعلم الذي على الإنسان أن ينظر عمّن يأخذه[1]. والطعام شامل للطعام المعنوي.

التعاليم:

١ ـ أمر الإنسان بالتفكّر في طعامه، باعتباره إحدى النعم الإلهية، فالأكل من دون تفكير هو عمل الحيوانات: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾.

---

(١) الكافي، ج١، ص ٥٠.

٢ ـ لو لم تكن ثمة قيم معنوية، لتساوى الإنسان والحيوان في الاستفادة من الطعام والطبيعة: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

٣ ـ التدقيق في إيجاد النعم، وسيلة للبعد عن الكفر: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ... فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾.

٤ ـ الوجود، مدرسة لمعرفة الله، سواء في السير التكاملي لباطن الإنسان أو خارجه: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ... أَمَاتَهُۥ... أَنشَرَهُۥ... صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا... شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾.

٥ ـ ثمة هدف لنزول المطر ونمو أنواع النباتات والأشجار، ومن إحدى حِكَمه، تهيئة الطعام للإنسان والحيوان: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ... شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ... فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا... مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

٦ ـ العنب والزيتون والتمر، من الفاكهة التي أوصي بها في القرآن: ﴿وَعِنَبًا... وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات:

□ «الصاخّة» تعني الصوت المرعب الذي يكاد يصم الأذن. والمقصود به إمّا الصيحة لوقوع القيامة أو صراخ الناس وصياحهم في ذلك اليوم.

□ تحدثت الآيات السابقة عن المعاش، وتتحدث هذه الآيات عن المعاد.

□ يمكن طرح أمور عدّة حول دافع الإنسان للفرار من الأب، والأم، والزوج، والأولاد، من بينها أن يفر لكي لا يطالبه أخوه بحقوقه ويُضيّق عليه. يفرّ لكي لا يطالبه الآخرون، يفر لكي لا يُفتضح أمره أمام الآخرين، يفر لينهي عمله ويحدد مصيره بأسرع وقت: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

التعاليم:

١ ـ القيامة هي يوم الفرار. فرار الأخ من أخيه، الولد من أبيه وأمه، الزوج من زوجته، الوالد من ولده: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ﴾.

٢ ـ تتفكك الروابط العائلية يوم القيامة: ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾.

٣ ـ يفكر كل شخص يوم القيامة في نجاة نفسه: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ... شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

٤ ـ ليس ثمة فرصة في يوم القيامة للاهتمام بشؤون الآخرين: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

إشارات:

- «مستبشرة» من سماع خبر سعيد، تُشرق على أثره البشرة. «الغبرة» والغبار وهو التراب الدقيق العالق على الشيء. «قترة» هو الدخان الأسود و«رهق» بمعنى التغشية والتغطية.
- تقسّم هذه الآيات الناس يوم القيامة إلى مجموعتين: أهل السعادة وأهل الشقاء، وكل مجموعة تُعرف بسيماها ووجهها؛ لأن وجه الإنسان مرآة سيرته، ويَظهر فرحه وحزنه الداخليان على وجهه.
- بدأت هذه الآيات بتقطيب الوجه في الدنيا، وتختتم بالوجوه المسودة في يوم القيامة: ﴿عَبَسَ... تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾
- «كفرة» جمع كافر، و«فجرة» جمع فاجر. في الأولى إشارة إلى فساد العقيدة وفي الثانية إشارة إلى فساد العمل.

التعاليم:

١ ـ المعاد جسماني: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ...﴾.

٢ ـ الوجه المشرق الضاحك، ميزة: ﴿مُّسۡفِرَةٞ، ضَاحِكَةٞ﴾.

٣ ـ الضحك في القيامة ناتج عن التبشير بمستقبل مشرق: ﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾.

٤ ـ التلوث بالذنوب في الدنيا سبب لتلوث الوجه في القيامة: ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾.

٥ ـ الكفر سبب لارتكاب الذنوب والفسق والفجور: ﴿ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾.

٦ ـ وجه أهل الإيمان والتقوى، مشرق وضاحك: (في المقابل فإن وجه أهل الكفر والفجور مكفهر)، ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾.

٧ ـ المقارنة، هي من أفضل الطرق في التبليغ: ﴿وُجُوهٞ... وُجُوهٞ﴾.

٨ ـ يؤدي الذنب إلى تغطية وجه الإنسان النقي والرباني، بنقاب أسود بشع: ﴿عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ التَّكوِيرِ

السورة: ٨١ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٩



ملامح سورة التكوير

نزلت هذه السورة في مكّة وعدد آياتها تسع وعشرون آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى ويعني اللف والتدوير وانطفاء الضوء.

يدل محتوى هذه السورة على أنها نزلت في بدايات البعثة؛ لأن الكفّار كانوا ينعتون النبي بالجنون في بداية البعثة، وهذه السورة مثل سورة القلم التي نزلت في بداية البعثة، تتحدث عن تنزيه النبي من هذه التهم[١].

يُبيّن الجزء الأول من هذه السورة التغييرات العظيمة التي تصيب الكون كمقدمة ليوم القيامة، والجزء الثاني يبين المقام الرفيع للقرآن الكريم ودوره وتأثيره في روح البشر.

ورد في الروايات، أنّ تلاوة هذه السورة يوجب التذكّر ويمنع غفلة الإنسان، وذُكر لتلاوتها فضائل عدّة[٢].



(١) الميزان في تفسير القرآن. (٢) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾

إشارات:

- «التكوير» يعني اللّف، وتكوير الشمس يعني جمع ضوئها وانطفاءها.
- حركة الجبال يوم القيامة ناتجة عن الزلزال العظيم الذي يؤدي إلى تفتت الجبال وتلاشيها، وكما ذكر في آيات أخرى تصير الجبال كرمال الصحراء.
- «العشار» جمع عشراء وتعني الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر، وتُعدّ عند العرب من الأموال القيّمة؛ ولكن عند وقوع القيامة تترك وحدها ولا يهتم بها أحد.
- «وحوش» جمع وحش وهو الحيوان الذي لا يأنس مع الإنسان أبداً مثل الحيوانات المفترسة. استند بعضٌ إلى الآية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1] وقالوا إنّ المقصود من هذه الآية كذلك هو حشر الحيوانات يوم القيامة. ولكن بالنظر إلى سياق الآيات المرتبط بعلائم ما قبل يوم القيامة، قال مفسرون آخرون: المقصود أنه قبل حدوث القيامة وعلى أثر الزلزلة، تخرج جميع الحيوانات من جحورها وأعشاشها وتتجمع بعضها إلى جانب بعضها الآخر[2].

التعاليم:

١ ـ سيتغير يوماً ما النظام الحاكم على الشمس والنجوم في السماء والجبال والبحر والأرض: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ...﴾.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.
(٢) الميزان في تفسير القرآن.

٢ ـ الوجود محكوم بإرادة الله تعالى، وعندما يريد، سيتغيّر نظام العالم: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ و...﴾.

٣ ـ قد تُبعث الحيوانات المفترسة يوم القيامة كذلك: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

❑ توجد معانٍ عدّة لـ «سُجّرت»:

١ ـ الغليان،

٢ ـ الالتحام،

٣ ـ امتلاء البحر،

وإفاضة الماء منه، وكلها حوادث طبيعية، فمن جهة سوف تتحرك الجبال من مواضعها وستتصل البحار ببعضها، ومن جهة أخرى ستزلزل الأرض وتخرج ما فيها من حرارة، فتغلي المياه وتتبخر.

❑ سيتزوج أهل الجنّة السعداء من حور الجنّة يوم القيامة. كما ورد في آية أخرى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[1]، وسيتزوج أهل النار من قرنائهم الشياطين. كما ورد في آية أخرى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[2]، وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في ذيل آية: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: «**أما أهل الجنّة فزوّجوا الخيّرات الحسان، وأما أهل النار فمع كل إنسان منهم شيطان يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشياطين فهم قرناؤهم**»[3].

---

(١) سورة الدخان: الآية ٥٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(٣) الميزان في تفسير القرآن.

□ «الموؤودة» البنت التي دُفنت حيّة. كان وأد البنات خوفاً من العار والفقر من عادات الجاهلية السيئة جداً.

□ ولاية الوالدين على أولادهم محدودة، وهم لا يستطيعون منعهم من حقوقهم الطبيعية مثل حقهم في الحياة. لا يستطيع الأب أن يقول هذا ابني وبإمكاني اتخاذ أي قرار في حقه، وكذلك ليس بمقدور الأم أن تقول أنا لم أرغب بالإنجاب لذا من حقي أن أسقط الجنين الذي في بطني.

التعاليم:

١ ـ لا فرق بين المسلم والكافر في الدفاع عن المظلوم. مع أنّ البنات الموؤودات لم يكنّ مسلمات إلا أنّ الإسلام دافع عنهنّ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾.

٢ ـ لا فرق في الدفاع عن المظلوم بين الرجل والمرأة، الكبير والصغير، الفرد والجماعة، يجب الدفاع حتى عن الطفلة الصغيرة: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾.

٣ ـ أيقظوا الضمائر بالسؤال: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾.

٤ ـ ولاية الوالد على ابنه لا تعطيه الحق في قتله: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾.

٥ ـ يكون للخوف والرجاء أثر إذا ما كانا إلى جانب بعضهما: ﴿ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ... ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾.

٦ ـ في يوم القيامة، تقترب كل من الجنة والنار من أهلها: ﴿ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾؛ (وتقول الآية ٣٣ من سورة الفجر: ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾).

٧ ـ تُثبت أعمال الإنسان في الدنيا وتنشر صحيفة أعمال كل شخص في يوم القيامة: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

□ «خُنّس» جمع خانس وتعنى العائد. «الجواري» جمع جارية أي سائرة وفي حالة

جريان. و«الكُنّس» جمع كانس ويعني المخفي. أخذ المفسرون الآيات اللاحقة التي تتحدث عن زوال الليل وطلوع الصبح، بعين الاعتبار ففسروا الآيات: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ على أنها تتحدث عن النجوم التي تظهر في الليل وتختفي عند طلوع الشمس. وتبقى النجوم في حالة حركة حتى عند اختفائها ولهذا تعود في الليلة اللاحقة إلى مكانها.

- «عسعس» تعني الظلام الخفيف والذي يظهر في نهاية الليل كما قال الإمام علي عليه السلام[1]. ولهذا تكون آية: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ مشابهة لآية: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾[2].
- «تنفّس» بمعنى تنفس الصبح وطلوعه. وكأنّ الصبح قد تحرر من أسر الليل وتنفس الحرية.
- قسم الله تعالى بتنفس الصبح، واختفاء النجوم، وحركة الأجرام السماوية في زمان كان الناس يعيشون فيه بالجاهلية، يدل على اهتمام الإسلام بالطبيعة وبالتأمل فيها.

التعاليم:

١ ـ يوم القيامة، يوم الشهود وتجسّم الأعمال: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾.

٢ ـ يطلع الإنسان يوم القيامة على جزئيات أعماله: ﴿أَحۡضَرَتۡ﴾.

٣ ـ ملاك الوحي، كريم، أمين، قوي ومطاع: ﴿كَرِيمٖ، ذِي قُوَّةٍ، مَكِينٖ، مُّطَاعٖ، أَمِينٖ﴾.

٤ ـ من الشروط اللازمة للإرشاد وتبليغ الرسالة: الكرامة والمكانة العظيمة، القدرة والتمكن، السلطة والطاعة، والأمانة: ﴿كَرِيمٖ، ذِي قُوَّةٍ، مَكِينٖ، مُّطَاعٖ، أَمِينٖ﴾.

٥ ـ بين يدي جبرائيل مأمورون يمتثلون أمره: ﴿مُّطَاعٖ﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان. (٢) سورة المدثر: الآية ٣٣.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

□ «ضنين» من ضنّ بمعنى البخل. لم تستخدم هذه الكلمة غير مرة واحدة في القرآن.

□ كان مخالفو النبي ينسبون إليه صفة الجنون، وكانوا يقصدون بذلك ارتباط النبي بالجن، وفي الحقيقة كانوا يعتبرون أنّ القرآن هو من إلقاءات الجن على النبي؛ لذا جاءت هذه الآيات في مقام رفع هذه التهم عن النبي الأكرم إذ قالت: لقد رأى النبي ملاك الوحي بوضوح وتلقى القرآن منه، ولم يلق الشيطان شيئاً على قلبه ليعتقد بأنه وحي إلهي.

التعاليم:

١ ـ أحياناً، يجب ألا تترك الأسئلة بدون أجوبة، ويجب الردّ عليها: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾.

٢ ـ كان النبي يعيش مع الناس وإلى جانبهم: ﴿صَاحِبُكُمْ﴾.

٣ ـ أفضل دليل على أنّ عقل النبي سليم هو أنكم عشتم معه وصاحبتموه عمراً ولم يصدر عنه أي فكر أو عمل أو تصرف غير لائق: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾.

٤ ـ كان النبي الأكرم يرى جبرائيل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾؛ (كما ورد أيضاً في الآية ١٣ من سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾).

٥ ـ في مقابل الإهانة، يجب تكريم الشخص الذي أهين: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾.

٦ ـ ليس ثمة شك في أنّ النبي قد لاقى جبرائيل: ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾.

٧ ـ الشكر على العلم هو إبراز لذلك العلم، والبخل في العلم أمر غير مستحسن: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.

٨ ـ كان النبي الأكرم يعلم بالغيب: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.

٩ ـ لم يكن النبي مبتلى بالجنون: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، ولم يكن تحت تأثير إلقاءات الشيطان: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾.

١٠ ـ القرآن محفوظ من أي تحريف في وقت النزول ولم يتصرف فيه جبرئيل أو يتدخل فيه أبداً: ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ... أَمِينٌ﴾، وكذلك في مرحلة التبليغ لم يتعرّض لأي نقص: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.

١١ ـ القرآن، كلام ملاك الوحي، لا الشيطان الملعون: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ... وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ (٢٩)﴾

التعاليم:

١ ـ لا يوجد إنسان بلا هدف وبلا مذهب، حتى الكفار والمشركون عندهم طريق وهدف: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾. واختيار الطريق الصحيح هو المهم: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

٢ ـ القرآن هو أفضل وسيلة للنصح والتذّكر والموعظة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.

٣ ـ القرآن ليس مرتبطاً بمكان وزمان أو قوم معينين، بل هو للعالمين جميعاً: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

٤ ـ يجب التذكير عند التبليغ لا الإجبار: ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾.

٥ ـ اتباع الطريق الصحيح والثبات عليه، مرتبط برغبة الإنسان نفسه: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾.

٦ ـ طريق القرآن هو الطريق المستقيم وهو بعيد عن أي إفراط أو تفريط واعوجاج: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾.

٧ ـ إرادتنا واقعة في مدار إرادة الله، لا إجباره؛ إذ إنه في هذه الحالة تصبح إرادتنا بلا معنى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ﴾.

٨ ـ الإنسان ليس عديم الإرادة، وهو ليس مختاراً بنفسه كذلك: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٩ ـ مشيئة الله مبنيّة على ربوبيته: ﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٠ ـ لأنّ الله هو رب العالمين وله السلطة على كل شيء، فإنّ مشيئة الإنسان مشروطة بمشيئة الله كذلك: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

مثال على ذلك، يوجد مقودان في المركبات المخصصة لتعليم القيادة، أحدها في جهة المتعلم والآخر عند المعلم. في هذه المركبة، يستطيع المتعلم أن يستخدم المقود الموجود في جهته، ولكن بشرط أن يشاء المعلم ذلك. ومثال آخر، الحوالات المصرفية التي تُمضى من قبل اثنين، فلا يمكن صرف الحوالة أو الاستفادة منها إلا في حال إمضاء الطرف الثاني عليها كذلك.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الانفِطَارِ

السورة: ٨٢ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٩



ملامح سورة الانفطار

نزلت هذه السورة في مكة وعدد آياتها تسع عشرة آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى ويعني انشقاق السماء.

يدور محور حديث هذه السورة مثل باقي السور المكيّة حول يوم القيامة وأحوال الناس في ذلك الوقت الرهيب. تتحدث باقي آيات السورة عن الأحداث العظيمة التي تقع عند نهاية الكون وعند قرب القيامة، وعن الملائكة المأمورين بضبط أعمال الإنسان في الدنيا، وعن عاقبة المحسنين والمجرمين، وعن جزءٍ من مشكلات ذلك العصر.

ذُكرت فضائل عدّة لتلاوة هذه السورة في الصلوات الواجبة والمستحبة، وتؤكد الفضائل الواردة حاجةَ الإنسان الدائمة إلى التذكّر لكي لا يغفل عن القيامة ولا يتعلّق قلبه بالدنيا.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

- «الانفطار» هو الانشقاق، «فطر» و«إفطار» يحملان المعنى نفسه كذلك؛ لأن الصيام يُشَق ويُقطع بالطعام. (انفطار) و(انشقاق) بالمعنى نفسه ولكن الفرق في أنه بعد الانفطار، نصل إلى شيء على خلاف الانشقاق. تقول العرب عند حفر القناة: «فطرت» لأنه بعد انشقاق الأرض نصل إلى الماء.
- «الانتثار» بمعنى رمي الشيء متفرقاً، ويُقال لما يُرمى على رأس العروس «نِثار».
- «فجر» يعني ظهور شِق وفتح الطريق، و«تفجير» بيان لعظمة تشقق الجبال.
- تأتي كلمة «بعثر» بمعنى البعث أي الإحياء المجدد، وكذلك بمعنى «ثَوَرَ» أي تغيّر، لذلك قال الراغب في مفرداته: ليس بعيداً أن يكون فعل (بُعثر) مركّب من هذين الفعلين، أي تقلّب التراب وتغيّره وإحياء الموتى.
- ترتبط السماء والأرض والبحر والجفاف ببعضهم على نحو إذا ما اختلّ نظام أحدهم يختل نظام كل شيء.

التعاليم:

١ ـ النظام الحاكم على الأرض والسماء بيد الله تعالى، وعندما يريد يغيره: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾.

٢ ـ المعاد جسماني والموتى يُبعثون من القبور: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾.

٣ ـ تغير نظام الوجود هو مقدمة للقيامة، والقيامة للحساب والكتاب وجزاء أعمال الإنسان: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ...﴾.

٤ ـ تتسع قدرات الإنسان يوم القيامة، ويتذكّر كل ما قام به في الماضي: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾.

٥ ـ يجب أن يفكر الإنسان في ماضيه، فإن كان قد ارتكب ذنباً يتوب منه، ويجب أن يفكّر في ما سيترك من ذكرى حسنة بعد موته: ﴿مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

٦ ـ يطّلع الإنسان يوم القيامة على ما قدّم من خير أو شرّ، ويعي آثار تلك الأعمال وعواقبها: ﴿مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

٧ ـ يدرك الإنسان يوم القيامة الأعمال التي كان بمقدوره أن يقوم بها ولكنه أخّرها ولم ينجزها: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ... وَأَخَّرَتْ﴾ وقد يكون المقصود من «التأخير» الأعمال التي تعود عليه آثارها بعد موته. كتأليف كتاب أو تأسيس لفساد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾

إشارات:

- «غرّ» من «غرور» بمعنى الغفلة، الخداع، والغرور. «سوّاك» أي الاعتدال والاستقامة من دون أي اعوجاج. و«عدلك» تشير إلى التعادل والتوازن بين أعضاء وجوارح الإنسان.
- اعتمدوا على أعمالكم لا على كرم الله، كان الأنبياء على علم بكرم الله ولكنهم كانوا يعملون.
- إنّ الله كريم: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾، وملائكته المؤتمرون بأمره كرماء: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾، ورسله كرام: ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[١] وكتابه كريم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[٢] وثوابه كريم: ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٣].
- إنّ الله كريم، يغفر الذنوب ويستر العيوب ويضاعف الثواب.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٤٠.
(٢) سورة التكوير: الآية ١٩.
(٣) سورة يس: الآية ١١.

التعاليم:

١ ـ الإنسان موجود غافل ومخدوع ويظن أنه في مأمن من عواقب العمل وعذاب الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾.

٢ ـ لماذا يغتر الإنسان على الرغم من ضعفه وحاجته؟: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ﴾.

٣ ـ أسوأ أنواع الكِبْر والغرور، أن يكون الغرور في مقابل الخالق الكريم والمُوجِد: ﴿غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾.

٤ ـ غرور الإنسان وغفلته استغلال سيىء للطف الله وكرمه وستره العيوب: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾.

٥ ـ لطف الله وكرمه الابتدائيان ليسا مختصّين بالمؤمنين بل هما لكل البشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ... بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾.

٦ ـ يدل غرور الإنسان على غفلته عن النعم الإلهية وعظمة الخالق: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾.

٧ ـ الالتفات إلى الألطاف الكريمة علاج للغرور: ﴿ٱلۡكَرِيمِ... خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾.

٨ ـ الخلق دليل على القدرة: ﴿خَلَقَكَ﴾، والتسوية دليل على الحكمة: ﴿سَوَّىٰكَ﴾، والاعتدال دليل على علم الله بكل الاحتياجات: ﴿فَعَدَلَكَ﴾.

٩ ـ خلق الإنسان والتوازن بين أعضائه، دليلان على كرم الله: ﴿ٱلۡكَرِيمِ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾.

١٠ ـ منشأ الاختلاف في شكل البشر وملامحهم هو إرادة الله الحكيمة: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

١١ ـ يجب التذكير المتواصل بنعم الله، لتحطيم الغرور: ﴿خَلَقَكَ، فَسَوَّىٰكَ، فَعَدَلَكَ، رَكَّبَكَ﴾.

١٢ ـ من خلقك في الدنيا، يخلقك في الآخرة كذلك، بماذا تكذّب إذاً؟ ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾.

١٣ ـ من يغترّ بالدنيا، يُنكر الآخرة: ﴿غَرَّكَ... تُكَذِّبُونَ﴾.

١٤ ـ حتى لو أنكرتم القيامة، فإنّ الملائكة سيقومون بعملهم: ﴿تُكَذِّبُونَ... وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾.

١٥ ـ توجد ملائكة عدة مسؤولون عن حفظ البشر وحراستهم: ﴿لَحَافِظِينَ﴾.

١٦ ـ الملائكة مسؤولون عن إثبات ما يقوم به البشر وتسجيله: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾.

١٧ ـ يتصرف الملائكة المراقبون بكرم عند تسجيلهم للأعمال: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾.

١٨ ـ الملائكة متعددون وهم شديدو الملاحظة ويرون كل شيء بدقّة: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

١٩ ـ إذا ما التفت الإنسان إلى أنّ الملائكة المعصومين يحصون أعماله، فسيكون ذلك سبباً في حياته وتقواه: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)﴾

إشارات:

- «أبرار» جمع بار بمعنى المحسن، و«نعيم» تعني الممتلىء بالنعمة.
- «فجّار» جمع فاجر بمعنى الشق، وتعني الأشخاص الذين يهتكون الستر ويمزقونه.
- «صلى» أي دخل في العذاب والقهر: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ و(الصَّلْو) هو الدخول في الرحمة واللطف كذلك: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[1].
- كل الأمور بيد الله في يوم القيامة، وهذا لا يعني انتفاء الشفاعة؛ لأن الشفاعة هي من الأمور التي أمر بها الله[2].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٣.
(٢) تفسير مجمع البيان.

التعاليم:

١ ـ من طرق التربية والتبليغ، المقارنة بين مصير الصالحين والسيئين: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ... وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾.

٢ ـ حتى النبي، لا يعلم بعض أمور يوم القيامة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾.

٣ ـ لا يمكن إدراك مسائل يوم القيامة بالعقل العادي، ويجب معرفتها عن طريق الوحي: ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾.

٤ ـ يجب تكرار المواضيع المهمة: ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ... ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ﴾.

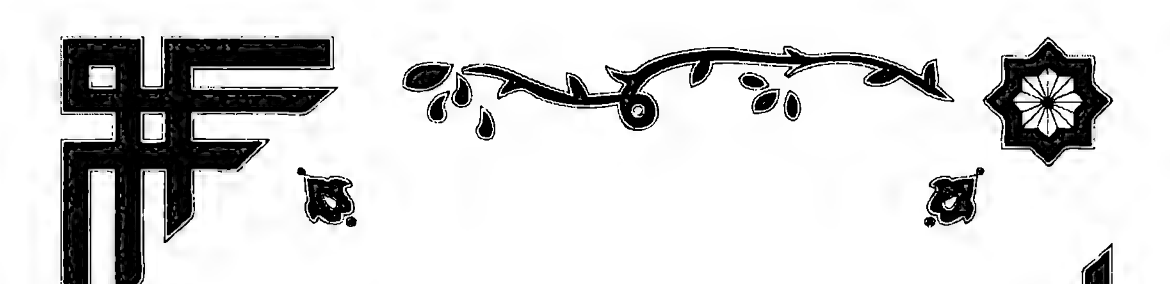
٥ ـ إنّ القيامة هي بهدف الثواب والعقاب على أعمالنا الدنيوية: ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾.

٦ ـ يبقى المجرمون في جهنّم إلى الأبد: ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾.

٧ ـ يوم القيامة هو يوم سلب الصلاحيات والملكيّة من كل البشر: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾.

٨ ـ القيامة هي تجلٍّ لحكومة الله المطلقة: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

السورة: ٨٣ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣٦



ملامح سورة المطفّفين

تحتوي هذه السورة على ست وثلاثين آية وقد نزلت في مكّة، وإن كانت الآيات الأولى بناءً على بعض الروايات قد نزلت في المدينة.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى وهو يعني المخسرين في البيع.

تبدأ هذه السورة بتهديد الذين يُخسرون في الميزان وتعتبر أنّ السبب في هذا هو عدم التصديق بيوم القيامة.

يتحدث جزء آخر من الآيات عن ماضي الفجّار المذنبين المعتدين وتصديهم للآيات الإلهية، وكيف أنّ هذا ناشىء عن انسداد قلوبهم.

ولا شك في أن بيان ما يتمتع به أهل الجنّة من النعم الدائمة والسعادة والفرح، يضيء نور الأمل في قلوب المؤمنين ويواسيهم أمام أذى ألسن الكفّار، لكي لا يحزنوا من استهزاء الكفّار وتحقيرهم إياهم.

ورد في بعض الروايات، أنّ قراءة هذه السورة في الصلاة سبب للأمان من عذاب يوم القيامة، وأنّ الله سيروي قراءها من شراب الجنّة الطهور[١].

---

(١) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

- «الويل» بمعنى الهلاك والعذاب، وبناءً على الروايات، هو اسم واد في جهنّم أو باب من أبوابها.
- تحمل كلمتا طفيف وقليل المعنى نفسه، و«التطفيف» يعني التقليل وجذرها من (طفّ) بمعنى جانب. ويقال للبائع الذي يقلل من جوانب الأصناف «مطفف». عن ابن مسعود أنّه أيّما شخص يقصّر في صلاته، تشمله هذه الآية[١].
- ثمة تطفيف لكل نوع يتناسب معه: المعلم، العامل، الكاتب، البائع، المهندس، الطبيب، والوظائف الأخرى، كل من يقصّر في عمله هو مطفف.
- يعتقد المطفف أنه حاذق، وهو لا يحب الناس، ولا يعتقد بأنّ الله هو الرازق وهو يظلم المجتمع اقتصادياً.
- التطفيف هو من الذنوب الكبيرة؛ وذلك لورود الوعيد بالعذاب عليه.
- إمكان التطفيف وارد في الكيل أكثر من الميزان، لذا ذُكر الكيل في آية وفي الآية اللاحقة لها ذكر الكيل مرّة أخرى، ثم ذكر الكيل والميزان معاً.
- جاء في الروايات: إذا ما ابتلي الناس بالتطفيف، منعت الأرض الناس من نباتها وابتلي الناس بالقحط[٢].
- الانضباط والدقة الاقتصادية، هما في رأس برنامج الأنبياء الإصلاحي. كما قال

---

(١) تفسير نمونه. (٢) الميزان في تفسير القرآن.

النبي شعيب لقومه: ﴿۞أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾[1].

التعاليم:

١ ـ اكتشفوا الخطر بكلمات تحذيرية: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

٢ ـ كسب المال الحرام عن طريق التطفيف، من أسباب سقوط الإنسان: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

٣ ـ التفريق بين الأخذ والعطاء هو تطفيف. لا يجب أن ترضى للآخرين ما لا ترضاه لنفسك: ﴿ٱكْتَالُوا۟... يَسْتَوْفُونَ... كَالُوهُمْ... يُخْسِرُونَ﴾.

٤ ـ البخس في الميزان بحق أي شخص وإن لم يكن مسلماً هو عمل مشين: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

٥ ـ ما هو أعظم من الذنب، هو الأنس به، بحيث يصبح البخس في الميزان شغل الإنسان: ﴿يُخْسِرُونَ﴾ (يدل الفعل المضارع على الاستمرار).

٦ ـ يجب أن نُحيي ذكرى المعاد في القلوب، للحؤول دون المفاسد الاقتصادية: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾.

٧ ـ الاعتقاد بالمعاد حتى لو في حد الظن، يكون رادعاً: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾.

٨ ـ أحداث يوم القيامة مخيفة وعظيمة: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

٩ ـ نحن مسؤولون أمام الله عن التطفيف وعن حقوق الناس: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٠ ـ عقاب المجرمين ومجازاتهم، من شؤون الربوبيّة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٨١ ـ ١٨٣.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

- «سِجين» من سجن أي الحبس وجاءت على وزن فِعّيل للمبالغة: السجن الشديد والأبدي.
- «مرقوم» من رقم أي الخط الصحيح والواضح، إذ لا يمكن الاشتباه به بخط آخر. وعليه فإنّ «الكتاب المرقوم» أي سجلّ الفاجرين، هو محدد ومعين بشكل كامل وسوف يبقى أصحابه في سجن جهنم إلى الأبد.
- المقصود من «الدين» في الآيات المرتبطة بيوم القيامة، هو الجزاء: ﴿يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وكذلك في سورة الحمد، الآية: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بمعنى مالك يوم الجزاء.
- «أثيم» من إثم وتقال للشخص الغارق في الذنوب.
- يمكن تفسير جملة: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ على شكلين:

أ) ويل للمطففين الذين ينتهي به الأمر بتكذيب يوم القيامة.

ب) ويل للذين لا يؤمنون بجزاء المطففين في يوم القيامة.

- «أساطير» جمع أسطورة وهي قصص تتحدث عن أمور جميلة ومحببة؛ ولكنها غير واقعية وتكون من نسج خيال القصاصين: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي أنّ الأولين قد قالوا هذه الأساطير والنبي الآن يكررها.
- نقرأ في تاريخ عاشوراء أنّ الإمام الحسين عليه السلام وعظ جيش يزيد مرّات عدة وذكّرهم بالرسائل التي أرسلوها إليه، وساءلهم عن الذنب الذي يريدون أخذه به، وهل هو حرام أحلّه أم حلال حرّمه، وبعد ذلك عقّب قائلاً: **«فقد ملئت بطونكم من الحرام وطُبع على قلوبكم»**[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٨.

لا تتعرض اليوم أي من كليات التربية وعلم النفس في الدنيا لمسألة تأثير اللقمة الحلال والحرام في تربية الإنسان وروحه، وعلماء الشرق والغرب في العالم، غافلون عن تأثير التغذية في التربية.

التعاليم:

١ ـ المطفف، فاجر يمزق ستار الدين: ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ... ٱلْفُجَّارِ﴾.

٢ ـ مصير الفجّار، واضح وقطعي: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾.

٣ ـ يحث الذنبُ الإنسانَ على الكفر وإنكار الحقائق: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.

٤ ـ الأشخاص الغارقون في الذنوب والطغيان، يقولون إنّ آيات القرآن أساطير: ﴿كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٥ ـ القول إنّ الوحي أسطورة، هو ذريعة للبقاء على الكفر: ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٦ ـ تسوق اللقمة الحرام الإنسان إلى حد الكفر. (تحدثت بداية السورة عن التطفيف وهو وسيلة للكسب الحرام، وتحدثت الآيات اللاحقة عن الفجور وبعدها عن التكذيب): ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٧ ـ يؤثر سلوك الإنسان في معتقداته وثوابِتِه. تؤدي الذنوب المتتالية والاعتداء بالإنسان إلى التكذيب: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.

٨ ـ لا ينبغي الاكتفاء بتذكير وإنذار واحد، يجب التلاوة والتذكير بشكل دائم: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾؛ (يدل الفعل المضارع على الاستمرار).

٩ ـ القرآن مليء بالجاذبية، حتى بالنسبة إلى الكفار: ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ (تُطلق أسطورة على القصص الرائعة المليئة بالجاذبية).

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾

إشارات:

□ «الرين» هو الصدأ الذي يتشكل على بعض المعادن. وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء...، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطي البياض فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾**»[1].

□ وعن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: «**إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عباده؛ ولكنه يعني: أنّهم عن ثواب ربهم لمحجوبون**»[2].

التعاليم:

١ ـ اعتبار القرآن أسطورة ناشىء عن فساد القلب: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾.

٢ ـ يُغيّر الذنب روح الإنسان ويمنعه من إدراك الحق: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

٣ ـ فطرة الإنسان سليمة، والذنب هو الذي يغطيها: ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾.

٤ ـ القلب والروح هما مركز إدراك الحقائق في الثقافة القرآنية: ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾.

٥ ـ المداومة والإصرار على الذنب سببان لصدإ القلوب: ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

٦ ـ العمل هو رأسمال الإنسان، ويكسب به السيئات والحسنات: ﴿كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.
(٢) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ١٦٢.

٧ ـ رين الذنب على القلب المانع لإدراك الحقائق في الدنيا، هو في الآخرة كذلك مانع عن استقبال الألطاف الإلهية: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

٨ ـ يؤنّب خزنة جهنم أهل النار: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

- «عِلّيّين» جمع عِلّي بمعنى الدرجات والمراتب العليا إلى ما لانهاية.
- المقصود من كتاب الأبرار أي مصير المحسنين في القيامة، و«مرقوم» يعني مشخصاً ومحدداً حيث لا يمكن خلطه بأي كتاب آخر.
- «أرائك» جمع أريكة أي السرير المزيّن والمجهّز للاستراحة.
- «نضرة» بمعنى الجمال والحيوية، و«النعيم» أي النعم الكثيرة، و«الرحيق» بمعنى الشراب الخالص.
- «التنافس» إمّا من نفيس أي أن يسعى شخصان للحصول على شيء نفيس، وأمّا أنها من (نَفَس) أن يبذل شخصان ما بوسعهما إلى آخر نفس[1].
- للضيافة في الجنة مراتب ودرجات:

بعضٌ (يسقون) وبعضٌ آخر ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾[2] أي أنّ بعضاً يستقبلون الألطاف الإلهية بواسطة، وبعضٌ آخر بلا واسطة.

- قال بعضٌ: إنّ المراد من المسك في قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، هو آنية الشراب المختومة.

---

(١) تفسير راهنما.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٢١.

❑ يشرب المقربون من تسنيم؛ ولكن الأبرار يشربون من الشراب المخلوط بالتسنيم.

❑ ثمة أنواع لأشربة الجنة: بعضها في أنهر جارية (أنهار من ماء، أنهار من لبن، أنهار من خمر، وأنهار من عسل)[1]، وبعضها في أوانٍ مختومة، وبعضها ينزل من السماء، أو من الطبقات العليا وهو التسنيم[2].

❑ وعن الإمام الباقر عليه السلام: **«تسنيم: أشرف شراب في الجنة يشربه محمد وآل محمد صرفاً ويمزج لأصحاب اليمين ولسائر أهل الجنة»**[3].

التعاليم:

١ ـ وعود الله بإثابته المحسنين، قطعية: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (كلمة إنّ وحرف اللام والجملة الاسمية، تبيّن أنّ الوعد قطعي).

٢ ـ تناول النعم في حضور الآخرين، يضاعف اللذة: ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾.

٣ ـ من نعم أهل الجنة، المقام العالي والإشراف على المناظر الجميلة: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾.

٤ ـ تؤثر الحالة النفسية والروحية للإنسان على جسمه: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ﴾؛ (تلألؤ وجه أهل الجنّة شيء مشهود للإنسان).

٥ ـ كون نِعَم الجنّة جديدة وغير ملموسة من قبل هو ميزة: ﴿مَّخۡتُومٍ﴾.

٦ ـ ليس لملذات الجنّة أي عوارض جانبية غير مرغوبة: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾.

٧ ـ في الثقافة الإسلامية، الدنيا هي ميدان سباق وتنافس، تنافس في سبيل الحصول على النعم الأخروية: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾.

٨ ـ لأهل الجنة درجات ومراتب: ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ... ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾.

---

(١) سورة محمد: الآية ١٥.

(٢) تفسير نمونه.

(٣) تفسير برهان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

□ الغمز هو الإشارة إلى عيوب الناس بالعين والحاجب.

التعاليم:

١ ـ يجب على المؤمنين أن يكونوا مستعدين لمواجهة فساد المجرمين والمذنبين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾.

٢ ـ لا تجعلوا ضحك الآخرين وغمزهم وأذيتهم تثبط عزيمتكم؛ لأنهم هم المجرمون: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾.

٣ ـ الاستهزاء والإهانة هما أسلوب المجرمين منذ القدم: ﴿كَانُوا۟... يَضْحَكُونَ﴾.

٤ ـ المجرم غير المقتنع بذنبه، يهين الصالحين ويؤذيهم نفسياً: ﴿يَضْحَكُونَ﴾ ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾.

٥ ـ من أساليب المجرمين، السخرية من المؤمنين وجعلهم أضحوكة: ﴿ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾.

٦ ـ الإصرار على الذنب، يغير نظرة الإنسان وطريقة حكمه. (الطريف أنّ المجرمين كانوا يعتقدون أنّ المؤمنين ضالون): ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾.

٧ ـ يحق للمذنبين أن يحكموا على المؤمنين ويبدوا رأيهم فيهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾.

٨ ـ لا ينبغي للمؤمنين أن ينتظروا تأييد الكافرين: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾.

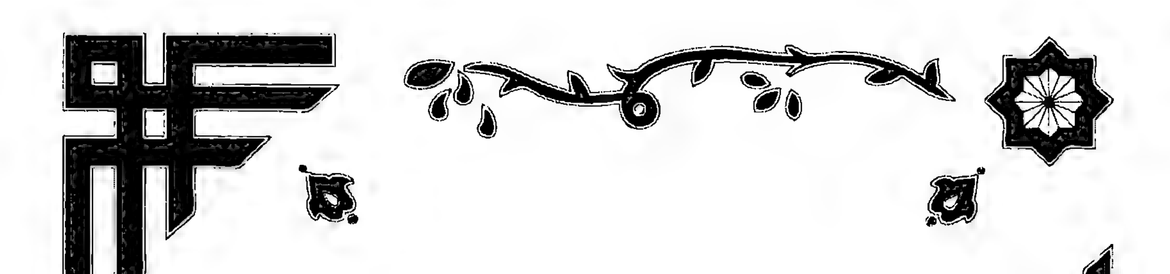
٩ ـ يظن المجرمون أنهم القيّمون على المؤمنين، وينفي الله تعالى هذا الادعاء: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾.

١٠ ـ يكون المؤمنون يوم القيامة عامل تعذيب نفسي للمجرمين؛ لأن المؤمنين سيضحكون عليهم هناك أيضاً: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾.

١١ ـ عقاب يوم القيامة، متناسب مع الذنب في الدنيا. (عقاب من يطلق ضحكات الاستهزاء في الدنيا، أن يُصبح أضحوكة في الآخرة): ﴿ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ... يَضۡحَكُونَ... ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... يَضۡحَكُونَ﴾.

١٢ ـ عقاب يوم القيامة هو انعكاس لأعمال الإنسان نفسه في الدنيا: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الانْشِقَاقِ

السورة: ٨٤ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٥



ملامح سورة الانشقاق

سورة الانشقاق مكيّة، وعدد آياتها خمس وعشرون آية.

اسم السورة مأخوذ من كلمة وردت في أوّل السورة. والانشقاق هو الصدع والخرق.

ومحورها كغيرها من السور المكيّة، هو القضايا العقديّة وخاصّةً المعاد ويوم القيامة.

ينبىء انقلاب النظام الحاكم على الوجود وتغير نظام الأرض والسماء، عن وقوع القيامة وإحداث نظام جديد في العالم.

يُؤتي سعي الإنسان ثمره يوم القيامة ويُعطى المحسنون والمسيئون كتاب أعمالهم بيدهم ليجزوا على أساسه إمّا بالثواب وإما بالعقاب، وهذه سنة الله على طول التاريخ، والكل يُحاسب على هذا الأساس.

جاء في الروايات أنّ تلاوة آيات هذه السورة بتدبر، تحفظ الإنسان وتؤمنه من أن يُعطى كتاب أعماله بشماله[١].

(١) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

إشارات:

□ «الشقّ» هو إحداث شق أو صدع. وعن الإمام علي عليه السلام: «**تنشق [السماء] من المجرّة**»[1].

□ «أذنت» من الأذن أي سماع الأمر وتنفيذه. و«حُقّت» أي أنها كانت تستحق ذلك.

□ يُقذف يوم القيامة كل ما في بطن الأرض من أموات وكنوز ... إلخ إلى الخارج. مثلما جاء في سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

التعاليم:

١ ـ تُشق السموات المُحكمة: ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾[2] عند وقوع القيامة: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾.

٢ ـ يُسَلّم الوجود لله تعالى ويطيع أوامره: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ (وردت هذه الجملة حول الأرض والسماء كذلك).

٣ ـ في عالم الطبيعة نوع من الشعور يطيع به أوامر الله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾.

٤ ـ التسليم لله تعالى هو وحده التسليم المستحق: ﴿وَحُقَّتْ﴾.

٥ ـ تتغيّر الأرض في يوم القيامة بشكل تختفي معه كل تعرّجات الأرض ويصبح سطحها ممهداً وواسعاً: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾.

---

(١) تفسير الدرّ المنثور.

(٢) سورة النبأ: الآية ١٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

- تأتي كلمة «كدح» بمعنى الكد والسعي وكذلك تأتي بمعنى الأذى والضرر، أي أنّ الإنسان يسعى إلى ربّه؛ ولكن سعيه هذا مصاحب للتعب والمشقّة.
- نقرأ في الحديث: من اتصف بثلاث خصال، سهّل الله حسابه وأدخله الجنّة برحمته: «**تعطي من حرمك، تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك**»[١].
- «يحور» من حور بمعنى الرجوع والعودة والمقصود به الرجعة إلى الحياة الأخروية في القيامة.
- ورد في الآية التاسعة والثالثة عشرة، كلام عن الفرح والسرور بقرب الأهل، أحدها سلبي وكان موضعاً للانتقاد والآخر إيجابي وهو ثواب للمحسنين. أجل، فإنّ نتيجة الغفلة والسرور بالدنيا، جهنم ونتيجة الإيمان والتقوى في الدنيا، السرور بين الأهل في القيامة.
- رُوِي أنّه سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾، فأجاب: «**أهله في الدنيا هم أهله في الجنة إن كانوا مؤمنين**»[٢].

التعاليم:

١ ـ يسير الإنسان باتجاه الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ (وكذلك فقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٣].

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) بحار الأنوار، ج٧، ص٣٢٥
(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

٢ ـ يواجه الإنسان في حركته إلى الله تعالى مشكلات متعددة: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

٣ ـ وضع الله تعالى في المجتمع والتاريخ قوانين متعددة يتبعها الجميع، فلا يستطيعون التوقف ولا يستطيعون الرجوع أو الحركة في اتجاه آخر: ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾.

٤ ـ نهاية حركة الإنسان هي الوصول إلى الله: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾.

٥ ـ تُدوَّن أعمال الإنسان في الدنيا، وتُعرض عليه في يوم القيامة بشكل مستند مكتوب: ﴿أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾.

٦ ـ يختلف حساب الناس يوم القيامة، فالمحسنون يحاسبون حساباً يسيراً: ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾؛ وللضالين حسابٌ عسير: ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾[1].

٧ ـ لا تغتروا بالسعادة الدنيوية العابرة، فكّروا في سرور يوم القيامة الدائم: (إذا صرفنا اليوم النظر عن الملذات الأسرية وابتعدنا عن أسرتنا بهدف الجهاد أو طلب العلم، فسوف يعوض علينا في المستقبل): ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾.

٨ ـ في اليوم الذي يفر فيه الناس بعضهم من بعضهم الآخر: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[2]، من يكون حسابه سهلاً ومكانه في الجنّة، سيعود إلى أهله: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾؛ (قد يكون المقصود بالفارّين من بعضهم، الكافرين).

٩ ـ الغفلة عن المعاد أو إنكاره هو منشأ تعاسة الإنسان: ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾.

١٠ ـ منكرو المعاد، ينكرونه بناءً على الظن والتخمين لا على العلم: ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾.

١١ ـ الغفلة عن الآخرة هي السبب في السرور العبثي: ﴿كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا... ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾.

١٢ ـ يقتضي العقل والاحتياط أنه وإن لم يكن عندكم يقين بالقيامة، فعلى الأقل

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٨.
(٢) سورة عبس: الآية ٣٤.

أن تظنوا بأنها واقعة ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾[1] لا أن تعتقدوا بعدم وجود القيامة، فهذا سبب للهلاك: ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

- «طبق» بمعنى التطبيق والانطباق، أي وضع شيئين أحدهما فوق الآخر، وتُطلق أيضاً على حالة، إذ تكون روح الإنسان متطابقة مع تلك الحالة. إذاً يكون معنى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أنكم تركبون على حالة وخصلة تحملكم كالمركب إلى مقصدكم[2].

- كما تظهر الحمرة في وقت الغروب، ومن ثم يغطيها سواد الليل، فيأتي عندها نور القمر ليضيء الليل، وتحدث هذه الحالات الواحدة تلو الأخرى، فأنتم أيضاً أيها البشر قد جئتم الواحد تلو الآخر وتمتلكون حالات مختلفة وتتحركون في مسير التكامل إلى الله تعالى.

- المقصود من: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ مراحل حياة الإنسان المختلفة التي يطويها في مسير حركته إلى الخالق، الحياة الدنيوية، الحياة البرزخية والحياة الأخروية[3].

وقد يكون المقصود منها هو أنّ مصيركم مطابق لمصير الأقوام السابقة. إذا قمتم مثلهم بالإنكار، فستهلكون، وإن آمنتم كما آمنوا، ستلقون النجاة. ويوجد أيضاً حديث يؤيد هذا المعنى.

- المقصود من السجدة في الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، الخضوع

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٦.

(٢) تفسير راهنما.

(٣) الميزان في تفسير القرآن.

والتصديق والإيمان وإلا لكان لزاماً أن يسجد الناس عند تلاوة كل آية فيها حديث عن السجود.

التعاليم:

١ ـ يجب أن تكون العبودية والتسليم نتيجة قراءة القرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ... ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

❑ «يوعون» من وعاء والمقصود بها هنا هو وعاء القلب وما يملكه الإنسان في قلبه. «بشّر» من بشارة وتُطلق على الخبر الذي يتغير عند سماعه وجه الإنسان وبشرته وعادة تُطلق على الأخبار السعيدة. وقد تأتي أحياناً في معرض التحقير، مثل أن يقال: (بشرى فلان، الموت).

التعاليم:

١ ـ لا يكتفي الكافرون بعدم التسليم أمام الآيات القرآنية، بل إنّهم يكذبون بها أيضاً: ﴿لَا يَسْجُدُونَ... يُكَذِّبُونَ﴾.

٢ ـ من رضي بالكفر نهجاً، يكذّب بكل مسألة يواجهها: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾.

٣ ـ يحيط الله تعالى بأسرار الإنسان الداخلية: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

٤ ـ قد يسعى الإنسان تحت غطاء الإنكار والتكذيب إلى أهداف أخرى ولكنّ الله يعلم بها: ﴿يُكَذِّبُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

٥ ـ قد يكذّب الإنسان في الظاهر بهدف حفظ مصالحه؛ ولكنه قد يستحسن الأمر في باطنه: ﴿يُكَذِّبُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

٦ ـ صحيح أنّ الثواب والعقاب مبنيان على العمل ولكن قيمة العمل هي في الهدف والدافع إذ إنّ الله عليم بهما: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

٧ ـ العمل الصالح والقيّم هو من لوازم الإيمان، في أي مجال كان: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (العبادة هي أحد مصاديق العمل الصالح).

٨ ـ لا ينفك الإيمان عن العمل وهما لازمَان ومُلزِمان لبعضهما: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٩ ـ الثواب الإلهي غير مقطوع، وليس فيه مِنّة: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ البُرُوجِ

السورة: ٨٥ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٢



ملامح سورة البروج

سورة البروج مكيّة وعدد آياتها اثنتان وثلاثون آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والمقصود به النجوم المضيئة التي تلمع كالأبراج العالية في السماء.

تبدأ هذه السورة ببيان الجرائم التي قام بها جماعة من المُعَذِّبين، الذين كانوا يحفرون حفرة عميقة، ويضرمون فيها ناراً عظيمة، ويهددون المؤمنين بإحراقهم في النار، وكانوا يرمون في النار كل من يتمسّك بإيمانه.

وقد وعدهم الله كذلك بنار جهنّم الشديدة التي لا يمكن مقارنتها بنار الدنيا وبهذه الطريقة يواسي الله المؤمنين ويدعوهم إلى الثبات في مواجهة الظالمين.

تشير السورة في تتمتها باختصار إلى ما جرى على فرعون وقوم ثمود، كيف أنهم مع كل القدرة التي امتلكوها، هُزموا أمام الإرادة الإلهية وهلكوا.

تبين الآيات الأخيرة من السورة عظمة القرآن ومكانة الوحي الإلهي الرفيعة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

إشارات:

□ «بُروج» جمع بُرج بمعنى الأمر الواضح والظاهر، مثلما أنّ «التبرّج» يعني إظهار الزينة. ويُقال للبناء المرتفع، برج؛ لأنه بارز وواضح مقارنة بالأبنية المحيطة به. المقصود من البروج في هذه الآية، نجوم السماء التي تلمع وتظهر عن بُعد كالبرج المرتفع. كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾[1].

□ ذُكر ما يقارب الثلاثين مصداقاً لآية: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، من بينها أنّ الشاهد هو الله تعالى والمشهود هو ما سوى الله، فيكون القسَم: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قسماً بالخالق وبكل الوجود.

وقد رُوِي عن الإمام الحسن عليه السلام[2]: أنّ الشاهد هو النبيّ الأكرم ﷺ، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾[3]، والمشهود هو يوم القيامة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾»[4].

□ الوقود هو كل ما يوقد به وتشعل به النار.

□ «الأُخدود» هو الحفرة العميقة والمقصود بأصحاب الأخدود، الأشخاص الذين حفروا حفرة عميقة في الأرض وأضرموا فيها ناراً عظيمة ثم ألقوا المؤمنين في النار وأحرقوهم وهم أحياء. كما فعلوا مع النبي إبراهيم عليه السلام لولا أن نجاه الله.

---

(١) سورة الحجر: الآية ١٦.
(٢) تفسير نور الثقلين.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.
(٤) سورة هود: الآية ١٠٣.

وقد وردت روايات عدّة حول من يكون هؤلاء الظالمون ومن هم المؤمنون، ولكن لم يذكر شيءٌ عنهم في القرآن الكريم.

التعاليم:

١ ـ كل الوجود له مكانة عند الله ويستحق القسَم فيه، من مثل: السماء ونجومها: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾.

٢ ـ لا تكونوا في غفلة عن القيامة، فهي موعد الجميع: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾.

٣ ـ أنتم وأعمالكم مراقبون من قبل الله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

٤ ـ يجب إعلان البراءة والنفور من الظالم: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾.

٥ ـ المهم هو نقل العبرة عند سرد التاريخ، لا نقل الجزئيات. (لم يُذكر شيءٌ عن مكان الأخدود، وزمان الحادثة، وأسماء الظالمين وعددهم، وعدد الشهداء؛ لأن هذه التفاصيل لا تؤثر في أخذ العبرة): ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾.

٦ ـ الفكر المُعادي للظلم، المنتقد للظالم هو مبدأ قيّم، وإن لم يكن ثمة ظالم. (أصحاب الأخدود ليسوا موجودين اليوم وأبو لهب ليس موجوداً اليوم كذلك، ولكن روحية النفور منهم يجب أن تبقى حيّة دائماً: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾): ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾.

٧ ـ الحرق هو من أصعب أنواع التعذيب، ومن بين كل أنواع القتل التي تعرّض لها المؤمنون ذَكرَ اللهُ إلقاءهم في النار: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾.

٨ ـ نقل الظلم والمظلوميّات وذكر المصيبة والعزاء، له سوابق قرآنية: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾.

٩ ـ ارتكاب الذنب قبيح؛ ولكن قساوة القلب والمراقبة والرضا بالذنب أقبح: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

١٠ ـ فليعلم الظالمون الشاهدون على تعذيب المؤمنين، أنّ الله شاهد عليهم وعلى عملهم: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

١١ ـ للثبات على الإيمان جزاء: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟﴾؛ (تدل جملة

(يؤمنوا) بدل (آمنوا) تدلّ على أنّ الكفّار كانوا منزعجين من صمود المؤمنين ولو أنّهم تخلوا عن إيمانهم لما عذّبوهم).

١٢ ـ التهديد والانتقام هما منطق الكافر: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾.

١٣ ـ الإيمان هو أكبر الجرائم بالنسبة إلى الكفّار، ولن يرضوا بأقل من التخلي عنه: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ...﴾.

١٤ ـ فليعلم الكافرون أنّ الله العزيز هو حامي المؤمنين وأنّ عنده القدرة على الانتقام: ﴿يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ﴾.

١٥ ـ جاذبية الاتصال بالله القادر، تجيب عن الإشكالات الواردة على الشهادة والتضحية بالنفس في سبيل الله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾.

١٦ ـ السلطة الحقيقية هي لله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

١٧ ـ الحكومة الإلهية مصاحبة لعلمه وحضوره: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- كلمة «فتنة» في الأصل تعني وضع الذهب في النار لتخليصه من الشوائب. واصطلاحاً تعني التعذيب والأذية أو الامتحانات الصعبة. ولكن في الآية المطروحة للبحث تعني العذاب والأذى[١]. كما ورد في آية أخرى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾[٢].

- كان الرجال والنساء دائماً بعضهم إلى جانب بعضهم الآخر على طول أحداث التاريخ القاسية والصعبة، ولا يمكن التغاضي عن دور المرأة في الحركات

---

(١) تفسير نمونه.
(٢) سورة الذاريات: الآيتان ١٣ و١٤.

الإصلاحية والثوريّة؛ لذا كان الظالمون المجرمون يعذبون النساء كما الرجال: ﴿فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

التعاليم:

١ ـ سيقهر الله أصحاب الأخدود وكل المجرمين هواة التعذيب في التاريخ: ﴿ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾.

٢ ـ تحملت النساء المؤمنات التعذيب والأذى إلى جانب الرجال: ﴿فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

٣ ـ لا يوجد فرق بين المرأة والرجل في الدفاع عن المظلوم: ﴿فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ...﴾.

٤ ـ طريق التوبة مفتوح دائماً ولا يوجد طريق مسدود بوجه أحد؛ لذا اليأس من رحمة الله ممنوع. (أجل، لقد دعا الله المجرمين الذين أحرقوا المؤمنين إلى التوبة كذلك): ﴿فَتَنُوا۟... ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾.

٥ ـ يقبل الله تعالى التوبة، حتى وإن جاءت بعد فترة طويلة: ﴿ثُمَّ﴾.

٦ ـ جزاء الإحراق هو الإحراق: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ... عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.

٧ ـ يجب أن تتلازم البشارة والإنذار وتكونا معاً: ﴿عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ... جَنَّٰتٌ تَجْرِى...﴾.

٨ ـ من أفضل الملّذات، التلذذ بالطبيعة: ﴿جَنَّٰتٌ... ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

٩ ـ للكفّار المجرمين عذابان: عذاب الكفر وعذاب الإجرام: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.

١٠ ـ الدنيا عابرة؛ سرور الظالمين عابر، وكذلك عذابات المؤمنين. فكّروا في الآخرة حيث عذاب أهل جهنّم أبدي وثواب أهل الجنّة خالد: ﴿فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ... وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ... ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟... لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

- «البَطش» هو الأخذ بالقهر والغلبة.
- «العَرش» هو كرسي الحكم وهو كناية عن التدبير الإلهي. وقيل أيضاً إنّ العرش هو المكان الذي يضم كل الوجود. لذا فإنّ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ تعني صاحب كل الوجود ومركز إدارة الكون.

التعاليم:

١ ـ لا يستطيع أحد ولا يستطيع أي شيء أن يكون مانعاً للقهر والغلبة الإلهية: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

٢ ـ القهر والعقاب من الشؤون الربّانية المساعدة على تحقيق أهداف الرسالة ومواساة الأنبياء: ﴿بَطْشَ رَبِّكَ﴾.

٣ ـ الخلق والإرجاع، عمل الله الدائم: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

٤ ـ تتساوى قدرة الله تعالى على الخلق والإرجاع: ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

٥ ـ إنّ الله تعالى هو القاهر والغالب وهو الغفور المُحبّ كذلك: ﴿بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ... وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾.

٦ ـ مضافاً إلى الخلق، فإنّ التدبير والحكم على كل شيء هو لله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾.

٧ ـ لا شيء يمنع إرادة الله في المحبة والعقاب: ﴿بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ... وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ... فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

٨ ـ ليس لأعمال الله أي محدودية: ﴿لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ (من غير أن نقول فمن الواضح أنّ الإرادة الإلهية مصاحبة للحكمة، وأنّ إرادته لا تشمل الأعمال غير الحكيمة).

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

□ كان فرعون وثمود من أرفع الأقوام مرتبة في الحضارة والسلطة والإمكانات وقد أشير إلى ذلك في آيات أخرى من القرآن الكريم. لذا ذكر اسمهما هنا.

□ الإعلان عن قدرة الله على قلع القوى العظمى وقمعها، فيه نوع من التهدئة للمؤمنين.

□ إذا ما جاءت كلمة «قرآن» مع الـ التعريف، فيكون المقصود هو القرآن نفسه؛ ولكن بدون ألف ولام فيكون بمعنى المقروء. كما قال تعالى في هذه الآيات: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي أنّ ألفاظ الوحي قُرئت على النبي ﷺ.

التعاليم:

١ ـ في البداية يجب أن نشوّق المستمع، ثمّ نقول ما لدينا: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾.

٢ ـ يجب أن يكون لدينا اطلاع على تاريخ السابقين وأن نعتبر من تصرف الله تعالى فيهم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.

٣ ـ أقوى الجيوش والجنود لا تساوي شيئاً أمام القهر الإلهي: ﴿ٱلْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.

٤ ـ يصّر الكافرون على تكذيب القرآن وتكذيب وعوده: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾.

٥ ـ الظالمون ليسوا خارج مدار قدرة الله تعالى ولا يملكون أي سبيل للفرار؛ ولكنهم لا يعلمون ذلك: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾؛ (كلمة: ﴿وَرَآئِهِم﴾ تدل على غفلتهم عن علم الله تعالى وقدرته).

٦ ـ الله تعالى صاحب المجد والعظمة وقرآنه كذلك: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ... بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾.

٧ ـ اللوح المثبت عليه القرآن، ليس معروفاً بالنسبة إلينا؛ ولكنه محفوظ عند الله: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾.

٨ ـ القرآن الكريم مصان من أي تحريف أو تهديد: ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الطَّارِقِ

السورة: ٨٦ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٧



ملامح سورة الطارق

سورة الطارق مكيّة وعدد آياتها سبع عشرة آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى ويعني القارع على الباب وشبهه.

يدور محور الحديث في هذه السورة حول أمرين: أحدهما التحذير من المعاد والثاني نعمة القرآن ومقامه الرفيع.

تَأَمُّل الإنسان في أصل وجوده أي الماء المهين، يُعِدُّ الأرضية له ليتقبّل قدرة الله المطلقة على خلقه مرّة أخرى وإحضاره لمحكمة يوم القيامة، وكل هذا مأخوذ من الوحي السماوي الصادق، إذ يظن المخالفون أنّ هذا كلام عبث ولهو، في حين أنّه قطعي وحتمي وكل مساعي الكفّار للتآمر عليه، ستنقلب ضدهم.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

إشارات:

□ «الطارق» هو الشخص الذي يأتي ليلاً ويطرق الباب. والطرق هو القرع والدق، و«المطرقة» هي وسيلة القرع والطرق، ويقال للدرب (طريق) لأنه يطرق عليه بالقدم.

□ «ثاقب» من الثقب أي إحداث فتحة، وكأنّ النجوم تثقب سواد الليل بنورها وتُحدِث فيه فتحة. «الصُّلب» أي مُحكم والمقصود به فقرات الظهر، و«الترائب» تطلق على عظام القفص الصدري.

□ «تُبلى» من بلوى بمعنى الامتحان إذ إنه عامل لإظهار الحقائق.

□ في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أن المقصود من الطارق، كوكب زحل وهو نجم أمير المؤمنين وأوصيائه[١].

□ أحضر أشعث بن قيس ـ وكان أحد المنافقين ـ ليلاً، حلوى للإمام علي عليه السلام وطرق الباب، ليرتكب الذنب في النهار بحلوى الليل، فأسماه الإمام الطارق لأنه طرق الباب ليلاً[٢].

□ نقرأ في سورة الانفطار ما يشابه الآية الرابعة لهذه السورة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

التعاليم:

١ ـ تحافظ ملائكة الله على الإنسان وعلى كل أعماله. (تسجل أعماله وتحفظه من

---

(١) تفسير برهان.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢٤.

الحوادث): ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾.

٢ ـ تجب الدراسة الدقيقة لكيفية ولادة الطفل، من انعقاد النطفة إلى خروجه من بطن الأم، فهذا عامل لمعرفة الله ومعرفة المعاد كذلك: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾.

٣ ـ يجب على الإنسان أن يدقق في خلقه؛ لأنّه يملك العقل والعلم والاستعداد: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾.

٤ ـ التنبّه إلى خلق الإنسان، وسيلة للإيمان بالمعاد: ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

٥ ـ المعاد جسماني، ويحيا جسم الإنسان مرّة أخرى في يوم القيامة: ﴿رَجْعِهِ﴾.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

□ «الرجع» هو المطر، وقد يكون سبب التسمية هو رجوع بخار الماء إلى الأرض على شكل مطر. «الصدع» يعني تشقق الأرض لتخرج منها النباتات. و«الهزل» بمعنى الكلام التافه الفارغ من المحتوى. و«الكيد» أي التصميم والتخطيط بغتة وخفاءً.

□ «مهّل» و«أمهل» بالمعنى نفسه وقد جاءتا مع التأكيد، وكلتاهما تعنيان إعطاء المهلة. «رويداً» أي المهلة القصيرة.

□ دور السماء والأرض في إنتاج النبات هو كدور الأب والأم في إنجاب الطفل.

□ نزول المطر واستعداد الأرض هما عاملان ممهدان لرشد النباتات، وكذلك نزول القرآن واستعداد الإنسان عاملان لرشد الإنسان. ذُكِر اسم القرآن إلى جانب اسم المطر.

□ يجب التكلم بصورة قاطعة ومنطقية لرفع الشك. ذِكْر الله للقسم بشكل متتالٍ هو وسيلة لرفع أي شك أو تردد لدى المخالفين، ولتقوية اعتقاد المؤمنين وإيمانهم.

□ ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ بدلاً من (لقول فاصل) تعني أنّ القرآن كلّه كلام فاصل ويفصل بين الحق والباطل. كأنّ نقول: فلان سُكَّر؛ أي أنّه كله حلو.

□ عن النبي الأكرم ﷺ: «ستكون بعدي فتن»، سألوا: وما هو السبيل للنجاة؟ فقال: «كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل» وتلا قوله تعالى. ثم قال: «ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله»[1].

التعاليم:

١ ـ يوم القيامة، هو يوم ظهور أعمال الناس وأفكارهم: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾.

٢ ـ تؤثر دوافع الإنسان وروحياته على قيامته: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾.

٣ ـ القيامة هي يوم إفشاء الأسرار والخجل: ﴿تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾، ولا يستطيع الإنسان أن يكتم ماضيه أو يعوض ما فاته: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾.

٤ ـ رجوع الإنسان يوم القيامة، كرجوع الماء المتبخّر إلى البحر، من السماء إلى الأرض: ﴿عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ... وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾.

٥ ـ قيمة كل موجود مرتبطة بآثاره وبركاته: ﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ... ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾.

٦ ـ القرآن هو الفرقان والفاصل بين الحق والباطل، وليس رواية غير واقعية: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾.

٧ ـ خداع الكفّار دائم وشديد وحتمي، فلا تغفلوا عنه: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾.

٨ ـ يتصرف الله تعالى مع الإنسان على أساس عمله. إذا خطا خطوة في طريق الخير، يهديه الله: ﴿جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾[2] وإذا سعى للكيد، سيُبتلى بالكيد الإلهي: ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾.

٩ ـ القرآن الكريم هو المقياس للتمييز بين الحق والباطل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾.

١٠ ـ الكافرون خصماء لله، وتدبير الله شديد: ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

١١ ـ إنهم يكيدون للمسلمين، ونحن أيضاً سنكيد لهم: ﴿يَكِيدُونَ... وَأَكِيدُ﴾.

١٢ ـ لا تتعجلوا في ردة فعلكم على الأعداء ولا تستعجلوا الله: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

١٣ ـ لا تغفلوا أبداً عن العدو؛ ولكن لا مانع من إعطاء المهلة: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾.

١٤ ـ سعة الصدر، من أحد الشروط اللازمة للقيادة: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾.

١٥ ـ لا ينبغي أن يكون إمهالكم للعدو بالمقدار الذي تُسلب فيه الفرصة منكم: ﴿رُوَيْدًۢا﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الأَعْلَى

السورة: ٨٧ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٩



ملامح سورة الأعلى

سورة الأعلى مكيّة وعدد آياتها تسع عشرة آية.

يُطلق على السور التي تبدأ بتسبيح الله تعالى اسم: «المُسَبِّحات»، وسورة الأعلى هي آخر سور المسبحات.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى التي تصف الله تعالى بالأعلى. تُقسّم مباحث السورة إلى قسمين. القسم الأول فيه خطاب إلى نبي الإسلام الأكرم والقسم الثاني حول المؤمنين والكافرين وعوامل سعادة هذين الفريقين وشقائهما.

أوصت الروايات بتلاوة هذه السورة في الركعة الأولى من صلاة العيدين (عيد الفطر وعيد الأضحى)[١].



---

(١) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾

إشارات:

- تسبيح اسم الله، لا يعني فقط تنزيه ذات الله عن الشريك؛ بل أن لا نجعل حتى لاسمه شريكاً ولا نجعل أسماء الآخرين مع اسمه تعالى. كما كانت تقول بعض الجماعات التلفيقية: «باسم الله وباسم شعب إيران البطل».

- نجد في القرآن الكريم والأحاديث دلائل عدّة تشير إلى اهتمام الإسلام باحترام الأسماء المقدّسة. مثلما ورد في هذه السورة: مضافاً إلى تسبيح ذات الله فيجب أن تنزهوا اسم الله كذلك. ويقول في موضع آخر: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[1]، وينتقد في موضع آخر تسمية الملائكة بأسماء النساء: ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾[2]، وكان النبي ﷺ يغيّر أسماء أصحابه إن لم تكن لائقة.

- وردت مسألة الخلق والهداية كذلك في الآية الخمسين من سورة طه، إذ سأل فرعون، موسى عليه السلام: من ربّك؟ قال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، وليس خافياً أنّ المقصود من هذه الهداية، الهداية التكوينية التي وضعها الله تعالى في الموجودات. مثال على ذلك تركيب جسم الأم الذي هداه الله لتكوين الحليب وهدى الرضيع لأن يلتقط ثدي والدته ويرضع الحليب.

بمرور الوقت، تُفهم الهداية التكوينية للموجودات بشكل أفضل، فقد اندفع آلاف العلماء إلى البحث واحتاروا ليعرفوا كيف ترجع الطيور والأسماك إلى مواطنها حتى بعد أن تبتعد مئات الكيلومترات عنها. وُضعت الهداية الإلهية في كل

---

(١) سورة النور: الآية ٦٣. (٢) سورة النجم: الآية ٢٧.

موجود وهي التي تقوده إلى طريق التكامل. تتحول ذرّات التراب إلى فاكهة، الفاكهة تصبح نطفة، النطفة تتكامل إلى إنسان، ثم يصبح جسم الإنسان تراباً مرّة أخرى.

- «سوّى» بمعنى التنظيم، وهذا التنظيم يشمل المجرّات وما فيها؛ بل وحتى النظام الحاكم على الحشرة التي لا ترى بالعين المجردة. «الغثاء» يعني النبات الجاف والحشيش اليابس، و«أحوى» يعني الخضرة المائلة إلى السواد.
- حتى الورقة الصغيرة والحشيش اليابس لا يترك لحال سبيله. المرج الأخضر الذي تحوّل في نظرنا إلى حشيش يابس وأسود، هو نفسه في نظام الهداية الإلهية يتحول إلى مادة أخرى ضرورية لخصوبة الأرض وقوة الشجر، أو يتجمّع ويبدّل تحت ظروف معيّنة إلى فحم أو أي مادة مفيدة للتراب.

التعاليم:

١ ـ اسم الله مقدّس، فاجتنبوا أي إهانة لاسمه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

٢ ـ لا تقرنوا الأوصاف غير اللائقة باسم الله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

٣ ـ لا تُطلقوا أسماء الله الخاصة به على الآخرين: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

٤ ـ تسبيح الله سبب في رشدكم وتربيتكم: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

٥ ـ تقع مسؤولية محاربة الشرك في الدرجة الأولى على عاتق القائد السماوي ومن ثم على عاتق كل المؤمنين: ﴿سَبِّحِ﴾.

٦ ـ يكون التوحيد الكامل، في ظلّ تنزيه ذات الله وتسبيح اسمه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

٧ ـ إنّ الله أعلى من أي شيء قد يقال أو يُكتب أو يُصوّر. إنّه أعلى من كل الكمالات: ﴿رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

٨ ـ إنّ الله ليس خالقاً فحسب، بل مضافاً إلى ذلك فإنّه منظّم الوجود والموجودات: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾.

٩ ـ قدرة الموجودات وهدايتها، دليل على وجود هدف للخلق: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

١٠ ـ الأوامر الإلهية مصاحبة للحكمة والدليل. سبّح اسم الله لأنّه الأعلى، وهو الذي خلق وسوّى وهدى: ﴿سَبِّحِ... ٱلْأَعْلَى، خَلَقَ فَسَوَّىٰ، وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

١١ ـ تظهر الهداية التكوينية للموجودات بصُوَر مختلفة. قد تكون خضراء وأحياناً يابسة ولكن كليهما في مدار الهداية: ﴿أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

إشارات:

□ «سنقرئك» من مادّة «قرأ»، ومن باب إفعال. والإقراء في اللغة أن يقرأ القارىء ويستمع له الأستاذ ويُصحح أخطاءه، ولكن في ما يخص نبي الإسلام ﷺ فإنّ إقراء تعني أننا سنعطيك القدرة على قراءة القرآن بصورة صحيحة وبدون أي نقص وألّا تنسى ما يُنزّل عليك[1]: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾.

□ جملة ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناء المقصود منه بيان قدرة الله المطلقة، ليعلموا أنّ الله قادر على أن يبتلي النبي بالنسيان حتى بعد أن أعطاه القدرة على عدم النسيان (مثلما قال تعالى عن أهل الجنّة: إن الجنّة خالدة لهم وأن عطاء الله غير مقطوع عنهم، مع هذا فقد قال تعالى بين كلمة: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ و﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[2]. وهذا ليبيّن أنّ قدرة الله غير محدودة).

التعاليم:

١ ـ خلق الوجود وهدايته التكوينية هو مقدمة لهداية البشر المعنوية والتشريعية: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾؛ (ألا يقدر الله الذي أخرج النبات من باطن الأرض، أن يُبرز استعدادات الإنسان المعنوية؟ ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾).

٢ ـ كل ما يملكه الرسول هو من الوحي؛ لذا كان قلقاً من نسيان الوحي في المستقبل، فأعطاه الله الوعد بعدم نسيانه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾.

٣ ـ رسول الله ﷺ مُصانٌ من أي نسيان: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن. (٢) سورة هود: الآية ١٠٨.

٤ ـ كان النبي الأكرم حافظاً للقرآن كلّه: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؛ (من معجزات النبي الأكرم أنّه كان يحفظ حتى الآيات الطويلة إلى الأبد، بمجرد سماعها مرّة واحدة).

٥ ـ قدرة الله غير محدودة ويستطيع أن يسترجع ما كان قد أعطاه: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾.

٦ ـ صحيح أنّ الله لا يخلف وعده أبداً: ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾[1]، ولكن وعد الله لا يعني أنّه مُجبَر: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾.

٧ ـ إرادة الله حكيمة وعالمة: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ...﴾.

٨ ـ تقتضي بعض الأمور بأن تبقى مخفيّة: ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ (جاءت كلمة (يخفى) بصيغة المضارع لتُبيّن أنّ كون بعض الأمور مخفية هو ممّا تقتضيه طبيعة هذه الأمور).

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

- طلب النبي موسى عليه السلام من الله تعالى أمرين لينجح في تبليغ رسالته، سعة الصدر وتيسير أمر الرسالة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾[2]، وقد أعطى الله تعالى هذين الأمرين لنبي الإسلام دون أن يطلبهما. فقد قال عن سعة الصدر: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾[3]، وقال عن تيسير أمر الدعوة في هذه الآية: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾[4].
- المقصود من (نيسّرك)، أيّها النبي سوف نزوّد نفسك الشريفة بخلق عظيم وسعة صدر وصفاء وتواضع، لتتمكن من أداء الرسالة بأفضل الطرق وبيسر. سوف نعمل لأن تكون قادراً على اختيار الطريق الأيسر وهو طريق الفطرة[5].

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٧.
(٢) سورة طه: الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.
(٣) سورة الشرح: الآية ١.
(٤) الميزان في تفسير القرآن.
(٥) المصدر نفسه.

شروط التذكّر والموعظة:

أ) استعداد الواعظ هو شرط للموعظة: ﴿وَنُيَسِّرُكَ... فَذَكِّرْ﴾.

ب) يجب أن تكون الموعظة والتذكير على أساس القرآن الكريم: ﴿سَنُقْرِئُكَ... فَذَكِّرْ﴾.

ج) يجب ألّا يكون الواعظ من أهل الغفلة والنسيان: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ... فَذَكِّرْ﴾.

د) الواعظ الناجح، هو الذي يأمل المدد الإلهي: ﴿سَنُقْرِئُكَ... وَنُيَسِّرُكَ... فَذَكِّرْ﴾.

التعاليم:

١ ـ يشتمل تبليغ الدين ودعوة الناس إلى الله، على صعوبات ومشاكل عدّة، وقد أعطى الله وعده بأن يساعد مبلّغ الدين وييسّر عليه تحمّل الصعوبات: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

٢ ـ إذا ما كلّفتم أحداً بمهمّة، فيسّروا له مهمّته: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ فَذَكِّرْ﴾.

٣ ـ ذكْرُنا للتسبيح، هو مقدمة ليفتح الله لنا الطريق: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى... وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

٤ ـ تذكير الناس هو الهدف من نزول الوحي: ﴿سَنُقْرِئُكَ... فَذَكِّرْ﴾.

٥ ـ الاستعداد لتقبّل النصيحة هو شرط للتذكّر، ولا يتحمل النبي أي مسؤولية تجاه الأشخاص الذين لا يقبلون بالنصيحة: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

٦ ـ الأشخاص الذين يخشون الله هم فقط من يقبل النصيحة: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾.

٧ ـ إسداء النصيحة للذين يخشون الله، أسهل: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ... سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾.

٨ ـ يجب مواساة المبلّغ والتخفيف عنه بأن عمله ليس دون طائل: ﴿فَذَكِّرْ... سَيَذَّكَّرُ﴾.

٩ ـ لا يجدر بالمبلّغ أن يتوقع التأثير الفوري: ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾.

١٠ ـ تكمن مشكلة الكفّار في بعدهم عن النبي والقرآن، لا في اتصاف النبي أو القرآن بالنقص أو الضعف المعيّن: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾.

١١ ـ القرآن ميزان. من يقبل بنصحه يُعطى وسام الخشية: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾. ولمن لا يقبل نصائحه وصحة «الأشقى»: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾.

١٢ ـ الابتعاد عن رسالة القرآن ونصيحته، سبب للشقاء: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾.

١٣ ـ الفرار من النصيحة، سنّة الأشقياء الأبدية: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ صيغة المضارع تدل على الاستمرار والدوام.

١٤ ـ أتعس الناس من لا يخشى الله. جاءت: ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ في مقابل: ﴿يَخْشَىٰ﴾.

١٥ ـ لا تتوقعوا إصلاح كل الناس: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾.

١٦ ـ عامل القبول أو عدم القبول موجود في داخل الإنسان: ﴿يَخْشَىٰ... ٱلْأَشْقَى﴾.

١٧ ـ يكون العقاب على قدر الجرائم: ﴿ٱلْأَشْقَى... ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

١٨ ـ تكون جهنّم للبعض خالدة وأبدية: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

١٩ ـ الخلود في جهنّم، لا يغيّر من طبيعة أهل جهنّم بحيث يعتادون عليها فلا تؤذيهم نارها، بل يبقون في عذاب دائم: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

- التزكية هي تطهير الفكر من المعتقدات الفاسدة، والنفس من الأخلاق الفاسدة، والأعضاء من التصرفات الفاسدة، والزكاة هي تطهير للروح من الحرص والبخل وتطهير للمال من حقوق المحرومين.
- في مذهب الأنبياء، المفلحون هم الطاهرون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، ولكن في مذهب الطواغيت فإنّ المفلحين هم المتجبرون. كان فرعون يقول: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾[١].
- ذكر القرآن الكريم الفلاح الحتمي للمؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢]، وذكره للأشخاص الذين يزكون أنفسهم كذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

---

(١) سورة طه: الآية ٦٤.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ١.

التعاليم:

١ ـ يقول القرآن الكريم في ختام بعض الآيات: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ لأن عمل الخير الذي يقوم به الأشخاص الذين لم يُزكوا أنفسهم، يُمحَق بالرياء والغرور والذنب والمنّ؛ ولكن يقول القرآن بشكل قاطع عن الذين زكّوا أنفسهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

٢ ـ لا تُنالُ التزكية تلقائياً، بل يجب السعي للحصول عليها: ﴿تَزَكَّىٰ﴾.

٣ ـ لا تُنالُ التزكية من دون صلاة وعبادة: ﴿تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

- جاء في الروايات: «**حب الدنيا، رأس كل خطيئة**»[1]، الدنيا جسر للعبور وليست مكاناً للتوقف فيه، يجب عبور الدنيا للوصول إلى المقر الأبدي: «**خذوا من ممرّكم لمقرّكم**»[2].
- ترد كلمة الزكاة في القرآن عادة بعد الصلاة: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾[3]؛ ولكن ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في وقت زكاة الفطرة أنّه قبل صلاة العيد، وتلا قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾».
- عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: ما معنى قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾؟ فقلت: كلما ذكر اسم ربّه قام فصلى. فقال لي: «**لقد كان الله عزّ وجلّ كلف هذا شططاً**»! فقلت: جعلت فداك فكيف هو؟ فقال: «**كلما ذكر اسم ربه صلى على محمد وآله**»[4].

---

(١) الكافي، ج٢، ص١٣٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٤) تفسير نور الثقلين.

□ الآخرة أفضل من الدنيا لأن فيها الخصائص الآتية:

١ ـ الخلود الأبدي: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾[1].

٢ ـ السعة المكانيّة: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

٣ ـ تنوّع الطعام: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ﴾[3]، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾[4].

٤ ـ لا حزن ولا خوف فيها: ﴿ءَامِنِينَ﴾[5].

٥ ـ فيها أصدقاء أوفياء: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[6].

٦ ـ أزواج جميلون: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[7].

□ نقل أبو ذر (رض) عن النبي الأكرم أنّ الله أرسل مئة وأربعة وعشرين ألف نبيّ، ٣١٣ رسولاً والبقية كانوا أنبياء وبالمجموع كان عندهم مئة وأربعة كتب[8].

التعاليم:

١ ـ حب الدنيا مانع من التزكيّة: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾.

٢ ـ الدنيا ليست سيئة، وتكون موضع انتقاد إذا ما رُجّحت على الآخرة: ﴿تُؤْثِرُونَ﴾.

٣ ـ إذا انتقدتم شيئاً، فعليكم بالمقابل تقديم المثال الجيد واقتراح الحل: ﴿تُؤْثِرُونَ... وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾.

٤ ـ ذكر الله الدائم والمستمر، هو الطريق لتطهير قلب الإنسان وفكره: ﴿تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

٥ ـ التنبّه إلى مظاهر الربوبية، عامل لذكر الله: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

---

(١) سوة آل عمران: الآية ١٥.
(٢) سورة الحديد: الآية ٢١.
(٣) سورة محمد: الآية ١٥.
(٤) سورة الزخرف: الآية ٧٣.
(٥) سورة الحجر: الآية ٤٦.
(٦) سورة الحجر: الآية ٤٧.
(٧) سورة الواقعة: الآية ٢٣.
(٨) الميزان في تفسير القرآن.

٦ ـ يجب أن تكون الصلاة على أساس الذكر والتوجه، وألّا تكون ناشئة عن الغفلة والعادة: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

٧ ـ سيُفلح المصلّون إذا ما زكّوا أنفسهم وذكروا الله: ﴿تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

٨ ـ الكُتُب السماوية، متناغمة مع بعضها وتصب في جهة واحدة: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

٩ ـ لكتب النبي إبراهيم والنبي موسى مكانة مميّزة بين الكتب السماوية: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الغَاشِيَةِ

السورة: ٨٨ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٦



ملامح سورة الغاشية

نزلت هذه السورة في مكّة وعدد آياتها ست وعشرون آية.

«الغاشية» من أسماء يوم القيامة وقد وردت الكلمة في أول آية من السورة وهي اسم السورة كذلك.

تتحدّث هذه السورة مثل باقي السور المكيّة عن أوضاع أهل الجنّة وأهل النار في يوم القيامة، وتُنذر المشركين وتبشر المؤمنين.

وتتعرّض السورة لبيان دلائل القدرة الإلهية في خلق الأرض والسماء وبعض الموجودات، وفي هذا استدلال على وحدانية مبدإ الوجود ودليل أيضاً على قدرة الله على خلق الإنسان مرة أخرى
في يوم القيامة، وفي النهاية، يأمر الله تعالى نبيّه بأن يذكّر الناس بشكل دائم ويرشدهم ويجب أن يعلم أنّه ليس من المفروض أن يؤمن الجميع به، وقد أراد الله أن يختار البشر طريقهم بأنفسهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾

إشارات:

- «الغاشية» بمعنى المُغطّية، والمقصود بها هو يوم القيامة التي تُلقي بغطائها على الجميع. «عاملة» أي ساعية، و«ناصبة» العمل الشاق الذي يرهق الإنسان، «حامية» أي ساخنة جداً، و«آنية» هي أقصى درجات الاحتراق.
- قد يكون المقصود من الوجوه في الآية، أصحاب الوجوه المعروفة والمشهورة. أي الوجوه المعروفة من كلا الفريقين السيىء والجيد.
- عن الرسول الأكرم ﷺ أن الضريع هو شيء في جهنّم شبيه بالشوك أنتن ريحاً من الجيفة وأحمى من النار ومُرٌّ جداً[١]. قد يكون تسمية هذا الشوك بالضريع لأن تناول هذا الشوك يدفع الإنسان إلى الصراخ والتضرّع.
- توجد أعمال شاقة جداً تُنجز في الدنيا ولكنها تُحبط لأنها بدون إخلاص أو لأنها لم تُنجز طبقاً للأوامر الإلهية، أو قد تُحبط لأنّها مختلطة بالعُجب والغرور والمنّة والذنب والشرك، وتذهب سُدى، ولا يكون لها أي قيمة يوم القيامة.
- في الرؤية الكونية الإلهية، يجب أن يكون عنصر العمل في جهة عنصر الهدف والقيادة نفسيهما.

التعاليم:

١ ـ حادثة يوم القيامة أخاذة ومذهلة لدرجة أنّه لا ينبغي على أحد أن يغفل عن ذكرها: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

٢ ـ لن يكون كل سعي ومشقة مفيداً في يوم القيامة: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾.

٣ ـ الفريق المخلص هو فقط من سيستفيد من سعيه: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾.

٤ ـ المعاد جسماني؛ لأن السمنة والنحافة لا تصحّ إلا في الحديث عن الأجسام: ﴿لَّا يُسْمِنُ﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾﴾

إشارات:

▫ «ناعمة» أي أنها تحيا في نعمة ورخاء، و«لاغية» بمعنى الكلام الفارغ التافه.

التعاليم:

١ ـ تنعكس السعادة والرخاء الحقيقيان على الوجه: ﴿وُجُوهٌ... نَّاعِمَةٌ﴾ لون الوجه يُخبر عن سر الضمير.

٢ ـ نِعم الجنّة والألطاف الإلهيّة الخاصّة هي من نتائج السعي والعمل: ﴿نَّاعِمَةٌ لِّسَعْيِهَا﴾.

٣ ـ صعوبة العمل في الدنيا هي أمر عابر؛ ولكنها السبب في السعادة والفلاح الأخرويين الدائمين: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾.

٤ ـ الجنّة هي نقطة اعتلاء ماديّة ومعنوية: ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

٥ ـ الأشخاص الذين يبتعدون عن اللغو في الدنيا، سيحيون في العالم الآخر في محيط بعيد عن اللغو: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾.

٦ ـ لا يوجد لغو في الجنّة ولا حتى كلام قد يبعث على اللغو: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

- كلمة «عين» تعني النبع، وتقال للنبع الواحد أو لينابيع عدّة، وبدليل الآية ١٥ من سورة الذاريات فإنّ في الجنة عيوناً عدّة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.
- «سُرر» و«سرور» من الجذر نفسه. وتُطلق سرير على التخت المصنوع بهدف السرور. وتدل كلمة «مرفوعة» على المكانة الرفيعة لسُرر في الجنّة المُطلّة على مناظر الجنّة الخلّابة.
- «أكواب» جمع كوب وتعني القدح الذي لا عروة له. ورد في الآيات ١٧ و١٨ من سورة الواقعة، أنواع مختلفة للأكواب: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.
- «نمارق» جمع نمرقة بمعنى الوسادة الصغيرة يُتكأ عليها. «زرابي» تعني البساط الفاخر المحاك بالذهب.

التعاليم:

١ ـ ليس بالإمكان إدراك عظمة ينابيع الجنّة: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾؛ (جاءت كلمة (عين) بصيغة النكرة).

٢ ـ مقام أهل الجنّة رفيع وعالٍ، فلا يجلسون على الأرض: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات:

- لو امتلك الإنسان روح التأمل والتفكر، فسيكون كل الكون بالنسبة إليه درساً للعبرة. الراعي في الصحراء، وكأنّه يجلس في أكبر مكتبة للمطالعة، من فوقه السماء ومن تحته الأرض، الجبال من حوله والجمال أمامه، وإذا دقق في كل

منها، فسيكتشف أسراراً عدّة. على سبيل المثال، يركض الجمل أكثر من الحصان، يحمل أحمالاً أكثر من الحمار. يُستفاد من لحوم بعض الحيوانات، ويُستفاد من حيوانات أخرى للركوب فقط، ويُستفاد من لبن حيوانات أخرى. ولكن بالنسبة إلى الجمل، فيُستفاد منه في كل الموارد السابقة. تحمي جفونه عيونه من تراب الصحراء وغبارها، ويدخر في سنامه الدهون والغذاء ويقاوم الجوع، يُخزّن الماء في جسمه ويقاوم العطش. يعرف الطريق، وهو هادىء ومطيع جداً بحيث تنقاد مئة من الإبل لجمّال واحد. خُلق باطن قدمه لتحمل الحصى والشوك، رقبته سلَّم للصعود ووسيلة لحمل الأثقال. وخلاصة لكل هذا فهو كما يقول العرب: سفينة الصحراء. الحيوان الأكثر قوة، الأقل تكلفة، الأكثر فائدة، الأكثر تحملاً وهدوءاً.

- لم توجد السماوات والجبال والأرض عن طريق الصدفة؛ ولكنها خُلقت وفقاً للحكمة ووُضعت في أماكنها.

- كل نعمة لها جانب بارز (في الجمل، النحو الذي خُلق عليه. في السماء، ارتفاعها. في الأرض، سعتها. وفي الجبال، طريقة نصبها).

- تُعتبر السماوات، الكواكب، مدار الكواكب وطريقة نظمها وحسابها والتي يُكتشف كل يوم جزءٌ من عجائبها، من المجالات الدائمة للتأمل والمطالعة والكشف.

تحفظ الجبال الأرض من الزلازل الناشئة عن غليان المواد في باطن الأرض، إذ إنّ الجبال راسخة في أعماق الأرض كالمسمار، وتمتد على طول الأرض على شكل سلاسل. تُخزن الجبال الثلج وترسله تدريجياً، تحول دون الطوفان وهي سبب لتنقية الهواء. تُعدّ مخزناً لأنواع المعادن والمواد الصناعية وهي علامات للمسافرين وأرض خصبة لنمو بعض النباتات. تُعد بعض جبال الأحجار الكريمة من مثل العقيق للزينة أو المرمر للبناء، ثروة غير متناهية للبشر. والخلاصة أن هذه الآيات تشير إلى مسألة معرفة الكون وإلى مسائل أخرى مثل الزراعة وتربية المواشي والصناعة وأمور الفضاء.

التعاليم:

١ ـ يؤنب الله تعالى الأشخاص الذين لا يتعمقون في كشف حقائق الوجود: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾.

٢ ـ تجاوزوا المحسوسات لتصلوا إلى المعقولات: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ...﴾.

٣ ـ لا تشكّوا في المعاد ونعم الجنّة الخاصة، ألم تروا عجائب خلق الله في الدنيا؟: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾.

٤ ـ كما أنّ أصل الخلق دليل على وجود الله، فإنّ تركيب المخلوقات وكيفية خلقها كذلك، دليل على قدرته وعلمه وحكمته. (تكرار كلمة كيف).

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

- التذكير هو لإتمام الحجّة، لكي لا يقول الكافرون يوم القيامة: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ﴾[1]، بالطبع، فإنّ أصحاب العقول المفكرة هم فقط من يعتبرون: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

- أمر الله تعالى نبيّه في السورة السابقة (سورة الأعلى) بالتذكّر فقال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

ويقول تعالى كذلك في هذه السورة: عليك بالتذكير ولكن اعلم أنه يوجد من سيُعرض وسيعذبه الله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ عل كل، فإنّ: ﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ في سورة الأعلى و﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ في هذه السورة هما عقاب الأشخاص الذين لا يتذكرون ويلقون بالنصائح الإلهية وراء ظهورهم.

---

(١) سورة طه: الآية ١٣٤.

(٢) سورة الرعد: الآية ١٩.

□ ﴿بِمُصَيۡطِرٍ﴾ من (سطر) و(سيطرة) وتُطلق على الشخص الذي يضع الجميع تحت إمرته وينظمهم بالجهة التي يريدها.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كل أمة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم**»[١] مثلما ورد في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾[٢].

□ نخاطب المعصومين في الزيارة الجامعة بالقول: «**وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم**»[٣].

وقد نقل هذا المعنى كذلك عن الإمام الكاظم والإمام الباقر والإمام الهادي عليهم السلام[٤].

□ جملة: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ هي استثناء من جملة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾. يعني أيها النبي أنت مذكّر ولكن تذكيرك لا يؤثر في الكافرين.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام، أنّ العذاب الأكبر هو العذاب الشديد الأبديّ[٥].

التعاليم:

١ ـ النبي مسؤول عن واجبه وتكليفه لا عن النتيجة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾؛ (كان النبي قلقاً حيال هداية الناس، فقال له الله تعالى: إنّ مهمتك هي تذكير الناس فقط).

٢ ـ وظيفة الأنبياء هي التذكير لا التسلّط والإجبار على الإيمان: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾.

٣ ـ لا يسقط التكليف بعدم اكتراث الناس: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾.

٤ ـ منشأ الكفر هو العناد والابتعاد عن الحق والحقيقة: ﴿مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾.

---

(١) البحار، ج ٨، ص ٣٣٩.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٦.
(٣) مفاتيح الجنان.
(٤) الميزان في تفسير القرآن.
(٥) تفسير نور الثقلين.

٥ ـ عذاب الله له درجات: ﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾.

٦ ـ لا يمكن لأحد أنّ يفرّ من العذاب الإلهي: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾.

٧ ـ الحساب هو من السُّنن التي أوجبها الله تعالى على نفسه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الفَجْرِ

السورة: ٨٩ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣٠



ملامح سورة الفجر

سورة الفجر مكيّة وعدد آياتها ثلاثون آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى. والفجر هو فترة ما قبل شروق الشمس.

مثل باقي السور المكيّة، فإنّ آيات هذه السورة قصيرة وقارعة ومُنذرة.

تحتوي هذه السورة على أجزاء عدة، وتبدأ بالقسم بالأوقات المختلفة مثل الليل والسحر والفجر، وتشير إلى ما آل إليه حال الأقوام الطاغية والمعاندة.

وتتحدث سائر آيات السورة عن سنة الله في الابتلاء والامتحان وردة فعل الناس في مقابل الامتحان، وكذلك تتحدث عن حضور الإنسان في محكمة يوم القيامة وإظهار الضالين للحسرة والندم، وإظهار الصالحين للرضا.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

▫ الفجر يعني شقَّ منفذ أو طريق، والمقصود به أنّ ضوء الصباح يشقّ الظلام وهو وقت مقدّس وقيّم، وفي ذلك الوقت، تنشط الأحياء وتقوم لتبدأ يوماً جديداً.

وقد ورد في حديث أنّ الفجر هو القائم عليه السلام، الذي يشقُّ صبحُ قيامه، ليلَ الظلم والفساد[1].

▫ «الحجر» في الأصل هو المنع والمقصود به هنا هو العقل، الذي يمنع الإنسان من ارتكاب مخالفة. مثلما أنّ «محجور» يعني أنه ممنوع من التصرف.

▫ جاءت في الروايات مصاديق عدّة تقول إنّ «شفع» بمعنى زوج و«وتر» يعني فرد، من بينها ما ورد من أنّ المقصود من وتر، هو يوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) والمقصود من الشفع، اليوم العاشر من ذي الحجة (يوم عيد الأضحى) أو أنّ المقصود من الشفع، جبلا الصفا والمروة، والمقصود من الوتر، الكعبة لأنها واحدة. أو أنّ المقصود من (وتر) الله الواحد والمقصود من (شفع) المخلوقات، حيث إنها أزواج، أو أنّ المقصود هو صلاة الشفع والوتر المستحبة في وقت السحر، أو أنّ المقصود من الشفع هو اليومان التاسع والعاشر من ذي الحجة وأنّ الوتر هو ليلة المشعر[2].

▫ الوقت، أمر مهم جداً، بل هو أمر مقدّس ولا يجب أن نهدره من دون فائدة. لقد أقسم الله تعالى بكل الأوقات: ﴿وَٱلصُّبْحِ﴾[3]، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[4]،

---

(١) تفسير البرهان.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) سورة المدثر: الآية ٣٤.

(٤) سورة الضحى: الآية ١.

﴿وَٱلنَّهَارِ﴾[١]، ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾[٢] والمُلفت، أنّ الله تعالى قد أقسم بوقت السحر ثلاث مرّات: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٣]، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[٤]، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[٥].

□ إمّا أن يكون المقصود من (ليال عشر)، العشر الأواخر من شهر رمضان والتي تقع فيها ليالي القدر أو الليالي العشر الأولى من شهر ذي الحجة والتي تشمل يوم عرفة ويوم عيد الأضحى.

التعاليم:

١ ـ الزمان مقدّس ويمكن القسم به: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾.

٢ ـ تتمتع بعض الأيام بقداسة خاصّة: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾.

٣ ـ تتمتع الساعات الأخيرة من الليل، والتي يسلك فيها العارفون السبل المعنوية، بقداسة خاصة: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾.

٤ ـ يخاطب القرآن الكريم، أصحاب العقول: ﴿لِّذِى حِجْرٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

□ كان قوم عاد فريقين، عاد القديمة وعاد الجديدة؛ بدليل الآية: «عاد الأولى»، وقد قطنوا منطقة الأحقاف بعد النبي نوح عليه السلام. وكانوا أصحاب أجسام قوية وكبيرة وأصحاب قدرة عظيمة وكانت مدينتهم معمورة.

□ إمّا أن تكون (إرم) الاسم الثاني لقبيلة عاد وإما اسماً لشِق من القبيلة أو اسم

---

(١) سورة الشمس: الآية ٣.
(٢) سورة العصر: الآية ١.
(٣) سورة الفجر: الآية ٤.
(٤) سورة التكوير: الآية ١٧.
(٥) سورة المدثر: الآية ٣٣.

منطقة كان قوم عاد يعيشون فيها إذ كان لمساكنهم أعمدة مرتفعة وكبيرة. ذهب بعضٌ إلى أنّ إرم هي مما عمّره شدّاد وقال بعضٌ آخر إنها ممّا عمّر الإسكندر في الإسكندرية.

- «صخر» جمع صخرة وهو الحجر الكبير والصلب، وتُطلق (واد) على المسافة بين الجبل والتلة.
- العماد يعني بناء مرتفع أو عامود. وتُطلق «ثمود» على أعراب ما قبل التاريخ الذين سكنوا في شمال شبه الجزيرة العربية وهم قوم كان صالح عليه السلام، نبيّهم.
- «جابوا» تعني تقطيع الصخر، وكلمة «جواب» المشتقة من هذا الجذر تعني قطع السؤال بالجواب الصحيح.
- يظهر أن قوم ثمود جاؤوا بعد قوم عاد لأن اسمهم ذُكر بعدهم.
- يدل العذاب الذي نزل بعاد وثمود على أن الله للظالمين بالمرصاد.

إنّ الله بالمرصاد يعني أنّه ليس للمجرمين سبيل للفرار وسيقعون في الكمين فجأة. الأبنية المحكمة والعالية لن تمنع القلع والقمع الإلهي ولا ينبغي أن يبعث ارتفاع البناء على الشعور بالأمن من قهر الله.

- إمّا أن يكون المقصود من (ذي الأوتاد) أن دعائم حكومة فرعون كانت محكمة، وإمّا أن فرعون كان يدق الأوتاد في أجساد المخالفين له، وإمّا أنّه كان يملك جيشاً عظيماً.
- كلمة «صب» تعني السكب. ويشير تعبير صبّ العذاب إلى أنّ العذاب نزل عليهم بشكل متوالٍ ودائم[1].
- كيف لا يكون الله بالمرصاد وهو أقرب إلينا من حبل الوريد؟: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2].

---

(١) تفسير راهنما.

(٢) سورة ق: الآية ١٦.

التعاليم:

١ ـ لا تنسوا تاريخ قلع المعتدين وقمعهم: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ ـ إبادة الطاغين، من مظاهر تجلّي ربوبية الله تعالى: ﴿فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، وكما قال سعدي:

الرحمة على النمر حاد الأنياب هي ظلم في حق الخراف

٣ ـ الاعتبار من التاريخ هو دليل على العقل والفهم: ﴿لِّذِى حِجْرٍ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

٤ ـ عَلِم الرسول الأكرم ﷺ بما جرى لعاد وثمود عن طريق الوحي: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٥ ـ ابتكر قوم عاد العمارة باستخدام الصخر، وكان أمراً خاصاً بهم: ﴿الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ﴾.

٦ ـ لا يمنع الاختلاف والتضاد الفكري من بيان فنّ الآخرين وابتكارهم: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ﴾.

٧ ـ القوة والسلطة الخالية من المعنويات، عامل لاختلال الأمن: ﴿جَابُوا الصَّخْرَ... ذِى الْأَوْتَادِ... طَغَوْا فِى الْبِلَادِ﴾.

٨ ـ الطاغي والطغيان ليس لهما حدود: ﴿طَغَوْا فِى الْبِلَادِ﴾ (المقصود بالبلاد هو كل المناطق التي كانت أيديهم تصل إليها).

٩ ـ الطواغيت هم رأس الفساد والضلال: ﴿طَغَوْا فِى الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾.

١٠ ـ إذا لم تكن الحضارة مقرونة بالتقوى والصلاح، فستكون سبباً للسقوط والهلاك: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

١١ ـ قد يحتاج المربّي أحياناً إلى السوط: ﴿رَبُّكَ سَوْطَ﴾.

١٢ ـ لا يُرفع الطغيان والفساد إلّا بالقهر: ﴿طَغَوْا...﴾.

١٣ ـ لا يغرّنكم الإمهال لأنّ الله بالمرصاد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

١٤ ـ العذاب الدنيوي مقارنة بالعذاب الأخروي هو كالجَلْد بالسوط، ألمه مؤقت وآثاره سطحية وتبقى على الجلد فقط: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

إشارات:

- ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ يعني الأكل دفعة واحدة، بدون التدقيق في ما إذا كان المأكول حلالاً أم حراماً وهل أضيف إليه من مال الآخرين أم لا. «اللم» مصدر لممت بمعنى الجمع والضم.
- جمّاً يعني الكثير والمُخزّن.
- قال رسول الله ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم معاً في الجنة»**[١].
- امتحان الناس هو من السُّنن الإلهية الثابتة والحتميّة، وبالطبع فإنّ الامتحان ليس بهدف كسب العلم ولكن لإظهار الصفات ولإبراز سعي البشر، ليُعطى على أساسه الأجر والثواب.

الامتحانات الإلهية متعددة، فقد يمتحن الإنسان أحياناً بالثروة والرفاه وأحياناً قد يُمتحن بالحاجة والمشكلات. ولكن الإنسان العجول الغافل عن الامتحانات الإلهية وأهدافها، يحلل ويفسر الأحداث بطريقة خاطئة ويشتكي من الله.

التعاليم:

١ ـ الامتحانات الإلهية، هي تجلٍّ لترصّد الله للإنسان: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ...﴾.

٢ ـ الامتحان هو وسيلة لتربية الإنسان ورشده: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾.

٣ ـ ما يصل للإنسان هو من لطف الله عليه لا لاستحقاق منه لذلك. إذاً فلا يجب

---

(١) تفسير نور الثقلين.

أن نغفل عن الامتحان ونُصاب بالعجب والغرور: ﴿...فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾.

٤ ـ الفقر ليس دليلاً على الإهانة والغنى ليس دليلاً على الكرامة، ولكن كليهما وسيلة للامتحان: ﴿ابْتَلَاهُ... فَأَكْرَمَهُ، ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾.

٥ ـ روح اليتيم أهم من جسمه ويجب تقديرها: ﴿تُكْرِمُونَ﴾.

٦ ـ عوّضوا بالاحترام والمحبة عن النواقص الروحية. (أول ما ينتظره اليتيم هو أن تحترموا شخصيته): ﴿تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾.

٧ ـ لا تحكموا على أعمال الله بطريقة خاطئة. لا تظنّوا أنّ قلة الرزق ناشئة عن عدم اكتراث الله بكم ولكنه نتيجة لأعمالكم: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾.

٨ ـ الإحسان إلى الآخرين له دور مهم في رزق الإنسان: ﴿لَا تُكْرِمُونَ... فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾.

٩ ـ لا ينبغي أن يبقى المحتاجون جوعى. يجب أن نساعدهم بالإنفاق وبتشجيع الآخرين على مساعدتهم: ﴿تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

١٠ ـ دققوا في مداخيلكم المالية، لا يجب أكل أي خبز حرام: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾.

١١ ـ حب المال أمر فطري، ولكن التعلق الشديد به هو المذموم: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾.

١٢ ـ تكريم الله لكم يجب أن يكون دافعاً لتكرموا اليتيم: (أكرمه) ﴿فَأَكْرَمَهُ... لَا تُكْرِمُونَ﴾.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

□ «الدك» يعني الكبس والتسوية، والدكّة والدكّان هو المكان الذي تُسوى أرضه وتُمهّد لعرض البضائع.

□ عن الإمام الرضا عليه السلام: إنّ مجيء الله في الآية هو مجيء أمره سبحانه، وليس

مجيئه بنفسه[١]. وفي الآية ٣٣ من سورة النحل يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾.

❑ المقصود من: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، أي كشف الغطاء عن جهنّم. مثلما ورد في موضع آخر: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾[٢].

❑ عندما نزلت آية: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، اغتمّ رسول الله ﷺ بشكل لم يجرؤ معه أحد على أن يكلمه[٣].

التعاليم:

١ ـ ينهى الله الإنسان عن حب المال الشديد وأكل حق الآخرين: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ ...كَلَّآ...﴾.

٢ ـ ذِكر القيامة هو العلاج للحرص وحب المال: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ... وَتُحِبُّونَ الْمَالَ...كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾.

٣ ـ القيامة هي يوم حكومة أمر الله المطلقة: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾.

٤ ـ تتبيّن قدرة الملائكة يوم القيامة من رعاية النظم والتراتبية: ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

٥ ـ لا ينفع الندم والتذكر يوم القيامة: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾.

٦ ـ القيامة، يوم تنبّه الإنسان وتذكره لأعماله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾.

٧ ـ تظهر جهنّم في يوم القيامة: ﴿وَجِاْيٓءَ... بِجَهَنَّمَ﴾.

٨ ـ يوم القيامة، يوم الحسرة: ﴿يَا لَيْتَنِي﴾.

٩ ـ لا ينفع التمني، بل يجب السعي: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾.

١٠ ـ الحياة في يوم القيامة هي الحياة الحقيقية والأبدية: ﴿لِحَيَاتِي﴾.

١١ ـ الله الرحيم، يكون شديداً في موضع لزوم ذلك: ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة النازعات: الآية ٣٦.

(٣) البحار، ج ١٠٥، ص ١٠٣.

١٢ ـ قد يكون ثمة شبيه لعذاب الله الدنيوي، ولكن العذاب الأخروي ليس له شبيه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

١٣ ـ لا يمكن الفرار من العذاب يوم القيامة: ﴿لَّا يُعَذِّبُ... وَلَا يُوثِقُ﴾.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

- تتحصّل النفس المطمئنة والقلب الهادىء، بذكر الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1] وأفضل ذكر لله هو الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[2].
- الرضا والإرضاء من علائم النفس المطمئنة، فهي راضية عن الله والله تعالى راضٍ عنها.
- سئل الإمام الصادق عليه السلام: هل يرضى المؤمن بتسليم روحه؟ قال عليه السلام: «**لا يقبل في اللحظة الأولى، ولكن الملاك المأمور بقبض روحه يواسيه بالقول له أنا أرحم بك من والدك، افتح عينيك، فيفتح عينيه، فيرى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً وفاطمة والحسن والحسين وباقي الأئمة عليهم السلام. فيقول الملاك: هؤلاء هم رفقاؤك، فيرضى المؤمن عند رؤية ذلك المشهد وفي تلك اللحظة يسمع الخطاب القائل: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾**»[3].

التعاليم:

١ ـ الإنسان بروحه، والجسم هو مركب للروح: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾؛ (خاطب الله تعالى النفس).

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨.
(٢) سورة طه: الآية ١٤.
(٣) الكافي ج٣، ص ١٢٨.

٢ ـ لا تكون الجنّة جنّة، من دون أصدقاء ورفقاء: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾.

٣ ـ للجنة أنواع ودرجات: ﴿جَنَّتِي﴾، كما ذكر القرآن في مواضع عدّة: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ البَلَدِ

السورة: ٩٠ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٠



ملامح سورة البلد

سورة البلد مكّيّة وعدد آياتها عشرون آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والمقصود من (البلد) مدينة مكّة، التي أقسم بها الله تعالى.

تبدأ السورة بالقسم، وتعتبر أن الدنيا مكان للمشقة والسعي وتشير إلى نظام التكاثر والتناسل عند الإنسان.

ومن ثم توبّخ الناس المغرورين الغافلين، وتشير إلى النعم القيّمة التي أعطاها الله تعالى للإنسان، وتوضح أن طريق شكر هذه النعم هو إعطاء المحرومين وخدمة الأيتام.

ينقسم البشر إلى فريقين مقابل هذه النعم، فريق شكور وله عاقبة حسنة ومباركة، وفريق كفور وتنتظره نهاية مشؤومة وقاسية.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾

إشارات:

- استُعملت جملة «لا أقسم» ثلاث مرّات في القرآن الكريم، وقد فسّرها أهل التفسير على صورتين، قال فريق إنّ اللام زائدة واعتبروا أنّ معناها (أقسم)، وقال فريق آخر إنّ معناها لا أقسم، بمعنى أنّ المسألة واضحة جداً لدرجة أنها ليست بحاجة للقسم.
- المقصود بالبلد، هو مكّة التي كانت تتمتّع بالاحترام حتى قبل الإسلام. مكّة هي الحرم الإلهي الآمن وأول بيت وُضع للناس.
- فُسّرت جملة: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ بأكثر من معنى، أحدها أنّك مقيم في البلد والمعنى الثاني أنّ أهل مكّة أحلّوا إهانتك في هذا البلد، فلن أقسم بالمدينة التي أحلّت إهانتك[1]. والمعنى الثالث أنّه يا أيها الرسول، يدك مبسوطة للتصرف في هذه المدينة وتستطيع أخذ أي قرار بخصوص المخالفين في فتح مكّة.
- «كَبَد» بمعنى المشقة والصعوبة و«لبد» يعني الصوف المتراكم. وقد ذهب بعضهم إلى أنّ كبد بمعنى منتصب القامة والمعتدل[2].
- كون خَلْق الإنسان مجبولاً بالتعب والمشقة، يعني أنّ المكاسب الدنيوية مصاحبة للتعب والمشقّة. قال الإمام علي عليه السلام: **«دار بالبلاء محفوفة»**[3].
- استند بعض المفسرين إلى تفسير «البلد» بمكّة، فقالوا إنّ المقصود من الوالد وما ولد هو إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، ولكن بناءً على ما ورد في مجمع

---

(١) ورد هذا المعنى في حديث في كتاب البحار، ج ٢٤، ص ٢٨٤.

(٢) لسان العرب (من قول عن تفسير راهنما).

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢٦.

البيان فإنّ المقصود هو النبي آدم والأولياء من ذريّته.

□ جاء في الحديث أنّ عمرو بن عبد ود في غزوة الخندق هو من قال: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾؛ إذ قال إنني أنفقت الكثير لمحاربة الإسلام ولكني لم أفلح[1].

التعاليم:

١ ـ يُمكن لبعض البلاد أن يكون لها قداسة خاصّة ومدينة مكّة كانت موضعاً للاحترام والقسَم منذ القدم: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾.

٢ ـ قد يشير التكرار أحياناً إلى العناية والعظمة: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدِ... هَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾.

٣ ـ تأخذ المدينة قيمتها من الساكنين فيها: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾، (قسما بمكة، لتواجد النبي فيها).

٤ ـ لا يوجد فرق بين البنت والولد في البنوة: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾.

٥ ـ حياة البشر محفوفة بالمشقة والصعوبات: ﴿فِي كَبَدٍ﴾.

٦ ـ كل مال لا يُصرف في طريق الحق سيكون سبباً للحسرة: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾.

٧ ـ الإنسان خاضع لسيطرة القدرة والعلم الإلهي: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ... أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

٨ ـ نتيجة كل محاسبة لا يكون لله مكان فيها، الفساد والضرر: ﴿أَيَحْسَبُ... أَيَحْسَبُ﴾.

٩ ـ ما معنى أن يرى الإنسان نفسه أكبر من الله؟: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.

١٠ ـ الأشخاص الذين لا ينفقون في الطريق الصحيح، أو أنهم ينفقون في مواضع لا نفع منها، أو أنّ نيتهم ليست خالصة لله تعالى وفيها رياء، وكذب، وعجب، سيندمون في المستقبل: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾

إشارات:

- «نجد» بمعنى المكان المرتفع، في مقابل «تهامة» بمعنى المنحدر. ووفقاً لقول الإمام الصادق عليه السلام يُطلق على طريقي الخير والشر، النجدان[1].

قد يكون السبب في تشبيه طريقي الخير والشر بالطرق في المرتفعات، أنّ سلوك طريق الخير بما فيه من محاربة لهوى النفس، وسلوك طريق الشر بما فيه من عواقب قاسية، كالسلوك في الطرق الجبلية. ومسألة الخير والشر واضحة وبارزة لكل شخص عاقل كالأرض المرتفعة.

- «عقبة» أي مضيق والممر الضيق والصعب، و«الاقتحام» يعني رمي النفس في الصعوبات. «مسغبة» تعني مجاعة. «مقربة» تعني القربى، و«متربة» من تراب وتعني الجلوس على التراب.

- نقرأ في حديث أنّ الإمام الرضا عليه السلام عندما كان يجلس إلى الطعام كان يختار من الطعام الموجود أفضله ويعطيه للفقراء وكان يتلو آية: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ ويقول: «**علم الله عزّ وجلّ أن كل أحد لا يقدر على فك رقبة فجعل إطعام اليتيم والمسكين مثل ذلك**»[2].

- قرأنا في الآية السابقة: أيحسب الإنسان أن لا أحد يراه؟ونقرأ في هذه الآية: ألم نجعل له عينين؟ فكيف يرى الإنسان؟ ويظن بأنّ الله لا يراه؟

- جعل الله تعالى للعين أكثر من محافظ:

مكانها في حفرة داخل العظم، ولأنها مصنوعة من شحم، فقد خلطها بالدمع المالح لكي لا تفسد.

---

(١) الكافي، ج ١، ص ١٦٣.　(٢) تفسير نور الثقلين.

الرمش حارس والجفن غطاء للعين. الحاجب مظلّة للعين وخطوط الجبين توجه العرق إلى جانبي الوجه.

تصوّر العين كل يوم عشرات الآلاف من الصور الملوّنة دون الحاجة إلى فيلم أو تنظيم خاص. أليس وجود آلة تصوير مصنوعة من الشحم وتعمل عشرات السنين تصوّر الأفلام والصور، دليلاً على الإعجاز الإلهي؟!

العين مظهر العاطفة، والغضب، ومظهر التعجب والأدب، ومظهر الجمال والعشق.

تربط العين الإنسان بالعالم الخارجي، واللسان هو وسيلة ارتباطه بباقي الناس وهو أفضل، وأرخص، وأسهل، وأكثر وسيلة تستخدم للتبادل العلمي والثقافي والاجتماعي. وقد يكون تأكيد القرآن على العينين؛ لأن تخمين مسافة الأشياء وفاصلتها وعمقها غير مقدور بعين واحدة.

ولا ننسَ أنّ للعين دوراً خاصاً في جمال الأشخاص، وهي وسيلة لمعرفة الأشخاص، فلو قام شخص بتغطية أذنه أو فمه، فبمقدورك التعرف عليه، ولكن إذا ما غطّى عينيه يصعب التعرّف عليه.

العين بوابة القلب والعشق. يقول الشاعر:

أشكو وأنوح بسبب عيني وقلبي ... فكل ما تراه عيني يشتهيه قلبي
سأصنع خنجراً نصله من الفولاذ ... سأغرزه في عيني ليتحرر قلبي

- العين هي وسيلة للنفوذ إلى الآخرين. ثمة اختلاف كبير بين الطالب الذي يرى الأستاذ وينظر في عينيه وبين الطالب الذي يسمع المحاضرة عن طريق مكبّر الصوت أو المسجل.

- يتعاون اللسان والشفتان على صنع الكلمة وبدون هذا التعاون لا يمكن التلفظ بالعديد من الأحرف.

من آثار قدرة الله، تعدد الألسنة واللّهجات، فليس للإنسان محدودية في ابتكار الكلمات والجمل. واللسان كذلك هو وسيلة لتذوّق الأشياء وتحديد نكهتها. والملفت أنّ كل جزء من اللسان مسؤول عن تشخيص نكهة من النكهات وبقدرة

من الله، يفرز مقدار اللعاب اللازم إلى داخل الفم، وكذلك يضع اللسانُ الطعام بين الأسنان بدون أن يتأذّى، ويفحص الطعام ليتأكد من خلوّه من العظم أو الشعر، وعند الانتهاء يكشط الفم وينظفه. أيضاً هذا الشق البسيط الذي نسميه الشفاه يقوم بوظيفة النفخ، والمضغ، والمص، والتذوق، والتكلم.

يمكن للعين واللسان أن يكونا وسيلة للخير أو وسيلة للشر، لذا وضّح الله تعالى لنا كلا الطريقين.

- ❑ يجب إنقاذ الآخرين من الفقر والأسر، حتى لو كانوا غير مسلمين. لذا لم تذكر الآية أنّ شرط تحرير الأسير أو إطعام الفقير هو الإيمان.
- ❑ تُغيّر أوضاع الزمان والمكان وخصوصيات الأفراد من قيمة الأعمال:

ـ الإطعام عمل قيّم، ولكن في أيام المجاعة ترتفع قيمته: ﴿فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾.

ـ الرحمة باليتيم أمر قيّم، ولكنّ اليتيم ذا القربى له أولوية: ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾.

ـ مساعدة الفقراء أمر مهم، وبالأخص أولئك الذين جعلهم الفقر جليسي التراب: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

- ❑ الإيثار بالمال لأجل الفقراء كالعبور من المضيق، وطريق الجنّة يمر من خلال هذه المضائق.
- ❑ نستطيع أن نأخذ مصاديق معنوية من هذه الآيات ونقول: المقصود من: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ هو تحرير الناس بالهداية من نار جهنّم، والمقصود من الإطعام: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ هو الإطعام الروحي للمحتاجين عن طريق التعليم والإرشاد، والمقصود من: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ هم أيتام آل محمد ﷺ، والمقصود من: ﴿مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ المحتاجين إلى الهداية.

ولتأكيد هذه المعاني، ورد في الحديث: أن المقصود من آية: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[١]، أن ينظر الإنسان إلى علمه عمن يأخذه[٢].

---

(١) سورة عبس: الآية ٢٤.　　(٢) تفسير أطيب البيان.

□ وقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنّ العتق هو أن يشتري الإنسان عبداً ويحرّره، والفك هو المساهمة في تحريره مع آخرين[١].

التعاليم:

١ ـ أفضل طريق لمعرفة الله هو التدقيق والمطالعة في مخلوقات الله الدالة على حكمته: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ...﴾.

٢ ـ أيقظوا الضمائر النائمة بالأسئلة المناسبة: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ...﴾.

٣ ـ كل الناس يعرفون الخير والشر عن طريق العقل والفطرة أو عن طريق توجيهات الأنبياء، والأوصياء، والعلماء: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾.

٤ ـ أداء الوظيفة والتكليف كالعبور من المضيق: ﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾.

٥ ـ ينتقد القرآن الأشخاص المرفهين المحبين للراحة الذين يتهربون من أداء الواجب وتحمل المسؤولية: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾.

٦ ـ لا يدرك الإنسان المسائل المعنوية دون التحذيرات الإلهية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾.

٧ ـ تحرير العبيد والأسرى هو في رأس أعمال الخير: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.

٨ ـ لا ينفع الكلام الإجمالي دائماً، بل يجب أحياناً طرح أمثلة ومصاديق: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ... إِطْعَٰمٌ﴾.

٩ ـ اطرحوا المشاكل والأوجاع لإيقاظ ضمائر الناس وتحريك عواطفهم: ﴿مَسْغَبَةٍ... مَقْرَبَةٍ... مَتْرَبَةٍ﴾.

١٠ ـ ذكّروا في الابتداء بألطاف الله ثم ادعوا الناس إلى أعمال الخير: ﴿عَيْنَيْنِ... لِسَانًا... وَشَفَتَيْنِ... يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾.

١١ ـ يؤكد الإسلام ويصرّ على الأوضاع الماديّة للطبقة المحرومة وعلى وجوب حلّ مشاكلهم: ﴿يَتِيمًا... مِسْكِينًا﴾

(١) تفسير مجمع البيان.

١٢ ـ ستُصرف الأموال في النهاية؛ ولكن المهم هو في ما ستصرف: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا... فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ... فَكُّ رَقَبَةٍ... أَوْ إِطْعَامٌ...﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات:

□ فُسّرت جملة: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بطريقتين:

أ) إنّ أعمال الخير كتحرير الأسير وإطعام الجائع، هي أرضية للإيمان ولتوصية الآخرين بأعمال الخير.

ب) قيمة الإيمان ومقامه، أرفع من إطعام الجائع وتحرير الأسير، لذا فُصِل بين الأمرين بكلمة (ثمّ)(١).

□ «ميمنة» من اليمن واليمين بمعنى البركة والمباركة، وأصحاب الميمنة هم الأشخاص الذين تصاحبهم الميمنة والبركة بشكل دائم. وقيل إنّ أصحاب الميمنة هم نفسهم الأشخاص الذين تُعطى لهم كتبهم بيدهم اليمنى.

□ «مشأمة» من شؤم أي غير المبارك، وكلمة «مؤصدة» من إيصاد بمعنى إغلاق الباب بإحكام.

□ استُخدمت كلمة: «تواصوا» أربع مرّات في القرآن الكريم، مّرة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، ومرّتين: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ومرّة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾.

□ قد يكون تكرار كلمة: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ في آية واحدة، إمّا للتأكيد أو لأنّ الصبر والمرحمة تكليفان منفصلان، فبأداء أحدهما لا يسقط الآخر(٢).

□ لا يوجد من لا يحتاج إلى التشجيع والتوصية. جاءت كلمة: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ في صيغة باب التفاعل، بمعنى أنّ التوصية بأعمال الخير يجب أن تكون حالة عامة

---

(١) تفسير نمونه. (٢) تفسير راهنما.

ومتبادلة بين الجميع لا من طرف واحد.

- أوصت الآيات السابقة بمساعدة اليتيم والمسكين، يقول تعالى في هذه الآية: أوصوا الآخرين كذلك بالرحمة والمساعدة: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾.

- على الرغم من أنّه عادة ما تأتي كلمة: «آمنوا» مع: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلّا أنّه في هذه الآية بدلاً من: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ جاءت جملة: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ وكأنّ هاتين الوصيتين هما العمل الصالح.

- يهتم الإسلام بمعتقدات الناس ودوافعهم مضافاً إلى اهتمامه بأعمال الخير، أي يجب على الشخص إلى جانب تحريره العبيد وإطعامه المحتاجين، أن يكون من أهل الإيمان. كُثُرٌ هم الناس الحاضرون لإعطاء المساعدات المالية والخدمات الإنسانية ولكنهم غير حاضرين لتقبّل مذهب الحق وطريقه واستدلاله! هؤلاء الأشخاص هم المخلّفون الذين لم يستطيعوا عبور المضيق؛ لذا يقول القرآن: شرط العبور من المضيق، تقديم الخدمات والمساعدات المالية للأسير والمسكين، واليتيم، بشرط أن تكون مقرونة بروح الإيمان وقبول الحق: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

- قد يكون المقصود من النار مُحكمة الإغلاق، هو ما ورد من قوله تعالى في آية أخرى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ الإيمان شرط قبول الأعمال الصالحة: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

٢ ـ يجب على كل المسلمين أن يوصوا بعضهم بالصبر والرحمة: ﴿ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ﴾.

٣ ـ المعرفة وحدها ليست كافية، القول والاستماع مؤثران كذلك: ﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾.

٤ ـ أفضل معروفين يجب التوصية بهما هما الصبر والرحمة: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤١.

٥ ـ يجب دعوة الآخرين إلى عمل الخير، بعد بناء النفس: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾.

٦ ـ رؤية الآيات الإلهية هي شكر على نعمة البصر، وشكر نعمة اللسان يكون بتوصية الآخرين: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾.

٧ ـ الإيمان والصبر والمحبة، سبب للبركة: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

٨ ـ من يغلق على الحق والرحمة بكفره وبخله، سيُغلق عليه يوم القيامة في نار جهنّم: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾.

٩ ـ المؤمنون الذين وُفقوا لإطعام جائع أو تحرير أسير، يعمرون آخرتهم وهم مصدر للخير والبركة في مجتمعهم، وهل توجد بركة وميمنة أعظم من هذه؟ ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

١٠ ـ بالحلم والصبر، يصل كل عمل إلى نتيجة. ولهذا فإنّ التوصية بالصبر مُقدَّمة على كل أمر: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

١١ ـ الكفر وإنكار الحق هو مصدر كل شؤم وفساد: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا... هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الشَّمْسِ

السورة: ٩١ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٥



ملامح سورة الشمس

نزلت سورة الشمس في مكّة، و عدد آياتها خمس عشرة آية.

اسمها مأخوذ من الآية الأولى والتي تبدأ بالقسَم بالشمس.

ورد في هذه السورة أكبر عدد للأيمان في القرآن، إذ جاءت فيها الأيمان متتالية. جاء أحد عشر قسماً الواحد تلو الآخر بالشمس والقمر، والنهار والليل، والسماء والأرض، للتأكيد على أهمية تزكية النفس.

مضمون هذه السورة هو أنّ الإنسان يستطيع عن طريق الإلهام الإلهي أن يميز العمل الحسن من العمل السيئ، وإن أراد الفلاح، فعليه بتزكية باطنه وأن يربي نفسه بالأعمال الحسنة وإلا فإنّه سيُحرم من السعادة[١].

ومن ثم تذكر السورة قصة قوم ثمود كشاهد على هذا؛ إذ إنّ العذاب الأليم أصابهم لتكذيبهم النبي صالحاً وعقرهم الناقة التي كانت معجزة إلهية.



(١) الميزان في تفسير القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾

إشارات:

- قد يكون السر في القسَم بالشمس والقمر والنهار والليل ...إلخ هو أنّ الأمر الذي أقسم من أجله وهو تزكية النفس، أمر عظيم كعظمة الشمس والقمر.
- مقام وقيمة الشمس والقمر، والنهار، والليل ليس خافياً على أحد. حياة الكائنات الحيّة، وتكوين السُّحُب والمطر، ونمو النباتات والأشجار، وتغذية الإنسان والحيوان، كلها مرهونة بطلوع الشمس.
- يقسم القرآن حيناً بالشمس الكبيرة وحيناً بالتين والزيتون الصغار، وقد يكون هذا بسبب أنّه ليس ثمة فرق بين الشمس والتين بالنسبة إلى قدرة الله، مثلما أنّ رؤية الحشيش والجبل واحدة بالنسبة لعين الإنسان، ولا يستدعي النظر إلى الجبل مشقة أكثر للعين من النظر إلى الحشائش. بالطبع فإنّ أجلّ قسم هو القسم بذات الله، وقد ورد في مقابل تسليم الناس للقيادة الإلهية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾[1].
- أكثر سورة مليئة بالقسم هي سورة الشمس، فمن الطبيعي إذاً أنها تتعرّض لأهم المسائل وهي مسألة تزكية الروح من أي رجس ودنس. وقد يكون الهدف من كل هذه الأيمان التي تبيّن أن الفلاح يكمن في التهذيب، هو تفهيم الإنسان بأني قد هيّأت لك كل المقدمات، أضأت لك الحياة بنور الشمس والقمر، وهيأت لك سبل السعي والراحة بدوران النهار والليل. مهّدت لك الأرض وبنيت لك السماء وألهمت روحك القدرة على تمييز الحسنات والسيئات، لكي تسلك باختيارك طريق تزكية النفس.

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.

❑ «الفجور» من فجر بمعنى الشق.

❑ بناء السماء وتوسيع الأرض، كان بإرادة الله المباشرة أو عن طريق القوى والعوامل الطبيعية ولذا يقول القرآن: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ ولم يقل: «من بناها»؛ لأنّ كلمة ما تشمل غير الله كذلك، يعني ما بنى السماء من قوى، وجاذبية، ودوافع طبيعية قد حكمها الله، ولو كان المقصود من كلمة (ما) في: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ هو الله تعالى، فقد يكون لما يحويه لفظ (ما) من إبهام ناشىء عن العظمة الخفيّة، ولهذا استخدم (ما) بدلاً من (من). (والله العالم).

❑ وكأنّ عالم الوجود كان في البدء مجموعة واحدة متراكمة، من ثم تمدد جزءٌ فصار سماءً، وتوسّع جزءٌ فصار أرضاً: ﴿بَنَىٰهَا... طَحَىٰهَا﴾ وما يؤيد هذا الكلام، الآية التي تقول إنّ السماء والأرض كانتا رتقاً أي متصلتين، ففتقناهما أي ففصلناهما: ﴿رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[1].

❑ ذهب بعضهم إلى أنّ كلمة «طحاها» تشير إلى حركة الأرض؛ لأن أحد معاني الطحو هو الدفع والتحريك.

❑ حثّ الإسلام الإنسان على تغيير نمط تفكيره المادي بالبطن، والشهوة، والقوة، والشراب إلى التأمل في عمق السموات والأرض ودوران الكواكب وتكوّن الأيام.

❑ قالوا في الاختلاف بين الإلهام والوحي، إنّ الإلهام هو الإدراك الذي لا يعرف الإنسان مصدره، في حين أنّ متلقي الوحي، يعرف مصدر الوحي[2].

التعاليم:

١ ـ تُعتبر الكثير من موجودات الكون، ظواهر عجيبة، منوّرَة للفكر، مقدّسة وذات قيمة عالية ويمكن القسم بها: ﴿وَٱلشَّمْسِ... وَٱلْقَمَرِ... وَٱلنَّهَارِ﴾.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.
(٢) تفسير نمونه.

٢ ـ القمر يتلو الشمس ويتبعها: ﴿إِذَا تَلَـٰهَا﴾.

٣ ـ الأجرام السماوية متصلة ببعضها: ﴿وَٱلشَّمۡسِ... وَٱلۡقَمَرِ... وَٱلسَّمَآءِ... وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

٤ ـ لا تظنّوا أنّ الشمس والقمر والنجوم هي الله، كلها آثار قدرة وتدبير موجود آخر هو الله: ﴿تَلَـٰهَا... بَنَىٰهَا... طَحَىٰهَا﴾.

٥ ـ لقد عُدّلت ميول الإنسان ومتطلباته وغرائزه بشكل حكيم: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾.

٦ ـ الذنب هو ضرب من تمزيق ستار العفة والديانة: ﴿فُجُورَهَا﴾.

٧ ـ وُضع فهم السيئات والحسنات وإدراكها في عمق روح الإنسان بشكل فطري: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾.

٨ ـ في البدء يجب أن نعرف المفاسد، ثم نتعرف إلى كيفية الحذر منها والابتعاد عنها. (جاءت كلمة (فجور) قبل كلمة (تقوى)): ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

- عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام في تفسير آية: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: «**قد أفلح من أطاع**»[1]، يعني قد أفلح من أطاع النبي والأئمة المعصومين.

- في المنظار الإلهي فإنّ الطاهرين هم المفلحون: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ ولكن في نظر الفرعونيين فإنّ الأقوياء هم المفلحون، فهم في الظاهر يملكون القدرة والغلبة: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

❑ ثمة أمل بالفلاح عند القيام بالأعمال الصالحة: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] ولكن عند تزكية النفس، فإنّ الفلاح أمر محتوم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

❑ تشمل تزكية النفس الابتعاد عن المعتقدات والأخلاق والتصرفات غير اللائقة، واكتساب المعتقدات والأخلاق والأفعال الحسنة.

❑ جاء في الآية ١٥٥ من سورة الشعراء: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، وفي الآية ٢٨ من سورة القمر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أنّ ماء القرية قد قُسّم، يوماً لأهل القرية ويوماً للناقة وكل يستفيد من الماء في يومه المحدد، ومن يعتدي على الناقة سيُبتلى بعذاب أليم.

❑ وردت مادّة الفلاح أربعين مرّة في القرآن الكريم، وبالتدقيق في هذه المرّات نستطيع أن نستنتج المجموعات التي يشملها الفلاح وأي مجموعات محرومة منه، مثل المجرمين، كما قال تعالى: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[2].

❑ وردت بعض المطالب في القرآن مصاحبة لقسم واحد: ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

وأحياناً يأتي قسمان متتاليان: ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

وقد تأتي ثلاثة أيمان متوالية: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾.

أحياناً أربعة أيمان: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

وقد ترد خمسة أيمان: ﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾.

ولكنّ الله تعالى ذكر في بداية هذه السورة أحد عشر قسماً ومن بعدها أشار إلى أهمية تزكية النفس.

❑ «خاب» من الخيبة وتعني عدم الوصول إلى الهدف.

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٧.
(٢) سورة يونس: الآية ١٧.

❑ «دسّ» أخفى، وقد عبّر القرآن عن دفن البنات أحياءً في التراب بالقول: ﴿يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ﴾ أجل، فإنّ العاصي ليس له القدرة بسبب خجله على مواجهة المجتمع ويسعى إلى إخفاء عيوبه وأخطائه، وتُطلق كلمة (دسيسة) كذلك على العمل السيئ الذي يعمله الإنسان بالخفاء.

❑ «الدمدمة» أي العذاب القاهر والشديد الذي يقطّع المعذَّب قطعة قطعة ويشتته.

❑ إمّا أن يكون المقصود من «سوّاها» قلع وتدمير الأبنية وتسويتها بالتراب، وإما أن يكون المقصود هو الناس الذين سُووا بالتراب.

❑ يمكن للشخص الذي زكّى نفسه أن يُصبح مصدراً للتغيير في المجتمع وأن يُعطي المجتمع الرشد، والشجاعة، والشخصيّة، والمعرفة، والوحدة، وكذلك فإنّ الشخص الذي لم يُزكِّ نفسه يجر أمته إلى الفساد والفناء والسقوط في سبيل الوصول إلى أهوائه.

❑ طرح القرآن الكريم عاملين لفلاح الإنسان: أحدهما الإيمان والآخر هو التزكية: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾، ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ لذلك، فإنّ حقيقة الإيمان والتزكية واحدة، وكل من يريد أن يُهذّب نفسه يجب أن يكون مؤمناً حقيقياً. أجل، المؤمن الحقيقي هو من يزكّي نفسه، والتزكية الحقيقية في أن يكون الشخص مؤمناً ومؤدياً للتكاليف والأحكام الدينية التي وردت في بداية سورة «المؤمنون» بدقّة.

❑ نقرأ في **تفسير أطيب البيان**: كان القاتلون والمجرمون كُثُراً عبر التاريخ، ولكنهم كانوا يقدمون على الجرائم ليحافظوا على حكمهم، أو لأخذ الحكم، أو لمنافسة الآخر، أو طمعاً في الوصول إلى أمر ما، ولكن عاقر ناقة صالح وقاتل الإمام علي عليه السلام قد ارتكب كل منهما جريمة عظيمة في حين أنّه لم يملك أيّاً من الدوافع أو العوامل آنفة الذكر، إنّه الشقاء والشقاء فقط.

❑ وعن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: **«أيّها الناس إنّما يجمع الناس الرضاء والسخط،**

وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم العذاب لما عمّوه بالرضا...» واستشهد بهذه الآية[١].

❑ جاء في روايات عدة عن الشيعة والسُّنة من أمثال أحمد بن حنبل، الطبري والقرطبي أنّ (أشقى الأولين) هو عاقر ناقة صالح و(أشقى الآخرين) هو قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام[٢].

التعاليم:

١ ـ قسماً بالشمس والقمر، والنهار، والليل، والأرض، والسماء، وبروح الإنسان، أنّ سعادة الإنسان تكمن في رشده المعنوي لا في الحياة الماديّة: ﴿وَٱلشَّمۡسِ... قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

٢ ـ إذا تركنا النفس لهواها فستجر الإنسان إلى السقوط، لذا يجب التحكم بها: ﴿زَكَّىٰهَا﴾.

٣ ـ التزكية وبناء النفس لا تكون بحرمان النفس وإنّما بتنميتها: ﴿زَكَّىٰهَا﴾.

٤ ـ من يخفي نفسه خلف العادات، والتقاليد، والظنون، ويسعى غافلاً لتأمين أهواء نفسه، سيُبتلى بالحرمان العظيم: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

٥ ـ الطغيان والذنب مقدمة للكفر والتكذيب: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ ((التقوى) هي الطهارة والطغوى تعني الطغيان في الذنب).

٦ ـ عند التبليغ، انقلوا الأمثلة بعد أن تبيّنوا الأصول الكليّة: ﴿وَقَدۡ خَابَ... كَذَّبَتۡ ثَمُودُ﴾.

٧ ـ تهديم المقدسات، دليل على الشقاء، وكل ما كان الشيء أكثر قداسة، كان الجزاء على هدمه أقسى: ﴿أَشۡقَىٰهَا﴾.

٨ ـ إن لم يكن الإنسان في وارد تزكية نفسه، فسيتبع بالبداية نفسه بالخفاء: ﴿دَسَّىٰهَا﴾ ومن ثم بالعلن: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٠. (٢) تفسير نمونه.

٩ ـ الشخص الأشقى هو الأسرع والأكثر جرأة على الأعمال القبيحة: ﴿ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾[(١)].

١٠ ـ كل ما يُنسب إلى الله فهو مُقدّس، ويجب أن يكون موضعاً للاحترام وإهانته تجر العذاب الإلهي: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ... فَعَقَرُوهَا... فَدَمۡدَمَ﴾.

١١ ـ لا يكفي التخلص من الأعشاب الضارة، بل الرعاية والاهتمام أمور لازمة كذلك. (﴿زَكَّىٰهَا﴾ بمعنى نمّاها).

١٢ ـ لا تغتروا بنجاحات النفس العابرة لأنّ عاقبتها الحرمان: ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾؛ (كلمة (خاب) تعني حُرِم ولم يصل إلى مبتغاه).

١٣ ـ من يرضى عن ذنوب الآخرين يكون شريكاً لهم في الجرم. شخص واحد هو من عقر الناقة ولكن القرآن قال: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ بصيغة الجمع.

١٤ ـ لله السلطة على كل شيء ولن يمنعه شيء من إهلاك الظالمين: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا﴾.

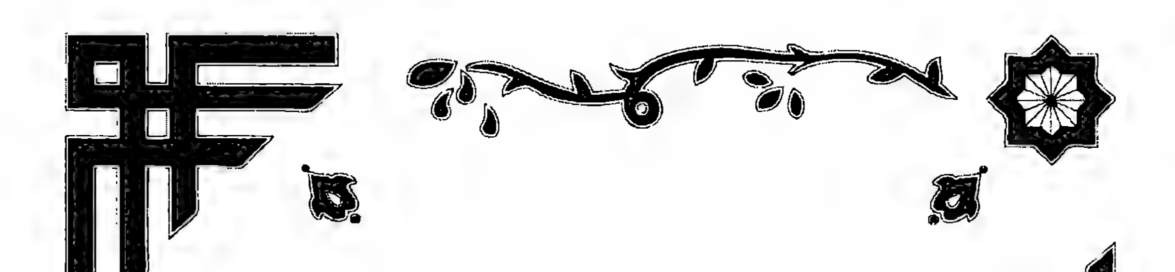
١٥ ـ الرضا بالذنب والتشجيع والتحفيز عليه هو ذنب كذلك: ﴿ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾.

١٦ ـ العقاب الإلهي، تجلٍّ لربوبية الله. (يجب على المربي أن يرفع الموانع أمام التربية): ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم﴾.

١٧ ـ العذاب الإلهي الدنيوي شديد أيضاً: ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»

(١) «بعث» تعني حفّز، و«انبعث» يعني قد تمّ تحفيزه.



سُورَةُ اللَّيْلِ

السورة: ٩٢ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢١



ملامح سورة الليل

سورة الليل مكيّة وعدد آياتها إحدى وعشرون آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والتي تبدأ بالقسَم بالليل.

يبدأ القسَم بالتأكيد على الاختلاف بين دوافع البشر وسعيهم، وينتهي ببيان قانون المكافآت على العمل. وتوضّح الآية قانوناً مفاده أنّ الإحسان إلى الآخرين سبب للتوسعة في العمل، وأنّ البخل وطلب الاستعلاء سبب لتعقيد أمور الإنسان.

تشير السورة كذلك إلى السنّة الإلهية العامّة للهداية، وتبيّن أنّ مصير الذين لا يتنبّهون للإنذار الإلهي هو نار جهنّم وأن مصير أهل التقوى هو الخلاص منها. وإذا كان المتقون من أهل الزكاة ولا يبغون إلا رضا الله، فإنّ الله سيؤمّن لهم أسباب الرضا والسعادة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾

إشارات:

- نقرأ في الحديث، أنّ الله تعالى يقسم بأي من مخلوقاته كيفما شاء، ولكن يجب على الناس ألّا يقسموا إلا بالله تعالى[١].

- «شتى» جمع شتيت ويعني المتفرّق. ليس الهدف من القسم، بيان الاختلاف بين سعي البشر فقط؛ لأن هذا الاختلاف واضح للجميع، ولكن القسم هو لأجل النتائج والآثار المختلفة للأعمال.

- الليل نعمة عظيمة، فيه تعديل الحرارة، راحة الجسم، سكون الروح، والنجوى الصادقة.

التعاليم:

١ ـ الزمان أمر محترم ويمكن القسم به: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾.

٢ ـ انتبهوا للدلائل في الآفاق: ﴿وَالَّيْلِ... وَالنَّهَارِ﴾ وللدلائل في الأنفس: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

٣ ـ قانون الزوجية في الإنسان والحيوان، دليل على قدرة الله وحكمته: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

٤ ـ رحمة الله وعذابه مبنيان على الحكمة والعدالة لا العشوائية، فأعمالكم أنتم أيها البشر مختلفة ولذلك تقتضي العدالة اختلاف الجزاء: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- قد يكون المقصود من العطاء المصاحب للتقوى، هو العطاء بنيّة خالصة ودون منّة، وأن يكون مالاً حلالاً، وفي سبيل الله؛ وقد جُمعت كل هذه الأمور في كلمة التقوى: ﴿أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾.

- إن كان الله تعالى قد فتح طريق عمل الخير أمام بعض الناس: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ وفتح لبعض آخر طريق الشر: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾، فذلك بسبب الاختلاف بين سعي البشر أنفسهم: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

- كانت توجد شجرة في حديقة منزل أحد الأثرياء، وعندما كانت تتساقط ثمار الشجرة على الأرض، كان أطفال الجيران يأخذونها ويأكلونها؛ ولكن الرجل الثري كان يمنعهم وينتزع الفاكهة من فمهم. حدّث والد الأطفال النبي الأكرم عن هذه المسألة، فذهب ﷺ إلى صاحب المنزل وعرض عليه أن يبيعه الشجرة في مقابل شجرة في الجنّة، فرفض الرجل عرض النبي وقال: لا أبيع نقد الدنيا بنسيئة الآخرة. فرجع النبي. سأله أحد الأصحاب: لو أخذت أنا الشجرة هل ستعرض عليّ المعاملة نفسها؟ فقال النبي ﷺ: أجل. استطاع ذلك الصحابي أن يشتري شجرة بأضعاف مضاعفة من ثمنها ووضعها تحت تصرف النبي، فذهب النبي الأكرم إلى الأسرة الفقيرة وأعطاهم الشجرة، فنزلت عندها آيات هذه السورة[١]: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾.

- من يخطو الخطوة الأولى في السخاء بناءً على الإيمان بالمعاد والتقوى، يهيىء له الله الأسباب والقدرة الروحية ويؤنس روحه بالخير، ويرفع من مستوى تجربته وعقله وعمله، يعطيه الابتكار والإلهام، ويزيد من تقبل الناس له، ويفتح

---

(١) تفسير نمونه.

أمامه طرقاً جديدة لعمل الخير، وهذه الأمور كلها مصداق لـ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

□ الملاحظة اللطيفة هي أنّ القرآن الكريم قال سنوجهه إلى أسهل الطرق: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ ولم يقل: سنسهّل الأمر عليه: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ وثمة فرق بين أن يكون الإنسان ميسّراً أو أن يكون عمله يسيراً. يستطيع الإنسان بالصبر والدعاء وبالاتصال بالقدرة اللامتناهية أن يمتلك بكل سهولة، سكينة وسعة صدر يستطيع معهما تقبّل أي عمل براحة ويصبح القيام بأي عمل خير يسيراً عليه.

□ نقرأ في تاريخ كربلاء، عندما رأت زينب الكبرى بدن الإمام الحسين عليه السلام وقد أصبح قطعة قطعة، قالت: «**ربّنا تقبّل منّا هذا القليل**» إلهي! تقبّل هذا الشهيد الصغير مقابل عظمتك!. أجل، فإنّ إيمان الإنسان وتقواه يحميانه من كل حادثة ويسهلان عمله وييسرانه: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

□ المقصود من كلمتي: ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ و﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ وقد جاءتا بصيغة المؤنث، الأعمال والسبل إمّا أن تكون يسيرة أو صعبة.

أصل العطاء هو المهم، ويأتي نوعه ومقداره في المرحلة التالية. يكون العطاء أحياناً قليلاً وأحياناً كثيراً، وأحياناً من المال وأحياناً من المقام والمكانة.

□ كلمة «حُسنى» إمّا أنها مصدر مثل رُجعى وإما مؤنث أحسن.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير آية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾: «**لا يريد شيئاً من الخير إلا يسّره الله له**»[1].

وقال في تفسير آية: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾: «**لا يريد شيئاً من الشر إلا يسّره الله له**»[2].

التعاليم:

١ ـ بيان المصاديق والأمثلة بعد الكليّات هي الطريقة الصحيحة للتبليغ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

---

(١) الكافي، ج٤، ص ٤٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧.

٢ ـ يكون العطاء مجدياً إذا ما كان مصاحباً للتقوى: ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾.

٣ ـ يجب أن يكون العطاء دون رياء وغرور وبعيداً عن المنّ والأذى: ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾.

٤ ـ الشيء الذي تعطيه ليس مهماً، حالة العطاء والدافع من ورائه هو المهم: ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾.

٥ ـ التقوى، شرط لقبول العطاء: ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾؛ (العطاء من المال الحرام أو دون نيّة خالصة ليس له أجر؛ لأنه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾)[1].

٦ ـ الآخرة أفضل من الدنيا: ﴿بِٱلْحُسْنَىٰ﴾.

٧ ـ من يؤمن بالمعاد، يستطيع أن يمنح عطاءه صبغة إلهية ويكون أهلاً للتقوى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ (أطلق القرآن على وعود الآخرة صفة الحسنى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾)[2].

٨ ـ الإيمان بالقيامة، شرط لقبول العمل: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾.

٩ ـ البخل والاغترار بالمال، دليل على عدم التقوى: ﴿مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾.

١٠ ـ تيسير أمور الإنسان أو تعسيرها هو نتيجة لسخاء الإنسان أو بخله مع الآخرين: ﴿أَعْطَىٰ... لِلْيُسْرَىٰ، بَخِلَ... لِلْعُسْرَىٰ﴾.

١١ ـ نتيجة الإحسان هي الإحسان ونتيجة الشر هي الشر: ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ... فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ، بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ... فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

١٢ ـ يتناسب الجزاء والعقاب الإلهي مع أعمال الإنسان، إذا سهّلنا للفقير أمراً، فإنّ الله سوف ييسر أمورنا: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾. وإذا تركنا الفقراء في ضيقهم، فإنّ الله سيضيّق علينا كذلك: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

١٣ ـ فليعلم البخلاء أنّ الثروة لن تنجيهم: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾.

١٤ ـ نتيجة البخل هي السقوط. السقوط من الإنسانية والكمال والسقوط من عين الناس، مصاحب للسقوط في جهنّم والحرمان من المراتب الأخروية: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾.

(١) سورة المائدة: الآية ٢٧.
(٢) سورة النساء: الآية ٩٥.

١٥ ـ قد يكون منشأ البخل هو الخوف من الفقر في المستقبل: ﴿بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾؛ (مثلما ورد في الآيات ٢٦٧ و٢٦٨ من سورة البقرة بعد الأمر بالإنفاق: إنّ الشيطان هو من يخوّفكم من الفقر في المستقبل ﴿أَنفِقُوا۟... ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾.

١٦ ـ قد يكون الاغترار بالدنيا والإحساس بعدم الحاجة إلى الوعود الإلهية، هو منشأ البخل: ﴿بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

- الهداية من قبل الله تعالى، أمر حتمي: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾، ولكن تقبّل الناس للهداية ليس حتمياً. مثلما يقول تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[1].
- «تلظّى» من اللظى وهو شعلة النار من دون دخان فتكون قدرتها على الإحراق أكبر.
- البقاء والخلود في جهنّم خاص بالأشقياء: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ تحمل كلمة صلى بين طيّاتها معنى المرافقة والمصاحبة. قد تكون عبارة «ناراً تلظى» نوعاً خاصاً من النار خاصاً بالأشقياء وسيُبتلى باقي المجرمين بأنواع أخرى من النار.
- يمكن تفسير آية: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بطريقتين: أنّ الإنسان سيرضى عن الله عندما يصل إلى هدفه، أو أنّ الله سيرضى عنه. وقد جاء هذان الموردان، أي رضا الله عن الإنسان ورضا الإنسان عن الله، إلى جانب بعضهما في القرآن الكريم: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2]، ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[3].

---

(١) سورة فصّلت: الآية ١٧.
(٢) سورة البيّنة: الآية ٨.
(٣) سورة الفجر: الآية ٢٨.

التعاليم:

١ ـ من السنن الإلهية التي أوجبها الله على نفسه، هداية الناس عن طريق العقل، والفطرة، والأنبياء: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾.

٢ ـ قبول الهداية هو لصالحكم؛ لأن الله غني غير محتاج: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾.

٣ ـ التحذير والإنذار، وسيلة للهداية الإلهية: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾؛ (يجب أن تأخذوا التحذيرات الإلهية على محمل الجد؛ لأنها من قبل الذي يملك الدنيا والآخرة).

٤ ـ نار الآخرة أمر عظيم ومجهول. جاءت: ﴿نَارًا﴾ بصيغة النكرة.

٥ ـ للشقاء كما التقوى مراتب: ﴿الْأَشْقَى... الْأَتْقَى﴾؛ (الشخص الذي يرى كل دلائل الهداية هذه ولا يَعتبِر هو الأشقى) ﴿الْأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

٦ ـ التقوى المصاحبة لمساعدة المحرومين، هي درع واق من نار جهنّم: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾.

٧ ـ مساعدة المحرومين، نهج المتقين الدائم: ﴿يُؤْتِي﴾.

٨ ـ تقديم المساعدة من المال الشخصي، عمل ذو قيمة: ﴿مَالَهُ﴾.

٩ ـ المساعدة المالية الخالصة، من علامات التقوى: ﴿الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾.

١٠ ـ مساعدة الفقراء، طريق للتزكية وبناء النفس: ﴿يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾.

١١ ـ الإنفاق المادي الذي يهدف إلى ردّ إحسان الآخرين على الشخص، لا يكون سبباً للرشد: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾؛ (يكون للإنفاق قيمة عالية إذا لم يكن الإنسان مديناً للآخرين ولم يكن طامعاً في شيء).

١٢ ـ لا يسعى المتقي إلا إلى رضا الله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾.

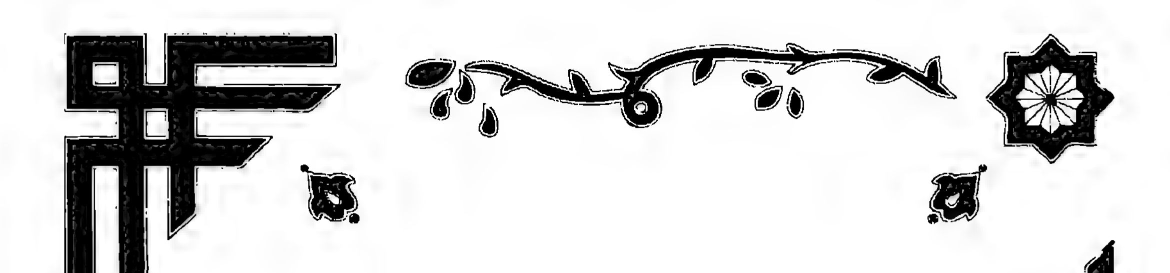
١٣ ـ قصد القربة إلى الله، شرط لازم: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾.

١٤ ـ يجب أن يكون الإنفاق في السبل التي يرتضيها الله: ﴿يُؤْتِي مَالَهُ...﴾.

١٥ ـ الله هو الخالق الأعلى، فاسعوا إلى رضاه وحده ليعطيكم الجزاء الأعلى: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

١٦ ـ يصل الإنسان المخلص إلى مقام الرضا ويكون دائم الرضا عن الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الضُّحَىٰ

السورة: ٩٣ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١١



ملامح سورة الضحى

نزلت هذه السورة في مكّة وعدد آياتها إحدى عشرة آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والتي تبدأ بالقسَم بوقت الضحى.

نزلت هذه السورة لتواسي الرسول الأعظم إذ إنّ المخالفين كانوا قد آذوه بالكلام؛ لأنّ الوحي انقطع عنه لمدة خمسة عشر يوماً، ولتبيّن مناصرة الله للنبي مذ كان يتيماً إلى أن وصل إلى مقام الرسالة.

وتطلب السورة من النبي أن يقوم بدوره كذلك بمعاملة اليتامى والمحرومين معاملة إلهية وأن يُظهر نعم الله عليه باللسان وبالعمل ويشكر الله عليها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

- «الضحى» هو أوّل النهار حين تشرق الشمس. تأتي كلمة «سجى» بمعنى التغطية وكذلك بمعنى السكون والهدوء.
- «ودعك» من التوديع بمعنى الترك والهجر، و«قلى» يعني شدة العداوة والبغض والغضب والقهر.
- انقطع الوحي عن النبي ﷺ لأيام عدّة، فقال الكافرون إنّ الله قد تخلّى عنك. فنزلت هذه الآيات لتواسي النبي ﷺ. قد يكون الهدف من انقطاع الوحي هو تفهيم الناس أنّ كل ما هو موجود هو من الله تعالى ولا يملك النبي أي صلاحيات أو سلطة على ألفاظ الوحي ووقت نزوله ومقداره.
- الدليل على أنّ الله لم يترك نبيّه هو أنّ الله تعالى خاطب شخص النبي ثلاث عشرة مرّة في هذه السورة الصغيرة.

التعاليم:

١ ـ نور النهار وظلام الليل وسكونه نعمتان عظيمتان قد أقسم الله بهما: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

٢ ـ اقطعوا لسان سليطي اللسان بكل حزم واكسبوا قلوب الطاهرين: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾.

٣ ـ أجيبوا عن الأسئلة، وصوّبوا الاستنتاجات والأحكام المسبقة والتحليلات الخاطئة بكل صراحة: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾.

٤ ـ يجب على المربي ألا يتخلّى عن الشخص الذي يتولّى تربيته: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾.

٥ ـ لا تظنوا أن الانقطاع المؤقت للطف خاص دليل على غضب الله أو غفلته عنكم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

إشارات:

- إمّا أن يكون المقصود من الآخرة في الآية: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ يوم القيامة وإما عاقبة عمل النبي في هذه الدنيا.
- رحل عبد الله والد النبي ﷺ عن الدنيا قبل ولادته، وفقد والدته في الطفولة، وكان في عمر الثماني سنوات عندما توفي جده عبد المطلب ولهذا كان يدرك ألم الأيتام.
- يقول القرآن الكريم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[١] أي أنّ نبيّكم لم يضل ولا للحظة واحدة. إذاً فإنّ المقصود من: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ أي أنه لولا الهداية الإلهية لما استطعت اتباع السبيل.

كما قال تعالى في سورة الشورى الآية ٥٢: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ﴾ ويقول كذلك في سورة يوسف الآية ٣: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

تأتي كلمة «ضال» بمعنى المنحرف عن الحق وكذلك بمعنى الضائع مثل «**الحكمة ضالة المؤمن**»[٢]. أجل فإنّ النبي كان متحيّراً قبل نزول الوحي وقد تعرّف على الأوامر والتكاليف الإلهية عن طريق الوحي.

- تُطلق «عائل» على الفقير. والقهر هو الغلبة المصاحبة للتحقير. والنهر هو الطرد

(١) سورة النجم: الآية ٢.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة رقم ٨٠.

مع الغلظة والقسوة. وإطلاق «النهر» على جدول الماء هو لجريان الماء السريع فيه.

- إذا لم تؤمَّن احتياجات اليتيم فستهدد المجتمع مفاسد أخلاقية واجتماعية عدة. وقد يجعل نقص المحبة اليتيم شخصاً قاسي القلب.

- ورد في الحديث أن الآية الأكثر تبشيراً من آيات القرآن آية: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ إذ أريد بها الشفاعة[١].

- يهتم الله تعالى بإرضاء النبي في الدنيا والآخرة. مثلما غيّر القبلة في الدنيا لإرضائه لكي لا يمُنّ عليه اليهود بأنه يصلي إلى جهة بيت المقدس وهو قبلتهم: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ﴾، وأعطاه في الآخرة مقام الشفاعة ليرضى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

- أقسم الإمام الباقر عليه السلام مرّتين بأنّ المقصود بعطاء الله الخاص بالنبي هو الشفاعة. «**والله الشفاعة والله الشفاعة**»[٢]. وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رضا جدّه صلى الله عليه وآله لا يتحقّق إلا بعدم بقاء موحّد في النار[٣].

- عن الإمام الصادق عليه السلام في ذيل الآية ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: «**حدّث بما أعطاك الله وفضّلك ورزقك وأحسن إليك وهداك**»[٤].

- وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**التحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر**»[٥].

التعاليم:

١ ـ صان الله نبيّه من أي قهر أو غضب في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ...﴾.

٢ ـ لا يعتري النعم الأخروية زوال أو نقص أو تعب مما يعتري النعم الدنيوية: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

---

(١) شواهد التنزيل، ج٢، ص ٤٤٦.
(٢) البحار، ج ٨، ص ٥٧.
(٣) تفسير صافي.
(٤) تفاسير مجمع البيان ونمونه.
(٥) الوسائل، ج٨، ص٤٠.

٣ ـ في مقابل انقطاع الوحي مؤقتاً، وعد الله نبيَّه بما يرضيه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾.

٤ ـ حتى لو امتلك رجال الله كل الدنيا فلن يرضوا. إذاً فإنّ تحقق الوعد الإلهي سيكون في العالم الآخر: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

٥ ـ يهتم الله تعالى برضا النبي الأكرم: ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾.

٦ ـ يجب أن يكون القائد مدركاً للألم ليشعر بآلام الآخرين: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ ﴿عَآئِلًا﴾.

٧ ـ لا يقف اليتم عائقاً أمام الوصول للكمال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾.

٨ ـ مَنُّ الإنسان على الإنسان أمر غير لائق؛ ولكن إذا كان منّ الله على الإنسان فهو أمر ذو قيمة عالية: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾.

٩ ـ يُحيي ذكر النعم الإلهية روح الشكر لله وخدمة الآخرين: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ... فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

١٠ ـ تذكروا أيام ضعفكم إذا ما حزتم القدرة والقوة يوماً ما: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾.

١١ ـ تتنزل الألطاف الإلهية بالوساطة: ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ (إيواء الله للنبي وإغناؤه كان عن طريق أبي طالب والسيدة خديجة).

١٢ ـ إيواء اليتيم وإغناء الفقير أمر إلهي: ﴿فَـَٔاوَىٰ... فَأَغْنَىٰ﴾.

١٣ ـ إذا تذكرتم ماضيكم الصعب فلن تمنعوا المحرومين ولن تطردوهم: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

١٤ ـ ثمة أولوية للاهتمام باليتيم بسبب سِنّه وظروفه النفسية: ﴿فَلَا تَقْهَرْ... فَلَا تَنْهَرْ﴾.

١٥ ـ اعلموا أنّ النعم من عند الله فلا تغتروا بها: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾.

١٦ ـ إظهار النعمة هو شكر للنعمة: ﴿فَحَدِّثْ﴾.

١٧ ـ لطف الله القديم سبب للأمل بالمستقبل. (إنّ الله الذي خلّصك في الماضي من يتمك وفقرك وحيرتك هو الذي سيجعل مستقبلك وآخرتك أحسن): ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ... أَلَمْ يَجِدْكَ...﴾.

١٨ ـ إنّ الله يعطي الكثير ويطلب القليل، فهو يغني الفقير ولكنه لا يريد منّا أن نغني الفقير. قال فقط: لا تطردوا الفقير: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾. هو يؤوي اليتيم ولكنّه لا يريد منّا إلا أن لا نغلظ على اليتيم: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

١٩ ـ إنّ الله يُعطي من دون أن يُسأل إذاً فلنساعد على الأقل الآخرين عندما يسألوننا: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ... وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

٢٠ ـ لا تظنوا أنّ النعم هي نتيجة لعلمكم وتخصصكم وفطنتكم؛ بل هي لطف من الله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ...﴾.

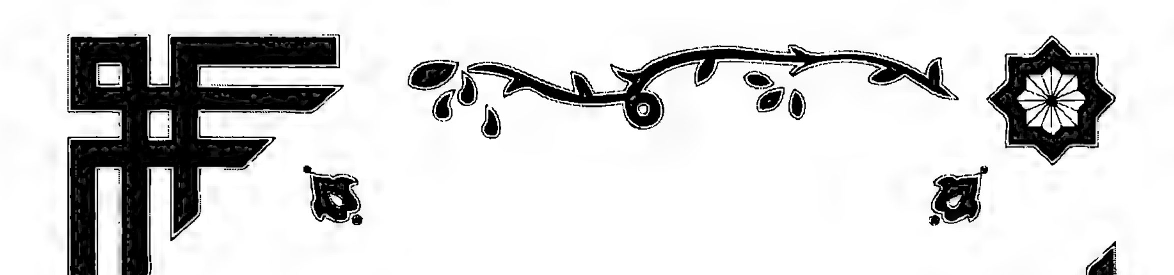
٢١ ـ تذكّر النعم، ينجي الإنسان من اليأس والانهيار، ويزيد من قدرته على المقاومة في مواجهة متاعب الحياة: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

٢٢ ـ الحب والعطف على الأيتام، أفضل لهم وأهمّ من الطعام واللباس: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

٢٣ ـ عندما يعرض المرض أو الفقر أو غيرهما من الشدائد للإنسان، يحسن به أن يتذكّر سائر النعم فإنّ في ذلك دواء دائه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

٢٤ ـ ينبغي أن توظّف النعم الإلهيّة في ما يخدم مسيرة الإنسان وتكامله المعنوي، لا أن يُستفاد منها مع الغفلة: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الشَّرح

السورة: ٩٤ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾

إشارات:

- قال تعالى في السورة السابقة (الضحى): ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ويقول في هذه السورة: كيف يتركك من أنعم عليك بأكبر لطف ونعمة ألا وهو شرح الصدر: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾.

- «شرح الصدر» يعني توسيع الصدر وارتفاع مستوى تحمّل الإنسان حتى يقدر على تحمّل الأزمات والصبر عند المشكلات والمصاعب.

- عندما اختار الله تعالى النبي موسى للرسالة كان أول ما طلبه من الله هو سعة الصدر حين قال: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾[1]؛ ولكن نبي الإسلام حاز اللطف الإلهي دون أن يطلب وأعطاه الله سعة الصدر: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾.

- المقصود من الحمل الثقيل «الوزر» الذي رفعه الله عن النبي بشرح صدره هو مسؤولية الرسالة ودعوة الناس إلى التوحيد ومحاربة الفساد والشرك والخرافات.

- بما أنّه لا يمكن التقليل من الأحزان والهموم، إذاً يجب رفع مستوى التحمّل، ليتمكن الإنسان من تحمّل المشكلات وتجاوزها. شرح الصدر دليل على اللطف الإلهي: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾[2].

---

(١) سورة طه: الآية ٢٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

□ من الناحية النفسية، عند مواجهة المشكلات لا ينبغي أن يتوجه كل الاهتمام إليها، بل يجب التفكير كذلك بالانفراجات التالية لها وهي وعد وسنّة إلهية.

□ العسر سبب لليسر. قد تكون كلمة (مع) بمعنى سبب، أي أنّ كل صعوبة تحمل في طيّاتها التجارب البنّاءة: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

□ حذف حرف الفاء من الجملة الثانية: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ يبيّن أنّ هذا أصل عام وليس أمراً خاصّاً بالنبي.

□ يتخذ قادة الحق، القرارات في مقابل رياح المعارضة، والمشكلات، والعذاب، والتهديد، والمؤامرات، والاتهامات، والعناد، والحروب، و... لذا فهم بحاجة إلى سعة الصدر أكثر من أي شيء آخر: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

□ بناءً على الروايات التي بُنيت على أساسها الفتاوى الفقهية، فإنّ هذه السورة وسورة الضحى تعدّان سورة واحدة مثل سورتي الفيل وقريش، وفي الصلوات الواجبة إذ لا يجوز قراءة أكثر من سورة بعد سورة الحمد، يجب أن تُقرأ هاتان السورتان معاً. والشاهد على وحدة هاتين السورتين هو تناسب الآية الأخيرة من السورة السابقة مع الآية الأولى لهذه السورة، إذ يقول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

□ شرح الصدر الذي أُعطي لنبي الإسلام الأكرم كان سبباً في أن لا يدعو النبي على قومه بالرغم من كل الأذى الذي لحق به منهم، إذ قال: **«اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»**[1]، وفي فتح مكّة أعلن العفو العمومي: **«لا تثريب عليكم اليوم»**، وكذلك نبي الله يوسف عندما عفا عن كل إخوته مرّة واحدة.

□ المصداق لقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ... وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ هو أنّ الناس كانوا يدخلون في الإسلام أفواجاً أفواجاً: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[2] وانتصر الإسلام في غزوات بدر والخندق وحنين ومع أنّ بعضهم كان منافقاً أو

(١) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٢٩٨.
(٢) سورة النصر: الآية ٢.

جباناً، إلا أنّ الإسلام كان في نموٌ مستمر. كان الإمام علي عليه السلام في أغلب الأوقات يرفع هذا العبء عن كاهل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. لقد قام عليه السلام في بدر وأحد وخيبر بأشجع العمليات.

وفي بعض الأوقات كان هذا الوزر والحمل الثقيل يُرفع عن كاهل النبي إمّا عن طريق الإمدادات الغيبية ونزول الملائكة[١]، أو بإلقاء الرعب[٢] في قلوب الأعداء.

□ لقد كرّم الله تعالى اسم نبيّه وذكره. أمر في القرآن بالصلاة والسلام على نبيّه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٣]، وذكره في كثير من الآيات إلى جانب اسمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[٤]، وفي الأذان، تذكر الشهادة برسالته إلى جانب الشهادة بوحدانية الله: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»، وتكرر هاتان الشهادتان معاً في تشهد كل صلاة.

□ شكت امرأة زوجها الفقير إلى الإمام علي عليه السلام بأنه لا يعطيها نفقة. فلم يحكم الإمام عليه السلام عليه بالسجن وقال: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٥].

التعاليم:

١ ـ سعة الصدر عامل مهيىء للقيام بأعباء الرسالة الثقيلة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ...﴾.

٢ ـ لا تقلقوا على مستقبل المذهب: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

٣ ـ محاربة الخرافات والعادات والتقاليد الجاهلية، أمر ثقيل جداً: ﴿وِزْرَكَ﴾.

٤ ـ كان عمل النبي قاصماً للظهر: ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١٢٣ ـ ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥١؛ سورة الحشر: الآية ٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦. (٤) سورة محمد: الآية ٣٣.
(٥) تفسير نور الثقلين.

٥ ـ السمعة الحسنة والمقام الرفيع من لوازم النجاح في قيادة المجتمع: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

٦ ـ السنّة والبرنامج الإلهي قائم على أساس أنّه بعد كل عسر يُسر: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (نقرأ في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[1] إذن المشاكل والمصاعب قابلة للزوال وستصبح يسيرة). الصبر والظفر صديقان قديمان وعلى أثر الصبر يأتي الظفر.

٧ ـ يجب على الإنسان بعد أن ينتهي من أي مسؤولية، أن يهيىء نفسه لتحمل مسؤولية أخرى وسعي آخر: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾.

٨ ـ السعي يجب أن يكون ذا وجهة إلهية: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

٩ ـ يجب أن يكون السعي والعمل مصاحبَين للإخلاص: ﴿فَانْصَبْ... وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

١٠ ـ يجب على الإنسان بذل أقصى ما في وسعه في سبيل الوصول إلى الله: ﴿فَانْصَبْ... وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

١١ ـ سلوك سبيل الله يجب أن يكون عن رغبة وعشق: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

١٢ ـ الله وحده هو من يستحق الرغبة فيه والميل إليه: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٧.



سُورَةُ التِّينِ

السورة: ٩٥ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨



ملامح سورة التين

سورة التين مكّية وعدد آياتها ثماني آيات.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى وهو اسم فاكهة التين.

يدور محور السورة حول عقاب البشر وثوابهم في يوم القيامة، وتبيّن كيف أنّ الإنسان خُلق على أفضل صورة، وكيف أنّ الناس مقسمون إلى مجموعتين بناءً على بقائهم على الفطرة الإلهية السليمة أو الخروج عنها والسقوط إلى أسفل درجات الإنسانية، وهذا الاختلاف في خيارات الإنسان هو ما يوجب الاختلاف في الثواب والعقاب الإلهيين. ومن الطبيعي، أنّ الحكمة تقتضي ألّا يتساوى الطرفان.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾

إشارات:

- طور سينين هو نفسه وادي سيناء الواقع بين مصر وفلسطين في أيامنا هذه.
- جاء في بعض الروايات، أنّ (طور سينين) و(البلد الأمين) هما إشارة إلى مكانين مقدسين وأنّ المقصود من (التين والزيتون) هو محل نمو هاتين الثمرتين وفي بعض الروايات أن هذه الآية تشير إلى المدينة وبيت المقدس[1].
- الأهم للجسم من بين المأكولات، الفاكهة، ومن بين الفاكهة المليئة بالسكر والطاقة؛ إذ إنّ الجسم يحتاجها في عمليات الأيض: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾.
- من مميزات الإسلام: وجود بلد آمن حتى للحيوان والنبات كذلك: ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾.
- ذُكر التين مرّة واحدة والزيتون ست مرّات في القرآن الكريم وكلاهما له خصائص غذائية وعلاجية عدة. التين مفيد لكل سن وعمر لما يحويه من سكر. ويُوَصّى بأن يتناوله الرياضيون والأشخاص المبتلون بالضعف والهرم. بناءً على بعض الروايات، التين من ثمار الجنة، وورد في الطب القديم أنّ معجون التين والعسل مفيد لقرحة المعدة ويستخدم التين المجفف لتقوية الذهن.

وعن الإمام الرضا عليه السلام في التين: **«التين يزيل نكهة الفم ويطيل الشعر وهو أمان من الفالج»**. وفي الزيت يقول: **«نعم الطعام الزيت: يطيب النكهة، ويذهب بالبلغم، ويصفي اللون، ويشد العصب، ويذهب بالوصف، ويطفئ الغضب»**[2].

- المقصود من: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ابتعاد مجموعة من البشر عن الفطرة

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ١٨٣، نقلاً عن: تفسير نمونه.

الإلهية الأولية التي وضعها الله في تكوين البشر وكل من يفعل ذلك، يجعله الله في أدنى مقام ويبتليه بالشقاء والعذاب.

التعاليم:

١ ـ النعم الدنيوية، حتى المأكولات، لها قداسة، وهي موضع لقسم الله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾.

٢ ـ من أهم احتياجات الإنسان الماديّة الصحة الناتجة عن الطعام، والأمن: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ... ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

٣ ـ تسري قداسة الوحي إلى الأراضي التي ينزل فيها: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾.

٤ ـ أمن مدينة مكّة هو من دعاء نبي الله إبراهيم، إذ قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[(١)] وقد استُجيب هذا الدعاء: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

٥ ـ يملك الإنسان الأفضلية على كل الموجودات من ناحية الخلق: ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

٦ ـ إنّ الله تعالى حاكم على بداية الإنسان ونهايته: ﴿خَلَقْنَا... رَدَدْنَٰهُ﴾.

٧ ـ ليس ثمة إنسان وضيع في أصل الخلقة؛ ولكنه يسقط في مراحل الحياة المختلفة: ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾.

٨ ـ الإنسان هو أحسن المخلوقات؛ وعندما يسقط يكون سقوطه أسفل من كل المخلوقات: ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ... أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ (كما ورد في آية أخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾)[(٢)].

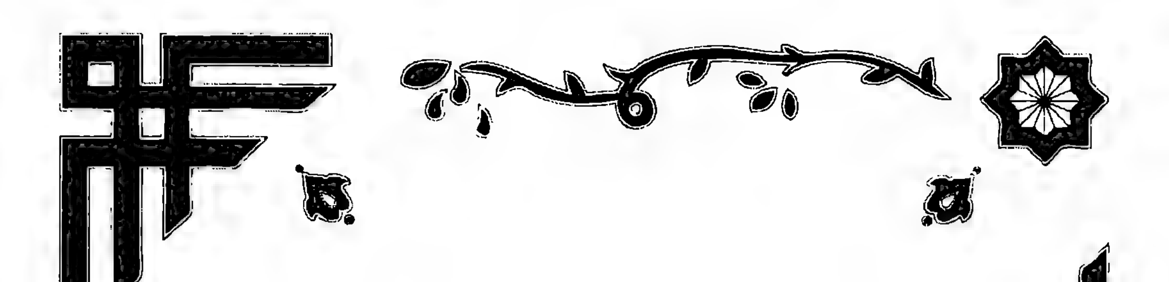
٩ ـ البعد عن الإيمان والعمل الصالح سبب للسقوط، والإيمان عامل للبعد عن أي سقوط أو تدنٍّ: ﴿رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

١٠ ـ مع أنّ الله هو خالق الإنسان وله الحق في معاملة مخلوقه كيفما شاء، إلا أنّه يحكم على أساس العدل وهو أحسن الحاكمين: ﴿...بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٦.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.



سُورَةُ العَلَق

السورة: ٩٦ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٩



ملامح سورة العلق

سورة العلق مكيّة، وعدد آياتها تسع عشرة آية.

وقد اشتقّ اسمها من الآية الثانية التي تشير إلى خلق الإنسان من علق. وهي أول سورة نزلت على النبيّ ﷺ، وبين آياتها ترابط يدلّ على أنّها نزلت دفعة واحدة[١].

وهي من سور العزائم، التي يجب السجود عند الوصول في قراءتها إلى آية السجود، ولأجل ذلك يفتي فقهاء الإمامية بعدم جواز قراءتها في الصلاة، ويحرم على الحائض والجنب قراءتها.



(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

- عن النبي ﷺ: **«أول مرّة ظهر عليّ جبرائيل، قال: اقرأ، قلت: لا أستطيع، وبعد ثلاث مرّات، عصرني فوجدت نفسي أستطيع القراءة»**[1].
- نقرأ في تفسير نوين (التفسير الحديث): نعت الله نفسه بالكريم في المواضع التي تحدث فيها عن الخلق: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[2]، ولكن عند الحديث عن القراءة والتعلم والقلم نعت نفسه بالأكرم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.
- من افتخارات الإسلام أنّه قد بدأ مشواره بالقراءة والعلم والقلم وأول أمر وجّهه الله إلى نبيّه كان أمراً ثقافياً. قراءة لوح نُشر لأول مرّة أمام النبي وكان منظّماً ومكتوباً.
- توجد نكتة كامنة وراء الأمر (إقرأ) وهي أنّ ما سينزل عليك يجب قراءته ولا يكفي العلم به.
- فُسّرت كلمة (علق) بأكثر من معنى:

أ) لزج ولاصق وتعني أنّ آدم عليه السلام خُلق من طين لزج، أو أنّ نطفة الرجل تلتصق كالعلقة بنطفة المرأة.

ب) بمعنى الدم الغليظ والمنعقد وهذا هو المعنى المطروح عادة.

- الذي يخلق الإنسان من دم منعقد هو من أمر شخصاً أمياً بالقراءة.
- يجب بدء التعليم باسم الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وكذلك الذين فرغوا من التعلم يجب أن يسيروا في سبيل الله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

(٢) سورة الانفطار: الآية ٦.

التعاليم:

١ ـ ينبغي البدء باسم الله عند قراءة القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾.

٢ ـ أول أمر جاء في الإسلام، كان أمراً ثقافياً: ﴿ٱقْرَأْ﴾.

٣ ـ يجب أن تكون القراءة ذات وجهة إلهية: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾.

٤ ـ قراءة القرآن وسيلة للرشد: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ﴾.

٥ ـ التربية الإلهية ماديّة: ﴿رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ... خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، ومعنوية كذلك: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ... ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾.

٦ ـ الربّ هو الخالق؛ (لذا فإن كلام المشركين في أنهم يقبلون الله خالقاً ولكنهم يعتقدون أنّ الأصنام هي الربّ، كلام باطل): ﴿رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

٧ ـ بيان أنّ الإنسان خُلق من دم عالق هو إعجاز علمي من جهة، ومن جهة أخرى هو وسيلة لتربية الإنسان ليعلم مبدأه من أي شيء كان فلا يصاب بالغرور: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾.

٨ ـ خَلْق الكون كله في كفّة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وخلق الإنسان في كفّة أخرى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾.

٩ ـ المعلم الأول والأساس للإنسان هو الله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

١٠ ـ القلم أفضل وسيلة لنقل العلم: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾.

١١ ـ الوحي الإلهي، منبع العلوم البشريّة: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

١٢ ـ كون الله خالقاً وربّاً وكريماً ومعلماً، ملزمٌ لقراءة كتابه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ... خَلَقَ... ٱلْأَكْرَمُ... عَلَّمَ...﴾.

١٣ ـ يقوم الله تعالى بأعماله عن طريق الأسباب: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾.

١٤ ـ الاستفادة من القلم للتخلص من الجهل، دليل على كرمه وربوبيّته. وقد حثّ الإسلام على فن الكتابة ورغّب فيه: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾.

١٥ ـ ينمّي الله تعالى جسم الإنسان وينمي روحه كذلك. (جاءت كلمة (ربّك) بين كلمتي (خَلَق) و(اقرأ)): ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

- إمّا أن تكون كلمة «كلّا» بمعنى نفي السابق، أي أنّ الإنسان لا يتذكر ماضيه وكيف أنّ الله خلقه وعلّمه، فيعبده، بل إنّه بدلاً من العبادة، يطغى ويمنع الآخرين من العبادة كذلك. وقد تكون بمعنى (حقّاً) وهي للتأكيد(١).

- إن لم يكن لدى الإنسان قدرة على الفهم فقد تجعله الثروة مغروراً، كمثل قارون الذي كان يقول: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾(٢)، أو أنّه قد يغترّ بسلطته، كفرعون الذي كان يقول: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾(٣)، أو يغترّ بعلمه كبلعم بن باعورا: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾(٤)، ولكن إذا كان الإنسان ذا قدرة على الفهم، حتى لو اجتمعت لديه هذه المقومات الثلاثة مثل النبي يوسف والنبي سليمان، فلن يغترّ؛ لأنّه يعلم أن كل هذا من عند الله وليس من عند نفسه. كما كان يقول نبي الله سليمان: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾(٥) وقال النبي يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾(٦). أجل، فإنّ الخطر يكمن في أن ينظر الإنسان إلى نفسه لا إلى الله(٧): ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

- لا يعبد الطاغي الله ولا يعترف بالقوانين الإلهية، لا يقبل الاستدلال ولا يسمع نداء الضمير واستغاثة المظلومين.

- المقصود من العبد الذي يصلّي: ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ كما يتضح من الآيات الأخيرة للسورة، رسول الله ﷺ. ففي تلك الآيات نُهي الرسول عن إطاعة ذلك

---

(١) تفسير نمونه.
(٢) سورة القصص: الآية ٧٨.
(٣) سورة الزخرف: الآية ٥١.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧٥.
(٥) سورة النمل: الآية ٤٠.
(٦) سورة يوسف: الآية ١٠١.
(٧) تفسير نوين.

الشخص وأُمر بالسجود والتقرّب. ولأنّ هذه الآيات هي أوّل آيات نزلت على الرسول، فهذا يدل على أن الرسول كان يصلّي قبل وصوله إلى مقام الرسالة[١].

❑ جاء في الأحاديث: سأل أبو جهل من حوله قائلاً: هل يسجد الرسول أمامكم على التراب كذلك؟ قالوا: نعم، قال: أقسم بما نقسم به، لو رأيته على تلك الحالة سأدوس على رقبته بقدمي. عندما رأى النبي في حال الصلاة، قرر أن يضرب رأسه الشريف بقدمه حين يهوي للسجود، وبمجرد أن اقترب منه، تراجع بشكل عجيب وقال للمشركين: عندما اقتربت منه، رأيت أمامي خندقاً من نار[٢].

❑ على الرغم من أنّ المقصود من العبد في الآية هو شخص النبي الأكرم، إلا أنّ الكلمة ذُكرت بصيغة النكرة بهدف التعظيم والتقدير: ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾.

التعاليم:

١ ـ الإنسان جاحد للنعمة. لقد خلقناه وعلمناه ما كان يجهل؛ ولكنه يطغى في مقابل ربّه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾.

٢ ـ يطغى الإنسان لأنّه يظن نفسه ـ اشتباهاً ـ غير محتاج: ﴿لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

٣ ـ المنع عن الصلاة من أبرز أنواع المنكرات: ﴿يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾.

٤ ـ لا يجوز أن يعامل الرسول بهذا الأسلوب، حتى لو ظنّ الكافرون أنهم على حق: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

٥ ـ الإنسان قليل الفهم، واعتقاده بأنه غني عن الحاجة يحجبه عن التعقل: ﴿لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

٦ ـ لا يكفي العلم وحده. على الرغم من أننا علّمنا الإنسان، إلا أنّه يطغى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ... إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾.

٧ ـ الغنى كمال؛ ولكن الاعتقاد بالغنى سبب للسقوط: ﴿رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.
(٢) تفسير مجمع البيان؛ ونمونه.

٨ ـ يمنع الإيمان بالمعاد الطغيان: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾.

٩ ـ سنترك كل ما لدينا وسنرحل عن هذه الدنيا، فلا تظنوا أنكم أغنياء غير محتاجين: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾.

١٠ ـ ثمة هدف للإنسان والوجود وكل مخلوق يسير نحو الله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾.

١١ ـ يعارض الطغاة الصلاة: ﴿لَيَطۡغَىٰٓ... يَنۡهَىٰ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ (يكون التصرف غير اللائق موضعاً للتأنيب إذا ما كان دائماً).

١٢ ـ الصلاة دليل على العبودية لله: ﴿عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾.

١٣ ـ ينزعج الطغاة من العبودية لله. (ولا يضيقون بالأشخاص اللامبالين أو العابدين لهواهم أو للآخرين): ﴿يَنۡهَىٰ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾.

١٤ ـ الاسم والوصف ليسا مهمّين، ما يهم هو العمل. (لم يرد اسم الناهي ولا اسم المصلّي): ﴿يَنۡهَىٰ... صَلَّىٰٓ﴾.

١٥ ـ يجب على الشخص الذي يأمر بالتقوى، أن يكون هو نفسه من المهتدين: ﴿كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ... أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾.

١٦ ـ منشأ الطغيان أمران: أحدهما اعتقاد الإنسان بأنه غني: ﴿رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾، والثاني أنّه لا يرى الله ويظن بأنّ الله لا يراه: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩ ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

□ ﴿لَنَسۡفَعَۢا﴾ فعل، وكُتبت نون التأكيد في آخره على هيئة تنوين. هذه الكلمة من مادة «سفع» بمعنى الأخذ بشدة وصفع الوجه. والناصية تعني شعر مقدم الرأس، ويُسحب ويُؤخذ به لأجل التحقير.

□ عندما نزلت سورة الرحمن على النبي الأكرم ﷺ سأل: من سيقرأها على سادة قريش؟ فسكت الصحابة بسبب ردة فعل سادة قريش القاسية والشديدة، ولكن عبد الله بن مسعود قبِل بذلك وكان ضئيل الجثة. وحين رأى الرؤساء بجانب الكعبة، تلا الآيات. فصفعه أبو جهل صفعة سال على أثرها الدم من أذنه. فذهب إلى النبي باكياً، فحزن النبي ﷺ.

في غزوة بدر، رأى عبد الله بن مسعود أبا جهل بين قتلى قريش في اللحظات الأخيرة، فجلس على صدره. فقال له أبو جهل: أتدري أين جلست؟ فقال: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»، فقال أبو جهل: قل للنبي، حتى في هذه الحال، فإنّه من أبغض الأشخاص عندي. فقال ﷺ: آمن فرعون موسى في آخر لحظاته، ولكن فرعوني أنا لم يؤمن حتى في آخر لحظة. حزّ ابن مسعود رأس أبي جهل ومسكه من شعره وأخذه عند النبي وتحققت آية: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ عملياً في هذه الدنيا[١].

□ تُطلق كلمة «نادي» على المجلس العام أو مجلس الفرح.

□ «زبانية» جمع زبينة وتعني الموظف والعامل عند شخص.

□ عن الإمام علي عليه السلام: ثمرة العلم العبادة. بدأت هذه السورة بالأمر بالقراءة والتعليم بالقلم واختتمت بالسجود والتقرّب. يعني، العلم المفيد هو العلم الذي يوصلنا إلى الله. بالطبع فإنّ طريق التقرّب إلى الله شامل لكل الأعمال التي تُنجز بقصد القربة إلى الله، ولكن السجود هو أفضل وسيلة للتقرّب.

□ وردت كلمة «كلا» في هذه السورة القصيرة ثلاث مرّات. يعني يجب الابتعاد عن الأوهام والظنون عديمة الأساس.

□ عن الإمام الرضا عليه السلام بالاستناد إلى الآية: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾: أقرب حالات الإنسان إلى الله، هي حال السجود[٢].

---

(١) تفسير نمونه، نقلاً عن: التفسير الكبير. (٢) تفسير نور الثقلين.

التعاليم:

١ ـ طريق التوبة مفتوح للجميع. ولكن إن لم يتوبوا ولم ينتهوا عن ذنبهم فسوف يلقون جزاءً أليماً: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا﴾.

٢ ـ التهديد لازم في مقابل الظالمين: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾.

٣ ـ الكذب منشأ باقي الأخطاء والمخالفات: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

٤ ـ يخطط المخالفون في جلساتهم بالخفاء للأعمال المؤذية: ﴿يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ... فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾.

٥ ـ على الرغم من أن مخالفي الرسول كان لهم تشكيل وتنظيم، إلا أنهم لم يقدروا على شيء: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾.

٦ ـ جزاء من يرمي الطين، أن يُرمى بالحجارة: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾.

٧ ـ تتغلّب قدرة الله على كل المؤامرات: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾.

٨ ـ حافظوا بإصرار على القيام بالأعمال العبادية في مقابل نهي الآخرين ومنعهم لكم: ﴿يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ... وَاسْجُدْ﴾.

٩ ـ أولاً البراءة ثم العبادة: ﴿لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ﴾ (لا تتبعوا أمثال أبي جهل الذين ينهونكم عن الصلاة وواظبوا على العبادة والسجود).

١٠ ـ السجود أفضل وسيلة للتقرّب إلى الله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ القَدْرِ

السورة: ٩٧ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٥



ملامح سورة القدر

نزلت سورة القدر في مكّة وآياتها قصيرة وموزونة كسائر السور المكية.

تبدأ هذه السورة بالإشارة إلى نزول القرآن في ليلة القدر وتبيّن بعد ذلك أهمية ليلة القدر عند الله وأفضليتها على ألف شهر وتختتم السورة بالحديث عن السلام الإلهي في تلك الليلة.

وردت روايات عدة تتحدث عن فضل تلاوة هذه السورة بعد سورة الحمد في الصلاة، وأنه يخاطب الشخص الذي يقرأها في الصلاة الواجبة بالقول: **«غفر الله لك ما مضى فاستأنف العمل»**[1].

عن الإمام الرضا عليه السلام: **«ما من عبد زار قبر مؤمن فقرأ عنده إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرات، إلا غفر الله له ولصاحب القبر»**[2].



(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص ٧٩.

(٢) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾

إشارات:

- ينجز الله تعالى أمور الكون عن طريق الملائكة وبواسطتهم. لذا جاءت أغلب الأفعال والضمائر المرتبطة بالله في القرآن الكريم بصيغة الجمع. مثل قوله تعالى في بداية هذه السورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

- بناء على نظر المفسرين[1]، فقد نزل القرآن مرّتين. في المرّة الأولى نزل دفعة واحدة في ليلة القدر، والسورة تشير إلى هذه المرّة وفي المرّة الثانية نزل بصورة تدريجية على مدى ثلاث وعشرين سنة وهي مدة رسالة النبي. وعبّر القرآن عن نزول هذا الكتاب السماوي بصورتين. مرّة بكلمة (أنزلنا) من جذر إنزال بمعنى النزول دفعة واحدة ومرة أخرى بكلمة (نزّلنا) من التنزيل بمعنى النزول التدريجي.

- يتبيّن من الجمع بين آية: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وآية: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[2] أنّ ليلة القدر تقع في شهر رمضان، ولا يوجد شيء في القرآن يدل على أي ليلة من ليالي رمضان هي. وقد اختلفت الروايات حول ثلاث ليال. وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن ليلة القدر، فدعا إلى تحرّيها وطلبها في ثلاث ليالٍ هي: التاسعة عشرة، والحادية والعشرون، والثالثة والعشرون[3]. وتجدر الإشارة إلى أن المعروف بين أهل السُّنة هو أنّ ليلة السابع والعشرين هي ليلة القدر.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) وسائل الشيعة، ج١٠، ص ٣٦٠.

التعاليم:

١ ـ ليلة القدر هي ليلة إظهار الامتنان لله وشكره؛ لأنه قد نزلت فيها أهم نعم الله على البشر ألا وهي القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

٢ ـ يجب أن يتناسب الظرف والمظروف. نزل أفضل الكتب في أفضل ليلة على أفضل البشر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾

إشارات:

□ وردت كلمة «قدر» في القرآن الكريم بأكثر من معنى:

أ) المقام والمنزلة: مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[(١)].

ب) القضاء والتقدير الإلهي: في قوله تعالى: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾[(٢)].

ج) الضيق والصعوبة: مثلما قال: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ...﴾[(٣)].

يتناسب أول معنيين مع (ليلة القدر)، لأنّ ليلة القدر، ليلة ذات مقام رفيع وهي ليلة القضاء والتقدير.

□ للكون، حساب وكتاب وقدْر وتقدير: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[(٤)]. حتى مقدار نزول المطر من السماء قد تمّت محاسبته: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾[(٥)]. ليس فقط المطر، بل كل شيء له قدر عند الله: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[(٦)] كما أن للشمس والقمر حساباً وكتاباً دقيقين، بلحاظ وزنها وحركتها ومدارها: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[(٧)].

□ يقدّر الله تعالى في ليلة القدر أمور السنة كلها. كما يقول القرآن في موضع آخر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[(٨)]، لذا فإنّ ليلة القدر ليست محصورة بنزول

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩١.
(٢) سورة طه: الآية ٤٠.
(٣) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٤) سورة الحجر: الآية ٢١.
(٥) سورة المؤمنون: الآية ١٨.
(٦) سورة الرعد: الآية ٨.
(٧) سورة الرحمن: الآية ٥.
(٨) سورة الدخان: الآية ٤.

القرآن وبزمان النبي، وإنما ثمة ليلة قدر في كل شهر رمضان، تقدّر وتُحسب فيها أمور السنة القادمة إلى ليلة القدر التالية.

□ أوصى النبي وأهل البيت بإحياء ليلة القدر بالدعاء والصلاة والقرآن، ومن بين الليالي الثلاث، أكدّوا أكثر على الليلة الثالثة والعشرين. سأل شخص النبي الأكرم فقال: منزلنا بعيد عن المدينة، عيّن لي ليلة أقدم فيها إلى المدينة. فقال ﷺ: «**ادخل المدينة ليلة الثالث والعشرين**»[1].

كان الإمام الصادق عليه السلام في حال المرض، إلا أنّه طلب أن يحملوه إلى المسجد في ليلة الثالث والعشرين[2]. وكانت السيدة الزهراء عليها السلام ترش الماء على وجوه أطفالها لتمنعهم من النوم[3].

جاء في الروايات أنّ النبي الأكرم كان في العشر الأواخر من رمضان يجمع فراش نومه ويحيي الليالي العشر[4].

□ جاء في حديث طويل عن النبي الأكرم ﷺ أنّ النبي موسى عليه السلام قال لله تعالى: «**إلهي، أريد مقام قربك**». فجاءه الجواب: «**قُربي لمن استيقظ ليلة القدر**»، فقال: «**إلهي، أريد رحمتك**». جاء الجواب: «**رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر**». قال: «**أريد جواز العبور عن صراطك**». فجاء الجواب: «**ذلك لمن تصدّق بصدقة ليلة القدر**». قال: «**إلهي، أريد الجنّة ونِعَمها**». جاء الجواب: «**ذلك لمن سبّح تسبيحة في ليلة القدر**». قال: «**إلهي، أريد النجاة من نار جهنّم**». فجاءه الجواب: «**ذلك لمن استغفر ليلة القدر**». وقال في الختام: «**إلهي، أريد رضاك**». جاء الجواب: «**رضاي لمن صلّى ركعتين في ليلة القدر**»[5].

□ من وقائع التاريخ العجيبة، ضربة الإمام علي عليه السلام في ليلة القدر، في محراب

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٣، الآية ٣٠٧.
(٢) بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ١٦٩.
(٣) المصدر نفسه، ج ٩٤، ص ١٠.
(٤) تفسير مجمع البيان.
(٥) وسائل الشيعة، ج٨، ص ٢٠.

العبادة وخلال الصلاة. أجل، يستشهد أشرف خلق الله، في أشرف مكان وزمان وفي أشرف وضعية.

□ الليل له مقام من جهة المسائل المعنوية، وسنشير إلى موارد منها:

دعا الله النبي موسى إلى مناجاة الليل ليُهديه التوراة: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[(١)].

ذكر القرآن الكريم وقت السحر على أنه الوقت المناسب للاستغفار: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(٢)].

كان عروج النبي إلى السماء، ليلاً: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[(٣)].

أُمر النبي بالتعبّد والمناجاة في الليل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾[(٤)]، ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(٥)].

مدح الله تعالى المتعبدين في الليل: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾[(٦)] وأوصى بالتسبيح في الليل: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[(٧)].

أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بوقت طلوع الفجر، ووقت العصر مرّة واحدة ولكنه أقسم بوقت السحر ثلاث مرّات: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[(٨)]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[(٩)]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[(١٠)].

□ مدة ليلة القدر بمقدار ليلة كاملة على الكرة الأرضية كلها، فتكون ٢٤ ساعة، وليست مخصصة لمكان واحد كمكّة، وليست ٨ ساعات فقط. كمثل يوم عيد الفطر الذي يُقصد فيه يوم كامل على كل الكرة الأرضية.

□ قد يكون في اقتران ليلة التقدير للبشر بليلة نزول القرآن، إشارة إلى أنّ قدر

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥١.
(٢) سورة الذاريات: الآية ١٨.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٩.
(٥) سورة المزمّل: الآية ٢.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١١٣.
(٧) سورة الإنسان: الآية ٢٦.
(٨) سورة التكوير: الآية ١٧.
(٩) سورة المدثر: الآية ٣٣.
(١٠) سورة الفجر: الآية ٤.

البشر مرتبط بالقرآن. إن اتبعوا القرآن كُتب لهم السعادة والفلاح، وإن ابتعدوا عنه كُتب عليهم التعاسة والشقاء.

- قال أبو ذر: سألت النبي الأكرم عما إذا كانت ليلة القدر موجودة في عهد الأنبياء وإذا ما قد كان الأمر يتنزّل عليهم فيها وبعد وفاتهم، يتوقف نزول الأمر في تلك الليلة؟ فقال ﷺ: **«ليلة القدر إلى يوم القيامة»**[1].
- قد يكون السر من وراء إبقاء ليلة القدر مخفية، حث الناس على التعبّد في ليال متعددة، ولكي لا يغتر من يدرك الليلة مرّة واحدة، ولا ييأس من لم يدركها من باقي الليالي.
- جاء في الروايات: **«العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر»**[2].

التعاليم:

١ ـ اختاروا وقتاً مقدساً، للأمور المقدسة: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

٢ ـ الأوقات ليست سواسية. فبعض الأوقات لها الأفضلية على بعضها الآخر: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾

إشارات:

- سألوا الإمام الصادق عليه السلام: هل الروح هو جبرائيل؟ فقال: **«جبرائيل من الملائكة والروح أرفع مرتبة من الملائكة. ثم تلا هذه الآية: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ...﴾»**[3].
- يحصل التواصل بين السماء والأرض، والملك والملكوت، والطبيعة وما وراء

---

(١) تفسير البرهان.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص ١٥٨.

(٣) تفسير البرهان.

الطبيعة في ليلة القدر بنزول الملائكة على قلب الرسول والإمام المعصوم.

□ للروح أنواع:

ـ الروح التي هي مصدر الميول والشهوات.

ـ الروح التي هي مصدر القدرة والحركات. وهاتان الروحان مشتركتان بين الإنسان والحيوان.

ـ الروح التي هي مصدر الاختيار والتفكر، وهي خاصة بالإنسان.

ـ الروح التي هي العقل المحض وتشكل جوهر وجود الملائكة.

ـ الروح التي هي أعلى من الملائكة وتتنزّل معهم إلى الأرض في ليلة القدر.

□ جاء في الروايات: **«حاجّوا منكري الإمامة بسورة القدر»**[١]؛ لأنه وبناءً على هذه السورة، تتنزّل الملائكة كل سنة في ليلة القدر. وقد كانت تنزل في زمان حياة النبي على وجوده الشريف، وعلى من ستنزل من بعده؟

من الواضح أنه ليس بمقدور أي شخص أن يكون مضيفاً للملائكة الإلهيين، ويجب أن يكون معصوماً كما النبي وتكون أمور البشر في عهدته وهو ليس إلا الإمام المعصوم، وفي زماننا هو الإمام المهدي عليه السلام، وتتشرّف الملائكة بالحضور بين يديه في ليلة القدر.

نظرة إلى الملائكة في القرآن[٢]:

الملائكة، مدبّرو نظام الوجود وهم المأمورون بتنفيذ الأوامر الإلهية في إدارة الأمور. ذكر القرآن لكل مجموعة من الملائكة مهمة ودوراً وقد سُمُّوا تبعاً لمهامهم: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾[٣]، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾[٤]، ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾[٥]، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾[٦]، ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾[٧]، ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ﴾[٨].

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) جاء في نهج البلاغة، الخطبة ١ والخطبة ٩١، مطالب حول الملائكة.

(٣) سورة النازعات: الآية ١.

(٤) سورة الصافات: الآية ١.

(٥) سورة الصافات: الآية ٢.

(٦) سورة المرسلات: الآية ٣.

(٧) سورة المرسلات: الآية ٤.

(٨) سورة النازعات: الآية ٥.

بعض الملائكة كلفوا بالحفظ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[1].

بعض الملائكة يتكلمون مع أولياء الله، كلّموا زكريا وبشّروه بغلام اسمه يحيى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾[2] وهذه الملائكة هي التي تكلّمت مع مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾[3].

وذُكر في بعض المواضع مساعدة الملائكة للمجاهدين في جبهات الحرب. مثلما أرسل الله ثلاثة آلاف من الملائكة لمساعدة المسلمين في غزوة بدر: ﴿يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾[4].

بعض الملائكة مسؤولون عن قبض الأرواح: ﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾[5] وفريق آخر مسؤول عن أمور العرش: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾[6].

من مميزات الملائكة، مداومتها على العبادة دون تعب حيث يقول تعالى في القرآن: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[7]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[8].

من الوظائف الأخرى للملائكة، الدعاء والاستغفار للمؤمنين: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾[9] والصلاة على نبي الإسلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[10].

ثمة درجات ومراتب للملائكة وليست كلها في مستوى ومقام واحد: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[11].

كما فضّل الله بعض الأنبياء على بعض، فقد اختار من بين الملائكة بعضها: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾[12].

---

(١) سورة الانفطار: الآية ١٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٩.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٢.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.
(٥) سورة السجدة: الآية ١١.
(٦) سورة الحاقة: الآية ١٧.
(٧) سورة الأنبياء: الآية ١٩.
(٨) سورة الأنبياء: الآية ٢٠.
(٩) سورة الشورى: الآية ٥.
(١٠) سورة الأحزاب: ٥٦.
(١١) سورة الصافات: الآية ١٦٤.
(١٢) سورة الحج: الآية ٧٥.

لا تتساوى الملائكة في القدرة والخصائص: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾[1] بعضهم مأمور وبعضهم آمر، ولكنهم جميعاً معصومون وأمناء: ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾[2].

يجب الإيمان بكل الملائكة: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾[3] وذُكر الإنكار لهم إلى جانب الإنكار بالله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾[4].

الملائكة جنود الله، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾[5] وإذا ذُكر أحياناً عدد قليل للملائكة كما جاء في الآية عن حرّاس جهنّم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[6] فيكون للعدد دلالة خاصّة ولا يعني قلة عدد الملائكة.

يطيع الملائكة الله تعالى بالمطلق ويعملون بكل ما يؤمرون ولا يعصون الله أبداً: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[7].

- عن نبي الإسلام ﷺ: «**إنّ الله ﷻ خلق الملائكة من النور**»[8]، قال: «**ما من شيء مما خلق الله أكثر من الملائكة**»[9].
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون**»[10].

التعاليم:

١ ـ لا تقوم الملائكة بأي عمل دون إذن الله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ... بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾.

٢ ـ يكون تقدير الأمور في ليلة القدر بنزول الملائكة وحضورهم: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ... مِّن كُلِّ أَمْرٖ﴾.

٣ ـ تقدير الأمور في ليلة القدر، جزء من ربوبية الله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٖ﴾.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢.
(٢) سورة التكوير: الآية ٢١.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
(٤) سورة النساء: الآية ١٣٦.
(٥) سورة المدثر: الآية ٣١.
(٦) سورة المدثر: الآية ٣٠.
(٧) سورة التحريم: الآية ٦.
(٨) اختصاص، ص ١٠٩.
(٩) تفسير قمي، ج٢، ص ٢٦٠.
(١٠) بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ١٧٤.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

إشارات:

❑ «سلام» هو أحد أسماء الله التي وردت في القرآن الكريم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ...﴾[١].

❑ المقصود من السلام في هذه الآية، العناية واللطف الإلهي الخاص في هذه الليلة بالعباد إذ يحوي السلامة والرحمة والبركة وغلق باب النقمة والعذاب، ولا تكون وسوسة الشيطان في ذلك الوقت مؤثرة[٢]..

❑ تنزل الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر، ويسلّمون على كل رجل وامرأة في حال العبادة[٣]. مثلما يستقبلون أهل الجنة في يوم القيامة بالسلام: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[٤].

التعاليم:

١ ـ ليلة القدر، ليلة سلامة فكر الناس وروحهم؛ والتعالي إلى الله سلام: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

٢ ـ ليلة القدر، ليلة الرحمة، ويمكن الحصول على اللطف الإلهي عن طريق التوبة: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

٣ ـ يقدّر الله تعالى الأمور بما يحقق سعادة البشر، إلا إذا أراد بعض الناس غير ذلك: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

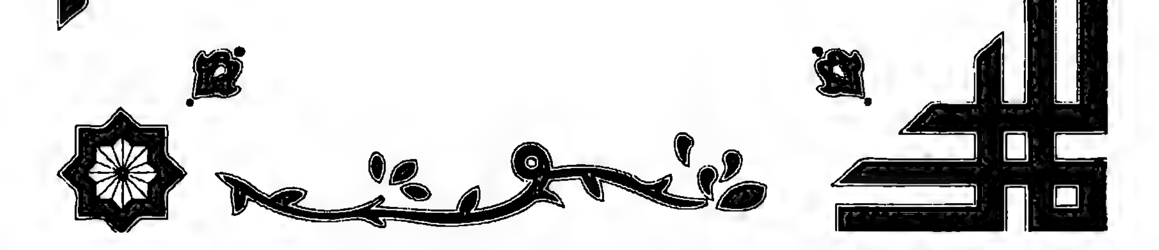
(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.
(٢) الميزان في تفسير القرآن.
(٣) تفسير مجمع البيان.
(٤) سورة الزمر: الآية ٧٣.



سُورَةُ البَيِّنَةِ

السورة: ٩٨ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾

إشارات:

- «البيّنة» هي الدليل الواضح الذي يُفرّق به بين الحق والباطل.
- «القيّم» هو الأمر المستقيم، المُحكم وذو القيمة العالية. كما تُطلق صفة «قيّم» على الشخص الرحيم الذي يقوم بأمور الآخرين. حرف التاء في كلمة «قيّمة» للمبالغة مثل «علامة»، وليس للتأنيث.
- فُسرّت هذه الآية بصورتين: بناءً على أحد التفاسير فإنها تتحدّث عن عدم وفاء وعدم صدق أهل الكتاب والمشركين، وفي تفسير آخر أنها لإتمام الحجّة عليهم.

ادّعى الكفّار أنّهم سيبقون على طريقتهم ما لم يأتهم دليل واضح. ولكن من بعد ما أتاهم الدليل الواضح، ظلّوا على عقيدتهم ولم تؤمن إلا عدّة قليلة. وقد جاء ما يشبه هذا المضمون في الآية ٨٩ من سورة البقرة؛ إذ إنّهم كانوا قبل الإسلام ينتظرون قدوم نبي جديد وكانوا يؤمّلون أنفسهم، ولكن ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟﴾.

- «صُحُف» جمع «صحيفة». وكأنّ كل جزء من الكتاب السماوي هو وحده

صحيفة. التوراة كتاب؛ ولكن القرآن يُعَبّر عنه بالقول: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[(١)].

التعاليم:

١ ـ لا تتوقعوا أن يتخلّى الناس عن معتقداتهم وطريقهم، من دون دليل واضح: ﴿لَمْ يَكُنِ... مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

٢ ـ أهل الكتاب ليسوا منفصلين عن المشركين في إتمام الحجّة. لقد أتمّ الله تعالى الحجة على الجميع بإرسال البيّنة، سواء الكفّار أم المشركين: ﴿تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

٣ ـ ثمة توقع وأمل أكبر في أهل الكتاب. (بالرغم من أنّ الآية الأولى تحدّثت عن أهل الكتاب والمشركين، إلا أنّ سائر الآيات تنتقد أهل الكتاب فقط): ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

٤ ـ يتمّ الله الحجة عن طريق الرسول السماوي والكتاب المقدّس: ﴿رَسُولٌ... يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.

٥ ـ القرآن منزّه عن أي خطأ وانحراف ولغو وباطل وتحريف: ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.

٦ ـ يتضمّن القرآن أوامر مُقوّمة[(٢)]: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

٧ ـ القرآن بحد ذاته كتاب معتدل وبعيد عن الاعوجاج[(٣)]، وهو كذلك سبب لاعتدال المجتمع وتقويمه[(٤)]: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

٨ ـ لا يمكن للعلم والمعرفة أن يحلّا مشكلة مع وجود هوى النفس. لقد فهم أهل الكتاب الحق بوضوح؛ ولكنهم تفرّقوا بسبب اتباعهم هوى أنفسهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾.

---

(١) سورة الأعلى: الآية ١٩.

(٢) قد تكون كلمة «كتب» بمعنى الأوامر الدينية: من مثل آية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾؛ إذ إنّ كلمة «كتب» تعني الأمر.

(٣) بناء على أنّ كلمة قيّمة مشتقّة من الفعل اللازم.

(٤) بناء على أنّ كلمة «قيّمة» مشتقّة من الفعل المتعدّي.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾

إشارات:

❑ «حنفاء» جمع «حنيف» من الحنف وهو الميل إلى الحق. في مقابل كلمة «حنف» بمعنى الميل إلى الباطل.

❑ إذا ما وضعنا آية ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ إلى جانب آية ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾[1] نستطيع استنتاج أنّ العبادة الخالصة من دون تظاهر والارتباط بالله (الصلاة) ومساعدة الآخرين (الزكاة)، من الأمور الفطرية في كلّ إنسان.

التعاليم:

١ ـ تتغيّر ميول الناس وأهواؤهم. أمّا الدين فهو ثابت وباقٍ. التسليم الخالص لله ثابت: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ... وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

٢ ـ لا يكون الإيمان مُحكماً من دون الصلاة والزكاة: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

٣ ـ التأمل في تاريخ المعاندة والمكابرة، من الأمور التي تعزّي قلب النبيّ ﷺ وقلوب المسلمين: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ... إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾.

٤ ـ توحيد الله الخالص وعبادته، من أسباب الوحدة: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ... وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾.

٥ ـ يدعو الأنبياء الناس إلى الله لا إلى أنفسهم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾.

٦ ـ الإخلاص والبعد عن الرياء هما سر البقاء: ﴿مُخۡلِصِينَ... وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

٧ ـ جاء الأمر بالتوحيد والصلاة والزكاة في كل الأديان السماويّة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ...﴾.

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾

إشارات:

- إمّا أن تكون كلمة «برية» من «بَرى» بمعنى التراب ويكون المقصود منها كل المخلوقات الترابية ومن ضمنها البشر، أو أن تكون من «برأ» بمعنى الخلق و«بريّة» على وزن فعلية بمعنى مفعولة أي المخلوقات.
- جاء في روايات منقولة عن الشيعة والسنّة، أنّ النبي الأكرم ﷺ قال للإمام علي عليه السلام: أنت وأصحابك خير البريّة[1] وجاء في آية أخرى من القرآن الكريم ما يشبه هذه الآية: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2].
- الدليل على أنّ الإنسان هو الأسوأ، أنّه قد جاءه الرسول والكتاب وأفهموه الحقيقة ولكنّه أصرّ على العناد بسبب غروره وتكبّره .﴿كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ... هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

التعاليم:

١ ـ من لا يقبل الإسلام، سواء أكان مشركاً أم من أهل الكتاب، فهو كافر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٢ ـ مصير أهل الكتاب والمشركين واحد: ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

٣ ـ يصبح أفضل ما في الوجود، أي الإنسان، أسوأ المخلوقات عندما يضرب بعرض الحائط المنطق والبيّنة: ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

٤ ـ يحدد الإنسان موقعه باختياره، إمّا أن يكون شر البريّة ومن أهل جهنّم، وإمّا

(١) انظر: تفسير نمونه؛ نقلًا عن: شواهد التنزيل، ج٢، ص ٣٥٧.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٢.

أن يكون خير البريّة ومن أهل الجنّة: ﴿كَفَرُوا... شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ... ءَامَنُوا... خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

٥ ـ أفضل طريقة للتوضيح هي المقارنة بين الكفر والإيمان وعاقبة كليهما: ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ... خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

٦ ـ رشد سائر الكائنات ورقيّها محدود وكذلك سقوطها؛ ولكن رشد الإنسان وسقوطه ليس له نهاية: ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ... خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ (بمقدور الإنسان أن يصبح أفضل من الملائكة بإيمانه وعمله الصالح).

٧ ـ الصيرورة للأفضل مرهونة بالإيمان، والكفّار هم الأسوأ. (كلمة «هم» تُفيد معنى الحصر): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

٨ ـ يكون الإيمان مثمراً، إذا ما كان مصاحباً للعمل الصالح: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (ولكنّ الكفر وحده سبب للدخول إلى جهنّم).

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

إشارات:

- تُطلق «الخشية» على الخوف الناشىء عن التعظيم والعظمة.
- تقول هذه الآية: الجنة خاصّة بأهل الخشية: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾. وتقول آية أخرى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[1] إذاً فإنّ الجنّة خاصة بالعلماء.

من جهة، نحن نعلم أنّ ليس كلّ أهل العلم والعلماء من أهل الجنّة. فقد ذكر القرآن الكثير من أهل جهنّم الذين ضلّوا من بعد العلم والمعرفة: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[2]، وكذلك فإنّ ليس كل الأميين من أهل النار. إذاً فإنّ ذلك العلم الذي

(١) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

يكون سبباً للخشية ليس هو العلم بمعناه الاصطلاحي؛ ولكنّ المقصود هو الفهم الطبيعي والإلهي والذي يكون سبباً في تنوير القلب.

التعاليم:

١ ـ جنة الجسم هي البستان والأنهار، وجنّة الروح هي رضا الله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ... رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

٢ ـ خشية الله هي الدافع للعمل بالأوامر الإلهية: ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... جَزَآؤُهُمْ... جَنَّٰتُ... ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.

٣ ـ خلود المؤمنين في الجنّة هو أمر قطعي. (كلمات «عدن»، «خالدين» و«أبداً»، كلّها تبيّن قطعيّة الخلود): ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ... خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

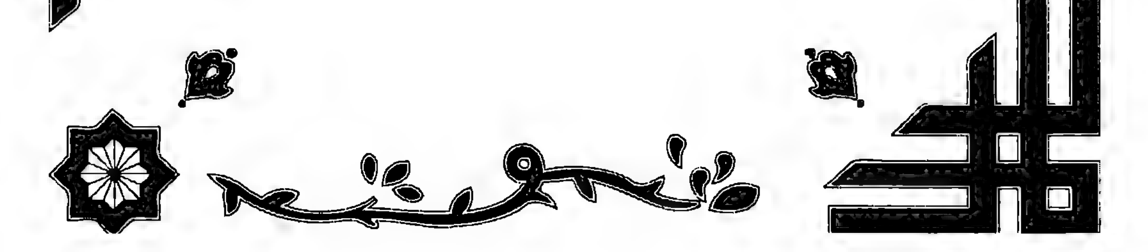
«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

السورة: ٩٩ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

إشارات:

- الأثقال في الآية هم الأموات الذين يخرجون من الأرض في يوم القيامة. مثلما جاء في آية أخرى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[1].

- يحضر الناس في يوم القيامة بشكل متفرّق، مثلما جاء في آيات أخرى: ﴿أَشْتَاتًا﴾، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[2]، ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[3]؛ وربّما يكون ذلك بسبب مصاحبة كلٍّ منهم لمن اختاره في الدنيا قائداً ووليّاً، وإمّا لأنّ ذلك اليوم هو يوم الامتياز الكامل بين الصالحين وغيرهم.

- في يوم القيامة، حتى الجمادات تتكلّم، بإرادة الله. وتشهد الأرض على الإنسان وكذلك أعضاء بدنه. ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[4].

- ورد في الروايات، الدعوة إلى الصلاة في أماكن مختلفة، لأن المكان يشهد

---

(١) سورة الانشقاق: الآية ٤.
(٢) سورة القمر: الآية ٧.
(٣) سورة القارعة: الآية ٤.
(٤) سورة فصلت: الآية ٢١.

للمصلي يوم القيامة[١]. وجاء في رواية أخرى، الدعوة إلى الأذان في الصحراء، لأن كل حجر وطينة يصل إليه صوت الأذان، يشهد لكم يوم القيامة.

- بعد أن قسّم الإمام علي عليه السلام أموال بيت المال، صلّى ركعتين وخاطب الأرض قائلاً لها: **«اشهدي أنّي ملأتك بحق وفرغتك بحق»**[٢].

- جاء في الروايات أنّ الأرض تشهد على النحو التالي حيث تقول: أنجز فلان بالوقت الفلاني، العمل الفلاني فوقي[٣].

- «مثقال» من «ثقيل» بمعنى ميزان القياس. وقد تكون كلمة «ذرّة» بمعنى النملة أو بمعنى الجزيئات الخفيفة المتطايرة في الهواء. واليوم يُطلق على الجزء الصغير من الأجسام وهو المركّب من نواة وإلكترونات. وعلى أيّ حال فإنّ المقصود بها هو أصغر وحدة للوزن.

- جاء في الروايات: دخل رجل عربي إلى مسجد النبي الأكرم وقال: «علّمني مما علمك الله» فأمر صلى الله عليه وآله شخصاً بأن يعلّمه القرآن. فقرأ له المعلم سورة الزلزلة وما أن وصل إلى آية ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ﴾، قال الرجل العربي: «كفاني» وذهب. فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: **«رجع فقيهاً»**[٤].

- في سورة لقمان، يقول لقمان الحكيم لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾[٥].

- تدل شهادة الأرض في يوم القيامة على أنّ الأرض حالياً تدرك ما نقوم به عن علم، وفي ذلك اليوم تقول ما تعلمه بأمر ووحي إلهي.

- إضافة الزلزال إلى الأرض فيها إشارة إلى العظمة، وكذلك فيها إشارة إلى انتشاره وشموله الأرض كلّها. جاءت عظمة هذا الزلزال كذلك في الآية الأولى

---

(١) تفسير مجمع البيان.
(٢) لآلي الأخبار، ج٥، ص ٧٩.
(٣) تفسير نور الثقلين.
(٤) تفسير نمونه وتفسير نور الثقلين.
(٥) سورة لقمان، الآية ١٦.

من سورة الحج: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾. ونقرأ في الخطبة ١٥٧ من نهج البلاغة: **«عباد الله احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الأطفال»**.

التعاليم:

١ ـ زلزال الأرض العظيم في يوم القيامة، أمر قطعي وحتمي: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾. (تُستخدم كلمة «إذا» في الموارد التي يكون فيها الأمر قطعيا).

٢ ـ المعاد جسماني. (تخرج في يوم القيامة أجسام البشر التي دُفنت في الأرض لا أرواحهم): ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

٣ ـ يوم القيامة، يوم تحيّر الإنسان: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾.

٤ ـ الموجودات كلّها حتى ما يبدو أنّه غير عاقلٍ يتوفّر على مستوىً ما من الشعور والإدراك: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

٥ ـ الأرض من شهود يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

٦ ـ يُسدّ في يوم القيامة أي سبيل أمام الإنكار: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

٧ ـ كل الناس سواسية في محكمة العدل الإلهية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ... وَمَن يَعْمَلْ...﴾.

٨ ـ يُبنى العقاب والثواب الإلهيان على أساس العمل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ... فَمَن يَعْمَلْ...﴾.

٩ ـ مهما كان العمل صغيراً، فإن له حساباً وكتاباً؛ لذا لا تستصغروا الذنوب ولا الطاعات: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

١٠ ـ تجسّم الأعمال ورؤيتها في ذلك اليوم هو في حدّ ذاته إمّا عذاب وإمّا لذّة: ﴿يَرَهُۥ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ العَادِيَاتِ

السورة: ١٠٠ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١١



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- العَدْو هو التجاوز وعدوت الشيء تجاوزته. ويُطلق على الركض، عَدْو لأن فيه تجاوزاً عن حد الحركة العادية. والـ «ضَبْح» بمعنى صوت نَفَس الحصان. والـ«قَدْح» بمعنى إشعال النار بضرب الحجر وقدحه بالصوانة. و«المغيرات» من «إغارة» بمعنى الهجوم السريع. و﴿صُبْحًا﴾ كناية عن مباغتة العدو وإخفاء زمن الهجوم. «أثرن» من «الإثارة» بمعنى النَّشر. «النَّقع» هو الغبار، و«كنود» بمعنى كفور. تحمل كلمة «بُعثر» معنى البعث والإثارة أي الاستخراج والتقليب. «حُصّل» بمعنى إخراج النواة من القشرة والتفريق بين الخصال السيئة والحسنة عن بعضها في ذلك اليوم.
- يؤنّب القرآن الإنسان في بعض الآيات لاتصافه ببعض الصفات، ويصفه بـ: ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾[(١)]، ﴿هَلُوعًا﴾[(٢)]، ﴿يَئُوسًا﴾[(٣)]، ﴿كَفُورًا﴾[(٤)]، ﴿جَزُوعًا﴾[(٥)]،

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.
(٢) سورة المعارج: الآية ١٩.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٣.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٦٧.
(٥) سورة المعارج: الآية ٢٠.

﴿مَنُوعًا﴾[1]؛ ولكنه من جهة أخرى يقول عن الإنسان: ﴿كَرَّمْنَا﴾[2]، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾، ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[4]، وهذا الازدواج هو نتيجة وجود بعدين في حركة الإنسان ودوافعه، هما: العقل والغريزة. لو اتبّع مسير عبادة الله وتربية أولياء الله يصير على هيئة، ولو اتبع مسير الهوى والطاغوت والوساوس، صار على هيئة أخرى.

- انتقد القرآن الكريم البخل والتعلّق الشديد بمال الدنيا؛ لأنه السبب في نسيان الآخرة ونسيان المحرومين: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

- عبّر القرآن عن مال الدنيا بكلمة «الخير»: ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾؛ ليفهم الناس أنه يجب تحصيل المال من طريق الخير وصرفه في طريق الخير وبنيّة الخير وبأسلوب خيّر.

التعاليم:

١ ـ إنّ للجهاد والدفاع قيمة عظيمة لدرجة أنّ الله تعالى أقسم بصوت أنفاس خيول المجاهدين: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾.

٢ ـ على المسلمين أن يكونوا فرساناً. (يحمل القسم بالخيل نفسه نوعاً من التشجيع على ركوب الخيل الهادف): ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾.

٣ ـ تسير الخيول في سبيل الله؛ أمّا الإنسان فإنّه يُعاند الله: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ... إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾.

٤ ـ السرعة في العمل، أمرٌ له أهميّته وقيمته في الجهاد ضدّ العدوّ: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾.

٥ ـ استغلوا غفلة العدو للهجوم عليه: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾.

---

(١) سورة المعارج: الآية ٢١.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٠.
(٤) سورة التين: الآية ٤.
(٥) سورة الحجر: الآية ٢٩.

٦ ـ باغتوا العدو بطريقة تصبحون فيها فجأة في وسطه؛ بحيث لا تبقى له فرصة لمواجهتكم: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾.

٧ ـ يضع الجحود وحبّ المال الإنسانَ في الجبهة المقابلة للحق: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ... إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ... لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

٨ ـ لا تنسوا شهداء المواجهات والإمداد الإلهي: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾.

٩ ـ يحمل النصر والتمنّي الإنسانَ على الغرور، لذلك فإنّ التحذير ضروري: ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾.

١٠ ـ ضمير الإنسان عالم ومطّلع، حتى في المواضع التي يعطي فيها الأعذار والحجج فإنّه في الحقيقة عالم بما صنع: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.

١١ ـ الثروة والمال خير، في الثقافة الإسلامية: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

١٢ ـ التعلّق بالمال أمر فطري؛ ولكنّ التعلّق المفرط فيه هو المذموم وهو الذي يؤدي بالإنسان من جهة إلى أن يقوم بأي عمل في سبيل الحصول عليه ومن جهة أخرى إلى أن لا يؤدي حقوق الواجب الإلهي: ﴿لَشَدِيدٌ﴾.

١٣ ـ المعاد جسماني؛ لأنّ الحديث يدور حول القبر: ﴿بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ (يقول تعالى في آية أخرى: ﴿يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[1]).

١٤ ـ ذكر القيامة عامل لتحذير الجاحدين وعبّاد المال: ﴿۞أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾.

١٥ ـ ستُكشف الأسرار الخفيّة يوم القيامة وستجري المحاسبة على أساس ما خفي في الدنيا وما ظهر: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾.

١٦ ـ الله تعالى مطّلع بشكل كامل على أفكارنا وأعمالنا. («خبير» بمعنى العالم بالظاهر والباطن): ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ... لَّخَبِيرٌۢ﴾.

---

(١) سورة الحج: الآية ٧.

١٧ ـ إنّ الله تعالى عالم بالناس في الدنيا كذلك، ولكن في يوم القيامة يظهر هذا العلم للجميع: ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾.

١٨ ـ لأنّ الله تعالى خبير، فإنّ حسابه دقيق أيضاً: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾.

١٩ ـ لا يعاند الإنسان الآخرين بهذه الشدّة، وجحود الإنسان الشديد هذا في مقابل ربّه فقط: ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ القَارِعَةِ

السورة: ١٠١ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- «قارعة» من القرع بمعنى دقّ الشيء وضربه بشيء آخر. والقارعة إحدى أسماء يوم القيامة، لأن القيامة تبدأ بصيحة قارعة وعذابها قارع.
- جاء في الروايات: أن الإمام علياً عليه السلام وأبناءه المعصومين هم الميزان والمعيار لحساب أعمال الإنسان يوم القيامة[1].
- قد يكون السبب في استخدام كلمة «موازين» بصيغة الجمع هو أنّ أعمال الإنسان المختلفة، تُقاس بوسائل مختلفة ولكل عمل ميزانه الخاص.
- «موازين» جمع ميزان ويعني وسيلة القياس، وجليٌّ أنّ أعمال الإنسان ليست أمراً مادياً وليس لها وزن وكتلة لتُقاس بالموازين العادية، وإنما لكل عمل من أعمال الإنسان معيار للقياس، خاص به.
- الأم ملجأ لكل الأبناء، ولكن هنا جهنّم هي ملجأ بعض البشر ومأواهم.
- «هاوية» من هوى بمعنى السقوط، وجهنّم هي محل سقوط بعض الناس.

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ج ٧، ص ٢٥٢.

□ «حامية» من حمى بمعنى شدة الحرارة.

□ تتفتت الجبال مختلفة الألوان وتتكسّر قطعة قطعة فتصبح كالصوف المنفوش: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾؛ «منفوش» من نفش بمعنى فتح الصوف عن بعضه ونفشه حتى تتفكك كل أجزائه عن بعضها[١].

□ لا يختص الثقل والخفة بالماديات. لذا نقول للكلام الخالي من المعنى: كلام خفيف. قد يكون المقصود من: ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ و﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ قيمة العمل وكيفيته وقد يكون المقصود، قلة العمل أو كثرته.

□ عن الإمام علي عليه السلام أنّ المراد من خفة الموازين وثقلها هو: «قلة الحساب وكثرته»[٢].

□ أهان شخصٌ سلمانَ الفارسيّ، بقوله من أنت وماذا أنت؟ فقال: أنا وأنت أولنا نطفة وآخرنا جيفة. هذا في الدنيا، ولكن في القيامة: «من ثقلت موازينه فهو الكريم ومن خفت موازينه فهو لئيم»[٣].

التعاليم:

١ ـ القيامة، قارعة للمستكبرين ولخُلق التكبّر: ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

٢ ـ القيامة أبعد من فكر البشر. حتى النبي لا يعلم عنها من دون بيان من الله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

٣ ـ القيامة يوم تحيّر البشر وضياعهم: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾.

٤ ـ تُنال الجنة بالعمل لا بإعطاء الأعذار: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

٥ ـ الحياة المليئة بالفرح خاصة بيوم القيامة. ففي الدنيا إلى جانب المكاسب

---

(١) تفسير راهنما.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص ٣٦٣.

(٣) تفسير نور الثقلين.

توجد مشكلات المرض، السرقة، الحسد، الخسارة مضافاً إلى أنها عابرة: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

٦ ـ الرضا عن الحياة، من علائم مجتمع الجنّة: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

٧ ـ يُبنى العقاب والثواب على أساس العمل، ويُقاس بميزان العدل: ﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ... خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ التَّكَاثُرِ

السورة: ١٠٢ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾

إشارات:

□ التكاثر من الكثرة، بمعنى طلب المزيد والتفاخر على الآخرين بكثرة الأموال والأولاد.

مظاهر التكاثر:

ـ التكاثر بالشرك وتعدد الأرباب. قال النبي يوسف للمشركين الذين كانوا معه في السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[1].

ـ التكاثر بالطعام. كان بنو إسرائيل يقولون: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ نريد طعاماً من أنواع أخرى: ﴿وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[2].

ـ التكاثر بالعمر. كبعضٍ ممن يتمنون أن يُعمّروا سنين مديدة: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[3].

ـ التكاثر بالمال. جاء في القرآن: يسعى بعضٌ لجمع المال وعدّه: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾[4].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٩.
(٢) سورة البقرة: الاية ٦١.
(٣) سورة البقرة: الآية ٩٦.
(٤) سورة الهمزة: الآية ٢.

ـ التكاثر بالمسكن. يوبّخ القرآن بعضاً ويقول: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾[١].

ـ التكاثر بالشهوة. شرّع الإسلام الزواج لحل المسألة الجنسية واعتبر أن التمتع بالزوج لا إشكال فيه: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[٢]، واعتبر أنّ إرضاء الشهوة بغير طريق الزواج هو تعدٍّ وتجاوز: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[٣].

□ ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ من (لهو) بمعنى التلهي والتسلّي بالأمور الجزئية والتافهة التي تحجب الإنسان عن الأهداف السامية.

□ ﴿زُرْتُمُ﴾ من الزيارة و«المقابر» جمع مقبرة.

□ **تباحثت قبيلتان حول تعداد الأفراد، فقرروا أن يعددوا أفرادهم، فذهب الأحياء إلى القبور ليعدّوا الأموات كذلك.**

□ عن الإمام علي عليه السلام أنّه خطب بعد تلاوة هذه السورة، خطبةً مذهلة يصفها ابن أبي الحديد بقوله: وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس وتُلي عليهم أن يسجدوا له... وإني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الأسود والنمور وأمثالهما من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه إذا أراد الموعظة بكلام يدلّ على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان . وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، وأثرت في قلبي وجيباً وفي أعضائي رعدة ولا تأملتها إلا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب ودّي[٤]. ومّما جاء في تلك الخطبة، قوله عليه السلام: **«أبآبائهم يفخرون؟ أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خوت، وحركات سكنت. ولئن يكونوا عبراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً».**

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٢٨.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٦.
(٣) سورة المؤمنون: الآية ٧.
(٤) شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ١٥٣.

- نُقل عن الإمام علي عليه السلام أنّ قوله تعالى ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في المرّة الأولى مرتبط بعذاب القبر، وفي المرّة الثانية بعذاب الآخرة[1].
- اليقين هو الإيمان القلبي وهو أعمق من العلم. مثلاً: كل الناس يعلمون أنّ الميت لا يقدر على فعل شيء، ولكنهم غير حاضرين لأن يناموا إلى جانب الميت. ولكن مغسّل الأموات ينام بجانب الميت بكل سهولة. لأن الناس يعلمون فقط، ولكن مغسل الأموات مؤمن بذلك وقد وصل إلى اليقين في اعتقاده. العمل بالتكاليف الإلهية هو السبيل للوصول إلى اليقين، مثلما وصل مغسّل الأموات إلى اليقين إثر تكرار العمل.
- بناءً على الروايات، علامة اليقين، التوكل على الله، والتسليم له، والرضا بتقديره، وإيكال الأمور إليه[2].
- ثمة مراتب لليقين. وقد وردت مرتبتان في هذه السورة ووردت مرتبة في سورة القارعة. وهذه المراتب هي: علم اليقين، حق اليقين، وعين اليقين. قد يعلم الإنسان أحياناً بوجود النار بمشاهدته للدخان وهذا علم اليقين. وقد يرى النار نفسها، فيكون عين اليقين، وقد يلمس النار بيده ويشعر بحريقها وهذا هو حق اليقين.
- المقصود من رؤية النار في الآية: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، إمّا أن يكون رؤيتها في يوم القيامة، وإما رؤيتها بالعين البرزخية والمكاشفة في هذه الدنيا ويتناسب هذا المعنى أكثر مع اليقين.
- ورد في عدد من الروايات أنّ النعيم الذي سوف يسأل عنه الإنسان يوم القيامة هو شيء آخر غير الطعام والشراب والماء البارد وما شابه، ففي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: أنّه قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به، ولا يمنّ بذلك عليهم. والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف**

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير. (٢) بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٣٨.

إلى الخالق ﷻ، ما لا يرضى المخلوق به؟! ولكنّ النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوّة...»[١].

□ لا يكون التكاثر بعدد الأولاد فقط؛ بل يكون أحياناً بالمال والأولاد: ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[٢]، ولذا أوصى القرآن بالقول: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾[٣].

□ عن النبي الأكرم ﷺ بعد تلاوة هذه السورة: **«تكاثر الأموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وسدّها في الأوعية»**[٤].

□ وفي شعر منسوب إلى الإمام علي عليه السلام:

يا من بدنياه اشتغل　　قد غرّه طول الأمل
الموت يأتي بغتة　　والقبر صندوق العمل

التعاليم:

١ ـ يجر التفاخر والطمع، الإنسان إلى العبث والأعمال عديمة الفائدة: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

٢ ـ الطمع بالمزيد سبب للغفلة عن حساب يوم القيامة: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ... لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

٣ ـ يتمادى حد التكاثر حتى يصل إلى إحصاء الموتى وعدّهم: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

٤ ـ يجر عدم العلم بأحوال يوم القيامة، الإنسان إلى الانحراف: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ... كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾.

٥ ـ يجب تكرار التحذير في مقابل الأفكار والتصرفات المنحرفة: ﴿كَلَّا... ثُمَّ كَلَّا... كَلَّا﴾.

---

(١) عيون الأخبار، ج٢، ص ١٢٩.
(٢) سورة الحديد: الآية ٢٠.
(٣) سورة المنافقون: الآية ٩.
(٤) تفسير نور الثقلين.

٦ ـ يستطيع الإنسان أن يرى المستقبل بالإيمان واليقين: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾.

٧ ـ كان للتعداد والكميّة أهمية كبيرة في المجتمع الجاهلي لدرجة أنهم كانوا يعدّون الأموات: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

٨ ـ ثمة عقاب شديد للتكاثر والتفاخر: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ... لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾.

٩ ـ التفكير في العاقبة يحول دون التفاخر: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

١٠ ـ يجب السعي للوصول إلى اليقين ومعرفة الحقائق لاتقاء أخطار يوم القيامة: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾.

١١ ـ من شغلته الدنيا، لا يصل أبداً إلى مرحلة اليقين: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ (تُستخدم كلمة لو في الموارد غير الممكن حدوثها).

١٢ ـ ثمة درجات للإيمان واليقين: ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ... عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾.

١٣ ـ يكون الحساب في يوم القيامة على أساس الإمكانات التي أعطاها الله تعالى لكل شخص؛ لذا يختلف حساب كل شخص عن الآخر: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ العَصْرِ

السورة: ١٠٣ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

إشارات:

- كان المسلمون في صدر الإسلام يتلون هذه السورة عند توديع بعضهم بعضاً[١].
- أقسم الله تعالى في القرآن بكل الأوقات: الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ﴾[٢]، الصبح: ﴿وَالصُّبْحِ﴾[٣]، النهار: ﴿وَالنَّهَارِ﴾[٤]، الليل: ﴿وَاللَّيْلِ﴾[٥]، الضحى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾[٦]، السحر: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[٧]، العصر: ﴿وَالْعَصْرِ﴾. وقد أقسم بالسحر أكثر من مرّة.
- نُقل في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ المقصود من العصر، خروج الإمام المهدي (عج)[٨].
- ذهب بعضٌ إلى أنّ المقصود من العصر، هو عصر ظهور الإسلام. وأخذ بعضٌ آخر العصر بمعناها اللغوي أي الضغط. لأنّ الضغوط هي التي تؤدي بالإنسان إلى السعي والابتكار وتُذهب غفلته. وقال بعضٌ ثالث إنّ المقصود من عصر،

---

(١) تفسير نمونه؛ الدر المنثور.
(٢) سورة الفجر: الآية ١.
(٣) سورة التكوير: الآية ١٨.
(٤) سورة الليل: الآية ٢.
(٥) سورة الليل: الآية ١.
(٦) سورة الضحى: الآية ١.
(٧) سورة المدثر: الآية ٣٣.
(٨) تفسير نور الثقلين.

عصارة وجود الإنسان أي الإنسان الكامل. وقال آخرون إنها صلاة العصر[١].

- يمكن جبران الخسارة المالية؛ ولكن الخسارة الإنسانية أعظم خسارة: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾[٢].

- قد يُصاحب توصية الناس بالحق، آثار أليمة لذا يجب مواجهتها بالصبر والثبات: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

- يقول الفخر الرازي: الإنسان في الدنيا كبائع الثلج، يذوب رأسماله في كل لحظة ويجب أن يبيعه في أسرع وقت ممكن وإلا فإنه سيخسر[٣].

- على الرغم من أنّ التواصي بالحق والصبر من الأعمال الصالحة، إلا أنهما عُرضا بشكل منفرد لبيان أهميتهما. وكذلك الصبر والثبات حق وتشمله الآية: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، إلا أن الصبر ذُكر بصورة مستقلة لأهميته: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

- عدّ القرآن الكريم الفضل والرحمة الإلهيين في آية أخرى، عاملاً للبعد عن الخسارة. إذ يقول: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤]، ولهذا، يتحقق الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق في ظل الفضل والرحمة الإلهيين. ولن يهتدي الإنسان إلى الإيمان من دون لطف الله، ولن يكون من أهل العمل الصالح.

سوق الدنيا:

نصل من خلال نظرة إجمالية إلى آيات القرآن الكريم إلى النقطة الأساس وهي أنّ الدنيا عبارة عن سوق يقوم كل الناس بعرض عمرهم، وقدراتهم، واستعداداتهم، وبيع البضائع فيه، وهذا كله إلزامي، إذ يقول الإمام علي عليه السلام:

---

(١) تفسير نمونه.
(٢) سورة الزمر: الآية ١٥.
(٣) التفسير الكبير.
(٤) سورة البقرة: الآية ٦٤.

«**نفس المرء خُطاه إلى أجله**»[١]. إذاً، فإنّ الإنسان بالإجبار، يخسر في كل لحظة رأسماله، أي عمره، ونحن لا نستطيع أن نمنع ذهاب عمرنا وقدراتنا، شئنا أم أبينا فإننا سنخسر وقتنا وقدرتنا، لأجل هذا، فإنّ المهم في هذا السوق هو اختيار المشتري، المشترون الذين يتعاملون مع الله تعالى، ويعطون كل ما يملكون بإخلاص، ويسيرون في سبيله ولأجل رضاه، هؤلاء، قد خلّدوا عمرهم الفاني واستبدلوا الدنيا بالجنة والرضوان الإلهي، هؤلاء هم الفائزون الحقيقيون:

أولاً: لأنّ مشتريهم هو الله تعالى الذي يملك كل الوجود.

ثانياً: يشتري كذلك الأشياء البسيطة التي لا تذكر: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[٢].

ثالثاً: يشتري بثمن مرتفع والقيمة هي الجنة الأبدية: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾[٣].

رابعاً: إذا سعينا للقيام بعمل صالح ولكن لم نوفّق للعمل، فإنه يثيبنا كذلك: ﴿لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ يعني إذا سعى الإنسان، وإن لم يوفق إلا أنّه يُثاب على سعيه.

خامساً: يضاعف الثواب أضعافاً مضاعفة: ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾[٤]. بناءً على ما جاء في القرآن فإنّه يضاعف الثواب سبعمئة مرّة، وثواب الإنفاق الصالح كحبة أنبتت سبع سنابل وفي كل سنبلة مئة حبّة.

ولكن الأشخاص الذين يبيعون في هذا السوق عمرهم بهوى أنفسهم أو بهوى الآخرين ولا يسعون إلى رضا الله، فقد احتملوا خسارة عظيمة، وقد ذكر القرآن تعابير عدة عنهم:

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾[٥]، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾[٦]، ﴿خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾[٧]، ﴿خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[٨]، ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾[٩].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة رقم ٧٤.
(٢) سورة الزلزلة: الآية ٧.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٦.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٣٠.
(٥) سورة البقرة: الآية ٩٠.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٦.
(٧) سورة الأعراف: الآية ٥٣.
(٨) سورة النساء: الآية ١١٩.
(٩) سورة العصر: الآية ٢.

في نظر هؤلاء الناس، الشخص الذكي والفطن هو من يستطيع أن يهيىء لنفسه حياة مرفهة ولو بأي طريقة باطلة كانت أم حقة، وأن يكون له شهرة وشعبية في المجتمع أو أن يكسب مقاماً أو وساماً، وفي غير هذه الحالات يعدونه خاسراً، متخلفاً، وبائساً.

ولكن في الثقافة الإسلامية، الشخص الفطن هو من يحاسب نفسه ولا يتركها لهواها، ويعمل للحياة الأبدية، ويكون يومه أفضل من أمسه، ولا يغفل عن الموت، ويسعى إلى التقوى، والقناعة، والعدالة، بدلاً من الفساد، والبخل، والظلم.

□ عن الإمام الهادي عليه السلام: **«الدنيا سوقٌ، ربح قوم وخسر آخرون»**[1].

التعاليم:

١ ـ الزمان ذو قيمة وقد أقسم الله تعالى به. فلنعتبر إذاً من عِبره: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾.

٢ ـ الإنسان خاسر من كل الجهات: ﴿لَفِي خُسۡرٍ﴾.

٣ ـ الإنسان المطلق الخارج عن مدار تربية الأنبياء، في حال خسارة: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾.

٤ ـ الطريق الوحيد للوقاية من الخسارة هو الإيمان والعمل الصالح: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٥ ـ لا يكفي أن يفكّر الإنسان في نفسه فقط. يفكّر المؤمن في إرشاد الآخرين: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾.

٦ ـ التواصي بالصبر واجب بمقدار التواصي بالحق نفسه: ﴿بِٱلۡحَقِّ... بِٱلصَّبۡرِ﴾.

٧ ـ الإيمان مقدَّم على العمل، كما أن بناء النفس مقدّم على بناء المجتمع: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ... وَتَوَاصَوۡاْ﴾.

٨ ـ من دون الإيمان، والعمل الصالح، وتوصية الآخرين بالحق والصبر، ستكون

---

(١) تحف العقول، كلمات الإمام الهادي.

خسارة الإنسان جسيمة: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ (استخدام (خُسر) بصيغة النكرة وتنوينها دليلان على فداحة الخسارة).

٩ ـ تحتاج إقامة الحق إلى الثبات: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

١٠ ـ سيصلح المجتمع إذا ما تشارك كل الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فينصحون ويقبلون النصح: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ (كلمة (تواصوا) تعني أن العمل متبادل بين طرفين).

١١ ـ تتحقق النجاة من الخسارة إذا ما قصد الإنسان القيام بكل الأعمال الصالحة، حتى وإن لم يُوفّق للقيام بها: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (جاءت كلمة (الصالحات) بصيغة الجمع المحلّى بالألف واللام).

١٢ ـ يجب أن يكون الإيمان كليّاً لا جزئيّاً أي الإيمان بكل أجزاء الدين لا ببعضها فقط: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (ورد الإيمان المطلق، ليشمل كل المقدسات).

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الهُمَزَةِ

السورة: ١٠٤ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾

إشارات:

❑ «همزة» من همز بمعنى السخرية من الآخرين عن طريق العين والحاجب و«اللمز» هو السخرية باللسان. والتاء في آخر الكلمتين، للمبالغة كمثل (ضحكة) أي الشخص الذي يضحك كثيراً.

❑ «الحطم» يعني التفتت والتكسّر بشكل كامل. تُطلق كلمة «مؤصدة» على الحفرة التي تُحفر في الجبل ويُغلق بابها بإحكام.

❑ قد يكون المقصود من «عمد ممدة»، المسامير الطويلة التي يُدقها الجلادون في الناس لتعذيبهم وسجنهم، أو يكون المقصود ألسنة اللّهب العظيمة الممتدة كالأعمدة العالية.

❑ طبقاً لما قاله القرآن، إذا ما توجهنا إلى الله أولاً وبعده إلى المال فذلك أمر جيد: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا...﴾[1]، ولكن إذا ما توجهنا إلى المال بدلاً من الله فذلك موضع للانتقاد: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا...﴾[2].

(١) سورة الجمعة: الآية ١٠.
(٢) سورة الجمعة: الآية ١١.

□ السخرية والاستهزاء حرام وممنوع بأي شكل كان. في غياب الشخص أو حضوره، باللسان أو بالإشارة، سواء بقصد الجد أم الدعابة، كبيراً كان أم صغيراً، سواء ارتبط بتصرفات الشخص وأعماله أم بخلق الطبيعة.

□ يتلذذ بعض الناس بعدّ أموالهم والتباهي والتمتع بها ويظنون أنّ هذه الثروة ستدوم لهم وستخلّدهم في الدنيا ولن يصيبهم المرض والموت. ذمّ القرآن الكريم هذا التفكير وقال: هذه النظرة إلى الدنيا تجعل الإنسان من أهل النار. ولكن امتلاك المال والاستفادة منه بنفسه، ليس مذموماً.

□ جاء في آخر هذه السورة أنّ جزاء أهل اللمز والسخرية هو جهنم المؤصدة أبوابها، وهذا النوع من العذاب خاص بالكافرين، فيُستنتج من هذا أنّ السورة تتحدّث عن الأشخاص الذين يسخرون من الأنبياء الإلهيين.

التعاليم:

١ ـ من آفات امتلاك الثروة وأخطارها، تحقير الآخرين: ﴿هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ... جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾.

٢ ـ المسائل الأخلاقية جزء من الدين. وعلى الإنسان المؤمن أن يتحكم بنظراته ولسانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

٣ ـ علينا أن نحذر من خداع الدنيا لنا وألّا نغترّ بالمال: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾.

٤ ـ فلينتظر أولئك الذين يسعون لجمع المال واحتكاره بدلاً من إنفاقه، عذاب الآخرة المُحطِّم: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ... لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾.

٥ ـ السخرية والاستهزاء، من الذنوب الكبيرة؛ لأنه قد ورد في حق مرتكبيها التوعد بالعذاب: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ... لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾.

٦ ـ لا يسلّط الله النار على الجسم فقط، بل تنفذ إلى أرواح المجرمين وقلوبهم: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾.

٧ ـ يعجز فكر البشر عن درك حقائق الجنّة وجهنّم: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾.

٨ ـ تسد أعمدة النار العالية طريق الهروب أمام أهل النار: ﴿مُّؤۡصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الفِيلِ

السورة: ١٠٥ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

- على عكس ما هو معروف بين الناس، فإنّ «أبابيل» ليست اسم طائر خاص. ولكنها بمعنى أفواج أفواج ومجموعات ومجموعات. ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ تعني أفواج الطيور في مجموعات متفرقة، هجمت عليهم. كلمة «طيراً» تشير إلى جنس الطيور، لا إلى كلمة طائر بنفسها.
- ورد في سبب نزول هذه الآية: كان في اليمن ملك اسمه أبرهة وقد بنى معبداً من المرمر وأمر الناس يأن يزوروه ويطوفوا حوله. تطاول رجلٌ عربي على هذا المعبد. فجهّز أبرهة جيشاً راكباً عل الفيلة وسيّره إلى مكّة حتى يهدّم الكعبة انتقاماً لذلك التطاول.

فأرسل الله تعالى عليهم بالمقابل طيوراً تحمل في مناقيرها حجارة. وبهطول الحجارة أصبح جيش أبرهة كالعصف المأكول وهوى إلى الأرض وهلك. سُمي ذلك العام بعام الفيل ووُلد النبي الأكرم في ذلك العام[1].

---

(١) في سنة ١٣٥٨ من التقويم الهجري الشمسي (الموافق ١٩٧٩ للميلاد)، بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران واحتلال الطلاب المسلمين للسفارة الأميركية، أرسلت الولايات المتحدة عدداً من الطائرات والمروحيات إلى إيران لتحرير رهائنها وإسقاط النظام الإسلامي؛ ولكن إرادة الله أثارت عاصفة رملية في صحراء طبس تعطل على أثره عددٌ من الطائرات واحترق طيّاروها وعددٌ آخر من الطائرات لاذ بالفرار وتركوا المنطقة.

□ هلك أصحاب الفيل وأُذلّوا كذلك: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ التشبيه بالعصف الذي أصبح طعاماً للحيوانات، هو أسوأ إذلال وتحقير.

التعاليم:

١ ـ استفيدوا من الأمثلة القريبة والموجودة لتحذير المجرمين. (كان أصحاب الفيل معروفين لدرجة أنه يتحدث عنهم وكأنهم كانوا أمام أعينهم وليسوا بحاجة للدليل والإثبات): ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ ـ لا تنسوا التاريخ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٣ ـ كانت الكعبة مقدسة قبل الإسلام كذلك، وإهانة المقدسات تستحق العقاب: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾.

٤ ـ القهر الإلهي للمجرمين من تجليات ربوبية الله: ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾.

٥ ـ تملك الطيور الشعور وهي مأمورة من الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾.

٦ ـ من المهم الاطلاع على خطط العدو وفضح أمرهم: ﴿يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾.

٧ ـ يستفيد العدو من أكبر التجهيزات الحربية (من مثل الفيل) للهجوم، ولكن الله ـ تعالى يهلكهم بأبسط الحيوانات من مثل طيور السماء: ﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ... طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾.

٨ ـ مهما كان أعداء الله مجهّزين، إلا أنهم عاجزون: ﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ... كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

٩ ـ أشد العقوبات هي جزاء إهانة المقدسات. (الأقوام الأخرى التي هلكت، لم يصبح أيٌّ منها عصفاً مأكولاً، إما أنهم سقطوا على الأرض أو أغرقوا في الماء): ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

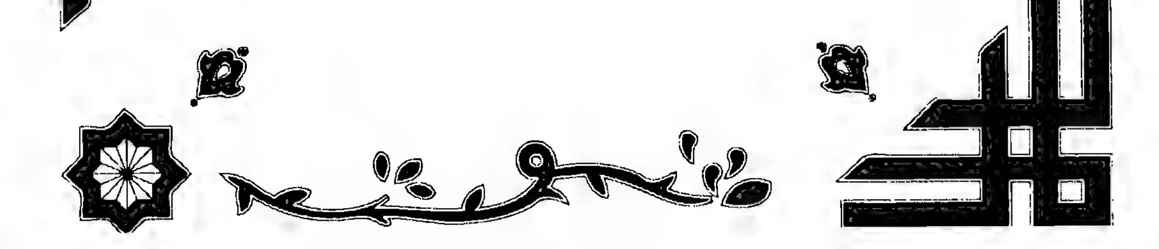
«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ قُرَيْشٍ

السورة: ١٠٦ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

إشارات:

- ذهب بعض المفسرين إلى أنّ هذه السورة تتمة للسورة السابقة واستندوا إلى روايات في أنّ الفصل بين هاتين السورتين في الصلاة غير جائز، كمثل سورتي (الضحى) و(الانشراح). لو كان أبرهة قد انتصر، لكان معاش قريش قد تبدد، ولأجل الحفاظ على معاش قريش أهلك الله تعالى أصحاب الفيل.
- رحل أي سلك الطريق ركوباً على راحلة أو مركب. كان لقريش سفران تجاريان، أحدهما في الشتاء إلى اليمن والآخر إلى الشام في الصيف.
- في مقابل العرف الجاهلي الذي كان يعتبر الحرب وإراقة الدماء أمرا قيّماً، فإن تكرار كلمة إيلاف وألفة يشير إلى اللطف والرحمة الإلهية بقريش.
- الأسفار التجارية سبب في انتعاش الاستيراد والتصدير وتحسين المعيشة والتبادل الثقافي.
- بعد هلاك أصحاب الفيل، صار الناس يقولون بحرمة خاصة لأهل الحرم.

التعاليم:

١ ـ انهزام العدو، عامل لاتحادكم: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ... لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

٢ ـ الوحدة والألفة بين طبقات المجتمع، من النعم الإلهية: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

٣ ـ إذا لم تحلّ المسائل الاقتصادية والأمنية في المجتمع، فلا يمكن دعوة الناس إلى العبادة: ﴿فَلْيَعْبُدُوا... الَّذِي أَطْعَمَهُم... وَءَامَنَهُم﴾.

٤ ـ شُكر المنعم أحد أهداف العبادة: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾.

٥ ـ يدبّر الله تعالى أمور مكّة والكعبة: ﴿رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾.

٦ ـ يجب أن يكون تأمين المعيشة وأمن المجتمع في جهة العبادة والتعبّد لله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا... الَّذِي أَطْعَمَهُم... وَءَامَنَهُم﴾.

٧ ـ من خصائص البشر، الجوع والحاجة إلى الطعام. وتأمين هذه الحاجة دليل على لطف الله ورحمته: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾.

٨ ـ إحلال الأمن ورفع أسباب الخوف، شأن إلهي: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

٩ ـ يؤيد الإسلام السفر لأجل كسب المعاش: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الماعُونِ

السورة: ١٠٧ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾

إشارات:

□ تصف هذه السورة الأفراد السيئين بأنهم:

- الأشخاص الذين ينظرون نظرة سيئة إلى الدين: ﴿يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾.
- يتعاملون مع المسكين واليتيم بسلبية ويطردونهم: ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ﴾.
- ليسوا مخلصين ويؤدّون عباداتهم بطريقة سيئة: ﴿سَاهُونَ... يُرَاءُونَ﴾.
- لا يخدمون الناس: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

□ المقصود هنا من الدين في هذه الآية هو: يوم القيامة، من مثل: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

□ الدعّ هو الطرد بقسوة، والحضّ هو التشجيع وترغيب الآخرين.

□ المقصود من التكذيب بالمعاد والدين في هذه السورة، التكذيب بالقلب لا بالقول؛ لأنّ المخاطبين بالسورة هم أشخاص يصلّون؛ ولكن صلاتهم فيها رياء وتظاهر وسهو وغفلة.

□ «الماعون» من معن بمعنى الوسائل والأدوات التي يعيرها بعض الجيران عادة إلى بعضهم الآخر؛ ليقضوا حاجاتهم، مثل قدور الطبخ في الولائم.

- الدين مجموعة واحدة متكاملة. لا تُفصل الصلاة عن إطعام المسكين ومساعدة المحروم.
- جاء في الروايات أنّ السهو بمعنى التهاون في الصلاة وتركها وإضاعتها[١].
- المحاسبة على الحضور في صلاة الجماعة، لأجل حفظ الشعائر الإلهية، منفصل عن المحاسبة على الرياء والتظاهر لأجل الأهداف النفسية.
- جاء في الحديث: من يمتنع عن إعطاء أدوات منزله لجيرانه، يمنع عنه الله تعالى يوم القيامة لطفه[٢]. ونقرأ في حديث آخر أنهم سألوا: عندنا جيران كلما أعرناهم شيئاً خرّبوه أو كسّروه، هل نقترف إثماً إذا لم نعرهم؟ فأجاب النبيّ ﷺ إنّه لا يحرم المنع في هذه الحالة[٣].
- جاء في الحديث: «**ويل لمن لا يهتّم لأوقات الصلاة، ولا يصلّي في أول الوقت**»[٤].
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «**والماعون أيضاً وهو القرض يقرضه والمتاع يعيره، والمعروف يصنعه، وممّا فرض الله عز وجل أيضاً في المال من غير الزكاة**»[٥].
- تصل قسوة قلب الإنسان إلى حد لا يقدم معه على:
  - مساعدة المسكين المبتلى بأصعب أنواع الفقر.
  - تقديم أهم حاجة للإنسان يعني الطعام، حتى بمقدار الحاجة اللازمة، وليس للتخزين والادّخار.
  - بل يمتنع حتى عن تشجيع الناس على الإنفاق.

نظرة إلى مسألة الرياء:

الرياء والسمعة آفتان عظيمتان، يهددان الأشخاص المؤمنين. الرياء هو أن

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الكافي، ج٣، ص ٤٩٩.

يقوم الإنسان بعمل ليراه الناس. والسُّمعة هي أن يقوم بعمل ويكون هدفه أن يصل ما قام به إلى مسامع الناس. هذان العملان من علامات النفاق. مثلما يقول القرآن عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[1]، كما أنهم لا يساعدون الآخرين إلا مكرهين لا عن رضا: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[2].

بناءً على الروايات، يمتلك المرائي ظاهراً جميلاً وباطناً مريضاً. في الظاهر هو من أهل الخشوع والتواضع؛ ولكن في الباطن فإنه لا يتوانى عن الذنب. هو في الظاهر حمل وديع وفي الباطن ذئب. بدلاً من أن يكسب الآخرة بالدنيا، فإنّه يترك الآخرة لأجل الدنيا. ويسيء الاستفادة من ستر الله عليه ويرتكب الذنب. عن النبي الأكرم: أشد عذاب هو لمن يرى الناس فيه خيراً في حين أنّه لا خير فيه. ترفع الملائكة أعمال بعض الناس؛ ولكن يأتي الخطاب قائلاً: ردّوها، فلم يكن يريد الله بعمله.

الرياء في الثقافة الإسلامية هو نوع من الشرك، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام عن الشخص الذي يعمل الخير، لكن ليس لله بل ليسمع الناس بعمله ويمدحوه: **«هو مشرك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾»**[3][4].

علامة المرائي أنه إن مدحه الناس يزيد من عمله الصالح وإن لم يمدحوه قلّل من عمله. وجدير بالذكر أنّ كل هذا التوبيخ والتقريع هو للأشخاص الذين يقومون بأعمالهم منذ البدء لغير الله، ولكن إذا قام الإنسان بالعمل منذ البدء لله فقط، وعلم الناس بعمله، فسرّه ذلك فلا مانع من ذلك. وقد سُئل الإمام الباقر عليه السلام، فقال: **«لا بأس، ما من أحدٍ إلا وهو يحبّ أن يظهر له في الناس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»**[5].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٢. (٢) سورة التوبة: الآية ٥٤.

(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٤) مجموع الروايات، من ميزان الحكمة، مبحث الرياء.

(٥) الكافي، ج٢، ص ٢٩٧.

الإخلاص:

الإخلاص، مقابل للرياء والسمعة. جاء في الحديث: لا يقبل الله إلا المخلصين: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[1] «**من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه إلى لسانه**»[2] وعلامة الإيمان الكامل هي الحب والبغض والعفو أو عدم العفو في الله، وأفضل عبادة هي الإخلاص. ونُقل عن السيدة الزهراء أنها قالت: «**من أصعد إلى الله خالص عبادته أهبط الله ﷻ أفضل مصلحته**»[3].

التعاليم:

١ ـ التكذيب العملي ليوم القيامة من قبل أهل الإيمان، أمر باعث على التعجب والتساؤل: ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي﴾.

٢ ـ يُبعد طرد اليتيم الإنسان عن الله تعالى: ﴿يُكَذِّبُ بِالدِّينِ... يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾.

٣ ـ مراعاة اليتيم والاهتمام بالجوعى والمحرومين، علامة الإيمان ومن لا يهتم يكون بلا دين: ﴿يُكَذِّبُ بِالدِّينِ... يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾.

٤ ـ ثمة ارتباط عميق بين العقيدة والعمل. (لا أن طرد اليتيم، أمرٌ جزئي، فقد تُنبِىء أحياناً عمّا هو أخطر كتكذيب الدين): ﴿يُكَذِّبُ بِالدِّينِ... يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾.

٥ ـ الحاجات العاطفية، مقدّمة على الحاجات الجسمية. (أولاً حب اليتيم ثم إشباع المسكين): ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ... طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

٦ ـ ليس لكل صلاة قيمة، ولا يدخل كل من صلّى إلى الجنة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾.

٧ ـ السهو حتى لو كان ناشئاً عن التقصير وعدم الاهتمام، يستحق التوبيخ: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣.
(٢) جامع الأخبار، ص ٩٤.
(٣) البحار، ج ٦٧، ص ٢٤٩.

٨ ـ يمكن غفران السهو في الصلاة وجبرانه، ولكن السهو عن الصلاة، يعني ترك الصلاة، غير قابل للغفران: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ (وليس (في صلاتهم)).

٩ ـ يكمن الخطر في أن يكون العمل السيىء هو سيرة الإنسان الدائمة: ﴿يُكَذِّبُ... يَدُعُّ... وَلَا يَحُضُّ﴾ (صيغة الفعل المضارع تدل على استمرار الفعل).

١٠ ـ الإخلاص شرط لقبول الصلاة والعبادة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ... يُرَآءُونَ﴾.

١١ ـ لا يختص إطعام الفقراء بالأغنياء، الكل مكلّف، حتى لو بتشجيع الآخرين وتحفيزهم فقط: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

١٢ ـ يشمل الويل الشخص الذي يغفل في بعض الأوقات عن الصلاة، فكيف بالشخص الذي يترك الصلاة دائماً!: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ... عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

١٣ ـ ثمة عقاب على عدم الاكتراث باحتياجات الناس الضرورية: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ... وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

١٤ ـ خدمة الناس إلى جانب الصلاة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ... وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

١٥ ـ الغفلة عن الصلاة، عامل ممهّد لغفلة الناس: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ... وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

١٦ ـ عدم الاهتمام بالجوعى، دليل على عدم الاعتقاد بالقيامة: ﴿يُكَذِّبُ بِالدِّينِ... وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

١٧ ـ السهو عن أصل الصلاة وحقيقتها هو الخطير، لا السهو عن عدد الركعات الذي قد يكون عارضاً قابلاً للجبران: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

١٨ ـ الأشخاص الذين يبتعدون عن الله، يسعون إلى كسب المقام عند الآخرين عن طريق الرياء: ﴿يُكَذِّبُ... يُرَآءُونَ﴾.

١٩ ـ البخل علامة فارقة عند منكري المعاد، إذ إنهم يمتنعون حتى عن إعارة الأشياء البسيطة عديمة القيمة ويبخلون: ﴿يُكَذِّبُ... وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الكَوْثَرِ

السورة: ١٠٨ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣



ملامح سورة الكوثر

تحتوي هذه السورة على ثلاث آيات وقد نزلت في مكّة. وهي أصغر سور القرآن الكريم.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى ويعني الخير الكثير والوفير.

ورد في روايات متعددة عن الشيعة والسنّة، أن العاص بن وائل، والد عمرو بن العاص الذي كان من كبار مشركي مكّة، بعد أن رحل كل أبناء النبي الذكور عن الدنيا ولم يعد عنده غلام، نعت النبي من باب السخرية والإهانة بالأبتر وقال إنه لا خلف له.

أنزل الله تعالى سورة الكوثر لمواساة النبي وللرد على هذا الكلام الخاطىء، وقال إن عدوّك هو المقطوع النسل، وأخبر عن بقاء نسل النبي وفكره ودوامهما.

ورد في الروايات الوعد للأشخاص الذين يقرأون هذه السورة في الصلوات الواجبة والمستحبّة، بالشرب من حوض الكوثر في يوم القيامة[1].



(١) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣﴾

إشارات:

□ يستخدم الله تعالى ضمير المفرد في مقام الدعوة إلى التوحيد، كمثل: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[١]، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[٢]، ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[٣]. وكذلك في الموارد التي ينجز الله بها العمل من دون واسطة أو في مقام بيان الرابطة العميقة بين الخالق والمخلوق، يستخدم الضمير المفرد من مثل: ﴿أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٤]، ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[٥].

ولكن تكون الآية أحياناً في مقام بيان عظمة الله وشرف النعمة، ففي هذه الموارد يستخدم ضمير الجمع من مثل (إنّا)، كما ورد في الآية: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ لأنّ العطاء الإلهي لأشرف خلق الله، وليس أي عطاء بل هو الكوثر، يجب أن يكون ذكره مصاحباً للتعظيم.

وكذلك في الموارد التي يقوم الله بالعمل عن طريق الواسطة، كالمطر الذي ينزل بواسطة أشعة الشمس وإيجاد البخار والسحاب، يستخدم ضمير الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[٦].

□ من بين سور القرآن المئة والأربع عشرة، بدأت أربع سور بكلمة (إنّا): سور الفتح، نوح، القدر والكوثر: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

في بداية إحدى هذه السور الأربع، ذُكر النبي نوح أوّل أنبياء أولي العزم وهو أبو البشر الثاني من بعد النبي آدم. في بداية السور الثلاث الأخرى، أُشير

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.
(٣) سورة طه: الآية ١٤.
(٤) سورة الحجر: الآية ٤٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٦.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ١٨.

إلى النعم الخاصّة من مثل نزول القرآن، النصر المبين وإعطاء الكوثر. قد يكون ثمة ارتباط بين هذه المواضيع الأربعة، إذ يُبيّن أحدها رسالة أحد أنبياء أولي العزم، والآخر نزول آخر كتاب سماوي، والثالث انتصار دين الإسلام، والرابع استمرار خط الرسالة وعدم بقائه أبتر.

- كلمة «كوثر» مأخوذة من الكثرة وتعني الخير الكثير والوفير. ومن الواضح أنّ هذا المعنى يمكن أن يكون له أكثر من مصداق من مثل الوحي، النبوّة، القرآن، مقام الشفاعة، العلم الكثير، والأخلاق الحسنة، ولكن يدل آخر هذه السورة على أنّ المقصود من الكوثر هو النسل المبارك للنبي الأكرم؛ لأن العدو الحاقد تطاول على النبي بكل وقاحة ونعته بالأبتر، فقال الله تعالى دفاعاً عن نبيّه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾. لهذا، إن لم يكن النسل هو المقصود من الكوثر، فلن نجد معنى مناسباً للربط بين الآية الأولى والأخيرة من هذه السورة.

- تستخدم كلمة «أبتر» في الأصل على الحيوان مقطوع الذَّنَب وتُطلق اصطلاحاً على الشخص الذي لم يبقَ له نسل من بعده. ولأن أبناء النبي الذكور قد رحلوا كلهم عن الدنيا، فقال الأعداء: ليس له خلف ولا نسل وصار أبتر؛ لأن البنت في ثقافة الجاهلية لم تكن لائقة بحمل اسم أبيها وحفظه. لذلك فإنّ جملة: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ دليل على أن المقصود من الكوثر، النسل الكثير للنبي ﷺ، وبدون شك هو عن طريق السيدة الزهراء ﷺ.

- رُزق النبي الأكرم بهذا النسل المبارك من السيدة خديجة. أجل، فقد أعطت السيدة خديجة مالاً كثيراً وأخذت الكوثر. ونحن أيضاً لن نصل إلى الكوثر إلا إذا تخطينا الكثير.

- قال الفخر الرازي في التفسير الكبير: وأي نسل أكثر بركة من نسل فاطمة الذي كان منه أمثال الباقر والصادق والرضا، وعلى الرغم من أن عدداً كبيراً منهم خاصة في عهد الحكام الأمويين والعباسيين قد استشهد، إلا أن لهم أولاداً اليوم في أغلب أنحاء العالم الإسلامي.

□ في الزمان الذي كانت ولادة البنت سبباً لحزن الأب، بحيث يسودّ وجهه ويفكّر ملياً مع نفسه هل يهرب من الناس أم يدفن ابنته حيّة في التراب: ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾[١]، في هذا الزمان، يلقب القرآن البنت بالكوثر ليستبدل الثقافة الجاهلية بالثقافة الإلهية والإنسانية.

□ بناء على الروايات، فإنّ الكوثر اسم أحد أنهر الجنّة وأحواضها، ويرتوي منه المؤمنون. كما جاء كذلك في رواية الثقلين المتواترة أنّ النبي الأكرم قال: «**إنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»؛ أي الكتاب والعترة لن يفترقا حتى يلتحقوا يوم القيامة بالنبي.

□ الكوثر الإلهي لا يرتبط بجنس محدد، كانت فاطمة بنتاً ولكنها صارت الكوثر. وليس له علاقة بالكثرة؛ ففاطمة كانت شخصاً واحداً وصارت كوثر. أجل، فإن الله قادر على أن يجعل القليل كوثر، ويمحو الكثير.

□ يدافع الله تعالى عن أوليائه. أعطى الشخص الذي نعت النبي بالأبتر، جواباً قولياً وعملياً. وجود فاطمة هو الجواب العملي وجملة: ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ هي الجواب القولي. لا يدافع الله تعالى عن أوليائه فحسب بل يدافع عن كل المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[٢].

□ المُهدي هو الله تعالى، المُهدى إليه هو النبي الأكرم والهدية هي السيدة فاطمة. لذا استُخدمت عبارة: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ لتبين عظمة الله وعظمة هديته.

□ كلما كانت الضربة الموجهة للدين والمقدسات الدينية أشد، يكون الدفاع أقوى كذلك. لقد تطاولوا كثيراً على نبي الإسلام ووصفوه بالساحر والكاهن والشاعر والمجنون، وقد ردّ القرآن كل هذه الأمور بشكل أو بآخر.

قالوا للنبي: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[٣]، ولكن الله تعالى قال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[٤].

---

(١) سورة النحل: الآية ٥٩.
(٢) سورة الحج: الآية ٣٨.
(٣) سورة الحجر: الآية ٦.
(٤) سورة القلم: الآية ٢.

قالوا له ﷺ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[2].

نسبوا إليه الشعر والتأليف: ﴿لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[3]، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾[4].

قالوا: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾[5]، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾[6].

نعتوه بالأبتر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

أجل، فإن الرد على من يقول لأشرف المخلوقات، أبتر هو أن يعطيه الله الكوثر لتُبهت عقول الجميع وتتسمّر أعينهم.

- لم يعط الله تعالى في هذه الآية مصداقاً على الكوثر، ليبقى مبهماً وقد يكون في هذا إشارة إلى عمق بركة الكوثر، فهو حتى بالنسبة إلى النبي تحيطه هالة من الإبهام.
- في هذه السورة خبران غيبيّان: أحدهما إعطاء النبي الكوثر، وحدث هذا في مكّة إذ لم يكن النبي يملك شيئاً ولم يكن له ابن، والثاني هو أن العدو سيبقى أبترَ، مع أنّه كان يملك الكثير من المال والولد.
- التاريخ والإحصاءات أفضل شاهد على أنّ العطية الإلهية كانت كوثر. فلم يتكاثر ولم ينتشر نسل في العالم كنسل السيدة الزهراء عليها السلام، وبالأخص إذا عددنا الأشخاص الذين أمهم هاشمية من بني هاشم تعداد السادة في العالم دليل على معجزة هذا الخبر الغيبي.
- إعطاء الكوثر لشخص كالنبي الأكرم، يكون له معنى إذا كان إعطاءً للعلم والحكمة والقدرة والرحمة؛ لذا فإنّ عطاء الكوثر دليل على الصفات والكمالات الإلهية.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤٣.
(٢) سورة يس: الآية ٣.
(٣) سورة الصافات: الآية ٣٦.
(٤) سورة يس: الآية ٦٩.
(٥) سورة الفرقان: الآية ٧.
(٦) سورة الفرقان: الآية ٢٠.

◻ خاطبت هذه السورة التي لا تحتوي على أكثر من ثلاث آيات، شخص النبي الأكرم خمس مرّات. فمضافاً إلى ضمير (ك) في (أعطيناك)، مرّتين في (صلّ) و(لربّك) ومرّتين كذلك في عبارتي (شانئك) و(انحر)، كان النبي هو المخاطب: ﴿أَعْطَيْنَاكَ، فَصَلِّ، لِرَبِّكَ، وَٱنْحَرْ، شَانِئَكَ﴾ وقد خاطب الله تعالى نبيّه أكثر من مئتي مرّة في كل القرآن بعبارة (ربّك).

على الرغم من أنّ الله تعالى هو ربّ كل الوجود: ﴿رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] وربّ كل الناس: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[2]، إلا أنّه من بين كلمات (ربّ) استُخدِمت كلمة (ربّك) أكثر من غيرها وهذا يشير إلى أنّ الله تعالى يعتني بنبيّه عناية خاصة.

كما نلاحظ الأمثلة على هذه العناية الخاصة في آيات أخرى، على سبيل المثال قد ذكر الله تعالى أسماء أعضاء وجوارح النبي الأكرم في القرآن: ﴿وَجْهِكَ﴾[3]، ﴿لِسَانَكَ﴾[4]، ﴿عَيْنَيْكَ﴾[5]، ﴿عُنُقِكَ﴾[6]، ﴿يَدَكَ﴾[7]، ﴿صَدْرِكَ﴾[8]، ﴿ظَهْرَكَ﴾[9].

◻ ألطاف الله تعالى على نبي الإسلام، قد تكون أحياناً تلبية لطلب منه ﷺ، كمثل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[10]؛ ولكن الكوثر كان هديةً إلهية أعطاها الله تعالى لنبيّه العزيز من دون أن يطلبها.

ما هو الكوثر؟

يُستفاد من الآية الأخيرة في السورة أي ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أنّ المقصود من الكوثر، شيء مقابلٌ للأبتر. وحيث إنّ العرب يطلقون على الرجل الذي لا أولاد له ولا سلالة وليس له ابن ذكر ويُمحى أثره بموته، أبتر، فإنّ أفضل مصداق للكوثر هو ذريّة النبي وهم الأئمة المعصومون من ولد فاطمة. بالطبع فإنّ للكوثر معنىً عامّاً وشاملاً لكل خير كثير.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.
(٢) سورة الناس: الآية ١.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٤.
(٤) سورة القيامة: الآية ١٦.
(٥) سورة الحجر: الآية ٨٨.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٢٩.
(٧) سورة الإسراء: الآية ٢٦.
(٨) سورة الأعراف: الآية ٢.
(٩) سورة الضحى: الآية ٣.
(١٠) سورة طه: الآية ١١٤.

□ لو كان المقصود من الكوثر، العلم، فيكون هو الشيء ذاته الذي أُمر النبي بطلبه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

لو كان المقصود من الكوثر، الأخلاق الحسنة، فقد كان للنبي خُلقٌ عظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١].

لو كان المقصود من الكوثر، العبادة، فقد كان ﷺ يتعبّد إلى حد نزلت على أثره الآية: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[٢].

لو كان المقصود من الكوثر، النسل الكثير، فإنّ أكثر السلالات اليوم هي سلالة النبي.

لو كان المقصود من الكوثر، الأمّة العظيمة، فطبقاً للوعد الإلهي سيغلب الإسلام على كل الكون: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٣].

لو كان المقصود من الكوثر، الشفاعة، فسيغفر الله تعالى لأمة النبي حتى يرضى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[٤].

□ ليس كل كثير، كوثر. جاء في القرآن: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٥].

□ يوجد في القرآن الكريم سورة باسم الكوثر، وسورة باسم التكاثر. ولكن الكوثر أمرٌ قيّم، أمّا التكاثر فهو مخالف للقيم. لأن الأول هو عطاء إلهي يتبعه ذكرٌ لله: ﴿أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ﴾ والثاني هو تفاخر سلبي يتبعه غفلة عن الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾.

يحملنا الكوثر على الذهاب إلى المسجد للصلاة: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ ويحملنا التكاثر إلى المقبرة لنعدّ الأموات: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

يحمل عطاء الكوثر، البشرى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ ويجر التكاثر إلى التحذيرات المتوالية: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.
(٢) سورة طه: الآية ٢.
(٣) سورة الصف: الآية ٩.
(٤) سورة الضحى: الآية ٥.
(٥) سورة التوبة: الآية ٥٥.

الكوثر عاملٌ للارتباط بالخالق: ﴿أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ﴾ والتكاثر عاملٌ للتلهّي مع المخلوق: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

- ورد الكوثر، أعظم هدية إلهية، في أصغر سورة في القرآن الكريم.
- لا يمكن أن تكون هدية أشرف معبود لأشرف مخلوق شيئاً غير الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.
- في فتح مكّة، دخل المشركون إلى الإسلام أفواجاً أفواجاً وجماعات جماعات، فأعطى الله تعالى لنبيّه الأمر بالتسبيح فقط: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ﴾ ولكن عندما أعطاه الكوثر قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، وكأنّ أهمية الكوثر أكثر من أهمية دخول الناس إلى الإسلام.
- ورد العطاء الاستثنائي في سورة استثنائية بألفاظ استثنائية:

العطاء الذي ليس له نظير، عطاء الكوثر، في سورة ليس لها نظير، أصغر سورة في القرآن الكريم، وألفاظ ليس لها نظير، من مثل: ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾، ﴿الْكَوْثَرَ﴾، ﴿فَصَلِّ﴾، ﴿وَانْحَرْ﴾، ﴿شَانِئَكَ﴾ و﴿الْأَبْتَرُ﴾ قد وردت فقط في هذه السورة وليس لها شبيه في القرآن.

- لكل أذية باللسان وسخرية، وزن. قد أُهين النبي بكلمات من قبيل: مجنون، شاعر، كاهن، وساحر، وأهانوا أصحابه كذلك حتى قالوا: أبعِد هؤلاء البائسين عنك لنجتمع حولك. ولكن لم تنزل في شأن أي من هذه الإهانات سورة مستقلّة، ولكن عندما نسبوا صفة الأبتر إلى النبي نزلت سورة لتقول، كلا لقد أعطيناك الكثير وعدوّك هو الأبتر، وذلك لأنّه يمكن تحمّل التطاول على النبي وعلى أصحابه، أمّا التطاول على طريقه ومذهبه والقول إنّه أبتر وعابر ولا مستقبل له، فهذا لا يمكن احتماله.
- قد يكون التطاول أحياناً ناجماً عن اللغو وعندها يجب التجاوز عنه بكرم: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

قد يكون التطاول أحياناً نتيجة للجو الفاسد وأصحاب السوء، وعندها يجب

الإعراض عنه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[١].

ولكن قد يكون التطاول أحياناً على المسلك والمذهب، ومن قِبل أشخاص معروفين ومحنّكين سياسيين، عندها يجب الرد عليهم بجواب قاس: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ كما كان المنافقون يقولون من باب الغرور: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾، فأجاب القرآن على وقاحة هؤلاء بالقول: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

- أشير إلى الجمل في القرآن في مبحث التوحيد: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٣] وكذلك جاء ذكره في الحديث عن مقدّمات يوم القيامة: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[٤]، وقد ورد كذلك في أحكام شعائر الحج: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا﴾[٥]، وكذلك استُفيد منه لتقديم الأضاحي ومساعدة الناس: ﴿وَانْحَرْ﴾.

- بناءً على الروايات، المقصود من: ﴿وَانْحَرْ﴾ هو رفع اليدين في تكبيرات الصلاة إلى موازاة أسفل الحنجرة وهو محل النحر، وهذه زينة الصلاة[٦].

- بناءً على الروايات، ذلك الشخص الحاقد الذي تطاول على النبي كان والد عمرو بن العاص.

- الله هو موجد الأسباب وهو معطلها. إنّه قادر على أن يخلق كوثر من فاطمة وقادر على أن يمحو ذكر أشخاص لهم أبناء راشدون.

هو قادر على أن يفلق البحر بعصا موسى: ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾[٧]، وقادر على أن يجري من الحجر اثنتي عشرة عيناً بضربه بتلك العصا نفسها: ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ﴾[٨].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٣.
(٣) سورة الغاشية: الآية ١٧.
(٤) سورة التكوير: الآية ٤.
(٥) سورة الحج: الآية ٣٦.
(٦) تفسير مجمع البيان.
(٧) سورة الشعراء: الآية ٦٣.
(٨) سورة البقرة: الآية ٦٠.

التعاليم:

١ ـ ينجز الله تعالى وعوده. وعد الله تعالى نبيّه بالعطاء في سورة الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[1]. ويقول في هذه السورة: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

٢ ـ الولد والذرية، عطيّة إلهية: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

٣ ـ يتبع النِّعَم مسؤولية، حتى بالنسبة إلى النبي الأكرم: ﴿أَعْطَيْنَٰكَ... فَصَلِّ﴾.

٤ ـ ورد الحث في القرآن على الصلاة أو سجدة الشكر: ﴿فَصَلِّ﴾.

٥ ـ يجب أن يكون الشكر فورياً: ﴿فَصَلِّ﴾. (حرف الفاء للتسريع).

٦ ـ يجب أن نتعلم نوع الشكر من الله تعالى: ﴿فَصَلِّ﴾.

٧ ـ علينا ألا ننسى الله في النِّعم والأفراح: ﴿أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ﴾.

٨ ـ ما يمكنه أن يكون شكراً على عطاء الكوثر هو الصلاة: ﴿فَصَلِّ﴾.

(الصلاة أكمل وأشمل أشكال العبادة، فيجب فيها حضور القلب بقصد القربة ويشتغل اللسان بتلاوة الحمد والسورة وكذلك البدن بالركوع والسجود. وقد يكون في مسح الرأس والقدمين إشارة إلى أنّ الإنسان عبدٌ، من رأسه إلى أخمص قدميه. تُعفّر كل يوم أعلى منطقة في الجبين بالأرض خلال الصلاة، أربعاً وثلاثين مرّة، حتى لا يبقى في الإنسان أي أثر للتكبّر. قالت السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها المعروفة عن فلسفة وعلّة الصلاة «تنزيهاً لكم من الكبر»).

٩ ـ الأوامر الدينية مطابقة للعقل والفطرة. يقول العقل بلزوم الشكر على النعم، والدين أيضاً يأمر بذلك: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾.

١٠ ـ لأنّ العطاء من عنده: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾، فيجب أن يكون الشكر له كذلك: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾.

١١ ـ تقديم القرابين، أحد طرق الشكر على النعم الإلهية: (لأن المحرومين يسدُّون حاجتهم منها): ﴿وَٱنْحَرْ﴾.

---

(١) سورة الضحى: الآية ٥.

١٢ ـ من يملك الكوثر لا يكفي أن يذبح كبشاً عادياً بل يجب أن ينحر إبلاً ويضحي بأكبر حيوان أهلي: ﴿وَٱنْحَرْ﴾.

١٣ ـ العلاقة مع الله تعالى مقدّمة على العلاقة بالخلق: ﴿فَصَلِّ... وَٱنْحَرْ﴾.

١٤ ـ يكون للإنفاق قيمة إذا ما كان إلى جانب الإيمان والعبادة: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

١٥ ـ شكر عطاء الله يكون بإعطاء الناس: ﴿أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ... وَٱنْحَرْ﴾.

١٦ ـ يكون للصلاة قيمة إذا ما كانت خالصة: ﴿لِرَبِّكَ﴾ والإنفاق بكرم هو الإنفاق ذو القيمة: ﴿وَٱنْحَرْ﴾.

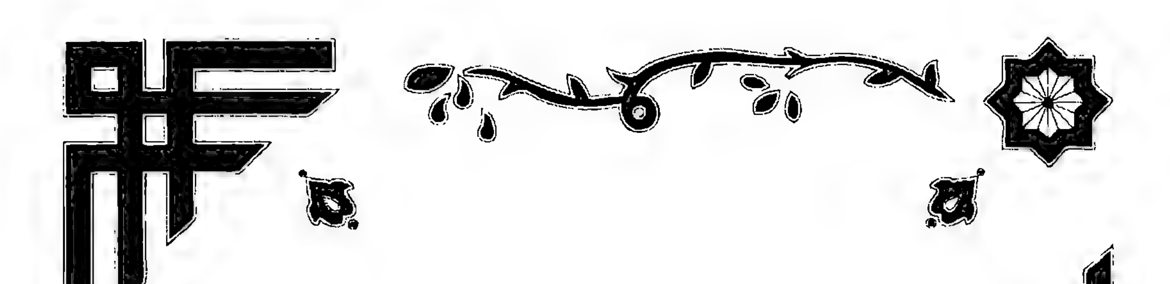
١٧ ـ لن يُفلح المعادون للنبي ودينه. (كلمة (شانىء) اسم فاعل وتشمل كل عدو في الماضي والحاضر والمستقبل. لو قال: (من شانك هو الأبتر) فيكون قد عنى الأعداء في الماضي وإذا قال: (من يشينك هو الأبتر) فتشمل الأعداء في المستقبل فقط: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾).

١٨ ـ إهانة المقدسّات، تستوجب التوبيخ والتهديد: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

١٩ ـ يجب ألّا نخشى من السخرية والإهانات، فإنّ الله يحمي أولياءه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

٢٠ ـ لا تُطلقوا الأحكام متسرّعين ولا تعتمدوا على الإحصاءات والمحاسبات فقط، فكل شيء مرتبط بإرادة الله. (حكم المخالفون على النبي بعد وفاة أبنائه، وهم كانوا ذوي أبناء، بأنّه أبتر، ولكن انقلب كل شيء): ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ... إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الكَافِرُونَ

السورة: ١٠٩ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

إشارات:

□ ورد في سبب نزول هذه السورة أنّ بعض رؤساء قريش قالوا للنبي الأكرم ﷺ: يا محمد! اتبع أنت هذه السنة ديننا وسنتبع نحن دينك في السنة القادمة. وأيهما كان أفضل نبقى عليه. ولكن النبيّ رفض، فقالوا: المس على الأقل آلهتنا وتبرّك بها عندها سنعبد نحن أيضاً إلهك. فنزلت هذه السورة.

□ تخفف كلمة «قل» قليلاً من حقد الكفّار على النبي، فبهذا يدركون أنهم يتعاملون مع الله وأن النبي مأمور فحسب.

□ أحياناً، يجب ترك المعاندين لأنفسهم والقول لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ كما جاء في الآية ٥٥ من سورة القصص: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾، وهذا نوع من التحقير والتهديد وليس إعطاء إجازة بممارسة أي نوع من العمل والعقيدة.

□ يرد التكرار في بعض الموارد من القرآن الكريم للتأكيد. من مثل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾[1] و﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾[2]. وقد يكون التكرار في هذه السورة كذلك للتأكيد، ليقطع المشركون الأمل من تسليم المسلمين لهم وقد يكون لتلقين المسلمين الثبات ليصمدوا على مواقعهم.

---

(١) سورة التكاثر: الآيتان ٣ و٤.
(٢) سورة المدثر: الآيتان ١٩ و٢٠.

❑ جاء في القرآن في مرّات عدّة الإخبار عن عدم إيمان جمعٍ من الكفّار، من بينها الآية السادسة من سورة البقرة والآية السابعة من سورة يس، إذ يقول بصراحة: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

التعاليم:

١ ـ النبي الأكرم أمين الوحي. وينقل كل ما ينزل عليه: ﴿قُلْ﴾.

٢ ـ يجب على المسلمين أن يردّوا على الاقتراحات غير المنطقية ردّاً صريحاً وقاطعاً ويحملوا العدو على اليأس منهم: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

٣ ـ لا ينبغي التخلي عن الأصول والقيم بذريعة الوحدة: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

٤ ـ يجب أن ييأس العالم الكافر من تسليم المسلمين له: ﴿لَآ أَعْبُدُ... وَلَآ أَنَا عَابِدٌ﴾.

٥ ـ يجب إعلان البراءة من الكفّار بشكل مكرر ومؤكد وعلني: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

٦ ـ لا تتاجروا بالدين. لا تسالموا العدو ولا تهادنوه. وفي مقابل تكراره للاقتراحات غير المنطقيّة يجب أن تؤكّدوا أنتم بدوركم على ثوابتكم بشكل قاطع: ﴿لَآ أَعْبُدُ... وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ... وَلَآ أَنَا عَابِدٌ...﴾.

٧ ـ لا تقدموا على أيّ عمل كان، بهدف جذب الآخرين فقط: ﴿لَآ أَعْبُدُ... وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾.

٨ ـ يُخبر القرآن عن الغيب، ويكشف لنا عن أنّ أيّاً من أصحاب الاقتراح، لن يسلم يوماً: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾.

٩ ـ الثبات والحزم، شرط للقيادة الصالحة: ﴿وَلَآ أَنَا عَابِدٌ﴾.

١٠ ـ عبادة الله هي الملاك للتمييز بين المؤمن والكافر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ... وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾.

١١ ـ الإنسان حر في اختيار الدين وليس مجبوراً: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

١٢ ـ يجب التفريق بين الصفوف والتمييز بين الحق والباطل والكفر والإيمان: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

١٣ ـ معبود كل شخص يدلّ على دينه وعقيدته: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ... وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ... لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ النَّصْرِ

السورة: ١١٠ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

إشارات:

- ذهب أكثر المفسرين إلى الربط بين هذه السورة وبين فتح مكّة في السنة الثامنة للهجرة؛ إذ ظهر لكثير من الناس حقّية الإسلام فآمنوا به وحسن إيمانهم، في حين تظاهر بعضٌ آخر بالإيمان خوفاً من الإسلام، مثل أبي سفيان الذي قال عنه الإمام علي عليه السلام: **«ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر»**[١]. وقد ذكر القرآن نوعين من الدخول في دين الله: أحدهما دخول الناس في الدين الذي ورد في هذه السورة: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، والآخر هو دخول الإيمان في قلوب الناس كما ورد في سورة الحجرات: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٢].
- ورد في الحديث أنه عندما يظهر الإمام المهدي (عج)، يؤمن به الناس أفواجاً أفواجاً[٣].
- أكدّ القرآن على تسبيح الله أكثر من الحمد والتكبير؛ إذ وردت كلمة التسبيح في القرآن أكثر من كلمتي الحمد والتكبير.
- نقرأ في الحديث أنّه عند فتح مكّة، دخل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المسجد الحرام أولاً وأقام الصلاة فيه[٤].

---

(١) بحار الأنوار، ٣٢، ص ٣٢٥.
(٢) سورة الحجرات، الآية ١٤.
(٣) تفسير نور الثقلين.
(٤) تفسير كنز الدقائق.

- نصرة الله منوطة بنصر الناس للدين: ﴿إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[1].
- وردت كلمة «التوّاب» إحدى عشرة مرّة في القرآن. في تسع مرّات جاءت مصاحبة لكلمة الرحمة ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ومرّة واحدة مع الحكمة[2] وجاءت مرّة واحدة بصورة مطلقة في هذه السورة.
- أعلن النبي الأكرم عفواً عامّاً في فتح مكّة، وفُتِحت مكّة دون إراقة للدماء. حتى عندما سمع ﷺ سعد بن عبادة يطلق شعار الانتقام ويقول: «اليوم يوم الملحمة»، أخذ منه الراية وأعطاها للإمام علي عليه السلام، وطالبه برفع شعار: «اليوم يوم المرحمة»[3].
- الفتح والنصر الحقيقي من عند الله تعالى. فلا تتكلوا على الأدوات والتجهيزات والقوى البشرية، فقد تكون كل الإمكانات موجودة ومع ذلك تُهزمون: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[4].
- تبدّل في فتح مكّة أمل المشركين يأساً، وأصبح مركز الشرك مركزاً للتوحيد. تبددت كل الموانع التي كانت عقبة في طريق المؤمنين، ثُبّت الإسلام وصار جاهزاً لتصديره إلى الدول الأخرى.
- الاستغفار إمّا لتنوير القلب أكثر، وإمّا للتخفيف من نشوة النصر وغروره؛ وإمّا لغفران ذنوب الأمّة، وإمّا لمعرفة النبي الرفيعة بالله تعالى.

كلمة في فتح مكّة:

أخلّ المشركون بالعهد بعد صلح الحديبية، فجهّز النبي ﷺ جيشاً وفتح مكة دون إراقة أيّ دمٍ. وخلاصة ما حدث هو الآتي: نصب المسلمون خيامهم على بعد كيلومترات من مكّة، وخرج أبو سفيان للاستطلاع من مكّة ليلاً والتقى العبّاس، عمّ النبي الأكرم. قال العبّاس: جاءكم النبي على رأس عشرة آلاف جندي. ففزع أبو سفيان واستجار بالعبّاس وقبل النبيّ جوار العبّاس له وأقرّه عليه،

---

(١) سورة محمّد: الآية ٧.
(٢) سورة النساء: الآية ١٧.
(٣) انظر: شرح ابن أبي الحديد، ج١٧، ص ٢٧٢.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

وقال كلمته المشهورة: **«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»**.

وطلب النبيّ ﷺ من عمّه العباس أن يأخذ أبا سفيان إلى حيث يرى جيش المسلمين أثناء دخولهم إلى مكّة. ففعل وعندما رأى أبو سفيان كثرة عدد المسلمين المقاتلين قال للعبّاس: «إنّ ملك ابن أخيك عظيم»، فأوضح له العبّاس إنّها النبوّة وليست ملكاً. وعندما عاين أبو سفيان ما عاين، يئس من إمكان مواجهة المسلمين، فذهب إلى المسجد الحرام، وطلب من أهل مكّة الكفّ عن القتال وعدم مواجهة المسلمين، وخيّرهم بين التزام دورهم، وبين اللجوء إلى المسجد الحرام.

وهكذا عاد رسول الله ﷺ إلى مسقط رأسه منتصراً مظفّراً بعد أن خرج منه متخفّياً، فسجد لله شكراً على نعمته، ثم تلا سورة الفتح ودخل إلى المسجد الحرام وكان المسلمون يكبّرون معه. واقترب ﷺ من الكعبة وحطّم الأصنام وقال: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1] ولأنّ يديه ﷺ لم تصلا إلى الأصنام الكبيرة الموضوعة على سطح الكعبة، أمر الإمام عليّاً عليه السلام أن يصعد على كتفيه ويحطّم الأصنام. ثمّ أحاط بالكعبة وسأل أهل مكّة: ماذا ترون أنّي فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخٍ كريم. فاغرورقت عيناه ﷺ بالدموع وبكى الناس. فقال ﷺ ما قاله يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[2]، اذهبوا فأنتم الطلقاء. وردّد شعار التوحيد: **«لا إله إلا الله وحده وحده أنجز وعده نصر عبده...»** وطالب المسلمين بتناسي الدماء التي سُفِكت والأموال التي نُهِبت، ودعا إلى فتح صفحة جديدة من التاريخ.

التعاليم:

١ ـ يتحقّق الفوز في ظلّ النصر الإلهي: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.

٢ ـ هلاك رؤوس الشرك والكفر سبب لدخول الناس في التوحيد وعبادة الله الواحد: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ... ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨١. (٢) سورة يوسف: الآية ٩٢.

٣ ـ المسلمون مكلّفون قدر استطاعتهم وإمكاناتهم، بالسعي إلى تهيئة الأسباب لدخول الآخرين إلى الإسلام: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ... ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ لو أنّ الموانع والمعيقات ترفع من أمام الدين، فإنّ الناس سوف يدخلون فيه أفواجاً: ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾.

٥ ـ كان الناس يسلمون واحداً واحداً قبل فتح مكّة، ولكن بعد فتح مكّة أسلموا أفواجاً: ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾.

٦ ـ لا يحملنّكم النصر والفتح على الغرور، فكل شيء هو من الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ... فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾.

٧ ـ يجب أن يكون تنزيه الله تعالى عن العيب والنقص والظلم مصاحباً لشكر نعمه وتسبيحه: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾.

٨ ـ حمد الله وشكره وتسبيحه، مقدمة للاستغفار وطلب العفو: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ... وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾.

٩ ـ عندما يصل الصالحون إلى السلطة، فإنّهم يعطرون أرواحهم وأنفاسهم بذكر الله بدلاً من الغرور والغفلة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ... فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾.

١٠ ـ إنّ الله منزّه عن أن يترك أنصار دينه وحدهم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ...فَسَبِّحۡ﴾.

١١ ـ على كل شخص حتّى النبيّ ﷺ أن يستغفر الله في ختام تسبيحه وحمده: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾.

١٢ ـ تقتضي سنّة الله تعالى قبول التوبة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ المَسَدِ

السورة: ١١١ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۞٥﴾

إشارات:

- تُعرف هذه السورة باسم تبّت وبالمسد. وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، الدعوة إلى لعن أبي لهبٍ عند قراءة هذه السورة[1].
- عندما نزلت آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2]، دعا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أهله وأقاربه وأطلعهم على رسالة الوحي. قال أبو لهب الذي كان عمّ الرسول: «تبّاً لك»، فنزلت هذه السورة وردّت عليه كلامه.
- بما أنّ هذه السورة قد تحققت عمليّاً ورحل أبو لهب وزوجه كافرين عن هذه الدنيا، فيكون واضحاً أنّ هذه السورة قد تنبّأت كذلك لأبي لهب بمصيره.
- «تبّت» من جذر «تبّ» بمعنى الخسران والهلاك، وليس المقصود من «يد» في هذه الآية اليد المادّية، وإنما هي كناية عن قدرة الإنسان وسعيه؛ لذلك يكون معنى هذه الآية أنّ سعي أبي لهب قد ذهب سدى وأنه قد ابتُلي بالضرر والخسران[3].
- نُقِل في التاريخ أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يدعو الناس إلى كلمة «لا إله إلا الله»،

---

(١) تفسير كنز الدقائق.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٣) تفسير الميزان.

وأبو لهب من خلفه يكذّبه ويرميه بالحجارة. وأحياناً كان يذهب زوّار مكّة إلى أبي لهب ويسألونه عن النبي محمد ﷺ، فكان يقول: محمد مجنون ونحن نداويه[١].

لم يتخلّ أبو لهب للحظة عن مواجهة النبيّ ﷺ، ولا عن مساعدة المخالفين له. كان هو وزوجته يقولون كلاماً سفيهاً للنبي وقد يكون هذا هو السبب لذكر اسميهما في القرآن.

- لحن هذه السورة مزلزل بحيث إنّ الجميع حفظها وتلقّى أبو لهب ضربة موجعة أصبح على أثرها جليس بيته إلى أن مات. وصار باقي الكفّار يحاذرون في أعمالهم لكي لا تنزل سورة فيهم.
- لا ينبغي أن تكون العلاقات الأسريّة والقرابة، مانعاً عن قول الحقّ واتّخاذ الموقف على حساب العقيدة والإيمان: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾.
- على الرغم من أنّ أبا لهب وزوجته قد ماتا وبليت عظامهما، إلّا أنّه يجب المواظبة على تلاوة هذه الآيات لتكون عبرة للآخرين وسبباً لزيادة العذاب الإلهي عليهم.
- كان لأبي لهب إخوة صالحون كحمزة وأبي طالب، وأب صالح كعبد المطلب، فلكل حسابه المنفصل بحسب المعايير الإسلامية في الحساب والثواب والعقاب.
- قديماً، كانوا يربطون الحطب الذي يجمعونه بحبل ويحملونه على ظهورهم. وكانت امرأة أبي لهب تضع الحطب في طريق النبي الأكرم ﷺ بقصد إيذائه؛ لذا يخبر القرآن عن وجود حطب جهنّم وحبل سوف يشدّ على رقبتها وتحترق في الآخرة بما جمعت في الدنيا[٢].
- لم يكن لأبي لهب ولد اسمه لهب، وربّما كانوا ينادونه بأبي لهب بسبب حمرة وجهه.

---

(١) تفسير نمونه. (٢) تفسير الميزان.

□ كانت زوجة أبي لهب، شاعرة. كنيتها أو اسمها أمّ جهل، وهي أخت أبي سفيان وعمّة معاوية. وكان عندها حقد دفين على النبي ﷺ، وكانت ترمي الأشواك في طريقه وتهجيه وتهينه بشِعرها.

□ مال الإنسان وثروته لا ينفعانه يوم القيامة: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾، ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[١]، ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾[٢]، ﴿لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾[٣].

□ ذكر في القرآن أربعة أنواع للزوج والزوجة:

ـ الزوج والزوجة المتفقان في الفكر والمسلك. (الإمام علي والسيدة الزهراء اللذان أطعما اليتيم والمسكين والأسير): ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[٤].

ـ الزوج والزوجة المتفقان على عمل السوء: ﴿أَبِي لَهَبٍ...﴾.

ـ الزوج الذي يكون على الحق في حين أنّ زوجته على باطل. مثل زوجتي النبيّ نوح والنبيّ لوط اللتين لم تؤمنا: ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ﴾[٥].

ـ الزوج الذي يتبّع الباطل في حين أنّ زوجته على الحق. مثل فرعون وزوجه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾[٦].

□ كان لزوجة أبي لهب قلادة ثمينة وقد أقسمت أن تنفق مال القلادة في مواجهة النبيّ: ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾.

□ كتب الإمام علي عليه السلام في رسالة إلى معاوية: **«منّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب»**[٧].

□ بالعمل يرتفع الإنسان ويهبط، فسلمان الفارسي البعيد بالنسب عن رسول الله ﷺ يصير من أهل البيت. وعمّ النبيّ يُلعن في القرآن ويُذمّ.

---

(١) سورة الحاقّة: الآية ٢٩.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٨.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠.
(٤) سورة الإنسان: الآية ٨.
(٥) سورة التحريم: الآية ١٠.
(٦) سورة التحريم: الآية ١١.
(٧) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٢٨.

▫ لأنّ زوجة أبي لهب كانت تضع الحطب في طريق النبي الأكرم، فقد تكون عبارة (حمّالة الحطب) تشير إلى ورودها إلى جهنّم وهي تحمل الحطب على ظهرها.

▫ تُستخدم اليد والساعد في السعي، والسعي يكون للوصول إلى الهدف المطلوب. كان هدف أبي لهب، الحؤول دون انتشار الإسلام، وقد بذل قصارى جهده؛ ولكنه لم يصل إلى هدفه. إذاً فقد ذهب سعي يديه سدى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

التعاليم:

١ ـ إعلان البراءة من الفاسدين، جزء من الدين: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

٢ ـ اللعن الأبدي هو جزاء إهانة المقدّسات: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

٣ ـ يجب أن ندعو بهلاك الكفر ومحوه: ﴿يَدَآ﴾ (قطع كلتا اليدين فيه إشارة إلى فشل المساعي).

٤ ـ ردّوا على المخالفين بمثل ما قالوا. قال تعالى في الردّ على الذين قالوا للنبي (تبّاً لك): ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

٥ ـ الضوابط مقدّمة على الروابط في النظام العقدي: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

٦ ـ إحدى وسائل معارضي الأنبياء هي المال والثروة: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ (كان أبو لهب من أصحاب الثروات، وقد صرف ثروته في مواجهة الإسلام).

٧ ـ الأسوأ من الفساد هو تكراره: ﴿حَمَّالَةَ﴾.

٨ ـ لا تنفع الثروة لمقابلة العذاب الإلهي ولا أي شيء يُحصل عليه بالسعي، ثروة كان أم مقاماً ومكانة وحكومة وشهرة: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

٩ ـ العذاب الإلهي ليس بعيداً عن الظالمين: ﴿سَيَصْلَىٰ﴾.

١٠ ـ التكبّر في الدنيا يتحوّل إلى إهانة في الآخرة: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ الإخلاص

السورة: ١١٢ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤



ملامح سورة الإخلاص

طلب بعض أهل الكتاب والمشركين من النبي الأكرم ﷺ أن يعرّف الله لهم؛ فنزلت هذه السورة التي هي بمثابة الهوية الشخصية لله؛ ونزّهت الله عن أن يكون له والد ولا والدة ولا ولد ولا زوج ولا شبيه ولا شريك.

تشتمل هذه السورة على أصفى العقائد التوحيدية، ومن هذا المنطلق سُميّت بسورة التوحيد والإخلاص.

جاء في فضل هذه السورة روايات عدّة، سنشير إلى بعضها في ما يأتي[(١)]:

- وردت الدعوة إلى قراءتها في الصلاة ولو مرّة واحدة على الأقلّ، مع الدعوة إلى قول: «كذلك الله ربّي» في ختامها.
- وفي بعض الأخبار أنّها ثلث القرآن، وقد ورد أنّ من قرأها كأنّه قرأ ثلث القرآن، ولو قرأها ثلاثاً كان بمثابة من قرأ القرآن كلّه.
- وشُبّه الإمام عليّ عليه السلام بها، وورد أنّ من أحبّه بقلبه فقد حاز ثلث الإيمان، وإذا ضمّ إليه النصرة باللسان فقد أحرز الثلث الثاني، وإذا ضمّ إليهما الطاعة فقد كَمُل إيمانه.
- كما وردت الدعوة إلى التعقيب بقراءتها بعد الصلاة، ورُوِي الثواب الجزيل على ذلك.
- وعن الإمام السجّاد عليه السلام في جواب من سأله عن التوحيد: **«إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل الله تعالى «قل هو الله أحد» والآيات من سورة الحديد إلى قوله: «عليم بذات الصدور»»**.
- وأخيراً وردت الدعوة إلى قراءتها كحرز للإنسان من الأخطار والحوادث[(٢)].

---

(١) انظر هذه الروايات في: تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٩٩ ـ ٧١٥.

(٢) مصباح الكفعمي، ص ٢٤٦.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾

إشارات:

- كلمة «الله» من «وَلِه» بمعنى التحيّر، أي أنّ المخلوقات عاجزة عن درك حقيقته وهم والهون ومتحيّرون في معرفة ذاته. وقد روِي عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: **«الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق، ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات»**[1].
- ثمّة اختلاف بين كلمتي «واحد» و«أحد»؛ إذ تُستخدم كلمة «واحد» في الواحد الذي له ثانٍ وثالث، وهذا بخلاف كلمة «أحد» التي تستعمل في الواحد الذي لا ثاني له.
- التوحيد هو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان ولا يمكن الدخول إلى حصن الإيمان من دون الإقرار بالتوحيد. أول كلام النبي كان: **«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»**. يتكوّن الشعار التوحيدي (لا إله إلا الله) من ثلاثة أحرف: الألف واللام والهاء وهو ذكر حتى الشفاه لا تتحرك عند النطق به؛ ولكن أثره العملي يمتد إلى إطاعة المعصوم وخلفائه؛ لأنّ شرط التوحيد كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام هو الإيمان بالإمام المعصوم وطاعته.

خلال سفر الإمام الرضا عليه السلام بعد أن أجبره المأمون على الهجرة من المدينة إلى مرو، مرّ في طريقه بنيشابور، فتجمّع الناس حوله عليه السلام وطلبوا منه هدية وهداية. فقال الإمام الرضا عليه السلام: نقل والدي عن والده وهو عن أجداده وهم عن النبي أنّ الله تعالى قال: **«كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»**. ثم قال: **«ولكن بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها»**؛ أي أنّ التوحيد لا يُقبل من دون ولاية. وكذلك في زمان غيبة الإمام المعصوم، بناء على أمره،

---

(١) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٢٢.

فيجب مراجعة الفقهاء العدول البعيدين عن الهوى والهوس. وعلى هذا الأساس يكون التوحيد الكامل هو الإيمان بالله الواحد، وخلوص الفكر والعمل من كل أنواع الشرك، اتباع الإمام المعصوم في زمان حضوره والفقيه العادل في زمان الغيبة.

- كتب الإمام علي عليه السلام في رسالة إلى ابنه الحسن عليه السلام: «**لو كان لربّك شريك لأتتك رسله**»[1].

- الانسجام بين المخلوقات، دليل على وحدانيته تعالى. مثلما اعتبر الإمام الصادق عليه السلام «اتصال التدبير» دليلاً على وحدانية الخالق[2]. التناغم بين الشمس والقمر والأرض والماء والريح والتراب والجبال والبر والبحر، وانسجامها جميعاً مع احتياجات الإنسان، دليل على وحدة التدبير في نظام الوجود .

يأخذ الإنسان الأوكسجين ويُخرج ثاني أكسيد الكربون، أمّا النباتات فإنها تأخذ ثاني أكسيد الكربون وتُخرِج الأوكسجين. تُؤمَّن احتياجات الطفل عن طريق الوالدين ويُرفع تعب النهار باستراحة الليل. تُحفظ العين المخلوقة من الشحم بالماء المالح، والفم الذي هو الطريق لدخول الطعام إلى المعدة، يبقى رطباً بفضل الماء العذب الذي يساهم كذلك بهضم الطعام.

- سأل أحد الأعراب في حرب الجمل، الإمام عليّاً عليه السلام عن معنى التوحيد. فانزعج الجنود الآخرون من سؤاله الذي ليس في موقعه؛ أمّا الإمام فقد بيّن أنّه يقاتل من أجل التوحيد وشرح للسائل معنى التوحيد، وقال له: «**إن القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله، ووجهان يثبتان فيه، فأمّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا لا يجوز لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد...**» والحديث طويل يراجع في مصدره[3].

- إنّ الله ليس أحداً بالذات فحسب بل بالصفات كذلك. فهو ليس مثلنا بحيث

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٣١.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٤١٨.
(٣) تفسير نور الثقلين.

تكون صفاته منفصلة عن ذاته. نحن نملك العلم والقدرة؛ ولكننا لم نكن علماء ولا قادرين في الصغر وسنفقد هذه الصفات في الكهولة كذلك. والله تعالى يتّصف بالعلم والقدرة؛ ولكنها ليست صفات مكتسبة وإنما هي عين ذاته. كما أنّ صفات مثل المخلوقيّة والفقر والعجز وغيرها لا تنفصل عنّا.

التعاليم:

١ ـ الأنبياء أمناء الوحي؛ قال الله تعالى للنبي: ﴿قُلْ...﴾ وهو بدوره قال: ﴿قُلْ...﴾.

٢ ـ الله تعالى، في حال حضوره هو غائب عن الأعين وغير قابل للمشاهدة: ﴿هو﴾ (يؤمن أهل التوحيد والعقيدة بأنّه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[1].

٣ ـ يجب الإجابة عن التساؤلات العقدية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

٤ ـ يجب الإعلان عن العقائد الحقّة للآخرين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ...﴾.

٥ ـ الله أحد في كل شيء. في الذات والصفات، في العلم والقدرة والحياة والحكمة، في الخلق والتكوين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾

إشارات:

□ «صمد» أي قصد. الله صمد، أي أنّ كل الخلائق تقصده في حاجاتها وهو مقصود من الجميع. وقد روى الإمام الجواد عن معنى «صمد»: «سيدٌ مصمود إليه»، شبيه بآية ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾[2].

□ وعن الإمام الحسين عليه السلام في جواب أهل البصرة الذين سألوه عن معنى

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٢) سورة النجم: الآية ٤٢.

«صمد»: معنى كلمة صمد هو الجُمَل التي تليها، يعني ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[1].

□ وعن الإمام علي عليه السلام في تفسير «الصمد»: **«هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه»**[2].

□ وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«لو وجدت أهلها، لاستخرجت من كلمة «صمد» التوحيد والإيمان والإسلام»**[3].

التعاليم:

١ ـ كل الموجودات، شاءت أم أبت، متوجهة إليه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

٢ ـ هو الغني والكل محتاج إليه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

٣ ـ الله وحده هو من يستحق أن يُقصد: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ (حرفا الألف واللام في الصمد، يُفيدان الحصر).

٤ ـ الموجودات محتاجة إليه في كل أمورها: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ (كلمة «صمد» مطلقة وتشمل كل حاجات المخلوقات، الماديّة والمعنوية).

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾

إشارات:

□ العلاقة بين الله والمخلوقات، علاقة خَلْق لا ولادة. هو يخلق الموجودات، أي ينقلها من العدم إلى الوجود، لا أنه يلدها. فالمولود يكون من جنس الوالدين وبالحقيقة فهو جزء منهما. في حين أنّه ليس ثمة شيء من جنس الله أو جزءٌ منه.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

كان أغلب المشركين وأهل الكتاب يقولون بوجود ولد لله؛ لذا جاءت ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ قبل ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾[١].

- ❑ ليست المخلوقات غير مولودة منه فحسب، بل هي لم تخرج منه حتّى. مثلما تخرج الثمرة من الزهرة، والشجرة من البذرة، والماء من السحاب والعين، النار من الخشب، الكلام من الفم، الكتابة من القلم، العطر من الوردة، النكهة من الطعام، الفكر من العقل، الحرارة من النار، البرودة من الثلج، الحلم والخيال من الذهن، الحزن والفرح والخوف والأمل من القلب[٢].
- ❑ تردّ هذه الآية اعتقاد النصارى القائل بأنّ عيسى هو ابن الله، واعتقاد اليهود بأنّ عزيراً ابن الله، واعتقاد مشركي الجاهليّة بأنّ الملائكة بنات الله.

التعاليم:

١ ـ الله صمد غنيٌّ عن أي شيء وهذا دليل على أنّه ليس محتاجاً لابن أو لوالدين: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

٢ ـ ليس لله علّة وسبب، ولم يوجد من شيء: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾.

٣ ـ المولود معلول، ولا يمكنه أن يكون إلهاً: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ (كيف يقول النصارى إنّ المسيح مولود مريم، وهو الربّ كذلك)؟

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

إشارات:

- ❑ «كفو» يعني الشبيه والنظير والمثيل[٣]. تم التأكيد في مبحث الزواج على اختيار زوج «كفء»، أي أن يكون مماثلاً لكم في الدين والأخلاق.

---

(١) تفسير نوين.

(٢) جزء من الكلام الذي كُتب في الأعلى مأخوذ عن كلام الإمام الحسين في جوابه على أهل البصرة حين سألوه عن معنى الصمد. (تفسير نور الثقلين).

(٣) ابن الأثير، النهاية.

- الله صمد. أي ليس بحاجة إلى أحد والكل محتاج إليه؛ لذا لا يمكن أن يكون له مثيل. فمثيله يجب أن يكون غير محتاج كذلك وهذا لا يتفق مع كون الله صمداً.
- نفت الآية السابقة أن يكون لله أولاد. وهذه الآية تنفي أن يكون لله زوج. وقد جاء في آية أخرى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[1].

التعاليم:

١ ـ لا أحد ولا شيء شبيه لله تعالى لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

٢ ـ ليس لله شبيه ليكون شريكاً له في أمور الوجود: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

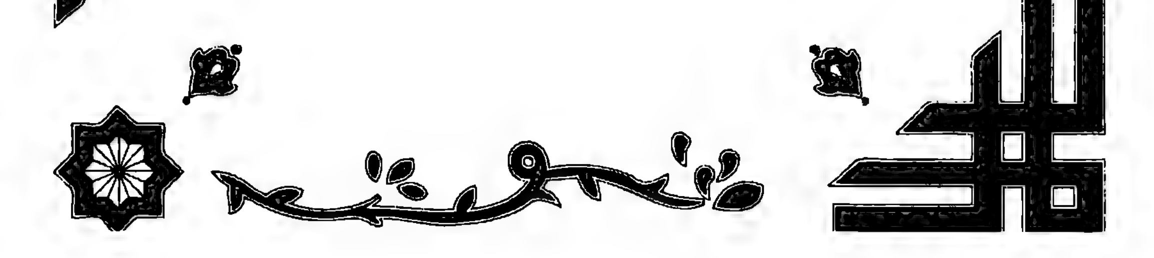
(١) سورة الجن: الآية ٣.



سُورَةُ الفَلَقِ

السورة: ١١٣ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٥



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

إشارات:

- كلمة «فَلَقَ» مثل «فَجَرَ» بمعنى الشَّق. شقّ ظلام الليل أو نور الصباح: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾[١]؛ شق البذرة في التراب: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾[٢].
- ﴿غَاسِقٍ﴾ بداية الليل التي يصاحبها الظلام. كما ورد في آية أخرى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[٣]. وقد يكون المقصود من كلمة «غاسق» كل موجود مظلِم يجلب الظلام المعنوي وينشره.
- يستغلّ الأشرار ظلام الليل للتآمر والهجوم؛ لذا نستعيذ بالله من الشرور التي تحدث في الليل.
- «النفث» هو النفخ، و«العُقد» جمع «عُقدة».
- ظهور الشرّ من كثير من الأشياء محتمل؛ حتى الصفات الكماليّة كالعلم، والإحسان، والشجاعة، والعبادة فهذه، على الرغم من حسنها فإن لها آفات. فآفة العلم الغرور؛ وآفة الإحسان المنّ؛ وآفة العبادة العُجب؛ وآفة الشجاعة الظلم والتهور.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٥.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

□ ثمة ثلاث ثغرات تلحق الأذى بالإنسان وهي: استعداد العدو للهجوم، تحيّن الفرص المناسبة للهجوم من مثل ظلام الليل، وجود نقاط ضعف لا يلتفت إليها المرء. أجل فإنّ العدو يبحث عن الظلام ونقاط الضعف.

□ «النفّاثات في العُقد» أي النافخون في المحكمات لإضعافها. ومن مصاديقها: الدعايات السيئة، نقل الأحاديث والنميمة، إثارة الأجواء السلبية، التجسس ونشر الشائعات. كالذين يزرعون الشك والوسواس بين المرء وزوجه ليثيروا الفتنة بينهما: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[١].

□ على الرغم من أنّ كل ما خلقه الله هو خير: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[٢]، فإن كل شيء لا يتخذ مسيره الصحيح يتحوّل إلى شرّ. مثل الحديد الذي هو خير، ولكن إن صار سكيناً فيمكن إساءة استخدامه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

□ ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي الشر من قبل المخلوقات، لا من الخالق وليس ناشئاً من الخلقة.

□ لا تحصل الاستعاذة بالله من المخاطر بقول «أعوذ» فحسب، فإنّ العمل لازم كذلك إلى جانب القول. مثلما قال أهل البيت بعدما أطعموا المسكين واليتيم والأسير: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[٣]؛ فقال الله في كتابه: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾[٤]. إذاً فإنّ قول ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ وحده لا يُنجي بل يجب أن يصاحبه العمل كذلك.

□ جاء رجلٌ قبيح الوجه إلى النبي يشتكي قبح وجهه، فنزل جبرائيل وقرأ سلام الله على ذلك الرجل القبيح وقال إنّ الله يقول: «**أما ترضى إن حُشرت يوم القيامة على جمال جبرائيل**»، ففرح الرجل وقرّر أن يقوم بكل العبادات والمستحبّات[٥].

□ لا وجود للشرّ المطلق، ومثل هذا الشرّ لم يخلقه الله. ولكن سيوجد العديد من

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢.
(٢) سورة السجدة: الآية ٧.
(٣) سورة الإنسان: الآية ١٠.
(٤) سورة الإنسان: الآية ١١.
(٥) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٤٠.

الأمور التي تُرى من جهة على أنها خير ومن جهة أخرى، شر. مثلما يقول مولوي:

سمّ الأفعى، حياة لها ولكنه للإنسان موت زؤام.

□ لا يوجد شر مطلق في العالم فالشر أمر نسبي، علينا أن نعلم هذا.

□ لا تعتبر بعض الضغوط والمصاعب شرًّا، بل هي سر التكامل. يقول مولوي:

رموا حبة قمح على الأرض فنبتت في الأرض السنابل.
أخذوها مرّة أخرى وطحنوها فتضاعفت قيمتها وأصبحت خبزاً ثميناً.
طُحن الخبز للمرّة الثانية تحت الأسنان فصار عقلاً وروحاً وفهماً مفيداً.
وبعد أن ذابت تلك الروح بالعشق صارت «يُعجب الزرّاع».

□ أوصى القرآن الكريم بمعاملة الأزواج معاملة حسنة حتّى لو كره أحدهما الآخر: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. فأحياناً قد لا تكون المرأة جميلة؛ ولكنها قد تكون أمّاً لعظماء تربّيهم وتسهر عليهم.

□ تُبرِز العديد من الصعوبات، استعداداتنا. وتُنمّي لدينا حالة الصبر والمقاومة وتجعل قلب الإنسان خاشعاً وخاضعاً: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[(١)].

□ الليل هو وقت العبادة والتعبد بالنسبة إلى رجال الله: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾[(٢)]، ولكن بالنسبة إلى الفاسدين هو وقت للتآمر والتهديد والهجوم: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾.

□ الكلام أو الحركة التي تزلزل روابط الصداقة المحكمة، هي النفّاثات ويجب أن نستعيذ بالله منها.

□ استعاذة الإنسان بالله تستلزم إعاذة الله له؛ وإلا فسوف يكون الأمر بالاستعاذة لغواً.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٣.

❑ من بين كل الشرور، ورد في هذه السورة ذكر ثلاثة منها:

- الشر المخفي في الظلام: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾.
- شر الألسنة الفاسدة: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾.
- شر الحسد والمنافسات السلبية: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

❑ قد تستطيع المرأة بجمالها ولطافة حديثها أن تسبي عقل الرجل وتضعف قدرته على اتّخاذ القرار الصحيح.

❑ من مصاديق النفاثات، السحر والشعوذة؛ لذا فإن تعليمها والعمل بها حرام.

❑ على الرغم من أنّ ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ شاملة لكل الشرور، إلا أنّه قد تمّ ذكر ثلاثة شرور بشكل منفصل لأهميتها .﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ... ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ... حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

❑ الاستعاذة ضرورية في كل حال، سواء في حال الخطر: ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؛ أو في موضع طلب الكمال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1].

❑ نستعيذ في سورة الفلق بصفة إلهية واحدة من ثلاثة شرور خارجية. (من شرّ غاسق وحاسد ونافث، بصفة «ربّ الفلق»). ولكن الوضع معكوس في سورة الناس فإننا نستعيذ من الخطر الداخلي بثلاث صفات إلهية: (نستعيذ من وسوسة القلب بصفات: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾).

بحث في الحسد:

السعي إلى الحصول على الكمالات التي لا يملكها الآخرون، هو أمر جيد وقيّم؛ ولكن السعي إلى تحطيم كمالات الآخرين هو حسد. يدل الحسد على الضعف وضيق الأفق. وقد وقعت أول جريمة قتل على الأرض بسبب الحسد بين أولاد آدم، وأول ذنب ارتُكب في السماء كان بسبب حسد إبليس لآدم. جاء في الحديث: «**يأكل الحسد الإيمان كما تأكل النار الحطب**»[2].

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٨. (٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٠٦.

وما حدث مع أهل البيت عندما أزيلوا عن مناصبهم كان ناشئاً عن الحسد. ويقول القرآن في الآية ٥٤ من سورة النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾.

من بين كل الشرور فإنّ الحسد هو رأس الشرور كلّها؛ لأنّ الحاسدين يرسمون الخطط ويحتالون ويرتكبون أنواع الشرور المختلفة ليصلوا إلى أهدافهم.

ورُوِي عن الإمام عليّ عليه السلام: «**الحسد داء عياء لا يزال إلا بهلك الحاسد أو بموت المحسود**»[1]. والحاسد في الحقيقة يعترض على الله تعالى ويواجه إرادته وحكمته تعالى، بسؤال: لماذا أعطيته ولم تعطني؟

لا يتمنى الحاسد الخير أبداً ولا يقدّم النصح، وبسبب طبعه الخبيث؛ فإنه يحرص على ألا يصل الخير منه إلى أحد.

- يعدّ القرآن الحسد منشأ لكثير من الذنوب. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الكفر أصله الحسد**»[2]. كما كان الكفار يقولون في مقابل الأنبياء: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[3].

الحاسد ليس من أهل التواضع ولا الشكر، ولا يعترف لغيره من الناس بما لهم من كمالات، ويدفعه هذا الإنكار إلى كتمان الحقّ. والحاسد كثيراً ما يكون منافقاً. ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «**الحاسد يُظهر وُدّه في أقواله ويخفي بُغضه في أفعاله**»[4].

ما هو منشأ الحسد؟

أحياناً، قد يؤدي التميز بين الناس إلى تحاسدهم.

ولا يدرِك بعض الناس تفاصيل الأمور والظروف المحيطة ببعض الأشخاص أو الأحداث، فعندما يرون تميّز شخص آخر عنهم في شيء تستعر نار الحسد في

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة رقم ٤٩٣.
(٢) الكافي، ج ٨، ص ٧.
(٣) سورة التغابن: الآية ٦.
(٤) غرر الحكم.

قلوبهم لما يرون من امتياز لا يدركون سببه، وربّما لو عرفوا السبب لخمدت تلك النار في نفوسهم.

وقد ظهر الحسد في بيوت الأنبياء كذلك. كما حدث في بيت النبي يعقوب؛ إذ دفع الحسد الإخوة إلى إلقاء أخيهم في غيابة البئر.

ولا يقتصر الحسد على الأمور الماديّة، بل قد يُحسد المرء أحياناً على إيمانه ويتمنّى الحاسدون لو يعود إلى الكفر: ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا﴾[1].

وجليٌّ أنّ الحسد هو تمنّي زوال النعمة عن الآخرين، وإلا فإنّ طلب النعمة من الله ليس حسداً. مثلما طلب النبيّ سليمان عليه السلام من الله تعالى ملكاً لا نظير له: ﴿مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ﴾[2]. ويطلب الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل من الله الحظ الأوفى والمنزلة الأقرب: **«واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك وأقربهم منزلة منك...»**[3].

❑ لعلاج الحسد، يجب أن نفكّر بهذه الطريقة:

الدنيا قصيرة وصغيرة ولا تستحق الاهتمام والاغتمام لأجلها.

نحن أيضاً نملك نِعماً لا يملكها الآخرون.

قُسّمت النعم على أساس الحكمة، وإن لم نعلم حكمتها.

من كانت نعمه أكثر، كانت مسؤوليته أكبر.

فلنعلم أنّ حسدنا لا نتيجة له، ولن يقطع الله فضله عن الآخرين؛ لأننا لا نكره رؤيته، ولن نُتعب بذلك إلا أنفسنا.

التعاليم:

١ ـ يجب أن نجري الاستعاذة بالله على ألسنتنا: ﴿قُلۡ أَعُوذُ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٢) سورة ص: الآية ٣٥.

(٣) البلد الأمين والدرع الحصين، ص ١٩١.

٢ ـ يجب على الأنبياء كذلك الاستعاذة بالله، لكثرة المخاطر وأهميتها: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾.

٣ ـ لا يمكن إصلاح أنفسكم ومجتمعكم من دون الاستعانة بالله والاستجارة به: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

٤ ـ تعمل الشرور كالقفل على قلب الإنسان وعقله؛ لذا يجب الاستعاذة بقوة لها القدرة على فتح تلك الأقفال والموانع وكسرها: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

٥ ـ أعطوا لدعائكم طيفاً واسعاً: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (تشمل كل المخلوقات).

٦ ـ من بين كل الشرور، ثمة أهميّة خاصة لشر الحسد، التفرقة، الإخلال بالعهد والمؤامرات الخفيّة: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ... شَرِّ النَّفَّاثَاتِ... شَرِّ حَاسِدٍ﴾.

٧ ـ يستمر العدو في النفخ حتى تُؤتي جهوده ثمارها: (﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ جمع «نفّاثة»، صيغة مبالغة).

٨ ـ تضعف العقائد إثر الوسوسات، فالكلام له أثره على النفوس: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾.

٩ ـ ليس للحسد علاج غير الاستعاذة بالله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ... إِذَا حَسَدَ﴾.

١٠ ـ تصير العوامل الموجودة خطيرة إذا ما صارت فعّالة: ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

١١ ـ يوجد الحسد عند الناس بنسب متفاوتة؛ الإقدام العملي على أساس الحسد هو الذنب: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»



سُورَةُ النَّاسِ

السورة: ١١٤ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٦



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

- وردت كلمة «قل» في القرآن أكثر من ٣٠٠ مرّة وأغلبها كان أمراً من الله إلى النبي وكان رداً على المخالفين أو الموافقين.
- تأتي كلمة «وسواس» بمعنى الموجود الذي يوسوس، وكذلك بمعنى الوسواس وخطرات الذهن والأفكار السيئة؛ ولكنها جاءت هنا بمعنى المُوسوس.
- لا يكفي قول كلمة «أعوذ» للنجاة من الخطر، بل يجب الابتعاد عمليّاً عن أسباب الخطر. وإلا فإنّ بناء بيت في طريق السيل وكتابة «أعوذ بالله من السيل» على باب البيت، هو عمل ساخر هزلي. من يقول «أعوذ بالله» يجب كذلك أن يبتعد عمليّاً عن منابع الفساد.
- أول ما يلمسه الإنسان هو رشده وتكامله وتربيته: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. ومن ثم السياسة والتدبير والحكومة: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾. وعندما يصل إلى الرشد ويكتمل وعيه يعي معنى العبادة والعبودية: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾.
- الاستعاذة تكون بمن هو مطّلع على الأسرار والوساوس الداخلية: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[1].

---

(١) سورة غافر: الآية ١٩.

- ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «**إنّ الشيطان ليجثم على قلب بني آدم له خرطوم كخرطوم الكلب، إذا ذكر العبد الله ﷻ خنس أي رجع على عقبيه، وإذا غفل عن الله وسوس**»[١].

- الأشخاص الذين يوسوسون للآخرين ويثيرون في نفوسهم الشكّ والتردّد يقومون بعمل شيطاني. وكثيراً ما فعلها معارضو الأنبياء. ومن ذلك ما قاله أعداء النبيّ صالح ﷺ، حين قالوا: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ﴾[٢].

- افتتح القرآن باسم الله واختتم بالاستعاذة به سبحانه.

- ﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾ من الخنوس بمعنى الاختفاء والتراجع. الشيطان بنفسه مخفي وعمله كذلك. لو كانت وسوسته علنيّة لما استطاع أن يتسلّط على الناس؛ ولكنه يتظاهر بالمظهر الحسن ويجمّل الأشياء ويبرّرها. فقد روي عن الإمام علي ﷺ قوله: «**ولو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعادين؛ ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث، فيمزجان. فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى**»[٣].

- لأنّ الشيطان خنّاس، يظل يأتي ويذهب حتى ينجح في مسعاه، وسلاح المواجهة معه هو ذكر الله كثيراً.

- انتقد القرآن الإنسان مرّات عدة بأنّه إذا ما أصيب بالبلاء دعا واستغاث، وإذا ما رُفع عنه البلاء صار كأنّه لا يعرف الله[٤].

- ذُكر اسم الله في هذه السورة ثلاث مرّات؛ لأنّ الوسوسة محلّها روح الإنسان وقلبه، وتؤدّي إلى التلاعب بإيمانه وعقله وأفكاره: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ، مَلِكِ ٱلنَّاسِ، مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾. أمّا في سورة الفلق حيث إنّ الوساوس من خارج القلب، فقد ذُكر اسم الله مرّة واحدة: ﴿بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾. أجل، فإنّ خطر الانحراف الفكري وتأثيره على الروح أكبر من الأخطار الخارجية. وأعداء

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٤٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٧٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٥٠.

(٤) سورة يونس، الآية ١١.

الثقافة والفكر هم أكثر خفاءً وأشد خطورة من الأعداء العسكريين والاقتصاديين.

- ورد في الروايات أنّ الشيطان حزن من قبول الله توبة الإنسان. فجمع أعوانه واستعان بهم. فقال كل منهم شيئاً. ولكنّ أحدهم قال: أنا سأوسوس للإنسان وأنسيه التوبة. فاستحسن إبليس اقتراح نسيان التوبة[١].

- الله هو: «رب الناس»؛ لذلك يجب ألّا نقبل بطرق التربية التي يتبعها الآخرون. وهو: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ فلا ينبغي إذاً أن نجعل أنفسنا عبيداً للآخرين. ولأنّه ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ فلا يحسن أن نأمل شيئاً من غيره. وهذا الاعتقاد هو أفضل وسيلة للاستعاذة من الوسوسات.

- وسوسة الشيطان للنبيّ آدم ولسائر الأنبياء هي في حد الوسوسة والإلقاء: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[٢]، ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[٣]؛ ولكن وسوسته لعموم الناس، هي نفوذ ودخول للوسوسة في قلبهم وروحهم ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾؛ ولكن ليس إلى حدّ التسلّط عليهم بحيث لا يكون للإنسان طريق للخلاص، لأنّ القرآن يقول في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٤].

- يشير تكرار كلمة الناس في ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ... مَلِكِ ٱلنَّاسِ... إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ إلى أنّ ربوبية الله وحاكميّته وألوهيّته عامّة ولا تختص بشخص أو جماعة أو بعرق خاص من البشر.

- في البدء جاءت ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، ومن بعدها ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾، وقد يكون سبب هذا أنّ الأمر المحسوس بوضوح والأقرب إلى الفطرة هو الالتجاء إلى المربّي: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. مثل الأطفال الذين ينطقون أوّل ما يتكلمون بكلمة الأم، ومن بعدها صاحب السلطة: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، وفي المرحلة التالية منبع الرحمة والحياة: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) سورة طه، الآية ١٢٠.
(٣) سورة الحج، الآية ٥٢.
(٤) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

□ إنّ الله عالم بحاجات الإنسان وبالأخطار التي تتهدده. ولكن أسلوب التربية الإلهية يقتضي أن يقرّ الإنسان بحاجته واستعانته ولجوئه بلسانه وأن يلقّن نفسه أنّه فقير ومحتاج لتُزهر فيه روح التواضع والتعبّد والتسليم: ﴿قُلْ أَعُوذُ...﴾.

□ ورد عن النبيّ ﷺ أنّ الوسوسة والخواطر لا يؤاخذ عليها الإنسان ما لم يفعل أو يتكلّم[1].

التعاليم:

١ ـ النبي أمين على الوحي، ولا يقول أي شيء من عند نفسه: ﴿قُلْ﴾.

٢ ـ الأخطار شديدة لدرجة أنّ الله تعالى يطلب من نبيّه أن يستعيذ به منها: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾.

٣ ـ لا يمكن محاربة الشرور من دون الاستعانة بالله: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

٤ ـ لا ينبغي أن ييأس المذنبون؛ لأنّ الله هو ربّ كل الناس وليس ربّ المؤمنين فقط: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

٥ ـ عندما يدعى النبي إلى الاستعاذة بالله، فإنّ تكليفنا واضح: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

٦ ـ يجب أن يعتبر الإنسان نفسه خاضعاً للتربية الإلهية: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وعليه أن يقبل سلطانه وحكومته: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، وأن يتخذه معبوداً له: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾.

٧ ـ يلجأ الإنسان عديم الإيمان إلى سلطته وقوميّته وثروته، ولكن رجال الله يلجأون إلى الرب والملك والمعبود: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ... مَلِكِ ٱلنَّاسِ... إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾.

٨ ـ أشد الأخطار، الأخطار الخفيّة وهي الأخطار الداخليّة .﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(١) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٥٤.

الخاتمة

«اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم».

ورد في الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه كان يدعو الله عند ختم القرآن بقوله:

«اللهم اشرح بالقرآن صدري، واستعمل بالقرآن بدني، ونوّر بالقرآن بصري، وأطلِق بالقرآن لساني، وأعنّي عليه ما أبقيتني، فإنّه لا حول ولا قوة إلا بك»[1].



(١) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٠٩.

الفهرس